الفارق بين الناس

تأليف

أبي أحمد عبد المنجي السيد أمين

إهـــــــــداء

إلى أمي الحبيبة وكل أم ضحت براحتها في سبيل سعادة أبنائها، وإلى أبي ذلك الوفي الذي عاش في زحمة الفتن عاضًّا على دينه بالنواجذ، وإلى كل أب اعتصم بحبل ربه و تمسك بسنة نبيه، وإلى طلاب الحق، ودعاة الخير أهدي هذا العمل المتواضع راجيًا أن ينفع الله تعالى به إنه وليُّ ذلك والقادر عليه . .

المـؤلــف

المقدمة

بِسْمِ الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران :١٠٢).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا الله الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء :١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب :٧٠ـ٧١) .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمـور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد :

تمهيد

لقد اعتنى القرآن العظيم بذكر العذاب المحسوس في مواطن كثيرة من السور المكية، والمدنية على السواء، وإن كانت المكيات تتميز بطابع خاص في ذلك، زجرًا للناس عن اقتراف الآثام، وتخويفًا لهم ليبحثوا عن التقوى وثمراتها، ذلك ليجتنبوا سخط الله ﷻ .

وقد خلق الله النار يخوف بها عباده لينتهوا عما نهوا عنه .

..والمقصود الأصلي هو: طاعة الله عز وجل، وفعل مراضيه، ومحبوباته، وترك مساهيه، ومكروهاته، ولا ننكر أن خشية الله، وهيبته، وعظمته في الصدور، وإجلاله مقصودٌ أيضًا، ولكن القدر النافع من ذلك ما كان عونًا على التقرب إلى الله تعالى بفعل ما يحبه، وترك ما يكرهه، ومتى صار الخوف مانعًا من ذلك وقاطعًا عنه فقد انعكس المقصود منه . .

إن قضية الخوف من الله تعالى، والتخويف من النار، وعذابها، وسوط انتقامه ليس من نافلة القول، أو هو من سقط المتاع بل هو فرض لازم، ويكفيك في ذلك دلالة أن الله تعالى لمَّا وصف ملائكته قال مبينًا حالهم: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ كما قال سبحانه: ﴿ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ .

وعلى هذا فالخوف: هو الأمان من عذاب الدنيا، وخزيها فهو السبب

الوثيق ـ بعد فضل الله تعالى ـ في النصر والتمكين، ولا يفهم القرآن فيتذكر به إلا من خاف الله تعالى، ونهى النفس عن الهوى، وهو الدافع إلى جنات النعيم بإذنه تعالى قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

فتفكر الآن أُخيَّ فيما ينجي من الفزع بفؤادك، إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثم قُرِعَ سَمْعُكْ بشهيق النار، وتَغَيُّظِها، وقد كُلِّفْتَ أن تمشي على الصراط، مع ضعف حالك، واضطراب قلبك، وتزلزل قدمك، وثِقَلِ ظهرك بالأوزار المانعة لك عن المشي على بساط الأرض فضلا عن حدَّة الصراط، فكيف بك إذا وَضَعْتَ إحدى قدميك فأحسستَ بحِدَّة، اضطررت إلى أن ترفع القدم الثانية، والخلائق بين يديك يُزَلُّون، ويتعثرون، وتتناولهم زبانية النار بالكلاليب، والخطاطيف، وأنت تنظر إليهم كيف ينتكسون فتسفَلُ إلى جهة النار رؤوسهم، وتعلو أرجلهم، فيا له مِنْ منظر ما أفظعه، ومرتقى ما أصعبه وهذا هو الخوف الحق من الله سبحانه المصحوب بالإيمان، والعمل.

وكما أن الصبر منه قولي، وقلبي، وعملي، وكذلك الشكر، وقبل ذلك الإيمان، واليقين، فإن الخوف إن كان متجردًا متفرغًا من محتواه الرئيسي الأصيل كان أداة من أدوات العطب، ولم يجدِ مع صاحبه إلاّ الجهد، والنصب، أما إن كان على النحو الشرعي الذي ظهر لك آنفًا فَثَمَّ الأجر والفلاح، والسداد والنجاح، وعاقبة أمره الأمن في الدنيا والآخرة . .

وإن المعرفة إذا أكتملت أثرت على الخوف ففاض أثره على القلب، ثم

ظهر على الجوارح بكفها عن المعاصي، وإلزامها الطاعات، واستدراكًا للخير في المستقبل، والخوف يقمع الشهوات، ويكدر الملذات، فتصير المعاصي المُحَببة للنفس بالخوف من النار مكروهات، وتحترق الشهوات، ويذل القلب للعزيز الحميد ويستكين للغفور الودود . .

فالقوم الصالحون لَمَّا صدقوا، وأطاعوا ربهم كان الجزاء ضخمًا، والعاقبة مباركة، والحساب يسيرًا، والفوز عظيمًا، فمسح الله عنهم الأوزار والأوضار، بل غفر لهم أسوأ الأعمال، وحاسبهم على حسناتهم حيث قبل القليل، وبارك فيه، وضاعفه أضعافًا كثيرة فجزاهم بكرمه بأحسن أعمالهم، وأجودها، وأفضلها .

ومن ثم أردت مستعينًا بالله تعالى أن أبين أن الله تعالى خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه، ويخشوه ويخافوه، ونصب لهم الأدلة الدالة على عظمته، وكبريائه ليهابوه ويخافوه خوف الإجلال، ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التي أعدها لمن عصاه ليتقوه بصالح الأعمال ولهذا كرر سبحانه وتعالى في كتابه ذكر النار، وما أعده فيها لأعدائه من العذاب، والنكال وما احتوت عليه من الزقوم، والضريع، والحميم، والسلاسل، والأغلال إلى غير ذلك مما فيها من العظائم، والأهوال ودعا عباده بذلك إلى خشيته، وتقواه والمسارعة إلى امتثال ما يأمر به ويحبه، ويرضاه واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه.

فمن تأمل الكتاب الكريم وأدار فكره فيه وجد من البراهين القاطعة على اليقين الوثيق فيما أخبر عنه الله تعالى عظة للناس بالغة وحجة دامغة كي يعلم كل امرىء ماله وما عليه قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا

فلأنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ ﴿ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا﴾ .

فلنعمل غير كسالى، ولا مترددين، ولنُقبل على الدار الآخرة غير منتكسين، ولا شاكين فمن جد وجد، وليس من سهر واستبق كمن رقد، ومن صفى صُفي له، ومن كدر كُدر عليه، ومن عمل بليل حظي بالنهار، ومن سنة الله التي لا تبديل لها أن الله لم يجعل المحسنين كالمجرمين.

ومن ثمَّ دار الحديث في البحث المتواضع متضمنا الكلام عن النار، وما فيها، وما أعد الله تعالى لأهلها من إهانة للغاوين، وضنك للضالين الظالمين، وقد ضمنته مباحث عديدة عن آفات، وموبقات هي سبب لضنك الدنيا، ونكالها وأغلال النار، وزقومها وما فيها من الويل، والثبور والحريق والسعير.

مع مراعاة الاهتمام بعقيدة أهل السنة والجماعة للتوازن المطلوب جمعًا بين الخوف، والرجاء بلا إفراط ولا تفريط، فلا يأس، ولا قنوط ولكن انضباط على الصراط السوي بالتي هي أقوم وقد ضمنته أيضًا ـ بفضل الله تعالى ـ مباحث مفيدة في أبواب كثيرة وموضوعات شتى تَمُتُّ لأصل موضوعنا بصلة وثيقة عظة لمن أرادها وبحث عنها للنجاة من أهوال يومٍ كان شره مستطيرا ﴿ **يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**﴾ .

عسى الله أن ينجينا من أهواله وكربه وغصصه ﴿**هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ**﴾ وما كان فيه من توفيق فمن الله وحده لا شريك له وما كان فيه من نقص فمن نفسي والشيطان والله ورسوله منه براء . .

أسأل الله تعالى أن يكتب لي أجره ولمن قرأه وكتبه ونشره ودل عليه إنه على كل شيء قدير .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ .

والله من وراء القصد وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

كتبه راجي عفو ربه ورضاه

أبي أحمد

عبد المنجي بن سيد آل آمين

ليلة الاثنين ١٩ ذو الحجة ١٤٢٦هـ

الموافق ١٩ من يناير ٢٠٠٦ م

عفا الله عنه وعن والديه وكاتبه والمسلمين

المبحث الأول

أدلـــة وجـــود الـنـــــار

أدلة وجود النار

أولًا : وجود النار:

قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [1] ففي قوله تعالى: دليل على أنها موجودة « أُعِدَّتْ» دليل على أنها موجودة معدة جهزها تعالى للمستحقين ﴿ وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾

و قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[2] .

[١] عن أبي حازم، عن أبي هريرة، ﷺ قال: كنا مع رسول الله (ﷺ) إذ سمع وَجْبَةً . فقال النبي: «**أتدرون ما هذا ؟**» قال: قلنا الله ورسوله أعلم .قال: «**هذا حجر رُميَ به في النار منذ سبعين خريفًا، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها**»[3] .

والوجبة : السقطة كما تسمع شيئًا سقط له صوت مرتفع . .

في هذا الحديث يتضح أن النبي سمع صوتًا وسأل أصحابه من أجل إيقاظهم وانتباههم ليستعدوا للأخبار التي تجعلهم يعيشون الآخرة قبل الرحيل إليها من خلال إخبار الصادق المصدوق وقد أخبرهم بأن هذا صوت حجر من حجارة جهنم أُلقي فيها منذ سبعين سنة ما وصل إلى قعرها إلا بعد نهاية هذه المدة .

---

(١) البقرة:٢٤

(٢) آل عمران :١٣١.

(٣) أحمد : ٢/ ٣٧١، وشرح النووي: ١٧/ ١٧٩.

[٢] عن سُهَيل، عن أبيه، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « **رأيت عمرو بن لُحَيٍّ بن قِمْعَةُ بن خِنْدَفَ أخا بني كعب هؤلاء يَجُرُّ قُصْبَهُ في النار**»[١] .

وخِنْدَف بكسر الخاء وفتح الدال اسم القبيلة التي فيها الأبعد .

ومعنى قُصْبَهُ : أي أمعاؤه .

[٣] عن نافع، عن ابن عمر، أنّ رسول الله (ﷺ) قال :« **إنّ أحدكم إذا مات عرض عليه مَقْعَدُهُ بالغداةِ و العَشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال هذا مقعدك حتّى يبعثك الله إليه يوم القيامة** »[٢] .

وفي الحديث دليل واضح على وجود النار ولذا فإن الميت يراها رأي العين .

[٤] فعن قتادة، حدثنا أنس بن مالك، قال : قال رسول الله(ﷺ): « **إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، قال يأتيه ملكان فَيُقْعِدَانهِ فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ قال : فأما المؤمن فيقول :أشهد أنه عبد الله ورسوله .قال فيقال له :أنظر إلي مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة قال نبي الله (ﷺ): فيراهما جميعًا ...**»[٣] .

ولفظة« **فيراهما جميعًا** » تؤكد وجود النار .

---

(١) مسلم بشرح النووي : ١٧/ ١٨٨ .
(٢) مسلم بشرح النووي :١٧/ ٢٠١
(٣) مسلم بشرح النووي : ١٧/ ٢٠٣

[٥] عن عائشة أم المؤمنين زوج النبي(ﷺ) قالت: « **خَسَفَت الشمس في حياة رسول الله (ﷺ) فقام وكبَّر وصفَّ الناسُ وراءه .....**» الحديث .

وفيه قال رسول الله(ﷺ):«**ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا حين رأيتموني تأخرت ورأيت فيها بن لُحيّ وهو الذي سيّب السوائب** »[١] .

[٦] وفي حديث ابن عباس (رضي الله عنه) في الكسوف وفيه أيضًا «....قالوا يا رسول الله رأيناك تناولت شيئًا في مقامك هذا ثم رأيناك كففت فقال : (**إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودًا ولو أخذته لأكلت منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أرَ كاليوم منظرًا قطّ، ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا بِمَ يا رسول الله ؟ قال بكفرهن. قيل :أيكفرن بالله ؟ قال بِكُفْرِ العَشير وبكفر الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئًا قالت ما رأيت منك خيرًا قط** »[٢] .

والعشير: المعاشر كالزوج وغيره وفيه ذم كفران الحقوق لأصحابها. اهـ.

وقال ابن القيم : في باب بيان وجود الجنة الآن : لم يزل أصحاب رسول الله (ﷺ) والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل الزهد على اعتقاد ذلك وإثباته، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم...»[٣] .

❁❁❁

(١) مسلم بشرح النووي ٦/ ٢٠٣ في كتاب الكسوف وقال النووي :وفيه أنها مخلوقة موجودة و هو مذهب أهل السنة ومعنى يحطم بعضها بعضا لشدة تلهبها

(٢) مسلم بشرح النووي ٦/ ٢١٣

(٣) حادي الأرواح صـ٢٤ .

المبحث الثاني

الاستعاذة من النار

الاستعاذة من النار

إن رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء اقتضت أن يَدُلَّنا سبحانه على كل خير يعلمه دافعًا لنا إلى مرضاته وجنته ودار كرامته، حيث المقام السرمدي الذي لا يفنى ولا يبيد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1] كما قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ الله جَمِيعًا إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

والله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يترك شيئًا يتسبب للإنسان في الانتكاس والتنكب، وانتصار الشهوات، والشبهات إلا نهى عنه، وحذر منه تبارك وتعالى ولذلك قال سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا الله مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾[4] كما قال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[5].

وقال: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ الله قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ﴾[6].

---

(١) الحج: ٧٧

(٢) المائدة: ١٠٥

(٣) البقرة: ١٤٨

(٤) التغابن: ١٦

(٥) يس: ٦٠

(٦) الأعراف: ٥٦

وقال سبحانه: ﴿وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (١).

كما قال: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢) وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ الله كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٣).

وحذر ما تدنس به النفس، ويُسْوَدُّ به القلب فقال سبحانه: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٤) وقال: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلا بِالحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٥) وقال: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ (٦) وقال: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا﴾ (٧)..

وقال تعالى: ﴿لا تَأْكُلُوا الرِّبا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٨).

وغير ذلك من الآيات التي ذكرها الله تعالى للتحذير من الوقوع في براثن

---

(١) هود: ٨٥

(٢) البقرة: ١٨٨

(٣) النساء: ٢٩

(٤) الإسراء: ٣٢

(٥) الأنعام: ١٥١

(٦) الإسراء: ٣٦

(٧) لقمان: ١٨

(٨) آل عمران: ١٣٠

الإثم وغياهب الذنب و ظلمة الشرك ومستنقع البدع ذلك لأنه خالقنا وهو أعلم بنا من أنفسنا وأرحم بنا من الآباء والأمهات ولذلك بين لنا حتى لا نضل ولا نشقى .

وقال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ۞ يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (١) .

فقد أخبرك أنه يريد لك الخير والبيان حتى لا تسقط فيما سقط فيه الضالون من قبل، وأن يهديك سواء السبيل حتى لا تقع في شراك وشباك الأعداء الذين يتبعون الشهوات فتميل ميلًا ربما كان السبب إلى السقوط في النار ..

*هذا ليقوى ضعفك ويجبر كسرك، ويلم شعثك ويتداركك برحمته وهو العفو الحليم الودود ولذلك ذكر سبحانه النار ولهيبها وما يحدث لأهلها وخوفنا منها سبحانه وهذه أعظم النعم اقرأ معي عن الخسارة الحقيقية في الآية الآتية يقول سبحانه وتعالى : ﴿قُلْ إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ﴾ (٢) .

أتدري لماذا ؟ لقوله سبحانه : ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ (٣) .

أتدري علة ذكر هذا بهذا الشكل وعلى هذا النحو ؟ ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ

(١) النساء :٢٦ـ٢٨
(٢) الزمر :١٥
(٣) الزمر :١٦

عِبَادَهُ﴾ ليصل بهم إلى ماذا؟ ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ (١) .

* من أجل ذلك خوفنا الله تعالى وعلمنا كيف ندعوه أن يخفف عنا ويرحمنا ولا يسلط النار علينا .

يقول ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢) .

* فالمسلم دائما يحيا، والآخرة بمظاهِرهَا وأخبارها، وما أعد ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فيها نصب عينيه تشغل باله، وتسيطر على قلبه فيرى بعيني رأسه النارَ ليقينه في ذلك لأنه من خلال القرآن العظيم، ولذا نجده دائما متضرعًا لربه أن يقيه عذابه يوم يبعث عباده ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

ولذلك كان النبي ﷺ كثيرًا ما يدعوا بهذا الدعاء الشامل الجامع المانع .

[٧] فعن حميد، عن ثابت البُنانى، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ عادَ رجلًا جَهِدَ حتّى صار مثل فرخ . فقال له: « **أما كنت تدعو أما كنت تسأل ربك العافية ؟ قال كنت أقول :اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا .فقال النبي ﷺ سبحان الله إنك لا تطيقه ـ أو لا تستطيعه ـ أفلا كنت تقول: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** » وفي رواية مسلم «**فدعا الله له فشفاه** »(٣) .

قال النووي وفي هذا الحديث النهي عن الدعاء بتعجيل العقوبة وفيه

---

(١) الزمر :١٦

(٢) البقرة :٢٠١

(٣) مسلم بشرح النووي :١٧/ ١٣ ك/ الذكر والدعاء، بـ/ كراهية الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا وانظر الحديث الذي يليه .

فضل الدعاء بـ اللهم « آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» وفيه جواز التعجب بسبحان الله، وفيه استحباب عيادة المريض، والدعاء له، وفيه كراهة تمني البلاء لئلا يتضجر منه، ويسخطه وربما شكا .

وأظهر الأقوال في تفسير الحسنة في الدنيا أنها العبادة والعافية، وفي الآخرة الجنة والمغفرة، وقيل الحسنة تعم وتشمل الدنيا والآخرة ...انتهى كلامه[١] .

* ومن هنا علمنا ربُّنا في ميادين كثيرة أن نعوذ به من النار، بل في أحوال عديدة ففي سورة «آل عمران» بعد أن أثنى سبحانه على أولي الألباب وامتدحهم وذكر لهم صفاتٍ يحبها سبحانه حيث قال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٢] .

وفي أول السورة قال ـ سبحانه وتعالى ـ وهو يصف خصال التقوى وصفات المتقين يقول: ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٣] .

وفي سورة الفرقان ذكر الله سبحانه وتعالى صفات عباده – عباد الرحمن فذكر منها ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾[٤] .

---

(١) مسلم بشرح النووي ١٧/ ١٣ كتاب الذكر والدعاء باب كراهية الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا، والترمذي ٥/ ٢٩٥ كتاب الدعوات باب ٧١ حديث ٣٤٩٨

(٢) آل عمران : ١٩٠ـ١٩١

(٣) آل عمران : ١٦

(٤) الفرقان : ٦٥

والمعنى : ومن صفات عباد الرحمن صفة الاستعاذة بالله تعالى من النار كي يصرف الله عنهم عذابها ويدفعه عنهم وذلك بالعصمة من أسبابه بقبول الحسنات ومغفرة السيئات الموجبة للحسرات .

﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي ملازما لأهلها .بمنزلة ملازمة الغريم لغريمه .

﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[1] أي: نحن نتضرع إليك يا ربنا في غاية الحاجة، والتضرع؛ لأنه ليس في طاقاتنا، ولا مقدورنا أن نتحمل هذا العذاب الأليم اصرف عنا بواسع رحمتك .

وفي سورة غافر ذكر الله دعاء الملائكة بعدما ذكر سبحانه ثناءهم الجميل عليه تبارك وتعالى، ودعائهم للمؤمنين بأن يقيهم عذاب النار.

قال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[2].

والقرآن فيه آيات من هذا النوع كثيرة .

فتية يعرف التخشع فيهم ... كلهم أحكم القرآن غلامًا
قد برى جلده التهجد حتى ... عاد جلدًا مصفرًا وعظامًا
تتجافى عن الفراش من الخوف ... إذا الجاهلون باتوا نيامًا
بأنين وعبرة وحنين ... ويظلون بالنهار صيامًا
يقرءون القرآن لا ريب فيه ... ويبيتون سجَّدًا وقيامًا

(١) الفرقان : ٦٦
(٢) غافر: ٧

أما في السنة فحدِّث ولا حرج

ففي الصلاة علمنا النبي ﷺ الاستعاذة بربنا من النار :

[٨] عن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليستعذ بالله مِنْ أربع: مِنْ عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال** »[١].

[٩] عن أبي هريرة ﷺ قال :قال رسول الله ﷺ لرجل: «**ما تقول في الصلاة؟ قال: أتشهد ثم أسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار، أما والله لا أُحسن دندنتك ولا دندنة معاذ. فقال: حولها ندندن** »[٢].

[١٠]عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ﷺ قالت :إن النبي ﷺ كان يقول: « **اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهِرم، والمأثم، والمغرم، ومن فتنة القبر، وعذاب القبر، ومن فتنة النار، وعذاب النار، ومن شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدَّجال، اللهم اغسل عنّي خطاياي بماء الثلج والبرد، ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب** »[٣].

و«**المأثم والمغرم** » أي الإثم والغرامة .وهى ما يلزم الشخص أداؤه، كالدين

---

(١) سنن ابن ماجة ١/ ٢٩٤/ ك: إقامة الصلاة ، والسنة فيها باب ما يقال في التشهد والصلاة على النبي ح/ ٩٠٩، وأصله عند مسلم وأبي داود في السنن .

(٢) ابن ماجة ١/ ٢٥٩ ح / ٩١٠، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة، وصفة الصلاة، وتخريج الكلم الطيب ١٠٣، وصحيح أبي داود / ٧٥٧

(٣) البخاري / فتح الباري / بهذا اللفظ :١١/ ١٨٠ :ك:الدعوات باب التعوذ من المأثم والمغرم ح/ ٦٣٦٨ وانظر مسلم :٦/ ٢٨/ ٢٩ ك:الذكر والدعاء باب الدعوات والتعوذ، وأخرجه أبو داود :٢/ ٩٢ ح ١٥٤٣، وابن ماجة ح ٣٨٣٨ .

و«فتنة القبر» أي سؤال المَلَكَيْن، و(فتنة النار) سؤال الخزنة على سبيل التوبيخ .وإليه الإشارة بقوله ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾(١).

قوله : « **ومن شر فتنة الغنى وأعوذ بك من فتنة الفقر** ».

قال الكرماني :صرَّح في فتنة الغنى بذكر الشر إشارة إلى أن مضرته أكثر من مضرة غيره، أو تغليظًا على أصحابه حتّى لا يغتروا فيغفلوا عَنْ مفاسده أو إيماءً إلى أن صورته لا يكون فيها خير، بخلاف الفقر، فإنها قد تكون خيرًا. .

*قال الحافظ بن حجر: والتقييد في الغنى والفقر بالشر لابد منه؛ لأن كُلاّ منهما فيه خير باعتبار، فالتقييد في الاستعاذة منه بالشر يخرج ما فيه من الخير سواء قلَّ أو كثر، .....)(٢) .

[١١] عن كريب مولى بن عباس، عن ابن عباسﷺ قال :كان رسول الله ﷺ يعلمنا هذا الدعاء كما يعلمنا السورة من القرآن « **اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيخ الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات** »(٣) هكذا كان ﷺ يعلم الناس ليتذكروا ولذلك كان ﷺ كثيرًا ما يدعوا بهذه الدعوات أو قريبا منها في الصياغة في الصلاة وغير الصلاة .

[١٢] فعن عائشة زوج النبي ﷺأن رسول الله ﷺ كان يدعو بهذه الدعوات «**اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، وعذاب النار**.....»(٤).

---

(١) الملك :٨

(٢) الفتح :١١/ ١٨١ بتصرف كبير.

(٣) (البخاري في الأدب المفرد / ٦٩٤، وابن ماجة :٢/ ١٦٢ح ٣٨٤٠ كتاب الدعاء باب ما تعوذ منه رسول الله ﷺ وانظر صحيح سنن ابن ماجة ح/ ٣٠٩٥ من حديث عائشة، وأورده الألباني ـ رحمه الله ـ في الإرواء : :١/ ٤٢ وصحيح أبي داود ١٣٨٠

(٤) أحمد :٦/ ٦ ,٥٧/ ٢٠٧ "وعيد بن حميد ١٤٩٢ والبخاري ٨/ ٨ ,٩٨/ ١٠٠،أبو داود حديث رقم ١٥٤٣،والنسائي ١/ ٥١، وابن ماجة حديث رقم ٣٨٣٨ .

[١٣] وكان النبي ﷺ عند منامه أيضًا يستعيذ بالله من النار فعن أبي عبيدة، عن ابن مسعود ﷺ قال: «**كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه، وضع يمينه تحت خدِّه، وقال: اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك**»[(١)].

[١٤] وعن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا تبوأ مضجعه: «**الحمد لله الذي كفاني، وآواني، وأطعمني، وسقاني، ومَنَّ عليّ فأفضل، وأعطاني فأجزل، الحمد لله على كل حال، اللهم ربّ كل شيء، وملك كل شيء، وإله كل شيء، ولك كل شيء، أعوذ بك من النار**»[(٢)].

[١٥] وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، أن النبي ﷺ قال: «**إذا فزع أحدكم في النوم، فليقل :أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه، وشرِّ عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون ..**»[(٣)].

[١٦] وكان النبي ﷺ يستعيذ بالله من العذاب عند النوم، فعن حذيفة بن اليمان ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن ينام، وضع يده تحت رأسه ثم قال: «**اللهم قني عذابك يوم تجمع ـ أو تبعث ـ عبادك**» [الترمذي :٢٧٠٥].

ولاشك أن النار من عقابه نسأل الله العافية . .

وفي غالب شأنه وأكثر أحواله ﷺ كان يهتم بذلك .

---

(١) ابن ماجة ح رقم ٣٨٧٧ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة: ح رقم ٢٧٥٤، وأخرجه الترمذي ٥/ ٢٥٥ ك:الدعوات، ح:٣٤٠٩، وقال أبو عيسى :حديث حسن صحيح وصححه الحافظ في الفتح ١١/ ١١٥)

(٢) شرح السنة ٥/ ١٠٦ باب الذكر والدعاء، وهو عند أبي داود في السنة ؛ح:٥٠٥٨ في الأدب ما يقول عند النوم، وهو صحيح وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح

(٣) الترمذي ٥/ ٣١٣، ٣١٢ ك:الدعوات ح:٣٥٣٩ وقال: حديث حسن غريب ؛وأبو داود ٤/ ١١ك الطب ح:٣٨٩٣ وقال الألباني: حسن وانظر صحيح الترمذي :٢٧٩٣

[١٧] عن محمد بن ثابت، عن أبي هريرة، ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ **«اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، و زدني علمًا، والحمد لله على كل حال ونعوذ بالله من حال أهل النار»**[١] .

وكان النبي ﷺ يأمر بالتعوذ من النار:

فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « **عوذوا بالله من عذاب القبر، وعوذوا بالله من عذاب النار، .....**»[٢] .

[١٨] وعن سليمان بن سنان المزني، أنه سمع أبا هريرة يقول :سمعت أبا القاسم يقول في صلاته :«**اللهم إني أعوذ بك من فتنة القبر، ومن فتنة الدجال، ومن فتنة المحيا والممات، ومن حَرِّ جهنم** »[٣].

[١٩] وعن أنس، قال :قال رسول الله ﷺ: « **مَنْ سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنةُ :اللهم أدخله الجنة ؛ ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار:اللهم أجره من النار** »[٤] .

❁❁❁

(١) (ابن ماجة ٢/ ١٢٦٠ ك :الدعاء، باب دعاء النبي ﷺ ح:٣٨٣٣، وصححه الألباني دون قوله (والحمد لله...)، وأورده في المشكاة ح:٢٤٩٣ ،وأخرجه الترمذي ٥/ ٣٤٣ ك:الدعوات. باب في العفو والعافية وقال أبو عيسى :حديث حسن غريب .

(٢) أحمد ٢/ ٢٤٦٧، ٤١٦ وعبد بن حميد ١٤٦٢، والنسائي ٨/ ٢٧٦، وأصله في مسلم وانظر صحيح الجامع ٤١١٠.

(٣) النسائي ٨/ ٢٧٨

(٤) صحيح الجامع ٦٢٧٥، والمشكاة ٥٤٧٨

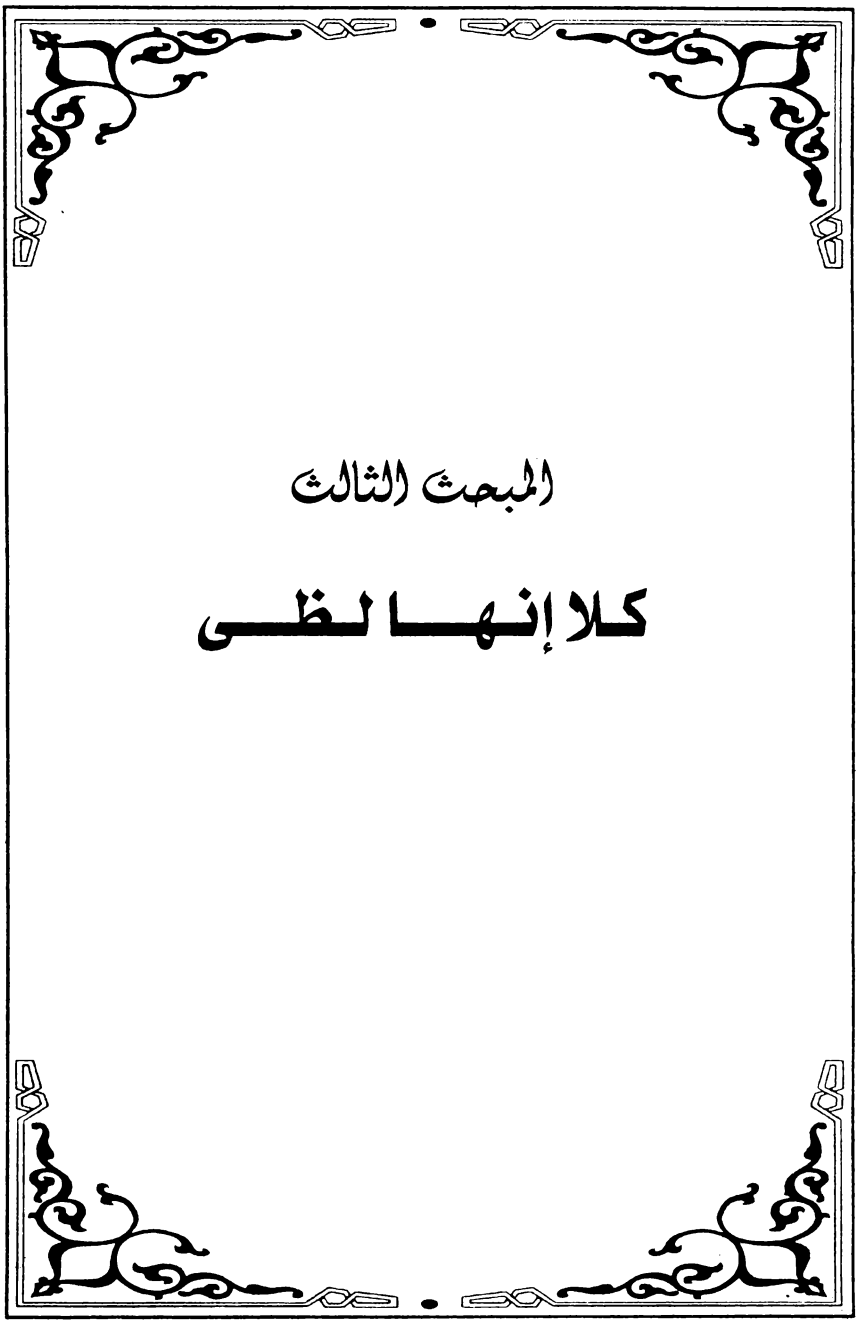

المبحث الثالث

كلا إنها لظى

حديث القرآن عن النار وشدتها

لقد اعتنى القرآن العظيم بذكر العذاب المحسوس في مواطن كثيرة من السور المكية والمدنية على السواء، وإن كانت المكيات تتميز بطابع خاص في ذلك، زجرًا للناس عن اقتراف الآثام، وتخويفًا لهم ليبحثوا عن التقوى وثمراتها، ذلك ليجتنبوا سخط الله ﷻ.

لقد عنى القرآن بمشاهد القيامة، والبعث والحساب، والنعيم والعذاب، فلم يعد ذلك العالم الآخر الذي وُعِدَهُ الناس بعد هذا العالم الحاضر، موصوفًا فحسب، بل عادَ مصورًا محسوسًا، وحيًا متحركًا، وبارزًا شاخصًا، وعاش المسلمون في هذا العالم عيشة كاملة : رأوا مشاهده، وتأثروا بها، وخفقت قلوبهم تارة، و اقشعرت جلودهم تارة أخرى، وسرى في نفوسهم الفزع مَرّةً، وعاودهم الاطمئنان أُخرى ومن ثَمَّ باتوا يعرفون هذا العالم تَمام المعرفة قبل اليوم الموعود. اهـ[1].

آيات من القرآن تتحدث عن شدّة النار

أولًا : من تدعوهم النار:

قالَ تعالى : ﴿كَلا إِنَّهَا لَظَى ۞ نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ۞ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ۞ وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾[2] لَظَى :اسم من أسماء جهنم ـ عياذًا بالله ـ.

نَزَّاعَةً:أي أنها تنزع جلدة الرأس، وأطراف اليدين، لِلشَّوَى: جمع شواة، وهي من جوارح الإنسان ما لم يكن مقتلًا .

---

(١) مشاهد القيامة صـ ٣٧ (دار الشروق) للأستاذ : سيد قطب .

(٢) المعارج: (١٥ ـ ١٨)

وقال الضحاك نقلًا عن بن جرير عند قوله: ﴿ نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾قال: ابن جرير: ﴿نَزَّاعَةً﴾ قال: تقطع عظامهم كما ترى ثم يجدد ٠خلقهم، وتبدل جلودهم يقول: تدعوا ﴿لَظَى﴾ من أدبر وتولى، عن طاعة الله، وتولى عن كتاب الله، وعن حقّه .

وقال ابن وهب : قال ابن زيد في قوله﴿ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ قال: ليس لها سلطان إلاّ على هوان من كفر وتولى وأدبر عن طاعة الله، فأما من آمن بالله ورسوله، فليس لها عليه سلطان والمعنى أن أهل النار لا حيلة لهم ولا ناصر ولا منقذ من شدة العذاب وقد حقت عليهم كلمة العذاب فلا أنيس يجدي ولا قريب ينفع فلا هم يُنْظَرُون ولا هم يُسْتَعتَبُون. خاصة أن المجرم يتمنى هنالك لو قدم مكانه أخاه أو أباه أو قريبه والجواب كلاّ ـ إن النار التي تتلظى، تنزع من شدتها الأعضاء الظاهرة والباطنة –عياذًا بالله – والنار تدعوا إلى نفسها من أدبر عن الطاعة وتولى عن اتباع الحق وأعرض عنه، وجمع المال ﴿وأوعى﴾ أي: كَنزَ فلم يدفع به عن نفسه العذاب ولذلك فهي تدعو من كان هذا شأنه ليكونوا لها حطبًا[1].

ثانيًا: تحذير الجبار عباده من النار:

قال تعالى : ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى۞ لا يَصْلاهَا إِلا الأَشْقَى۞ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾[2].

قال القرطبي : عن هذه الآية﴿ فَأَنْذَرْتُكُم﴾أي: حذَّرتكم وخوفتكم.

﴿ نَارًا تَلَظَّى ﴾ أي تلهّب وتتوقد، وأصله تتلظى .

---

(١) انظر جامع البيان ١٤/ ٩٥/ ٩٦ بتصرف

(٢) الليل: ١٤ـ١٦

﴿ لا يَصْلاهَا﴾ أي لا يجد صلاها وهو حرها .

﴿ إلا الأَشْقَى﴾ أي الشقي .

﴿ الَّذِي كَذَّبَ﴾ أي كذبَ بنبي الله محمد ﷺ .

﴿ وَتَوَلَّى ﴾ أي أعرض عن الإيمان ... اهـ.[1].

قال الغزالي في الإحياء ٤/ ٤١٥ عند الكلام عن صفة جهنم:(يا أيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال دع التفكير فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر إلى موردك فإنك أُخبرتَ بأنَ النار مورد للجميع إذ قيل ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۞ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[2].

فأنت من الورود على يقين ومن النجاة في شك، فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد، وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا مِنْ دواهي القيامة ما قاسوا، فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفًا ينتظرون حقيقة أنبائها، و تشفيع شفعائها؛ إذ أحاطت بالمجرمين ظلماتٌ ذات شُعَبْ، وأظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرًا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب حتّى أشفق البراء من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية قائلًا: أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل، المضّيعُ عمره في سوء العمل؟، فيبادرونه بمقامع من حديد، ويستقبلونه بعظائم التهديد،

(١) القرطبي :بتصرف ١٠/ ٧١٧٦

(٢) مريم:٧١ـ ٧٢

ويسوقونه إلى العذاب الشديد، وينكسونه في قعر الجحيم، ويقولون له: ذقْ إنك أنت العزيز الكريم، فأُسكنوا دارًا ضيقة الأرجاء، مظلمة المسالك، مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير، شرابهم فيها الحميم، ومستقرهم الجحيم، الزبانية تقمعهم، والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك، وماهم منها فكاك، قَدْ شُدّت أقدامهم إلى النواصي، واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي، ينادون من أكنافها، ويصيحون في نواحيها وأطرافها : يا مالك قد حقّ علينا الوعيد، يا مالك قدْ أثقلنا الحديد، يا مالك قدْ نضجت متا الجلود، يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود، فتقول الزبانية: (هيهات هيهات لات حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان، فاخسئوا فيها ولا تكلمون، ولو أخرجتم منها لكنتم إلى مانهيتم عنه تعودون، فعند ذلك يقنطون، وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون، ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف، بل يكبون على وجوههم مغلولين، النار من فوقهم، والنار من تحتهم، والنار عن أيمانهم، والنار عن شمائلهم، فهم غرقى في النار، طعامهم نار، وشرابهم نار، ولباسهم نار، ومهادهم نار، فهم بين جنبات النيران، وسرابيل القطران، وضرب المقامع وثقل السلاسل، فهم يتجلجلون في مضايقها، ويتحطمون في دركاتها، ويضطربون بين غواشيها، تغلي بهم النار كغلي القدور، ويهتفون بالويل والعويل، ومهما دعوا بالثبور، صُبَّ مِنْ فوق رؤسهم الحميم﴿ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُود ۞وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيد﴾ [الحديد:٢٠، ٢١] .

تُهَشِّمُ بها جِباَهُهُمْ فيتفجر الصديد من أفواههم، وتنقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخدود أحداقُهُمْ ،ويسقط من الوجناتِ لحومهم، ويتمعط من الأطراف شعورها بل جلودها، وكلما نضجت جلودهم بُدلوا

جلودًا غيرها، قد عريت من اللحم عظامهم، فبقيت الأرواح منوطة بالعروق، وعلائق العصب وهى تُنهش في لفح تلك النيران، وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت إليهم وقد اسودت وجوههم أشدَّ سوادٍ من الحميم، وأعميت أبصارهم، وأبكمت ألسنتهم، وقصمت ظهورهم، وكسرت عظامهم، وَجُدِعَتْ آذانهم، ومزقت جلودهم، وغُلتْ أيديهم إلى أعناقهم، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم، وهم يمشون على النار بوجوههم، ويطئون حسك الحديد بأحداقهم، فلهيب النار سارٍ في بواطن أجزائهم ...اهـ[1].

[٢٠] وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال:

«**خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلَّى ثم انصرف فوعظ الناس وأمرهم بالصدقة فقال: أيها الناس تصدقوا، فمَرَّ على النساء فقال: يا معشر النساء تصدقن، فإني رأيتكنَّ أكثر أهل النار، فقلن : وبم ذلك يا رسول الله ؟ قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم مِن إحداكن يا معشر النساء...**»[2] الحديث.

[٢١] وعن عبد الله بن مغفل قال: سمعت عدي بن حاتم ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **اتقوا النار ولو بشق تمرة** » .

وشق التمرة : نصفها، والمعنى أن التصدق ولو كان بنصف مرة فإنه يفيد .

[٢٢] وقال الحافظ : ولأحمد من حديث ابن مسعود مرفوعًا بإسناد صحيح « **ليتق أحدكم وجهه النار ولو بشق تمرة** » .

---

(١) الإحياء طبعة / دار الشعب :٤/ ٢٩٨٧-٢٩٨٨ بتصرف .

(٢) البخاري ك/ الزكاة ب/ الزكاة على الأقارب ح ١٤٦٢ .

[٢٣] وله من حديث عائشة بإسناد حسن «**يا عائشة استتري من النار ولو بشق تمرة فإنها تَسَدُّ من الجائع مسدها من الشبعان**»(١).

ثالثًا: النار المُحَذَّرة لا تبقي لحمًا ولا عظمًا

قال تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ۞ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ ۞ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ۞ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٢٦-٣٠] والمعنى أن الله جعل النار لمن كَذَّب بآياته وقال عنها مدعيًا أنها قول البشر.

وقوله ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ : هذه مبالغة في وصفها، وتعظيم لوصف هولها والمعنى : وأي شيء أعلمك ما سقر، ثم تحدث عن شدة لظاها وحريقها فقال ﴿لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ﴾أي لا تترك لهم عظمًا، ولا لحما، ولا دمًا، ولا شيئًا إلا أحرقته.

وسقر: من سقرته الشمس إذا أذابته، ولوّحته، وأحرقته، فسقطت فروة جلد وجهه من شدة الحر.

قال القرطبي: وكرر اللفظ تأكيدًا، وقيل لا تبقي منهم شيئًا، ثم يُعَادُونْ خلقًا جديدًا، فلا تذر أن تعاود إحراقهم هذا أبدًا.

وقال مجاهد: لا تُبْقِي من فيها حيًا ولا تذره ميتًا، تحرقهم كلما جُدِّدوا..

وقال السدي:-لا تبقى لهم لحمًا ولا تذر لهم عظمًا....اهـ.

﴿**لواحة للبشر**﴾ من لوحة الشمس، تلويحًا أي غيرته، وسفحت وجهه.

وقال أبو رزين: ﴿**تلفح وجوههم النار**﴾ لفحه تدعها أشد سوادًا من الليل.

وهذا ما يدل على أنها مشتاقة إلى أهلها أشد الاشتياق حتى من سمومها ما كانوا يخفون من قبل.

---

(١) البخاري ك / الزكاة ب / اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة / ح ١٤١٧.

قوله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ۞وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ إنها شيء أعظم وأهول من الإدراك !.

ثُمَّ عقب بشيء من صفتها أشد هولًا : ﴿لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ﴾، فهي تكنس كنسًا، وتبلع بلعًا، وتمحوا محوًا، فلا يقف لها شيء، ولا ورائها شيء، ولا يبقى منها شيء ! ثُمَّ هي تتعرض للبشر وتلوح﴿لواحة للبشر﴾ فهي تدل على نفسها، وكأنما تقصد إثارة الفزع في النفوس بمنظرها المخيف !...اهـ[١] .

وقال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى۞لا يَصْلاهَا إِلا الأَشْقَى۞ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾[٢]والإنذار هنا تخويف وتحذير من لفح النار وعذابها خاصة أن الله تعالى وصف حرارتها، وعمقها، وبعد قعرها، وشدة ملائكتها، لأجل أن يخاف الناس منها، فيمهدون لأنفسهم ما يحميهم به الله تعالى وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾[٣].

قال سبحانه حكاية عن صالحي عباده أولي الألباب عند مناجاتهم الله.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[٤] .

وقال سبحانه:﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ۞إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾[٥] .

وقال سبحانه: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[٦] .

وقال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ بِالقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾[٧] .

---

(١) ظلال القرآن ٦/ ٣٧٥٧

(٢) الليل :١٤ـ١٦

(٣) الإسراء:٣٩

(٤) آل عمران :١٩٢

(٥) المعارج :٢٧ـ٢٨

(٦) إبراهيم:١٤

(٧) ق :٤٥

رابعًا : أهل النار وهم في الطريق إليها

كيف يتوقعون وكيف تستقبلهم النار

قال تعالى : ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۞ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۞ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ۞ لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [2]

وقال تعالى: ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ .

قال أبو مسلم: (وَأَعْتَدْنَا) أي جعلناها عتيدًا ومعدةً لهم، والسعير: النار الشديدة الاستعار، وعن الحسن: أنه اسم من أسماء جهنم.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ .

يجب إمراره على الظاهر، لأنه لا امتناع أن تكون النار حيَّة رائية مغتاظة على الكفار [3] اهـ. .

قال الطبري: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ يقول واعتدنا لمن كذب ببعث الله الأموات أحياءً بعد فنائهم لقيام الساعة ، نارًا تستعر عليهم وتَتَّقد ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يقول: إذا رأتهم هذه النار التي أعتدناها

---

(١) الفرقان :١١ـ١٤

(٢) الكهف :٥٣

(٣) تفسير الرازي: ٢٤/ ٥٥

لهؤلاء المكذبين أشخاصهم من مكان بعيد تغيظت عليهم، وذلك أن تَغْلِي وتفور، يقال فلان تغيظ على فلان، وذلك إذا غضب عليه فغلى صدره من الغضب عليه، وتبين في كلامه، وَزَفِيرًا :هو صوتها .

[٢٤] وأورد ابن جرير رحمة الله **عن مجاهد عن عبيد بن عمير، قال** : إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملكٌ ولا نبي إلا خَرَّ تَرعَدُ فرائسه [٥].

قال الغزالي : وما دام يؤذن لهم في البكاء، والشهيق، والزفير، والدعوة بالويل والثبور فهم في مستروح، وكلهم يمنعون أيضًا من ذلك، قال محمد بن كعب :لأهل النار خمس دعوات، يجيبهم الله ـ عز وجل ـ في أربعة، فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدًا !

يقولون: ﴿ رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾[١].

فيقول الله تعالى مجيبًا لهم: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ للهِ العَلِيِّ الكَبِيرِ﴾[٢] .

ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾[٣] فيجيبهم الله ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾[٤] .

فيقولون ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾[٥].

---

(٥) الطبري: ١٨/ ٢٤٧

(١) غافر : ١١

(٢) غافر :١٢.

(٣) السجدة:١٢

(٤) إبراهيم :٤٤

(٥) فاطر :٣٧

فيجيبهم تعالى ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (٦).

ثم يقولون ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ۝ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (٧).

فيجيبهم تعالى ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ﴾ (٨).

فلا يتكلمون بعدها أبدًا وذلك غاية العذاب (٩).

خامسًا: عرضهم و وقوفهم يوم القيامة عليها

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كانوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١٠).

ولو ترى ذلك المشهد، ولو تراهم قد جلسوا على النار، لا يملكون الإعراض، والتولي و لا يملكون الجدل والمغالطة.

ولو ترى لرأيت ما يهول! ولرأيتهم يقولون: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

فهم يعلمون الآن أنها كانت «آيَاتِ رَبِّنَا»! وهم يتمنون أن يردوا إلى الدنيا، وعندئذ فلن يكون منهم تكذيب بهذه الآيات وعندئذ سيكونون من

---

(٦) فاطر: ٣٧

(٧) المؤمنون: ١٠٦-١٠٧

(٨) المؤمنون: ١٠٨

(٩) الإحياء: ٤/ ٢٩٩٤

(١٠) الأنعام: ٢٧-٢٨

المؤمنين ! على أنهم إنما يجهلون جبلتهم فهي جِبِلَّةٌ لا تؤمن، وقولهم هذا عن أنفسهم أنهم لو ردوا لما كذبوا ولكانوا مؤمنين إنما هو كذب، ولا يطابق حقيقة ما يكون منهم لو كان لإجابتهم من سبيل، وإنهم ما يقولون قولتهم هذه، إلا لأنهم تَكَشَّفَ لهم من سوء عملهم، وسوء مظنتهم ما كانوا من قبل يخفونه على أتباعهم ليوهموهم أنهم محقون، وأنهم ناجون، وأنهم مفلحون ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

إن الله يعلم طبيعتهم، وإصرارهم على باطلهم، ويعلم أن رجفة الموقف الرهيب على النار هي التي أنطقت ألسنتهم بهذه الأماني وهذه الوعود ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

سادسًا: أمر الله ملائكته أن تسلسلهم وتسحبهم على وجوههم إلى النار

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۞وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ۞ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ القَاضِيَةَ۞ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ۞هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ۞خُذُوهُ فَغُلُّوهُ۞ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ۞إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللهِ العَظِيمِ۞ وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ۞فَلَيْسَ لَهُ اليَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ۞ وَلا طَعَامٌ إِلا مِنْ غِسْلِينٍ۞لا يَأْكُلُهُ إِلا الخَاطِئُونَ﴾[1].

إن هذه الآيات تبرز أحوال المكذبين الذين أعد الله لهم من الخزى، والذل، والمهانة في يوم القيامة ما يستحقون ذلك بأنهم ما أعدوا لأنفسهم، ومهدوا لها من أعمال الإيمان، والخير مما يحجبهم عن سوء المآل، وسيئ

(١) الحاقة: ٢٥ـ ٣٧

الأهوال في ذلك اليوم العظيم، فلا هم أعدوا لأنفسهم من أصول الأعمال ما عساه يشفع لهم فينقذهم من عذاب كبير ولا تداركوا أيامهم قبل فوات الأوان .و هاهم الآن في عرصات القيامة ينتظرون عدل الله فيهم حيث تحيط بهم الملائكة من كل حدب وصوب وهم في غاية من الدهش والفزع، وقد بلغت قلوبهم حناجرهم، وهم وقوف لا عاصم لهم، ولا مانع، ولا شافع، وعلى حين بغتة تطايرت الصحف، فآخذ بيمينه، وآخذ بشماله من وراء ظهره لا يملك إلا هذا لأن الأعضاء تتحرك بأمر ربها طائعة منقادة، ساعتها يُنادونَ بالويل والحسرة، والثبور على التفريط في جنب الله، وعبادتهم للشياطين، وإيثارهم الهوى على الهدى، والكفر على الإيمان .

وساعتها لات حين مناص، ولأول وهلة يلصق كتابه الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فيُلصق بيده اليسرى فيعلم عاقبة أمره، وسوء منقلبه فيرفع صوته في غاية من الأسى قائلًا:﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۞ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴾ يتمنى أنه لم يعط كتابه بشماله على هذا النحو وهو ذليل حقير من أصغر الصاغرين، ويتمنى أنه لم يُعلم بهذا الحساب، وذلك الجزاء والأخذ الوبيل، ويتمنى الموت وهذه أمنية عزيزة لا يعطاها الكافر وذلك أسمى ما يتمنى يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ مخبرًا عن حالهم: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا﴾[1] .

وقال تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾[2].

وقال تعالى:﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾[3] .

---

(١) النساء :٤٢

(٢) إبراهيم :١٧

(٣) النبأ :٤٠

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ۞ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾[1].

فصاحب المال لا ينفعه ماله ولو كان مثل الأرض ذهبًا، وهكذا صاحب السلطان والجاه والعرض، ونحو ذلك، والأولاد، والذرية، ونحو ذلك بل وكل قريب حبيب يود المجرم لو افتدى بهم من عذاب يوم القيامة يقول تعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۞ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۞ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾[2].

يقول الله تعالى: ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[3].

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4].

[٢٥] فعن أنس بن مالك، رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « يُجاء بابن آدم يوم القيامة كأنه بزج، فيوقف بين يدي الله، فيقول الله له :أعتيتك، وخولتك، وأنعمت عليك، فماذا صنعت؟ فيقول يارب جَمعتُهُ وثمرته، فتركته أكثر ما كان، فارجعني آتك به، فإذا عبد لم يقدم خيرًا، فيُمضى به في النار »[5].

بزج : ولد الضأن .

---

(١) فاطر :٣٦ـ ٣٧

(٢) المعارج :١١ـ١٤

(٣) الممتحنة :٣

(٤) المائدة :٣٦

(٥) أخرجه الترمذي ٢٤٢٧

[٢٦] وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال «**يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذابًا :لو كانت لك الدنيا، وما فيها أَكنتَ مفتديًا بها ؟ فيقول : نعم، فيقول : قد أردتُ منك أهون من ذلك وأنت في صلب آدم أن لا تشرك (أحسبه قال) ولا أدخلك النار، فأبيتُ إلا الشرك**»[١].

[٢٧] عن قتادة، قال :حدثنا أنس بن مالك، أن نبي الله ﷺ كان يقول:

«**يُجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له:أرأيت لو كان لك ملءُ الأرض ذهبًا، أكنت تفتدي به ؟ فيقول :نعم، فيقال له :قد كنت سُئِلتَ ما هو أيسر من ذلك**»[٢].

وعلى هذا فإن الكافر يوم القيامة لا فكاك له من النار البتة، فلا وجاهة مجدية، ولا نسب ينفع، ولا مال يحمي من النار، وإن بلغ ما بلغ، وساعتها يقول الذليل في موقف لا يحسد عليه ﴿**مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ۞ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**﴾[٣].

فإذا أدلى بدلوه بالاعترافات على هذا النحو فإذا بالنداء العلوي في وسط ذلك الصمت الرهيب ﴿**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ**﴾[٤].

فيبتدره الملائكة، ملبين النداء في لحظة حاسمة، ثم يسحب على وجهه إلى نارٍ تلظى غير مأسوفٍ عليه ﴿**يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ**﴾[٥].

---

(١) أحمد ٣/ ١٢٧، والبخاري ٤/ ١٦٢؛ومسلم ٨/ ١٣٤

(٢) أحمد ٣/ ٢١٨، والبخاري ٨/ ١٣٩، ومسلم ٨/ ١٣٤

(٣) الحاقة :٢٨_٢٩

(٤) الحاقة :٣٠_٣٢

(٥) القمر :٤٨

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾[١].

﴿إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾[٢] يا هل ترى ما الذي تسبب فيما هم فيه من مشقة وجهد وعذاب بئيس ؟ تأتي الآيات مُبَيِّنَةً على التفصيل، وحيثيات الحكم واضحة ﴿إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللهِ العَظِيمِ ۞ وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ ۞ فَلَيْسَ لَهُ اليَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۞ وَلا طَعَامٌ إِلا مِنْ غِسْلِينٍ ۞ لا يَأْكُلُهُ إِلا الخَاطِئُونَ﴾[٣].

فإذا أوثقوا على النحو الرهيب الرعيب، وألقوا في دركات جهنم السفلية، كان العذاب محيطًا بهم لا يستطيعون منه الهرب، ﴿إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ ۞ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ۞ مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ الكَافِرِينَ ۞ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ۞ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى المُتَكَبِّرِينَ﴾[٤].

هل تأملت معي هذه الحقيقة، وتلك المشاهد من واقعهم المخزي، فالأغلال أحاطت بأعناقهم إحاطة السوار بالمعصم، والسلاسل طوقتهم من مفارق رؤوسهم حتى أخمص أقدامهم، وقد سحبوا في ماء الحميم الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود، الذي يقطع الأمعاء تقطيعًا، ثم يردون مرة أخرى

---

(١) الإسراء : ٩٧

(٢) غافر : ٧١

(٣) الحاقة : ٣٣ـ٣٧

(٤) غافر : ٧١ـ٧٦

إلى نار تلظى، قال قائل :توقد بهم النار وقال مجاهد :يصيرون وقودًا للنار، وهكذا وصل بهم الحال، ثم قيل لهم أين الأنداد التي كنتم تُؤثرونها بالطاعة، والعبادة، وتُصْرِفون لها حق الله ﷻ، هل أغنت عنكم شيئًا ؟ وهل جلبت لكم نفعًا ؟، أو صرفت عنكم ضرًا ؟! اللهم لا، وهذا الجزاء الذي حق عليكم أيها المكذبون بسبب الشرك، والكِبْر، والخيلاء، والفرح اللاشرعي المقيت، وهكذا يفعل التكذيب بأهله في القيامة .

عن معبد بن خالد، عن حارثة بن وهب قال :قال رسول الله ﷺ: « **لا يدخل الجنة الجواظ، ولا الجعظري**» [1].

قال : والجعظري :الغليظ الفظ .

سابعًا : تلاعن الكافرين وخصومتهم في النار

(١) قال تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ۞ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ ۞ وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُجْرِمِينَ ۞ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ

(١) عبد بن حُمَيْد ٤٨٠، وأبو داود ٤٨٠١

وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[1].

قال السعدي في قوله تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي :لا أحد أظلم ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ بنسبه الشريك له، والنقص له، والتقول عليه ما لم يقل ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ الواضحة المبينة للحق المبين، الهادية إلى الصراط المستقيم، فهؤلاء وإن تمتعوا بالدنيا، و نالهم نصيبهم مما كان مكتوبًا لهم في اللوح المحفوظ، فليس ذلك بِمُغني عنهم شيئًا، يَتَمَتَّعون تليلًا، ويُعَذَبون طويلاَ .

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ أي: الملائكة الموكلون بقبض الأرواح، واستيفاء آجالهم، ـ قالوا لهم في تلك الحالة ـ توبيخًا لهم وعتابًا ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أي من الأصنام، والأوثان فقد جاء وقت الحاجة، إن كان فيها منفعة لكم، أو دفع مضرة، ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾أي اضمحلوا وبطلوا، وليسوا مُغْنِين عنا من عذاب الله من شيء ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ أي :مستحقين للعذاب المقيم، الدائم، فقالت لهم الملائكة ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾ أي في حجلة أمم .﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ أي مضوا على ما مضيتم عليه من الكفر، والاستنكار، فأستحق الجميع الخزي، والبوار، والخلود ﴿فِي النَّارِ﴾ كلما دخلت أمة من الأمم العاتبة في النار ﴿لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾.

أي كما قال تعالى ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ العنكبوت :٢٥ الأولين والآخرين، والقادة، والسادة، والمقلدين، والأتباع.

﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ﴾ أي: متأخروهم، المتبعون الرؤساء ﴿لأُولاهُمْ﴾ أي

---

(١) الأعراف :٣٧ـ٤١

لرؤسائهم شاكين إلى الله إضلالهم إياهم ﴿رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ﴾ فقال الرؤساء لأتباعهم ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ أي قد أشتركنا جميعًا في الغي والضلال، وفي فعل أسباب العذاب، فأي فضل لكم علينا ؟!.

قال الله ﴿ لِكُلٍّ﴾ منكم ﴿ ضِعْفٌ﴾ ونصيب من العذاب ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ولكنه من المعلوم أن عذاب الرؤساء، وأئمة الضلال، أبلغ، وأشنع من.

عذاب الأتباع، كما أن نعيم أئمة الهدى ورؤسائه أعظم من ثواب الأتباع.

قال تعالى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل :٨٨] فهذه الآية ونحوها، دلت على أن سائر أنواع المكذبين بآيات الله مشتركون فيه، وفي أصله، وإن كانوا متفاوتين في مقداره بحسب أعمالهم، وعنادهم، وظلمهم، وافترائهم، وإن مودتهم التي كانت بينهم في الدنيا، تنقلب عداوة يوم القيامة عداوة، وملاعنة .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف :٤٠].

يخبر تعالى عن عقاب من كذب بآياته، فلم يؤمن بها، مع أنها آيات بينات، واستكبر عنها، فلم يُنَفِذْ أحكامها، بل كذب وتولى ؛ أنهم آيسون من كل خير ؛ فلا تفتح أبواب السماء لأرواحهم، إذا ماتوا، وصعدت تريد العروج إلى الله، فتستأذن، فلا يؤذن لها، كما لم تصعد في الدنيا إلى الإيمان بالله ومعرفته، ومحبته، كذلك لا تصعد بعد الموت؛ فإن الجزاء من جنس العمل، ومفهوم الآية أن أرواح المؤمنين المنقادين لأمر الله، المصدقين بآياته،

تفتح لها أبواب السماء، حتى تعرج إلى الله، وتصل إلى حيث أراد الله في العالم العلوي، وتبتهج بالقرب من ربها، والحظوة برضوانه . وقوله عن أهل النار ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ وهو البعير المعروف ﴿فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ أي ثقب الإبرة الذي هو من أضيق الأشياء، وهذا من تعليق الشيء بالمحال...اهـ. بتصرف .

تلك صورة واضحة تبين حال المتكبرين على الحق، والخلق، وماذا ينتظرهم من الذل، والمهانة، وذلك لأنهم دفعوا الحق وكلهم صلف وغرور بباطلهم المزيف ويوم تحق الحاقة، يرون هذا الذي صوره لنا ربنا عنهم وبينه لنا جليًا ليكون لنا تذكرة، وتبصرة، وذكرى فأقبل أخي ولا تهمل، واعمل ولا تكسل وإياك والتسويف أو التلبس بمحبطات الأعمال .

[٢٨] عن عتبة بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ: « **لو أن رجلًا يُجَرُّ على وجهه، من يوم ولد إلى أن يموت هرمًا في مرضاة الله تعالى لحقره يوم القيامة** »[١].

[٢٩] عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال :قال رسول الله ﷺ: « **يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذرِّ في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يُساقون إلى سجن في جهنم يُسَمَّى «بُولُس» تعلوهم نار الأنيار، يُسْقَون من عصارة أهل النار، طينة الخبال**»[٢].

[٣٠] وعن عبد الرحمن الأعرج، عن أبى هريرة قال : قال النبي ﷺ: «**لا يدخل أحد النار إلَّا أُريَ مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة** »

(١) حديث حسن أنظر صحيح الجامع :٥٢٤٩ و الصحيحة :٤٤٧.
(٢) صحيح الجامع حديث رقم ٨٠٤٠ وحسنه الألباني وذكره في المشكاة ٥١١٢.

(١)

ثامنًا : الصراط جسر جهنم

[٣١] روى البخاري في الفتح من حديث أبي هريرة قال : قال أُناسٌ :يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال « **هل تضارّون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا :لا يا رسول الله، قال : هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله، قال : فإنكم ترونه يوم القيامة، كذلك يجمع الله الناس فيقول :من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها**.....إلى أن قال ﷺ: « **ويُضرب جسر جهنم، قال رسول الله ﷺ فأكون أول من يُجيز، ودعاء الرسل يومئذ :اللهم سلّم سلّم، وبه كلاليب مثل شوك السَّعدان، أما رأيتم شوك السَّعدان ؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال : فإنها مثل شوك السعدان.غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم : منهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل ثم ينجو . حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده، وأراد أن يخرج من النار من أراد أنْ يُخرج ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله، أمر الملائكة أن يُخرجوهم فيعرفونهم بعلامة آثار السجود، وحرّم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود، فيُخرجونهم قد أمتحشوا، فَيُصَبّ عليهم ماءٌ يقال له ماء الحياة، فينبتون نبات الحِبَة في حميل السيل، ويبقى رجل مقبل بوجه على النار، فيقول: يارب قد قشبني ريحها، وأحرقني ذكاؤها، فاصرف وجهي عن النار، فلا يزال يدعوا الله فيقول، لعلك إن أعطيتُك أن تسألني غيره ؟، فيقول لا وعزتك، لا أسألك غيره فيصرف وجهه عن النار، ثم يقول بعد ذلك، يا ربّ قربني إلى باب الجنة،**

(١) أحمد ٢/ ٥٤١ ،والبخاري ٨/ ١٤٦ ،١٤٧

فيقول: أليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك . فلا يزال يدعو، فيقول : لعلي إن أعطيتك ذلك تسألني غيره، فيقول : لا وعزتك لا أسألك غيره، فيعطي الله ما شاء من عهودٍ ومواثيق أن لا يسأله غيره فيقربه إلى باب الجنة، فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: ربِّ أدخلني الجنة، ثم يقول أو ليس قد زعمت أن لا تسألني غيره ؟! ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، فيقول: يارب لا تجعلني أشقى خلقك، فلا يزال يدعوا حتى يضحك فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها، فإذا دخل فيها قيل: تَمَنَّ مِنْ كذا، فيتمنَّى، ثم يقال له : تَمَنَّ فيتمنى حتى تنقطع به الأماني، فيقول له هذا لك ومثله معه، قال أبو هريرة، وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولًا»[1].

قال الحافظ في الفتح ١١/ ٤٦٠ في جواز الصراط: وقال الأصمعي: جاز الوادي مشى فيه، وأجازه: قطعه، وقال غيره جاز وأجاز بمعنى واحد . وقال النووي :المعنى أكون أنا وأمتي أكون أول من يمضي على الصراط ويقطعه، يقول : جاز الوادي إذا قطعه وخلفه .

ـ **وقال القرطبي** : لأنه لما كان هو وأمته أول من يجوز على الصراط لزم تأخير غيرهم عنهم حتَّى يجوز، فإذا جاز هو وأمته، فكأنه أجاز بقية الناس .اهـ.

ـ **قال الزين بن المنير**: تشبيه الكلاليب بشوك السعدان خاص بسرعة اختطافها وكثرة الانتشاب فيها .

وقوله: **منهم الموبق بعمله** :أي يُهْلَكُ بعمله .

وقوله: **منهم المخردل** :أي الذي قطعته الكلاليب فيهوى في النار .

قال الحافظ في (الفتح) .عن قوله ﷺ « **وحرم الله على النار أن تأكل من**

---

(١) الفتح ١١/ ٤٥٣ ك :الرقاق/ بـ الصراط جسر جهنم / ح٦٥٧٣

ابن آدم أثر السجود » وأن الله منع النار أن تحرق أثر السجود من المؤمن، وهل المراد بأثر السجود نفس العضو الذي يسجد، أو المراد من سجد ؟.قال القاضي عياض :فيه دليل على أن عذاب المؤمنين المذنبين مخالف لعذاب الكفار، وأنها لا تأتي على جميع أعضائهم، إما إكرامًالموضع السجود، وعظم مكانهم من الخضوع لله تعالى، أو لكرامة تلك الصورة التي خُلِقَ آدم والبشر عليها، وفضلوا بها على سائر الخلق .

قال الحافظ : قلت: الأول منصوص، والثاني محتمل.

وقال النووي : وظاهر الحديث أن النار لا تأكل جميع أعضاء السجود السبعة، وهى:

«**الجبهة، واليدان، والركبتان، والقدمان** » ..اهـ .

قوله:« **فينبتون نبات الحِبّة** » بكسر الحاء، وتشديد الباء، أي: بذر الصحراء.

وقوله ﷺ: «**في حميل السيل**» أي الغثاء الذي يَجِيءُ به السيل فيقع في جانب الوادي، فيقع الإنبات .

وقوله ﷺ: «**قد قشبني ريحها**» أصل القشب خلط السُم بالطعام، والمعنى :آذاني، وأهلكني .

قوله ﷺ «**وأحرقني ذكاؤها** » أي لهيبها، وشدة اشتعالها .

قال الغزالي: تفكر بعد هذه الأهوال في قوله: ﴿ **يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۝ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا**﴾ [مريم :٨٥ـ ٨٦].

وفي قوله تعالى: ﴿ **فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ**﴾ [**الصافات :٢٣**].

فالناس بعد هذه الأهوال يُساقَون إلى الصراط، وهو جسر ممدود على متن النار، أَحَدُّ من السيف، وأدقُّ من الشعر، فمن استقام في هذه الدنيا على الصراط المستقيم خفَّ على صراط الآخرة ونجا، ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا،

وأثقل ظهره بالأوزار، وعصى العزيز الجبار، تَعَثّرَ في أول خُطوة من الصراط، وتردَّى، فتفكر الآن فيما ينجي من الفزع بفؤادك، إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثم قرِعَ سَمْعُكْ بشهيق النار، وتغيظها، وقد كُلِفْتَ أن تمشي على الصراط، مع ضعف حالك، واضطراب قلبك، وتزلزل قدمك، وثُقِلَ ظهرك بالأوزار المانعة لك من المشي على بساط الأرض فضلا عن حدَّة الصراط، فكيف بك إذا وَضَعْتَ إحدى قدميك فأحسستَ بحِدَّة، ، اضطررتَ إلى أن ترفع القدم الثانية، والخلائق بين يديك يَزَلّون، ويتعثرون، وتتناولهم زبانية النا ر بالكلاليب، والخطاطيف، وأنت تنظر إليهم؟ كيف ينتكسون فتسفَلُ إلى ـ جهة النار رؤوسهم، وتعلوا أرجلهم، فيا له مِنْ منظر ما أفظعه! ومرتقى ما أصعبه! ومُجاز ما أضيقه فانظر إلى حالك ...وأنت مُثقل الظهر بالأوزار، تلتفت يمينًا وشمالًا إلى الخلق، وهم يتهافتون في النار، والرسول ﷺ يقول : اللهم سلِّم سلِّم، والنداءات بالويل والثبور قد ارتفعت إليك من قعر جهنم منْ ذَلَّ على الصراط من الخلائق، فكيف بك لو زلَّتْ قدمك، ولن ينفعك ندمك، فناديت بالويل والثبور، وقلت هذا ما كنت أخافه وتظلُ تقول: **﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾**(١) **﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾**(٢) **﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾**(٣) **﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾**؛يا ليت أمي لم تلدني ؛ فلا يبقى سبيل إلا الصياح والأنين .

ـ عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ: « **لَيُصِيبَنَّ أقوامًا سَفْعٌ من النار بذنوبٍ أصابوها عقوبة، ثم يُدْخِلَهُم الله الجنة بفضل رحمته يُقال لهم: الجهنميون** »(٤).

---

(١) الفجر :٢٤

(٢) الفرقان :٢٧

(٣) النبأ:٤٠

(٤) أحمد ٣/ ١٣٤، ٣/ ٢٦٨؛ والبخاري ٩/ ١٦٤ باب ما جاء في قول الله تعالى: «إِنَّ رَحْمَتَ الله قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ»

تاسعًا : فراش أهل النار وأغطيتهم

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ۞ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[1].

هذه الآيات فيها بيان فراش، ومهاد المكذبين، المجرمين، المستكبرين، وهو نار تلظى، لا يَهْدأ سعيرها، ولا ينطفئ لهيبها وزفيرها، ولا يخمد حرّها، فذلك فراشهم، ومِهادهم ،وأما أغطيتهم فهي نار قال تعالى : ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أي تغطيهم النار، وتحيط بهم فَتُطْبَقْ عليهم وهذا يذكرنا بقوله تعالى « وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ».

وكقوله ـ ﷻ:﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2] وكقوله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ۞ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾[3].

وكقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا۞ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا۞رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[4].

---

(١) الأعراف :٤٠ـ٤١

(٢) العنكبوت :٥٥

(٣)الزمر ١٥، ١٦

(٤) الأحزاب :٦٦ـ٦٨

عاشراً: لباس أهل النار

هل تدري أن الله تعالى أعَدَّ ثيابًا لأهل النار، وقد أعدها سبحانه من نارٍ حامية، يُرغَمُون على لباسها قَهْرًا، وكُرهًا، واضطِرارًا يوم القيامة يقول تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۞ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۞ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۞ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[1].

إنه مشهد عنيف صاخب، حافل بالحركة، مُطوَّل بالتخيل الذي يبعثه في النفس نسق التعبير، فلا يكاد الخيال ينتهي من تتبعه في تجدده .هذه ثيابٌ من النار تقطع وتفصل ! وهذا حميم ساخن يُصَبُّ من فوق الرؤوس، يُصهر به ما في البطون والجلود عند صبه على الرءوس ! وهذه سياط من حديد أحمته النار، وهذا هو العذاب يشتد ، فَيَهُبُّ الذين كفروا من الوهج ،والحميم ،والضرب الأليم، يُهِمُّون بالخروج من هذا الغم، وهاهم أولاء يُرَدَّون بعنف، ويسمعون التأنيب، وذوقوا عذاب الحريق .ولا يبارح الخيال هذا المشهد العنيف ...[2]اهـ.

وقال الشوكاني عند تفسير هذه الآية ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ الخصمان أحدهما أبخس الفرق اليهودية، والنصرانية، والصائبة، والمجوسية، والذين أشركوا ؛ والخصم الآخر المسلمون، فهما فريقان مختصمان .

قال الفراء وغيره ... وقيل المراد بالخصمين هم الذين برزوا يوم بدر فمن المؤمنين حمزة، وعلي، وعبيدة ؛ ومن الكافرين عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وقد كان أبو ذر يقسم أن هذه الآية نزلت في هؤلاء

---

(١) الحج :١٩ـ٢٢

(٢) ظلال القرآن :٤/ ٢٤١

المتبارزين كما ثبت عنه في الصحيح ؛ وقال يمثل هذا جماعة من الصحابة، وهم أعرف من غيرهم بأسباب النزول وقد ثبت في الصحيح أيضًا عن علي أنه قال : فينا نزلت هذه الآية ...اهـ .

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ قال الأزهري :.أي سويت وجعلت لباسًا لهم شبهت النار بالثياب لأنها مشتملة عليهم كاشتمال الثياب، وعبَّرَ بالماضي عن المستقبل تنبيهًا على تحقق وقوعه، وقيل :إن هذه الثياب من نحاس قد أذِيبَ فصار كالنار، وهى السرابيل المذكورة في آية أخرى ﴿ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الحَمِيم ﴾ والحميم هو الماء.الحار المغلي بنار جهنم والجملة مستأنفة، أو هي خبر ثان للموصول قوله جل اسمه: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالجُلُود﴾الصَهرُ الإذابة، و الصِهَارةُ ما ذاب منه، يُقال صَهَرْتُ الشيء فانصهر أي أذبته فذاب فهو صهير، والمعنى أنه يذاب بذلك الحميم ما في بطونهم من الأمعاء، والأحشاء والجلود .

﴿ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ المقامع : جمع مقمعة، وقمَّعْتُهُ :أي ضربته بالمقمعة وهى قطعة من حديد، والمعنى: لهم مقامع من حديد يُضربون بها :أي للكفرة، وسميت المقامع مقامع لأنها تقمع المضروب :أي تذِلهُ .

قال ابن السِّكيت :أقمعت الرجل عني إقماعًا إذا طلع عليك فرددته عنك.

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ﴾ كلما أرادوا أن يخرجوا منها :أي النار .

﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ أي في النار بالضرب بالمقامع ...أي لأجل غم شديد من غموم النار﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ﴾أي العذاب المحرق اهـ [فتح القدير للشوكاني :٣/ ٦٣٦].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لله

الوَاحِدِ القَهَّارِ ۞ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ۞ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم : ٤٨ـ٥٠] .

قال القرطبي: أي أذكر يوم تبدل الأرض ...وتَبْدِيلُ الأرض عبارة عن تغيير صفاتها، وتسوية آكامها، ونسف جبالها، ومد أرضها وتبديل السماء ، تكوير شمسها، وقمرها، وتناثر نجومها . قال ابن عباس: وقيل اختلاف أحوالها فمرة كالمهل، ومرة كالدهان .

قال القرطبي: والصحيح إزالة هذه الأرض حسبما ثبتَ عن النبي ﷺ . روى مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ فجاءه حَبرٌ من أحبار اليهود فقال: السلام عليك ...، وذكر الحديث وفيه قال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال رسول الله ﷺ: « **في الظلمة دون الجسر** » .

قال ابن مسعود: إنها تبدل بأرض غيرها بيضاء .

﴿**وَبَرَزُوا لله الوَاحِدِ القَهَّارِ** ﴾أي برزوا من قبورهم .

قوله تعالى: ﴿**وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ**﴾ وهم المشركون ﴿**يَوْمَئِذٍ**﴾ أي يوم القيامة «**مُقَرَّنِينَ**» أي مشدودين ﴿**فِي الأَصْفَادِ**﴾ وهى الأغلال والقيود وواحدها صِفْد يُقال صفدته صِفدًا أي قيدته.

﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾ أي: قُمْصُهم... ومنه ما في الصحيح: «**إن النائحة إذا لم تتب قبل موتها تأتي يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب**».

ـ وعن ابن عباس، وأبي هريرة، وعكرمة، وسعيد بن جبير ويعقوب قالوا :القطر هو النحاس، والصفر المذاب، ومنه قوله تعالى: ﴿ **آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا** ﴾[الكهف :٩٦]، ﴿**وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ**﴾ أي تُضرب فتغَشِيها .اهـ.

[تفسير القرطبي:٩/ ٩٣٧ بتصرف كبير وتقديم وتأخير].

اشتكت النار إلى ربها

[٣٢] قال الإمام البخاري: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «**اشتكت النار إلى ربها فقالت: ربي أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنفسين، نفسٌ في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدوا من الحر، وأشد ما تجدوا من الزمهرير**»(١).

ـ قال رسول الله ﷺ «**إذا كان اليوم الحار فابردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم**»(٢).

[٣٣] عن الأعرج ،عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية قال: فضلت عليهن بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرها**». (٣).

قال الحافظ: قوله: «**إن كانت لكافية**». إن هي المخففة من الثقيلة.

عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ «**قال ناركم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرها**»(٤).

---

(١) صحيح البخاري ك/ بدأ الخلق/ باب: صفة النار /ح٣٠٢٠ ؛ومسلم ك/ المساجد، ومواضع الصلاة حـ٩٧٣

(٢) أخرجه الدارمي في كتاب الرقاق حـ٢٧٢٢، ومالك في الموطأ في كتاب :وقت الصلاة ح٣٦؛والترمذى في صفة جهنم حـ٢٥١٧؛وفي الصلاة حـ١٤٥، والنسائي كتاب المواقيت ح٤٩٦/ ٣٤١/ ٦٦٩

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب صفة النار، وأنها مخلوقة ح٣٠٢٥

(٤) أحمد :٢/ ٤٧٨ . و صحيح مسلم قريب منه في الألفاظ :٨/ ١٤٩ ـ ١٥٠

قال الغزالي: فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة، وتفصيل غمومها لا نهاية له، فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوات نعيم الجنة، وفوات لقاء الله تعالى.

وفوات رضاه، مع العلم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة، إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا، أيامًا قصيرة وكانت غير صافية، بل كانت مُكَدرة منغصة، فيقولون في أنفسهم: واحسرتاه ! كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا، وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أيامًا قلائل، ولو صبرنا لكانت انقضت عنا أيامه، وبقينا الآن في جواره، متنعمين بالرضا والرضوان، فيا حسرة هؤلاء وقد فاتهم، ما فاتهم، ابتلوا بما ابتلوا به، ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا وشهواتها، ولذاتها، ثم إنهم لو لم يُشاهدوا نعيم الجنة، لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم ... فانظر يا مسكين في هذه الأهوال، وأعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها، وخلق لها أهلًا لا يزيدون ولا ينقصون، وأن هذا الأمر قد قضى وفرغ منه قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

ـ فالعجب منك حيث تضحك، وتلهوا، وتنشغل بمحقرات الدنيا، ولست تدري أن القضاء بماذا سبق في حقك، فإن قلت فليت شعري ماذا موردي ؟ وإلى ماذا مآلي وموردي ؟ وما الذي سبق به القضاء في حقي ؟فلك علامة تستأنس بها، وتصدِّق رجاءك بسببها، وهي أن تنظر إلى أحوال أعمالك، فإن كلًا ميسر لما خلق له، ومن ثم فاحرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز، ولا تقف مع القدر، وقفة المشركين السلبيين، الذين هلكوا بسوء

---

(١) مريم :٣٩

ظنهم، وقصدهم، وخبث طويتهم، ولكن ليكن الكتاب، والسنة دافعين لك إلى الجد والعمل إلى آخر الأجل، ليرضى عنك الله عز وجل، فإن وفقت فأبشر ببشرى القرآن لك حيث قال ربك:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ (١)

يا صاح فاستوثق بالحق واستمسك ... ولتزك في نفسك أرجوك فاستقم
فلتنشر الخير ولتنشر البرَّ ... ولتنشر الدُرَّ وقِّر أولي العزم
اصبر لملحمة ابرر بمرحمة ... سارع لمكرمة اصحب ذوي القيم
ازرع بساتينا واكفل مساكينا ... تحصد رياحينا أكرم ذوي رحم
اخضع لمولاك فالله سواك أحببه ... فكفاك أحياك من عدم
أقبل بلا لعب وارغب مع النصب ... واسلك مع النجب اسهر مع النجم
اقنت ترى عجبا من قام فانتصبا ... لله واقتربا سيكون في كرم

(١) الزمر: ١٧-١٨

الخوف من النفاق

إن النفاق مرض خبيث لا يصاب به إلا أسود القلب، ضعيف العقل، سفيه الرأي، من طمست بصيرته ونكست فطرته، وعظم بلاؤه ولذلك فالله ﷻ فضحهم ونكل بهم في القرآن عامة والسور المدنية خاصة وقد أنزل الله سورة كاملة هي سورة المنافقون ـ وهو نفاق العقيدة الذي يظهر صاحبه غير ما يبطن ـ ولذلك كان المنافقون أشد خطرًا على الإسلام والمسلمين، من الكفر والكافرين والشرك والمشركين على اختلاف منازعهم وتصوراتهم فهذا الذي تلبس بالكفر صراحة تستطيع أن تأخذ منه حذرك وتعامله من واقع النصوص معاملة صريحة لا مداراة فيها، أما الذي يلقاك في المسجد يتزيا بزيك ويصلي معك وقد أضمر لك العداوة التي هي أشد من عداوة الصهاينة لأن المنافقين إخوان اليهود والنصارى قال الله تعالى ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ**﴾ الحشر: ١١.

فالذين كفروا من أهل الكتاب من جلدتهم وهم مثلهم سواء بسواء وقد وصف الله المنافقين بالنفاق الأكبر بأوصاف تليق بهم بل تجليهم للمسلمين منها قوله تعالى: ﴿**وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾ المنافقون : ١ وقال تعالى: ﴿**وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ الحشر : ١١ وقال: ﴿**اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ المنافقون : ٢ وقال سبحانه: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**﴾ المنافقون : ٣.

قال ﷻ: ﴿**لَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ**﴾ المنافقون:٦ وقال ﷻ ﴿**وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ**﴾ المنافقون: ٧ وقال تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾المنافقون: ٨ وقال سبحانه: ﴿**كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ المنافقون:٤ وقال عز وجل: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ**

أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ التوبة :٦٧ وقال تعالى في شأنهم: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ التوبة :٨٠.

وقال سبحانه: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ التوبة : ٨٤ حتى إن الله قال ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ النساء: ١٤٥ ولقد اتهم القوم الأباعد الأفاعي اتهموا أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ وفضحهم القرآن بآيات تتلى إلى يوم القيامة ولقد رجعوا بثلث الجيش في أحد وتكرر تخاذلهم مرات مع النبي ﷺ وحاولوا تمزيق المسلمين على طول الخط وقالوا عن الصحابة ﷺ إن هؤلاء القراء أكبرنا بطونًا وأجبننا عند اللقاء ولمَّا عوتبوا في ذلك قالوا: كنا نخوض ونلعب فنزل القرآن مخبرًا بحالهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ۞لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ التوبة : ٦٥، ٦٦ وحاولوا إلقاء الفتنة بين المهاجرين والأنصار في غزوة بني المصطلق لولا أن الله تداركهم برحمة منه وفضل، وعليه فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ هذا بالنسبة إلى نفاق العقيدة أما عن النفاق العملي فله صفات حددها الصادق المصدوق ﷺ ليحذرنا منها حتى لا نتلبس بها ونحن لا نشعر، وهي (الكذب في الحديث، والخلف بالوعد، والخيانة للأمانة، والفجور في الخصومة، والغدر بالعهد) وإليك هذه الأحاديث:

ـ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[1] .

---

(١) أحمد :٢/ ٣٥٧، والبخاري : ١/ ١٥، ومسلم : ١/ ٥٦، والترمذي :٢٦٣١ . والنسائي ٨:/ ١١٦ .

ـ وعن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**ثلاث في المنافق، وإن صام وصلىَّ وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان**»[١].

ـ عن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ قال: «**من علامات المنافق ثلاثة إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان**»[٢].

ـ عن أبي الحجاج، مجاهد بن جبر، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ قال «**ثلاث إذا كنَّ في رجل فهو المنافق الخالص: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان ومن كان فيه خصلة منهن لم يزل، يعني فيه خصلة من النفاق حتى يدعها**».[٣].

والفارق بين النفاق العقدي والعملي أن نفاق العقيدة مخرج من الملة وهو أخو الكفر وهما في النار: ﴿**إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا**﴾[٤].

وأما نفاق العمل فهو من أعظم الكبائر؛ لكنَّ صاحبه إن دخل النار لا يخلد فيها ـ عفانا الله من النفاق والمنافقين بمنه وكرمه آمين ـ وليس هذا الفارق مسوغًا لأن يلقى العبد ربه بمخالفات عظيمات نهاه عنها لتكون سببًا له في أن يسكن النار عياذًا بالله، ولكن المؤمن يدرك خطورة هذا فيعمل على تزكية نفسه من هذه الأدران وتلك الشوائب الماحقة الساحقة، والله نسأل أن يزكي نفوسنا

---

(١) أحمد : ٢/ ٣٩٧، ومسلم : ١/ ٥٦

(٢) مسلم :١/ ٥٦، والترمذي ٢٦٣١

(٣) أحمد : ٢/ ٢٠٠(٦٢٧٩)

(٤) النساء : ١٤٠

هو خير من زكاها وهو وليها ومولاها .

إذا رُمْتَ أن تنجو من النار سالمًا ... وتنجوا مِنْ يوم مهول عصبصب
وتحظى بجنات وحور فرائد ... وترفل في ثوب من المجد معجب
وفي هذه الدنيا تعيش منعمًا ... عزيزًا حميدًا نائلاً كل مطلب
فَمِلَّةَ إبراهيم فأسلك سبيلها ... هي العروة الوثقى لأهل
فعادِ الذي عادى ووالي الذي له ... يوالى وأبغض في الإله وأحبب
فمن لم يعادِ المشركين ومن لهم ... يوالي ولم يبغض ولم يتجنب
فليس منهاجه سنة أحمد ... وليس على نهج قويم مقرب
وأخلصْ لمولاك العبادة راهبًا ... إليه منيبًا في العبادة مُدْئبِ
محبًا لأهل الخير لا متكرها ... ولا مبغضا أو سالكا منهجًا وَبِ
وكن سلسًا سهلاً لبيبًا مهذبًا ... كريمًا طليق الوجه سامي التطلبِ
إلى كل من يدنو إلى منهج التقى ... فخير الورى أهل التقى والتقربِ
ومنهجهم خير المناهج كلها ... وموكبهم يوم اللقى خير موكبِ
فهذا الذي يرضى لكل موحد ... وهذا الذي ينجى بيوم عصبصبِ

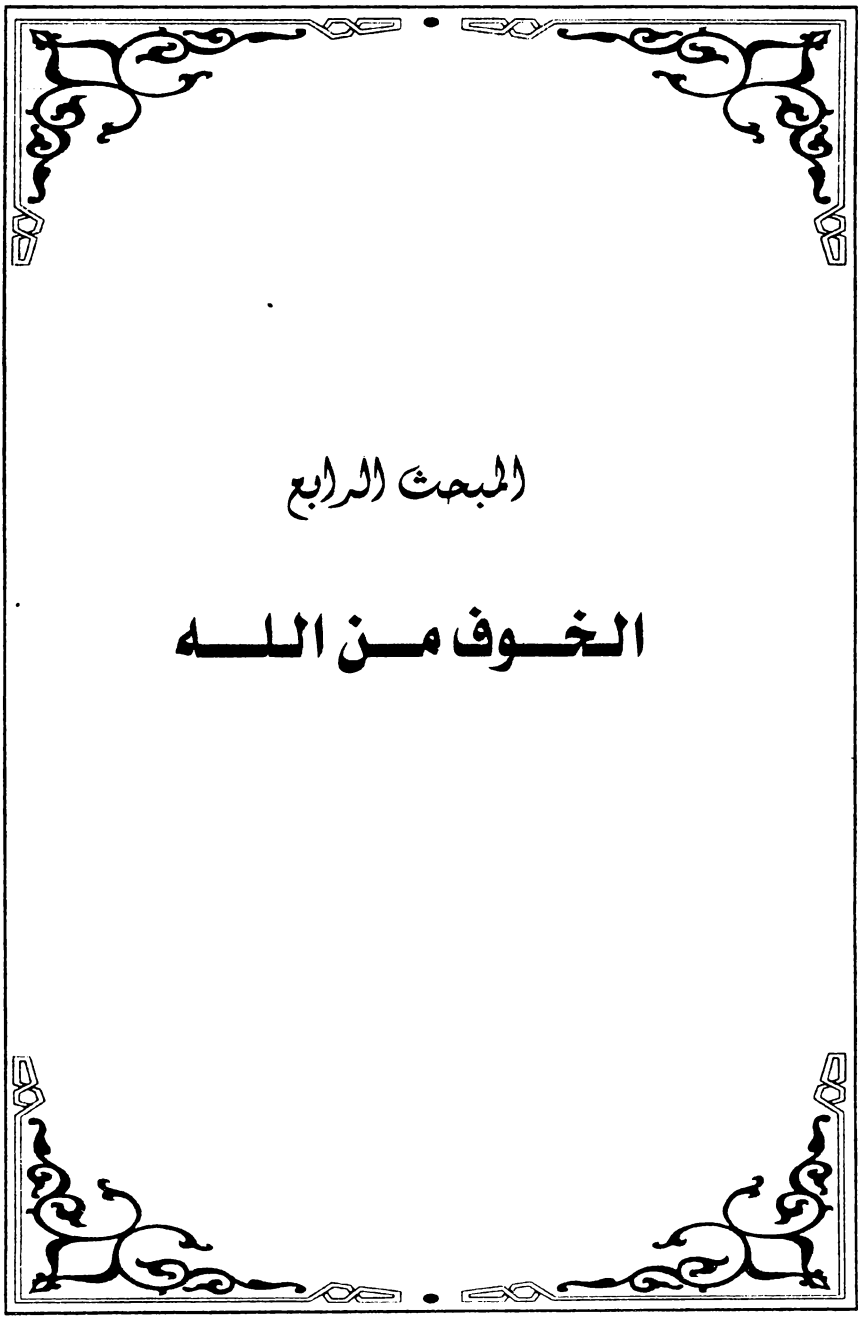

المبحث الرابع

الخـــوف مـــن اللـــه

الخوف من الله

إن القرآن العظيم هو الدواء الناجع، والشفاء النافع؛ ذلك بأنه صادر من الحكيم العليم، الخبير بخلقه، فَمُنْزِلُهُ يعلم خلقه، وما يحتاجون إليه وما هو الأسلوب الذي يجدي مع النفوس، ويحرك القلوب، ولذا مزج فيه بين الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، كي تسعد النفوس بعد التلقي للانقياد، والسمع والطاعة، وعلى ذلك كثر ذكر الجنة والنار، وأهوال القيامة كأنها رأي عين من أجل ذلك الهدف قال تعالى ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴾ الإسراء :٣٩.

وقال بعد ذكر الملائكة المقربين: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ الأنبياء : ٢٩.

وقد ذكر الحافظ ابن رجب في (كتاب التخويف) من النار كلامًا نحن في حاجة ماسة إليه قال ابن المبارك: أنبأني عمر بن عبد الرحمن بن مهدي سمعت وهب بن منبه يقول: قال حكيم من الحكماء: إني لأستحي من الله ﷻ أن أعبده رجاء ثواب الجنة «أي فقط». فأكون كالأجير السوء، إن أعطى عمل، وإن لم يُعْطَ لم يعمل، وإني أستحيى من الله أن أعبده مخافة النار «أي فقط». فأكون كعبد السوء إن رهب عمل، وإن لم يرهب لم يعمل .....ثم قال الحافظ ابن رجب: أي: ذم العبادة على وجه الرجاء وحده، أو على وجه الخوف وحده، وهذا حسن .

وكان بعض السلف يقول: من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن

عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد مؤمن، وسبب هذا، أنه يجب على المؤمن أن يعبد الله بهذه الوجوه الثلاثة .. المحبة والخوف والرجاء، ولابد له من جميعها، ومن أخل ببعضها فقد أخل ببعض واجبات الإيمان، وكلام هذا الحكيم يدل على أن الحب ينبغي أن يكون أغلب من الخوف والرجاء وقد قال الفضيل بن عياض: المحبة أفضل من الخوف، ثم استشهد بكلام هذا الحكيم الذي حكاه عنه وهب . وكذا قال يحيى بن معاذ، قال: حسبك من الخوف ما يمنع من الذنوب، ولا حسب من الحب أبدًا .

فأما الخوف والرجاء فأكثر السلف على أنهما يستويان لا يُرجح أحدهما على الآخر، قاله مُطرِّف والحسن، و أحمد وغيرهم، ومنهم من رجَّح الخوف على الرجاء وهو محكي عن الفضيل وأبي سليمان الداراني. قال: وهؤلاء العارفون لهم ملحظان .

أحدهما: أن الله تعالى يستحق لذاته أن يطاع، ويُحَبْ، وينبغي التقرب منه واتخاذ الوسيلة إليه.

والملحوظة الثانية: أن أكمل الخوف والرجاء ما تعلق بذات الحق سبحانه دون ما تعلق بالمخلوقات في الجنة والنار، فأعلى الخوف خوف العبد من سخطه، والحجاب عنه سبحانه، كما قدَّم سبحانه ذكر هذا العقاب لأعدائه على صليهم النار في قوله تعالى: ﴿كلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ المطففين :١٥.

وقال ذو النون: خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر لُجِّي، كما أن أعلى الرجاء ما بذاته سبحانه من رضاه ورؤيته، ومشاهدته، وقربه، ولكن قد يغلط(يخلط) بعض الناس في هذا فيظن أن هذا ليس داخلًا في نعيم الجنة،

ولا في مسمى الجنة إذا أطلقت ولا في مسمى عذاب النار أو في مسمى النار، إذا أطلقت، وليس كذلك ...بتصرف كبير [١].

هذا ولا يحسبن أحد أن هذا يعارض آي القرآن العظيم التي جاءت شفاءً لما في الصدور، وتهذيبًا للنفوس، وبعثًا للهمم العالية، لتسموا في سماء الجد، و الطاعات خوفًا وطمعًا فإن الله تعالى بحكمته قرن بين الوعد والوعيد، والإنذار والتبشير، كثيرًا في كتابه العظيم، لعظم حاجة النفوس إلى الأمرين معًا، قال تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٢] وقال عز من قائل ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ۞ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ۞وَهُوَ الغَفُورُ الوَدُودُ۞ذُو العَرْشِ المَجِيدُ۞ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [٣] .

فانظر كيف قَرَنَ بينهما وذكّر بهما في موضع وموطن واحد ليأخذ كل امرئ القدر المناسب لحاله، ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ وقوله﴿ وَهُوَ الغَفُورُ الوَدُودُ﴾ كما قال سبحانه عن الصالحين البررة من عباده: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [٤] .

وفي سورة الحجر قال سبحانه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ﴾ [٥].

وفي سورة غافر يقول سبحانه: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ

(١) كتاب التخويف من النار ٣٢-٣٤
(٢) الأعراف:١٦٧
(٣) البروج :١٢-١٦
(٤) الإسراء :٥٧
(٥) الحجر :٤٩-٥٠

ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ ﴾ [١].

وهذا كثير في القرآن العظيم، فالخوف والرجاء كجناحي الطائر لا يستطيع أن يطير إلا بهما معًا فإن كُسِرَ أحدهما كان عرضة لكل صائد، وكاسر، وعليه فلا بد من القصد في الخوف بالشكل الشرعي المضبوط المطلوب بحيث لا يكون معوقًا لصاحبه عن الحق، هاديًا له عن مواصلة السعي إلى مراقي الفلاح، ومصاعد النجاح بحيث لا ينقلب إلى عطب يصيب صاحبه بشلل في التحرك صوب الجنة والابتعاد عن النار فهذا ليس من مقصود الشريعة في شيء يقول سبحانه: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٣] ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ [٤].

وبناءً على ما تقدم من نصوص فإن آية الرحمة والجنة هي حاد يحدو بك في الطريق السوي وبغيرها لا تستطيع أن تسلك، وتستمر في السير، ولا بد إذًا من التعثر والتوقف، أما إذا سرت على نحو وسط فستسرك حسنتك لتكون سببًا لحسنة أخرى، وكنت مستبشرًا كي تصلح لك نفسك ويسلم لك قلبك.

قال تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالعِبَادِ ﴾ [٥].

---

(١) غافر: ٣

(٢) النساء: ١٤٧

(٣) الأنفال: ٧٠

(٤) الإسراء: ٢٥

(٥) آل عمران: ٣٠

وقال تعالى: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ المائدة: ٤٤.

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: ١٧٥.

وقال سبحانه: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ البقرة: ٤٠.

وقال: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ البقرة: ٤١.

وقوله: ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ الزمر: ١٦.

عصاة المؤمنين لا يخلدون في النار، وأمرهم إلى الله تعالى

إن الله تعالى عدل وقد أمر بالقسط، وهو تعالى يحب المقسطين، ويكره الظالمين، ومن ثَمَّ فقد جعل المؤمنين ليسوا سواءً فكل إنسان حسب ما أعد لنفسه وقدم قال تعالى ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ الأحقاف: ١٩.

وقال سبحان: ﴿لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكلًا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ الحديد: ١٠.

وقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ القلم: ٣٥-٣٦.

كما قال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ الجاثية: ٢١.

وعلى ذلك فكلٌ محاسب على ما قدمت يداه إلا أن يعفوا الله تعالى عن المؤمنين الذين خلطوا عملًا صالحًا و آخر سيئًا، عسى الله أن يتوب عليهم.

قال الحكمي في معارج القبول[1]:

ولا تقول إنه في النار ... مخلد بل أمره للباري

تحت مشيئة الإله النافذة ... إن شاء عفا عنه، وإن شاء آخذه

بقدر ذنبه إلى الجنان ... يخرج إن مات على الإيمان

وقال الحكمي رحمه الله: إذا عرفت هذا فاعلم أن الذي أثبتته الآيات القرآنية، والسنن النبوية، ودرج عليه السلف الصالح، والصدر الأول من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين من أئمة التفسير، والحديث، والسنة، أن العصاة من أهل التوحيد على **ثلاث طبقات:**

الطبقة الأولى: قوم رجحت حسناتهم بسيئاتهم فأولئك يدخلون الجنة لأول وهلة، ولا تمسهم النار أبدًا.

الطبقة الثانية: قوم تساوت حسناتهم، وسيئاتهم، وتكافأت فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، وهؤلاء هم أصحاب الأعراف الذين ذكر الله تعالى أنهم يوقفون بين الجنة، والنار ما شاء الله أن يقفوا، ثم يؤذن لهم في دخول الجنة كما قال تبارك وتعالى بعد أن دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النارالنار: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۞ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ۞ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا

(١) معارج القبول : صـ٨٥٢

مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۞ أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[١].

الطبقة الثالثة: قوم لقوا الله سبحانه وتعالى مُصِرِّينْ على كبائر الإثم، والفواحش، ومعهم أصل التوحيد، فرجحت سيئاتهم بحسناتهم، فهؤلاء الذين يدخلون النار بقدر ذنوبهم، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حقويه، ومنهم من تأخذه النارإلى ترقوته ومنهم من تأخذه فوق ذلك، حتى إن منهم من لا يحرَّم منه على النار إلا أثر السجود، حرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، وهؤلاء هم الذين يأذن الله تعالى فيهم بالشفاعة ويأذن بالشفاعة لنبينا محمد ﷺ ولغيره من الأنبياء من بعده، والأولياء، والملائكة، ومن شاء الله أن يكرمه، فَيُحدُّ لهم حَدًّا فيخرجون، ثم هكذا فيخرجون من كان في قلبه دينار من خير، ثم نصف دينار من خير، ثم بُرة، ثم خردلة، ثم ذرة، ثم أدنى من ذلك إلى أن يقول الشفعاء: ربنا لم نذر فيها خيرًا، ويُخْرِجُ الله من النار أقوامًا لا يعلم عدتهم إلا هو، بدون شفاعة الشافعين، ولم نجد أحدًا من الموحدين، ولو عمل أي عمل، ولكن كل من كان منهم أعظم إيمانًا، وأخف ذنبًا كان أخف عذابًا في النار، وأقلَّ مُكْثًا فيها، وأسرع خروجًا منها، وكل من كان أضعف إيمانًا، وأعظم ذنبًا، كان ضد ذلك والعياذ بالله، .....وإلى هذا المعنى أشار النبي ﷺ بقوله: **«من قال لا إله إلا الله نفعته يومًا من الدهر يصيبه قبل ذلك ما أصابه»**.[٢].

وهذا مقام ضلت فيه أفهام، وزلت فيه أقدام، وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم [٣].اهـ.

---

(١) الأعراف :٤٤ـ٤٩

(٢) السلسلة الصحيحة :١٩٣٢

(٣) معارج القبول صـ٨٢٧ بتصرف

[٣٤] عن سمرة بن جندب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته**»(١).

وكما مر بك آنفًا فما دام مات على التوحيد فلابد أن يخرج من النار حتى ولو بعد حين، وإن مسه، وأصابه قبل ذلك ما أصابه .

[٣٥] عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يقول الله: مَنْ كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخْرُجُونْ قد أمتحشوا وعادوا حممًا فيلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، أو قال: حَمِيَّة السيل، وقال النبي ﷺ: ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية؟**»(٢).

[٣٦] ومن حديث أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**يَخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سَفْع، فيدخلون الجنة، فيسميهم أهل الجنة الجهنميِّن**»(٣).

[٣٧] وفي حديث عمران بن حصين ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة، يسمون الجهنميين**».(٤).

[٣٨] وعن عبد الرحمن بن سمرة عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، يرجع ذلك إلى قلب موقن، إلا غفر الله له**» (٥).

---

(١) مختصر صحيح مسلم صـ٥٢٤/ ح١٩٧٩

(٢) البخاري :١١/ ٤٢٤، ح ٦٥٦٠

(٣) البخاري :١١/ ٤٢٤، ح٦٥٥٩

(٤) البخاري :١١/ ٤٢٥، ح٦٥٦٦

(٥) انظر السلسلة الصحيحة :٥/ ٣٤٧، ح ٢٢٧٨ قال وإسناده حسن إن شاء الله

قال أبو بكر بن خزيمة ـ رحمه الله ـ ومحال أن يكون المؤمن الموحد لله تعالى قلبه، ولسانه المطيع لخالقه في أكثر ما فرض الله عليه، وندبه إليه من أعمال البر غير المفروض عليه والمنتهي عن أكثر المعاصي، وإن ارتكب بعض المعاصي، والحوبات في قسم من كفر بالله، وادعى معه آلهة أو صاحبة أو ولد ـ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ولم يؤمن بشيء مما أمر الله تعالى بالإيمان به، ولا أطاع الله في شيء أمر به في الفرائض، والنوافل، ولا انزجر عن معصية نهى الله عنها محال أن يجتمع هذان في درجة واحدة من النار، والعقل مُرَكب على أن يعلم أن كل من كان أعظم خطيئة، وأكثر ذنوبًا لم يتجاوز الله عن ذنوبه كان أشد عذابًا في النار، كما يعلم كل عاقل أن كل من كان أكثر طاعة لله، وتقربًا إليه بفعل الخيرات، واجتناب السيئات كان أرفع درجة في الجنان، وأعظم ثوابًا وأجزل نعمة فكيف يجوز أن يتوهم عاقل أن أهل التوحيد يجتمعون في النار في درجة من كان يفتري على الله ﷻ فيدعو له شريكًا، أو شركاء، فيدعوا له صاحبة وولدا ويكفر به ويشرك، ويكفر بكل ما أمر الله بالإيمان به، ويكذب جميع الرسل، ويترك جميع الفرائض، ويرتكب جميع المعاصي، فيعبد النيران، ويسجد للأصنام والصلبان، فمن لم يفهم هذا الباب لم يجد بُدًّا من تكذيب الأخبار الثابتة عن النبي ﷺ، في إخراج أهل التوحيد من النار، إذ محال أن يقال أخرجوا من النار من ليس فيها، وأكثر استحالة من هذا أن يقال: يخرج من النار من ليس فيها، وفي إبطال أخبار النبي ﷺ اضمحلال الدين، وإبطال الإسلام، والله ﷻ لم يجمع بين جميع الكفار في موضع واحد من النار ولا سوى بين عذاب جميعهم، قال

الله ﷻ ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا ﴾[١] وقال سبحانه ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ﴾ [٢]...اهـ.

[٣٩]عن قتادة عن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**ليصيبن أقوامًا سفع من النار، بذنوب أصابوها عقوبة، ثم يُدْخِلَهُمْ الله الجنة، بفضل، رحمته، يقال لهم الجهنميون**»[٣].

[٤٠] عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ «**أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها، ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم «أو قال بخطاياهم». فأماتهم إماتة حتَّى إذا كانوا فَحْمًا، أذن بالشفاعة، فَجِيءَ بهم ضبائر، فَبُثُّوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة في حميل السيل، فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية**».[٤]

[٤١] وفي حديث يزيد بن الفقير قال: حدثنا جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن قومًا يخرجون من النار، يحترقون فيها إلا دارات وجوههم، حتى يدخلون الجنة**»[١].

من خلال ما تقدم من هذه الأحاديث يبدوا بجلاء أن الذين أنكروا إخراج الموحدين العصاة من النار عطلوا مئات النصوص الصحيحة التي

---

(١) النساء :١٤٥

(٢) غافر :٤٦

(٣) أحمد :٣/ ١٣٤، وفي ٣/ ٢٦٨، والبخاري :ط الشعب ٩/ ١٦٤

(٤) أحمد :٣/ ٥، وابن حميد : ٨٦٨، والدارمي :٢٨٢٠، ومسلم :١/ ١٠٨ط استنبول،

(١) أحمد :٣/ ٣٥٥، ومسلم ١/ ١٢٢

تقبلها أهل الحديث بل كبار أهل الحديث، والذين اشتهروا بالأمانة والدقة في النقل، والفريق الآخر من المرجئة الذين يقولون بوجوب دخولهم الجنة مع معاصيهم حتمًا بدون دخولهم النار، ويستدلون لذلك باستدلالات مبتورة، ما أحسنوا فهمها، ولا ترجمتها وبذلك يكون الفريقان قد مالوا كل الميل، وخالفوا منهج القرآن والسنة، والقسط في ذلك أن الله تعالى هدد من فعل بعض المعاصي كما في القرآن العظيم وعلى لسان النبي ﷺ في السنة، ويبقى أن العاصي من الموحدين.

سواء كان من مرتكبي الكبائر أو الصغائر، ومات قبل توبة فأمره إلى الله تعالى إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الله لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾[١] كما قال سبحانه: ﴿**وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ الله إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[٢].

نعم توجد نصوص فيها وعيد لمن فعلها ومن أمثلة ذلك.

[٤٢] حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحلف أحد عند منبري على يمين آثمة، ولو على سواك رطب إلا وجبت له النار**».[٣].

[٤٣] وفي حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحلف أحد عند منبري هذا على يمين آثمة، ولو على سواك أخضر، إلا تبوأ مقعده من النار**».[٤].

وبناءً على هذا الحديث إما أن يتوب إلى الله من قريب قبل موته ومن ثَمَّ فالله وعد أن من تاب من قريب تاب عليه، ولو كان من الكافرين قال تعالى:

---

(١) النساء: ٤٨

(٢) التوبة: ١٠٦

(٣) صحيح الجامع: ٧٦٧٣ والإرواء: ٣٦٩٧

(٤) صحيح الجامع: ٧٦٣٨

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ الأنفال :٣٨ وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ النساء :١٧ وكذا كل مذنب بلا ريب إما أن يلقى الله مُصِرًا على ذنبه فأمره إلى الله بناء على ما تقدم من آي القرآن فإن عفا ففضله ورحمته وإن آخذ فبعدله سبحانه:﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الكهف : ٤٩.

وقال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ النساء :٤٨.

والذنبان المذكوران في هذين الحديثين السابقين دون الشرك فيحمل المطلق على المقيد ليستقيم الفهم على منهاج أهل السنة والجماعة من الصحابة فمن بعدهم وهكذا كل الأحاديث التي وردت على نحو ما تقدم مثل حديث، جبير بن مطعم عن النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة قاطع**»(١).

فليس معنى قوله لا يدخل الجنة، أنها حرمت عليه كتحريمها على المشرك بل لا يدخل الجنة مع الداخلين من أول الأمر كما قال أهل السنة، وانظر مقدمة النووي في حديث الإيمان في صحيح مسلم من جزء: ١/ ١٤٦ فما بعدها.

[٤٤] ومثل حديث حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة قتات**»(٢).

وهكذا يكون الأمر على ما تقدم من الآيات، والأحاديث، والآثار، وأقوال أهل العلم المتقنين لا كما يقوله بعض المخلطين المعطلين للسنة

---

(١) صحيح الجامع :٧٦٧١، وغاية المرام للألباني ح٤٠٣

(٢) أصله في الصحيحين، وأورده الألباني في صحيح الجامع :٧٦٦٣، وفي مختصر مسلم :١٨٠٨، وفي الصحيحة ١٠٣٤.

الصحيحة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ومن أصول أهل السنة أن الدين، والإيمان قول، وعمل: قول باللسان وعمل بالجوارح، والأركان، وأن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهم مع ذلك لا يكفِّرون أهل القبلة بمطلق المعاصي، والكبائر، كما يفعله الخوارج: بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه وتعالى في [آية القصاص]: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ البقرة :١٧٨.

وقال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ۞إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الحجرات :٩-١٠.

قال: ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار كما تقول المعتزلة: بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان في مثل قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ النساء :٩٢.

وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ۞الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ۞ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ الأنفال :٢-٤.

[٤٥] من حديث عبد الرحمن .قوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نُهْبَة ذات شرف، يرفع الناس إليه منها أبصارهم**

حين ينتهبها وهو مؤمن»[١].

ويقولون: وهو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق، ولا يُسْلَبُ مطلق الاسم ..[٢]اهـ.

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله في حديثه عن الشفاعة «...**وأما الشفاعة الثالثة**»: فيشفع ﷺ فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين، والصديقين، وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها، ويُخْرِج الله تعالى من النار أقوامًا بغير شفاعة بل بفضل رحمته ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا فينشىء الله لها أقواما فيدخلون الجنة ...اهـ.[٣]

آخر أهل النار خروجًا، وآخر أهل الجنة دخولا

أمر عظيم، ومشهد عظيم، في يوم عظيم، أن ترى الدقة العجيبة في حديث النبي ﷺ حيث لا ينطق عن الهوى، ﴿**إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ فيصف الحبيب ﷺ القيامة وصفًا عجيبًا دقيقًا حتى إنك حين تقرأ هذه النصوص كأنك ترى القيامة بما فيها رأي العين، فتهتز مشاعرك، ويتحير عقلك، وتنظر إلى أعمالك نظرة المقصرين المفلسين، وإن كنت من المقنطرين في أعمال البر، والشكر، والذخر، ذلك لما عاينه قلبك من أهوال القيامة، ورأيت بعين اليقين اضطرام النار لَمَّا تساقط فيها الفجار، وهى لهم دار القرار، ولا يجدي معهم صراخ، ولا يهون عليهم صبر، والنار بطنها واسع، وحضنها شاسع،

---

(١) البخاري ك/ المظالم والغصب، بـ/ النهي بغير إذن صاحبه، ح/ ٢٤٧٥ .

(٢) مجموع الفتاوى :٣/ ١٥١، ١٥٢ بتصرف

(٣) مجموع الفتاوى :٣/ ١٤٧، ١٤٨

ولها زفير وشهيق حتى إنها تكاد تتقطع، ويأكل بعضها بعضًا من شدة غضبها على المجرمين، وحنقها على الظالمين: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ ومن العجب أن يبين لك النبي ﷺ حالة آخر رجل يخرج من النار، وكيف يخرج منها، وكيف يصل إلى الجنة فيدخلها، وما الذي أعده الله تبارك وتعالى، ويصور لك هذه المشاهد على التفصيل الدقيق لقطة بلقطة، وحركة بحركة نابضة ناطقة إن هذا التفصيل المذكور ما هو إلا باب من الزواجر ليتميز من حاز المفاخر، وأنه ليس كمن صلَّى في الصف الآخر، وحتى يستعد الناس لذلك اليوم الرهيب.

قال ابن الجوزي: في كتاب (التبصرة) يا من يُدعى إلى نجاته فلا يجيب، يا من قد رضي أن يخسر ويخيب، وإن أمرك طريف وحالك عجيب أذكر في يوم ينادي المنادي من مكان قريب، ويحك إن الحق حاضر ما يغيب تحصى عليك أعمال الطلوع وأفعال المغيب، ضاعت الرياضة في غير نجيب، سِيماك تدل وما يخفى على المريب، واذكر يوم الفزع والتأنيب لابد والله من فراش العيش الرغيب، والتحاف البلى مكان الطيب، واعجبًا للذات بعد هذا كيف تطيب، ويحك أحضر قلبك لوعظ الخطيب ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ تذكر من قد أصيب كيف نزل بهم يوم عصيب، وانتبه لاحظ الحظ والنصيب، واحترز فعليك شهيد ورقيب، إذا حَلَّ الموت حُلَّ التركيب.اهـ.

[٤٦]عن عبد الله ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولًا، رجل يخرج من النار حَبْوًا، فيقول الله: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها، فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه**

أنها ملأى، فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ـ أو إن لك عشرة أمثال الدنيا ـ فيقول تسخر مني، أو تضحك مني، وأنت الملك، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه وكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة».[1].

تخيل معي واستحضر هذه الصورة لذلك الرجل الذي أسرف على نفسه حتى مُقِتَ بأعماله فولج النار، ولم تجد معه الشفاعة في أول الأمر، وألقى في أمواج النار بالفعل ليصلى سعيرها، ويخنق بدخانها، وليقطع أوصاله حريقها وليزكم أنفه ذكاؤها ونتنها، ويمر الوقت عليه ثقيلًا بطيئًا وبعد وقت طويل مديد يقدر الله على ذلك المسكين الذي أخجلته ذنوبه، وأوردته عيوبه الموارد يقدر عليه أن يسمع ذلك النداء الحبيب الذي لطالما تمناه منذ أن صرخ في أمواج النار، وضيق السلاسل، وكرب اليحموم، ولطالما توجع وتأوه، ونادى، واستغاث، وحاول الصبر ولكن لم يكن يجدي عليه الصبر شيئًا، اجتهد أن يستأنس بعذاب أقرانه، وخلانه فلم يستطع ذلك يقول سبحانه مخبرًا عن حالهم: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ البقرة :١٧٥ وقال تعالى: ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الطور :١٦ وقال عز وجلّ: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ الزخرف :٣٩.

وأخيرًا بعد رحلة بئيسة من العذاب شملته رحمة المعطي الوهاب، أرحم الراحمين، وأجود الأجودين، الغفور الودود الرزاق بلا حساب، الذي وسعت رحمته كلَّ شيء وكلَّ حي، وسعته رحمته مع اقترافه مساخط لا حدود لها، أدركته وسمع النداء العلوي الشفيق الرءوف بأنه خارج من

(١) فتح الباري :١١/ ٤٢٦ ك/ الرقاق ح/ ٦٥٧١ .

النار، وساعتها خَـرَج حبـوًا حيث لا يستطيع القيام، ولا المشي، ولا السعي، ولا الجري، وتجاوزها، ونظر إليها نظرة من أفلت مـن الضنك، والحرمان، مخاطبًا لها، وهو يذكر نعمة ربه عليه إذ نجاه منها فقال: «**تبارك الذي نجاني منك فلقد أعطاني الله ما لم يعط أحدًا من العالمين**». وهنا خاطبـه ربه خطابًا جديدًا حبيبًا علـى حين بغتة فقال له: «**ادخل الجنة**». فتحرك الرجل، ثم ظـن أن الناس قـد ملئوها حيث نزلوا منازلهم، وأخذوا أخذاتهم، ويرجع مـرة أخرى إلـى ربه قائلًا كما فـي رواية أخـري: يارب كيف وقـد نزل الناس منازلهم وأخذوا أَخَذَاتِهم؟ ويأمره الله أن يدخل الجنة مـرة تتلوها مـرة، ليسمع خبرًا لم يتخيله أبدًا إذ سمع: «**إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ـ أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا** ..». فماذا تتصور مـن رجل خرج مـن النار بعد مكث طويل ليسمع هذا النداء العجيب؟ إنه علـى الفور خاطب ربه وبدون تمهل أو تـردد، ولا تريث، وذلك لتأثير هـذا الخبر على أذنيه وقلبه وجوارحه قائلًا: «**سخـر مني أو تضحك مني وأنت الملك**». فلم يتصور قط أن يسمع معشار هذا، وهنا قال الرسول ﷺ معقبًا علـى تلك المشاهد العجيبة: «**فضحك حتى بدت نواجـذه**». وكان يقـول«**ذلك أدنى أهل الجنة منزلة**». وهذا من كلام الراوي لكن ثبت لفظ آخـر فـي رواية مسلم: «**أدنى أهل الجنة منزلة رجل صَـرَفَ الله وجهه عـن النار**». الحديث .

ـ وقد وضح الحافظ رواية أخرى عند مسلم من رواية أنس بن مالك عن بن مسعود ما يقوي هذا ولفظه: «**آخرُ من يدخلُ الجنةَ رجلٌ فهو يمشي مرةً، ويكبوا مرةً، وتسفعُهُ النارُ مرةً، فإذا ما جاوزَهَا التفتَ إليها فقالَ: تباركَ الذي نجاني منكَ**».[1]

---

(١) فتح الباري :١١/ ٤٥٢

ـ ومن الفوائد المذكورة في الفتح نقلًا عن ابن أبي جمرة قوله ـ رحمه الله ـ :
وفيه أن جماعة من مذنبي هذه الأمة يعذبون بالنار، ثم يخرجون بالشفاعة والرحمة، خلافًا لمن نفى ذلك عن هذه الأمة وتأول ما ورد بضروب متكلفة، والنصوص الصريحة صحيحة ومتضافرة متظاهرة بثبوت ذلك، وأن تعذيب الموحدين بخلاف تعذيب الكفار، لاختلاف مراتبهم من أخذ النار بعضهم إلى ساقه، وأنها لا تأكل أثر السجود، وأنهم يموتون فيكون عذابهم إحراقهم، وحبسهم عن دخول الجنة سريعًا كالمسجونين ...»[1].

❁❁❁

(١) فتح الباري :١١/ ٤٧١

المبحث الخامس

التقوى والفرار من النار

أولا: تعريف التقوى

قال الراغب هي: حفظ النفس عمّا يؤثم وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات ...وقيل: هي: الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته وصيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك، وقيل: هي المحافظة على آداب الشريعة ومجانبة كل ما يبعد المرء عن الله تعالى . .

وقال الحليمي: حقيقة التقوى فعل المأمور والمندوب إليه، واجتناب المنهي عنه، والمكروه المنزه عنه، لأن المراد من التقوى، وقاية العبد نفسه من النار ...[1] اهـ .

ثانيًا: تمهيد

إنك إذا نظرت في القرآن العظيم فلسوف تجد بعد صفحة واحدة من بداية المصحف الشريف، ستجد التقوى أساسًا في العقيدة بحيث إن بها يعبد الله تعالى ويمجد ويقدس، ولسوف تجد هذا في كل ميدان من ميادين العبادة ففي أصل العبادة قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ البقرة : ٢١.

ثم بين أن الجنة أعدت للمتقين حيث قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ۞وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ۞ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن**

---

(١) انظر التعريفات للجرجاني :٦٥ وموسوعة نضرة النعيم ١٠٨٠، ١٠٧٩

رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران: ١٣١-١٣٣.

ثم أشار إلى أن هذه الكلمة جامعة مانعة تشمل كل خير وتحث وتحض عليه وتنهى عن كل شر وتنفر منه إذ قال ﷻ ﴿لَّيْسَ البِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالمَلآئِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ البَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٧٧.

وفي معرض الكلام عن الصيام قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٨٣.

وفي شأن القصاص قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٧٩.

وفي شأن الحج قال ﷻ ﴿الحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ الله وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ البقرة: ١٩٧.

وفي شأن انتظام العلاقة الأسرية الزوجية قال تعالى ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا الله﴾ البقرة: ٢٢٣.

وفي شأن الفراق والسراح (الطلاق) قال تعالى ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوَا آيَاتِ الله هُزُوًا

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الكِتَابِ وَالحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة : ٢٣١.

وعندما نستعرض القرآن الكريم سنجد أن التقوى قد شملت نظام الأسرة ونظام البيع والشراء، والزواج، والطلاق، والرضاع والأيمان، والرهون، والإيلاء، وشملت الأحكام قاطبة من ألفها إلى يائها كي يكون المجتمع الإسلامي تقيًّا وقافًا عند كتاب الله وحدوده من أجل أن تكون هذه الأمة جديرة برعاية وعناية الله تعالى .

ثالثًا: من معاني التقوى في القرآن

تأتي كلمة التقوى على أوجه: قال الدمغاني الحنفي:

الخشية ـ العبادة ـ ترك العصيان ـ التوحيد .

أ ـ **بمعنى الخشية:** قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ النساء : ١ يعني اخشوا ربكم، مثلها في سورة الحج ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ الحج : ١.

وكقوله في سورة الشعراء ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ الشعراء :١٠٦ أي: ألا تخشون .

ب ـ **اتقوا بمعنى اعبدوا** قال تعالى في سورة النحل ﴿أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ النحل : ٢ يعني فاعبدون ؛ وكقوله ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ تَتَّقُونَ﴾ النحل:٥٢ يعني تعبدون وكقوله في سورة الشعراء ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ﴾ الشعراء : ١١ يعني ألا يعبدون .

جـ ـ **اتقوا بمعنى لا تعصوا:** قوله تعالى في سورة البقرة ﴿وَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللهَ﴾ البقرة : ١٨٩ يعني لا تعصوه فيما أمركم به.

د ـ اتقوا بمعنى وحدوا: قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ﴾ الحجرات : ٣ يعني للإخلاص وكقوله في سورة الحج ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى القُلُوبِ﴾ الحج :٣٢ أي من إخلاص القلوب ...[١] اهـ .

رابعًا : من هم المتقون؟

إنّ التقوى لفظٌ جامعٌ مانعٌ يدل على كل خير أمر به الله والانقياد عليه والاستقامة مع الثبات عليه، ويدل على الابتعاد عن كل نهي وارد في الشرع كتابًا وسنة مع الثبات على ذلك والاستقامة عليه، وإن كان العبد لا بد له من هنات وأخطاء فإن التقوى تحجز الشيطان والهوى عن الفطر والقلوب لأنها وقاية أكيدة في الآخرة والأولى .

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ الأعراف : ٢٠١.

القرآن يصف أهل التقوى

فالمتقون هم الذين قال الله عنهم: .

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ البقرة : ٣ـ٤.

ووصف الله من اتقى في ميادين كثيرة وعديدة في هذا الدين فقال سبحانه ﴿وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالمَلآئِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ

(١) انظر قاموس القرآن الوجوه والنظائر للدمغاني الحنفي طـ/ دار العلم بيروت صـ٤٩٤

الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٧٧.

ووصف الله المتقين فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَالله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ الله وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ١٣٤ـ١٣٥ .

ووصفهم الله تعالى فقال: ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ المائدة: ٥٥.

وقال عنهم سبحانه:﴿ التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ المُنكَرِ وَالحَافِظُونَ لِحُدُودِ الله وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ﴾ التوبة :١١٢.

وقال الله عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ ۞ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۞ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ المؤمنون: ٥٧ـ٦١.

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ۞ إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ۞ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ العَادُونَ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ۞ أُوْلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ۞ الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ المؤمنون: ٢ـ١١.

ولو رحت تتبع الآيات لحصرت الكثير والكثير وما ذكر يغني إن شاء الله تعالى .

فالمتقون هم الذين يعترفون بالحق قبل أن يشهد عليهم، ويعرفونه ويؤدونه، وينكرون الباطل ويجتنبونه، ويخافون الرب الجليل الذي لا تخفى عليه خافية، والمتقون يعملون بكتاب الله فيحرّمون ما حرّم الله ويحلون ما أحله.

والمتقون هم الذين لا يخونون في الأمانة ولا يرضون بالذل والإهانة، ولا يعقون ولا يقطعون، ولا يؤذون جيرانهم، ولا يضربون إخوانهم يَصِلونَ من قطعهم، ويعطون من حرمهم، ويعفون عن من ظلمهم، الخير عندهم مأمول والشر في جانبهم مأمون ولا يغتابون ولا يكذبون، ولا ينافقون .

والمتقون هم الذين لا يحسدون ، ولا ينُمّون ، ولا يراؤون، ولا يرابون، ولا يقذفون، ولا يأمرونَ بالمنكر، ولا ينهون عن معروف، بل يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، تلك صفات المتقين حقًا الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون .

والمتقون هم أهل الفضائل، منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع، غضوا أبصارهم عمّا حرَّم ربهم ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم ولغيرهم، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كما نزلت في الرخاء ولولا الأجل الذي كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقًا إلى الثواب وخوفًا من العقاب .

والمتقون هم الذين عظم الخالق في أنفسهم فصغُرُ في أعينهم كل شيء سواه فهم مع أخبار الجنة كمن رآها فهم فيها منعمون .....، قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة وحاجاتهم وأنفسهم عفيفة، صبروا

أيامًا قصيرة أعقبتهم راحة طويلة وتجارة مربحة يسرها لهم ربهم .

والمتقون هم الذين أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها، أما في الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا، يُحزنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواء دائهم فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعًا وتطلعت نفوسهم إليها شوقًا ، وظنوا أنها نصب أعينهم وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زئير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم، ... مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم يطلبون من الله تعالى فكاك رقابهم وأما في النهار فحكماء. علماء. أبرار، أتقياء.

والمتقون هم الذين بَراهم الخوف من الله بري القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم ؟ لا يرضون من أعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون إذا ذكى أحدهم خاف مما يقال فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري وربي أعلم بي من نفسي، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني أفضل مما يظنون وأغفر لي ما لا يعلمون.

والمتقون هم الذين عندما تنظر إلى أحدهم ترى له قوة في دين، وحزمًا في لين، وإيمانًا في يقين، وحِرصًا في علم، وعلمًا في حلم، وقصدًا في غنى، وخشوعًا في عبادة، وتجملًا في فاقة، وصبرًا في شدة، وطلبًا في حلال، ونشاطًا في هدى، وتحرجًا في طمع .

والمتقون هم الذين يعملون الأعمال الصالحة، وهم على وجل يُمسون وهمّهم الشكر، ويصبحون وهمّهم الذكر، قرة أعينهم فيما لا يزول، وزهدهم فيما لا يبقى، يمزجون الحلم بالعلم، والقوة بالعمل، تراهم قريبًا أملهم قليلًا

زللهم خاشعة قلوبهم، قانعة نفوسهم، ميتة شهواتهم مكظومًا غيظهم، مأمولًا خيرهم، مأمونًا شرهم.

والمتقون هم الذين لا يحيفون على من يبغضون ولا يأثمون فيما يحبون، يعترفون بالحق قبل أن يشهد عليه، ولا يضيعوا ما استحفظوا، ولا ينسوا ما ذكروا، ولا يتنابذون بالألقاب، ولا يضار منهم جار، ولا يظهرون الشماتة في مصاب.

إن صمتوا لم يَغمُّهُم، وإن ضحكوا لم يعلُ صوتهم، إن بُغِي عليهم صبروا حتى يكون الله هو الذي ينتقم لهم، نفوسهم منهم في عناء.

والناس منهم في راحة، أتعبوا أنفسهم لآخرتهم، وأراحوا، الناس من نفوسهم، فطوبى لهم وحسن مئاب.

عليكم بتقوى الله لا تتركوها ... فإن التقى أقوى و أولى وأعدل
لباس التقى خير الملابس كلها ... وأبهى لباسًا في الوجود وأجمل
فما أحسن التقوى وأهدى سبيلها ... بها ينفع الإنسان ما كان يعمل
فيا أيها الإنسان بادر إلى التقى ... وسارع إلى الخيرات مادمت ممهل
وأكثر من التقوى لتحمد غبَّها ... بدار الجزا دار بها سوف تنزل
وقدم لما تقدم عليه فإنما غدًا ... سوف تجزى بالذي سوف تفعل
وأحسن ولا تهمل إذا كنت قادرًا ... فدار بني الدنيا فكان الترحل [1]
تزود من التقوى فإنك لا تدري إذا ... جنّ ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكًا ... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم ... وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر

(١) نداءات الرحمن لأهل الإيمان جـ١ صـ٢١٥-٢١٧

وكم من صحيح مات من غير علـــة وكم من سقيم عاش حينًا من الـــدهر
وكم من عروس زينوهـــا لزوجهـــا وقد قبضت أرواحهم ليلـــة القـــدر

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۞ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

آل عمران : ١٠٢-١٠٣.

إنهما ركيزتان تقوم عليهما الجماعة المسلمة، وتؤدي بهما دورهما الشاق العظيم، فإذا انهارت واحدة منهما، لم تكن هناك جماعة مسلمة، ولم يكن هناك دورٌ تؤديه، ركيزة الإيمان والتقوى أولًا، التقوى التي تبلغ أن توفي بحق الله الجليل، التقوى الدائمة اليقظة التي لا تغفل ولا تفتر لحظة من لحظات العمر حتى يبلغ الكتاب أجله يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ اتقوا الله كما يحق له أن يُتَّقى وهي هكذا بدون تحديد تدع القلب مجتهدًا في بلوغها كما يتصورها وكما يطيقها، وكلما أوغل القلب في هذا الطريق تكشفت له آفاق، وجَدَّت له أشواق، وكلما اقترب بتقواه من الله، تيقظ شوقه إلى مقام أرفع مما بلغ، وإلى مرتبة وراء ما ارتقى، وتطلع إلى المقام الذي يستيقظ فيه قلب، فلا ينام! ﴿وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ والموت غيب لا يدري إنسان متى يدركه، فمن أراد ألا يموت إلا مسلمًا فسبيله أن يكون منذ اللحظة مسلمًا، وأن يكون في كل لحظة مسلمًا، وذكر الإسلام بعد التقوى يشير بمعناه الواسع: الاستسلام لله؛ طاعة له، وإتباعًا لمنهجه، واحتكامًا إلى كتابه ...[1] اهـ.

(١) الظلال :٢/ ٤٤٢

سادسًا: السنة والتقوى

إذا كان القرآن حث على الابتعاد عن النار وأسباب عذابها ما استطاع المسلم إلى ذلك سبيلا كقوله تعالى﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۞ وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١).

فإن النبي ﷺ أمر بالتقوى لأنها الوقاية من النار بحق وقد وردت أحاديث كثيرة في تلك الميادين، أشار إليها المحدثون في مصنفاتهم فمستقل ومستكثر، وسوف أورد بعضها تذكرة للقارئ وعبرة عسى الله أن ينفع بها فهو القادر على ذلك وحده.

أولًا: أمره ﷺ بالتقوى وحسن الخلق، وإذا أساء المرء فعليه بالإحسان العاجل غسيلًا للسيئات.

[٤٧] فعن أبي ذر ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»(٢).

ومعنى قوله «**اتق الله**». بامتثال أمره واجتناب نهيه «**حيثما كنت**». وحدك أو في جمع، فإن كانوا أهل بغي أو فجور فعليك بخويصة نفسك أو المراد في أي زمان ومكان كنت فيه رآك الناس أم لا، فإن الله مطلع عليك ﴿**وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ سورة النساء:١.

والخطاب لكل من يتوجه إليه الأمر فيعم كل مأمور ....وهذا من

---

(١) آل عمران: ١٣١ـ١٣٢

(٢) أحمد :٥/ ١٥٣؛ ٥/ ١٥٨ وأخرج الترمذي ح/ ١٩٨٧ وذكره الألباني في صحيح الجامع ح/ ٩٧ وقال حسن صحيح، وانظر فيض القدير :١/ ١٥٧

جوامع الكلم فإن التقوى وإن قلّ لفظها كلمة جامعة فحقه تقدس اسمه أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ومن ثم شملت خير الدارين إذ هي تجنب كل منهي عنه وفعل كل مأمور به، فمن فعل فهو من المتقين الذين أثنى عليهم الله تعالى في كتابه المبين، ثم نبه على تدارك ما عساه يفرط من تقصير العبد، في بعض الأوامر، والتورط في بعض النواهي فقال: «**واتبع**». ..أي: ألحق «**السيئة**». الصادرة منك صغيرة وكذا كبيرة، اقتضاه ظاهر الخبر وأيامًا كان فالحسنات تؤثر في السيئات بالتخفيف منها يعني: ألحق «**الحسنة**». إياها صلاة أو صدقة أو استغفارا أو تسبيحا أو غيرها «**تمحها**». أي السيئة المثبتة في صحيفة الكاتبين، وذلك لأن المرض يعالج بضده كالسواد يعالج البياض وعكسه ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ هود : ١١٤ يعني فلا يعجزك إذا فرطت منك سيئة أن تتبعها حسنة ...«**وخالق الناس بخلق حسن**». أي تكلف معاشرتهم بالمعروف بالمجاملة من نحو طلاقة وجه وحلم وشفقة وخفض جناح وعدم ظن سوء بهم، وتودد إلى كل صغير وكبير، وتلطف في سياستهم مع تباين طباعهم، يقال: فلان يتخلق بغير خلقه أي: يتكلف وجمع هذا بعضهم فقال: أن تفعل معهم ما تحب أن يفعلوا معك فتجتمع القلوب، وتتفق الكلمة وتنتظم الأحوال وذلك جماع الخير وملاك الأمر، والخُلُق بالضم: الطبع والسجية ...والحديث من القواعد المهمة لإبانته لخير الدارين، وتضمنه لما يلزم المكلف من رعاية حق الحق والخلق ...[1] اهـ.

ثانيًا أمره ﷺ بالتقوى مع ذكر لبعض أفرادها، وذلك من بديع وبليغ

---

(١) انظر فيض القدير :١/ ١٥٦ـ١٥٧ بتصرف كبير وتقديم وتأخير

كلمه ﷺ، إذ يذكر التقوى على سبيل العموم ثم يذكر آدابًا وخلالا هي من أفراد التقوى على سبيل الخصوص للتنبيه عليها والعناية بها وتحفيز الهمم في تحصيلها والسعي الحثيث إليها دونما تقاعس أو تقهقر، ذلك لتستقيم النفس على المنهج الحق فيزول كل ما يهبط بها إلى سفاسف الأمور وسفل الخصال.

[٤٨] فعن جابر بن سليم الهجيمي، أن رسولﷺ قال: «**اتق الله، ولا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تُفرِغَ من دَلوك في إناء المستسقي، وأن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط، وإياك وإسبال الإزار، فإن إسبال الإزار من المخيلة، ولا يحبها الله، وإن امرؤ شتمك وعيَّرك بأمر ليس هو فيك، فلا تعيِّره بأمر هو فيه، ودعه ليكون وباله عليه، وأجره لك، ولا تسبنَّ أحدًا**»[(١)].

«**اتق الله**». قال القيصري: قد أكثر الناس القول في التقوى وحقيقتها تنزيه القلب عن الأدناس، وطهارة البدن من الآثام، وإن شئت قلت: الحذر من موافقة المخالفات، وقال الحرَّاني عَبّرُ هنا وفيما سبق بالاسم الأعظم ليكون أزجر للمأمور.

(**ولا تحقرن**) أي لا تستصغرنّ ...(**من المعروف**) ...أي ما عرفه الشرع بالحسن (**شيئًا**) أي كثيرًا كان أو حقيرًا ،...(**أن تفرغ**) أي تَصُبُ (**من دَلْوِك**) أي الإناء الذي تستسقي به من البئر، والمعنى: ولو أعطيت مزيدًا من الماء الذي لا يشترى بمال رغبة في المعروف وطمعًا في الأجر وتأليفًا للقلب، وإغاثة للملهوف، وقد دل الحديث أيضًا على حسن المعاملة مع الخلق والإقبال عليهم عند الحديث وعموم اللقاء بوجه منبسط وليس مكفهرًا، ويا حبذا مع الابتسامة، والمسلم يحدث الناس وهو مقبل عليهم منبسط إليهم مبتسم في

---

(١) انظر صحيح الجامع :٩٨، والصحيحة :٧٧٠، والطيالسي رقم :١٢٠٨.

وجوههم منشرح الصدر بلقائهم قال أحد الفضلاء: من حسن خلق الرجل أن يحدث صاحبه وهو مقبل عليه بوجهه ونظم هذا الحديث كنظم الجمّان، وروض الجنان، وفيه كما قال الغزالي رَدٌّ على عالم عبس وجهه وقطب جبينه كأنه مستقذر الناس أو غضبان عليهم أو منزهٌ عنهم، ولا يعلم المسكين أن الورع ليس في الجبهة حتى تُقطب ولا في الخد حتى يُصَعَّر، ولا في الظهر حتى ينحنيَ ولا في الرقبة حتى تطأطأ، ...إنما الورع في القلب، أما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يَمُنُّ عليك بعمله فلا أكثر الله في المسلمين مثله، ولو كان الله يرضى بذلك ما قال لنبيهﷺ: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء: ٢١٥ **(وإياك وإسبال الإزار)** أي: إرخاء اللباس إلى أسفل الكعبين، أي احذر هذا الذي نهى عنه النبي ﷺ، والكعبان هما العظمان الناتئان فوق القدم من جانبها بين المفصل والساق والقدم وذلك لإبعاد الإزار عن المستقذر ولمخالفة المتكبرين وقد مرَّ هذا قبل في مبحث خاص (**اللباس**) وقوله (**وإن امرؤ**) أي: إنسان (**شتمك**) أي سبَّك (**وعيرك**) أي ذكر عيبًا لصاحبه ومن ذمَّ الناس ـ ولو بحق ـ ذموه ولو بباطل (**يكن وباله**) الوبال: شؤم المعصية وعقوبة الذنب، وهذا الحديث فيه التحذير من الاحتقار ولاسيما للمسلم المعصوم[1] لأن الله تعالى أحسن تقويم خلقه، وخلق ما في السماوات والأرض، ويكره مجادلة السفهاء الحمقى لأنها تجر إلى ما لا يحمد غالبًا، والسكوت عنهم مطلب شرعي، وفي الحديث عظم كظم الغيظ والحلم عن المخطئ. .

قال المناوي في فيض القدير: ١٥٩/١ وفيه كراهة مجادلة السفهاء

(١) أي: معصوم الدم.

ومقاولتهم ومناقلتهم، وأن السكوت عن السفيه من المطالب الشرعية .

قال ذو النون العز الذي لا ذل فيه سكوتك عن السفيه وفيه أنشد الأصمعي:

وما شيء أحب إلى لئيم إذا شتم الكريم من الجواب

متاركة اللئيم بلا جواب أشد على اللئيم من السباب

ومن ثم قال الأعشى: جواب الأحمق السكوت، والتغافل يُطفئ شرًا كثيرًا، ورضا المتجني غاية لا تدرك، والاستعطاف عون للظفر، ومن غضب على من لا يقدر عليه طال حزنه وقال حكيم: ثلاثة لا ينتقصون من ثلاثة: حليم من أحمق، وبَرٌ من فاجر، و شريف من دنئ، وفيه أنه لا ينبغي للعبد أن يحتقر شيئًا من المعروف في الإحسان إلى الناس بل إلى خلق الله، ولا يحتقر ما يتصدق به وإن قَلَّ ...اهـ بتصرف .

[٤٩] وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل معروف صدقة، إنَّ من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تُفرغ من دلوك في إناء أخيك**»(١).

ثالثًا: أمره ﷺ باتقاء المحارم:

[٥٠] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهنَّ، أو يُعَلِّم من يعمل بهنَّ ؟ فقال أبو هريرة: فقلت: أنا ، يا رسول الله . فأخذ يدي فعَدَّ خْمسًا . وقال: اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحِبَّ للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا، ولا تكثر الضحك فإن كثرة**

(١) حديث حسن انظر صحيح الأدب المفرد ح/ ٢٣٣، وتخريج الترغيب :٣/ ٢٦٤ والترمذي في البر والصلة بـ/ ما جاء في طلاقة الوجه .

الضحك تميت القلب»[١].

[٥١] لكن ورد من حديث واثلة بن الأسقع، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «**يا أبا هريرة، كن ورعًا تكن أعبد الناس، وكن قنعًا تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنًا، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلمًا، وأقلِّ الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب**»[٢].

قوله (**اتق المحارم**) أي أحذر الوقوع في جميع المحارم التي حرَّم الله عليك .

(**تكن أعبد الناس**) أي أعبدهم، كما أنه يلزم من ترك المحارم فعل الفرائض، فاتقاء المحارم تبقي الصحيفة نقية من التبعات، فالقليل من التطوع مع ذلك ينمو ويعظم بركته فمصير ذلك المتقي من أكابر العباد، وقال الذهبي: هنا والله تُسكَب العبرات فيريد أن يكون المسلم بصيرًا بكل واجب فيقوم به، وعارفًا بكل محرم فيجتنبه .

(**وارض**) أي اقنع .

(**بما قسم الله لك**) أي بما أعطاك وجعله حظك من الرزق .

(**تكن أغنى الناس**) فإن من قنع استغنى، ليس الغنى بكثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس، والقناعة غنى وعِزٌّ بالله، وضدها ذل وفقر للغير فيتعين على كل عاقل أن يعلم أن الرزق بالقسم والحظ لا بالعلم والعقل قال

---

(١) أحمد :٢/ ٣١٠ والترمذي ٢٣٠٥ وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان، والحسن لم يسمع من أبي هريرة شيئًا وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: ١٠٠ وفي الصحيحة :٩٣٠

(٢) الأدب المفرد ٢٥٢، وابن ماجة ٤٢١٧، وحسنه الألباني مختصرًا في صحيح الأدب المفرد ١٩٠ في باب الضحك ١١٢ والصحيحة :٥٠٦؛٩٣٠

الحكماء: ولو جرت الأقسام على قدر العقول لم تعش البهائم.

ونظم أبو تمّام :

ينال الفتى من عيشه وهو جاهل ... ويكدى الفتى في دهره وهو عالم

ولو كانت الأقسام تجري على الحجا ... هلكن إذن من جهلهن البهائم

(**وأحسن إلى جارك**) أي بالقول والفعل، والجار: المجاور لك، وما اقترب من منزلك عرفًا (**تكن مؤمنًا**) أي كامل الإيمان، فإذا لم تقدر على الإحسان إليه فكفَّ عن أذاه وإن كان مؤذيًا لك، فيلزمك الصبر حتى يجعل الله لك فرجًا .

قال الراغب: والإحسان يقال للإنعام على الغير وللإحسان في فعله وذلك إذا علم علمًا حسنًا أو عمل عملًا حسنًا .

وعليه قول عليٍّ ﷺ: الناس أبناء ما يحسنون أي منسوبون إلى ما يعلمون ويعملون الأفعال الحسنة، والإحسان أعمَّ وأشمل من الإنعام والعدل، إذ العدل أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له، والإحسان يعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقلَّ مما له .

(**وأحب**) أي ارض للناس ما تحب لنفسك من الخير .

(**تكن مسلمًا**) كامل الإسلام بأن تحب لهم حصول ما تحبه لنفسك ... فإن انتفت المحبة لنحو حقد أو غِلٍّ أو حسد انتفى عنه كمال الإيمان ...

(**ولا تكثر الضحك**) وهو كيفية يحصل منها انبساطٌ في القلب مما يعجب الناس من السرور، ويظهر ذلك في الوجه، والإكثار منه يُضِرُّ

بالقلب، وهو منهيٌ[١] عنه شرعًا وهو من فعل السفهاء والأراذل مورث للأمراض النفسانية، ولذا قال: (**فإن كثرة الضحك تميت القلب**) أي تصيره مغمورًا في الظلمات، بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه، بنافعة، ولهذا قال لقمان لابنه وهو يعظه: يابني لا تكثر الضحك ...ولا تمش من غير أَدَب، ولا تسأل عمّا لا يعنيك، ولا تُضَيِّعْ مالك وتصلح مال غيرك، فإن مالك ما قدمت ومال غيرك ما أخرت ..اهـ

[فيض القدير: ١٦٢، ١٦١ بتصرف].

رابعًا: أمره ﷺ بالتقوى في الصلاة وملك اليمين:

[٥٢] عن أم سلمة ـ **رضي الله عنها** ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا الله في الصلاة، وما ملكت أيمانكم**».[٢].

وعن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم**»[٣].

وفي العدل بين الأولاد:

[٥٣] حديث النعمان بن بشير أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**». [٤].

---

(١) أي: الإكثار منه منهيٌ عنه .

(٢) صحيح الجامع :١٠٥ والصحيحة ٨٦٨

(٣) صحيح الجامع ١٠٦ والإرواء : ٢١٧٨

(٤) مختصر صحيح مسلم للألباني ح / ٩٩٠، ٩٩١ ك/ الوصايا ب/ من نحل بعض ولد دون سائر بنيه .

قال فأنطلق بي أبي يحملني إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله اشهد أني قد نحلت النعمان كذا وكذا من مالي فقال: أكل بنيك قد نحلت ؟ قال: لا قال: **فأشهد على هذا غيري ...وفي لفظ قال اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»**.

[٥٤] وحديث أبي أمامة، أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا الله وصلّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدّوا زكاة أموالكم، طيبة بها أنفسكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم**»[١].

[٥٥] حتى التعامل مع العجماوات ففي حديث سهل بن الحنظلية ـ مرفوعًا ـ «**اتقوا الله في البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة**»[٢].

[٥٦] وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتى على امرأة تبكي على صبي لها فقال لها: «**اتقي الله واصبري**»، فقالت: وما تبالي بمصيبتي، فلما ذهب، قيل لها: إنه رسول الله، فأخذها مثل الموت، فأتت بابه، فلم تجد على بابه بوابين، فقالت: يا رسول الله، لم أعرفك فقال «**إنما الصبر عند أول الصدمة ....**»[٣].

وفي شأن التذكير بالعرض والسؤال يوم القيامة.

[٥٧] عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ النار فأعرض وأشاح، ثم قال: «**اتقوا النار**». ثم أعرض وأشاح حتى ظننا أنه كأنما ينظر إليها، ثم قال: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة**».[٤].

---

(١) صحيح الجامع ١٠٩، والصحيحة ٨٦٥

(٢) صحيح الجامع ١٠٤ والصحيحة ٣٣

(٣) مختصر مسلم للألباني ك/ الجنائز بـ/ في الصبر على المصيبة عند أول الصدمة ح/ ٤٥٩

(٤) مختصر مسلم ك/ الزكاة بـ/ اتقوا النار ولو بشق تمرة ح/ ٥٣٥

[٥٨] وفي حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «**اتق الله يا أبا الوليد ، لا تأتي يوم القيامة ببعير تحمله، وله رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة لها ثؤاج**». (١).

[٥٩] وفي حديث ابن عباس قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا الملاعن الثلاث: أن يقعد أحدكم في ظل يستظل فيه أو في طريق أو في نقع ماء**»(٢).

[٦٠] وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أنَّ رجلًا جاءه فقال: أوصني، فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قَبْلَك فقال: «**أوصيك بتقوى الله، فإنهُ رأس كل شيء، وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن، فإنه رُوحك في السماء وذكرك في الأرض**»(٣).

[٦١] وعن أبي هريرة ﷺ، أن رجلًا قال: يا رسول الله إني أريد أن أسافر، فأوصني قال: «**عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف، ....**»(٤) الحديث؛ والشرف المكان المرتفع .

[٦٢] وعن رفاعة ﷺ أنه خرج مع النبي ﷺ فرأى الناس يتبايعون، فقال «**يا معشر التجّار، فاستجابوا لرسول الله ﷺ ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه فقال «إنَّ التجار يبعثون يوم القيامة فجارًا إلا من اتقى الله، وبَرَّ وصدق**»(٥).

---

(١) صحيح الجامع رقم :٩٩ والصحيحة ٨٥٧ ونسبه المؤلف للطبراني والبيهقي

(٢) حديث حسن انظر صحيح الجامع ١١٣، وإرواء الغليل ٦٢والمشكاة ٣٥٥

(٣) أحمد في المسند والهيثمي في المجمع :٤/ ٢١٥ وقال الهيثمي رجال أحمد ثقات والحديث في صحيح الألباني :٥٥٥

(٤) حسنه الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢٧٤٠ وصححه الحاكم في المستدرك :٣/ ٩٨ ووافقه الذهبي

(٥) سنن الدارمي :٢/ ٣٢٢ وقال المحقق الشيخ حسين سليم أسد : إسناده جيد وابن حبان ح/ ٤٩١٠ والحاكم في المستدرك :٢/ ٨ وصححه الذهبي في التلخيص .

سابعًا: أهمية التقوى وثمرتها

تمهيد

علمنا أن المسلمين إذا كانوا أتقياء في سلوكياتهم وعلاقاتهم مع غيرهم، فثم التقوى ومن هنا يقوم هذا الدين على معالم التقوى في جميع مجالات وميادين الحياتين الأولى والآخرة أما إذا اختل نظام التقوى فهذا يعني الفشل والتمزق والضعف والضياع ولا نستطيع أن نفصل بين التقوى واعتقاد المسلم وسلوكه. وعلى هذا فالتقوى هي سبب وثيق بعد فضل الله تعالى في الفوز العظيم، ذلك لأن فيها النجاة من النار ودخول الجنة قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ الأحزاب: ٧١.

وقال تعالى عن الفوز مبينًا حقيقته وكيف وبم يقع وعن قيمته ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ آل عمران: ١٨٥.

فكون المرء يعافى يوم القيامة من عذاب الحريق ويحال بينه وبين النار وهمومها وغمومها، وتسلطها وما فيها من إهانات يعجز الحس والعقل عن إدراكها فهي فوق كل التصورات ـ عياذًا بالله ـ كون المرء يعافى منها فذلك يعني بالضرورة الفوز العظيم وصدق الله إذ يقول سبحانه ﴿ قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ الأنعام: ١٥ـ١٦.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ النور: ٥٢.

قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الفَوْزُ الكَبِيرُ﴾ سورة البروج :١١.

هذا هو الفوز على الحقيقة وليس الفوز المؤقت وليس الفوز النسبي، وليس الفوز القصير الذي تطلع إليه وتتشوق تلك النفوس التي لم تذق طعم الحق والإيمان وتعرف قيمة الحق على النحو الصحيح المبني على آي الكتاب العزيز وسنة الحبيب النبي الذي لا يعرف قدره إلا الرب العلي، ذلكم الفوز الذي يحجز بين ذلك العبد الضعيف وبين ملائكة الله الذين غضبوا على العاصين غضبًا شديدًا، الذي يحول بين العبد وبين سلاسل تنوء بحملها الجبال وأكثر من ذلك مقت الله على العصاة وحجابهم عن ربهم وهذا غاية الخسران المبين فنرجوا الله تعالى أن يقينا ذلك الخسران وأن يجعلنا من الفائزين.

سعة الرزق.

إن الرزق لفظ عام يقع تحته كثير من الأفراد بمعنى أن الرزق ليس مقصورًا على الماديات فحسب ولا المحسوسات فقط ولكنه أعم من ذلك فهو يشمل الرزق الإيماني فذلك أعظم أنواع الرزق حيث يوفقك ـ تعالى ـ لما يحب ويرضى ويحول بينك وبين نفسك الأمارة بالسوء، فينفتح لك في ميادين البر والخير والإحسان أبوابًا كثيرة على مصاريعها فاستعماله تعالى لك في طاعته من أجل النعم وأعظم أبواب الرزق ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ الحج :٧٨ وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ طه :١٢٢.

ولذلك فإن أهل الجنة إذا دخلوها وتذكروا الله تعالى لهم ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالخَيْرَاتِ بِإِذْنِ الله ذَلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ﴾ فاطر : ٣٢.

والمؤمنون إذا دخلوا الجنة أدركوا ما كان من فضل الله عليهم في الآخرة والأولى ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ الأنفال : ٢٤ ساعتها يقول أهل الجنة متذكرين جزيل نعم الله عليهم ﴿ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۞ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ فاطر :٣٥، ٣٤.

وقال تعالى حكاية عنهم ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۞ وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الزمر :٧٥.

فهذا هو أعظم الرزق، وهنالك رزق آخر مادي يحققه الله تعالى لأوليائه مع إقامتهم على طاعته وتركهم للمعصية قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ﴾ المائدة : ٦٦.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ﴾ الأعراف : ٩٦ .

وأحسبك ستقول: وكيف بمن هو قائم على المعصية ليل نهار، وقد آتاه الله ملكًا عريضًا وما لًا وفيرًا ! ولكن اعلم أُخيَّ أن القرآن يفسر بعضه بعضًا . ولا ينبغي أن تنسى أن الله تعالى قال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۞ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ﴾ المؤمنون : ٥٦،٥٥

فالقوم قائمون على الغشم والظلم، والله ـ تعالى ـ فتح عليهم أبواب كل

شيء ومفاتيح كثير من الخزائن في ملكه وهم يظنون أن الذي يحدث هو دلالة على القرب والكرم وأنهم ناجون لا محالة ما علموا أن ذلك مكر وإملاء ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَـهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَـهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۞ فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ۞ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ۞ فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ﴾ (٢).

فلابد أن تفرق بين من يعطيه الله ويغدق عليه من نعمه جزاءً وفاقًا لإيمان لا ينفد وليقين عظيم يقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣).

فارق بين من يغدق الله عليه محبة ومن يعطيه الله إملاء ومكرًا قال تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ الله بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ الله لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (٤).

معية الله تعالى.

---

(١) آل عمران: ١٧٨

(٢) الأنعام: ٤٢ـ٤٥

(٣) النحل: ٩٧

(٤) الطلاق: ٢ـ٣

إن معية الله لأهل الإيمان والتقوى تَعْنِي أن يشمل الله تعالى المسلم برعايته وعنايته وأن يكرمه بحفظه، ويهيئ له من أمره رشدا ويجعله من عباده السعداء، ويستعمله في طاعته، ويبارك على عمره وَأَثَرِه، وينشر محاسنه في العالمين ويستره في الدارين فلا يفضح له أمرًا ولا يهتك له سترًا يحفظ عليه دينه ويشدَّ بالخير همته، وينقذه من الريب والعيب والشبهات والشهوات ويستعمله في طاعته ويجعله من أحب خلقه إليه ويهديه إلى أقرب وأقوم الطرق إليه، والمعية الخاصة لا تتحقق إلا بالثبات على الإيمان والسمع والطاعة قال تعالى﴿وَقَالَ الله إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ الله قَرْضًا حَسَنًا لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾[١] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الله مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الله وَاعْلَمُوا أَنَّ الله مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ وَالعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾[٤]﴿ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٥].

وهذا يعني أن ييسر الله لأهل التقوى أمورهم. ﴿ وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[٦].

رفعة المتقين

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَوا فَوْقَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالله يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ

---

(١) المائدة : ١٢

(٢) النحل : ١٢٨

(٣) البقرة : ١٩٤

(٤) طه : ١٣٢

(٥) الأعراف : ١٢٨

(٦) الطلاق:٤

حِسَابٍ [١] ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [٢].

فالتقوى في حقيقه الأمر استعلاء على الشبهات والشهوات وعلى سفاسف السلوك، وعلى نزغات الشيطان، وعلى مرارة الهوى، وعلى كل ما هو مقيت مهين حيث لا يحبه الله بل يبغضه ويبغض فاعليه، وكل ما يؤدي إلى التقوى فهو في ذاته ارتقاء سامق وارتفاع عن الدنايا شاهق .

قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [٣] .

وقال تعالى: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ [٤] ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَوا فَوْقَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [٥] .

البشرى للمتقين

إن البشرى من أعز الدوافع والبواعث التي ينشط بها المسارعون في الخيرات المتنافسون فيما يرضي رب البريات، فهي الوقود الفعال الذي يذكرهم بالغاية الكبرى والهدف الأعظم حتى تستقر المطايا المباركة فهم إلى قوارب النجاة فتوضع رواحلهم في جنات النعيم، حيث المقعد الصدق مع خير وأبر الخلق من الأنبياء والمرسلين، والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا . ومن ثم كانت البشرى حاديًا يحدو بالقوم فيتحملون طول الطريق ووعثاء

---

(١) البقرة : ٢١٢

(٢) آل عمران : ١٣٩

(٣) المجادلة : ١١

(٤) يوسف : ٧٦

(٥) البقرة : ٢١٢

السفر ولا يطويهم ضيق الممر أو جهد العُمُر في القعود عن الهدف الكبير، فيصبرون وعاقبة الصبر دائمًا حميدة، وقال تعالى: ﴿ وَالعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾، ﴿وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ .

ومن أجل أهمية البشرى وما تتضمنه من أفراح الروح والانشراح فإن الله تعالى أمر رسوله أن يبشر أناسًا لهم خصائص معلومة، لتطمئن قلوبهم، وتهدأ نفوسهم، ولتثبت عزائمهم إذ قال سبحانه: .

﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ الله وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ القَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (٣).

وقال تعالى﴿ فَنَادَتْهُ المَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي المِحْرَابِ أَنَّ الله يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ الله وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٤) .

والمتقون كانت البشرى لهم بمثابة الروح الوثابة التي ينفع الله بها أعظم النفع، إذ يدفع الله ـ تعالى ـ من اتقى دفعًا حثيثًا في مراضي الله غير متوان ولا متواكل، ولا متكاسل ولكنه سباق نحو هدفه أبدًا قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء الله لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ۞ لَهُمُ

---

(١) البقرة : ٢٥

(٢) سورة الزمر : ١٧ـ١٨

(٣) العنكبوت : ٣١

(٤) آل عمران : ٣٩

البُشْرَى فِي الحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ الله ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [١] فاللهم ارفعنا إليك بما بشرت به أولياءك الصالحين، واجعلنا ممن يُبَشر عند الموت بالروح والريحان ورب راض غير غضبان، قال تعالى ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ المُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾. [٢]

التقوى وقاية ـ بإذن الله ـ من الشيطان

إن القرب من الرحمن يعني الابتعاد عن سبل الشيطان، وكلما كان المسلم متحريًا تقوى الله كان ميسرًا للخير، بفضل الله، موفقًا للخيرات والله تعالى لا يترك عباده المتقين كلًا مباحًا تخطفهم الشياطين أو تسيرهم حيث أرادوا ليكونوا غرضًا لأهداف دنيئة ولكنه سبحانه لا يسلم عباده لذلك أبدًا لأنه الرءوف الرحيم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ الله وَالله رَؤُوفٌ بِالعِبَادِ[٣]﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ[٤]﴾. .

فالقوم لما كانوا مستسلمين لربهم ومنقادين، وصابرين شاكرين، مؤمنين محتسبين، رزقهم من الفرقان ما يميزون به بين الحلال والحرام الخالصين فلا تلبيس وجعل لهم نورًا يمشون به ويدركون بذلك النور الأمور على أصلها وبرهان ذلك قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إَن تَتَّقُوا الله يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَالله ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ [٥] .

وقال تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن

---

(١) يونس : ٦٢ـ٦٤

(٢) مريم : ٩٧

(٣) البقرة : ٢٠٧

(٤) الأعراف : ٢٠١

(٥) الأنفال : ٢٩

رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [١] وعليه فالتقوى تكون ها هنا حساسية مرهفة فبمجرد أن تزحف وساوس الشيطان، تبغي التسرب إلى اللب فإن التقوى تكون بمثابة الحارث الأمين والإنذار المبكر تعمل ـ بحول الله ـ على إيقاظ المسلم من رقدته فيبصر ما يحاك له من كيد الشياطين فإذا ما تيقظ عمل على إزاحة هذا الكابوس باستعاذته الشرعية مستعينًا بربه وولي نعمته على طرد هذه الأعداء عن ساحة قربه لربه، فهل يستوي هذا الوليُّ الرضيُّ مع البعداء البغضاء الذين لا يراعون تقوى، ولا يوقفهم عند الحدود إيمان، ولا يردعهم يقين؟! اللهم إنهم لا يستوون. أما العاصون الباغون الجاحدون الذين طرحوا الإيمان جانبا، واتخذوا التعاليم الشرعية خلفهم ظهريًا فلهم شأن آخر إذ أن الله تعالى يخلِّي بينهم وبين الشياطين فلا يحجبهم عنهم بل يسلطون عليهم عقوبة على إجرامهم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [٢] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ۞ فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [٣]

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۞ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [٤].

فانظر إلى ثمرات التقوى وكيف تكون حماية بإذن الله لك من وساوس الشياطين، ومن كثير من الهواجس والهلاوس ومن الشرور: تلك هي التقوى فالتقوى لا تضيع الأخوة الإيمانية ـ المحبة في الله ـ في الآخرة بل تبقى فيجتمع الأحباء في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظل الله ثم يكون ذلك تمهيدًا لاجتماعهم متحابين إخوانًا على سرر متقابلين داخل جنات النعيم ﴿الأَخِلاء يَوْمَئِذٍ

---

(١) الحديد: ٢٨

(٢) سورة الأعراف: ٢٧

(٣) مريم: ٨٣ـ٨٤

(٤) الزخرف: ٣٦ـ٣٧

بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ﴾ (١) .

وقال تعالى:﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۞ لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (٢).

والتقوى وقاية من النار :

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۞ لا يَصْلاهَا إِلا الأَشْقَى ۞ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۞وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ۞ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۞ وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ۞ إِلا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ۞ وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (٣).

وليس يعتبر إلا من اتقى :

﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٥).

﴿إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ الله فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ (٦) .

وعلى هذا فالمتقون هم الذين يتدبرون في إبداعات الله في الكون، وفي تعاقب الليل والنهار، وهذا مدعاة للإيمان، وتوكيد له أيضًا لأن القرآن هو مصدر هدايتهم، والله تعالى أعدَّ جنته للمتقين ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (٧) وقال تعالى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ (٨).

---

(١) الزخرف : ٦٧

(٢) الحجر : ٤٧ـ٤٨

(٣) الليل :١٤ـ٢١

(٤) آل عمران : ١٣٨

(٥) الحاقة : ٤٨

(٦) يونس : ٦

(٧) الحجر ٤٥

(٨) القمر :٥٤

المتقون لا يخافون يوم يخاف الناس:

قال تعالى: ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ المَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[١].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا الله ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا الله ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣].

﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء الله لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.[٤]

والتقوى سبيل إلى الرحمة:

قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الحجرات:١٠ وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ الحجرات: ١٢.

وقال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۞ وَأَطِيعُوا الله وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ آل عمران :١٣١ـ١٣٢ .

---

(١) الأنبياء : ١٠٣

(٢) فصلت : ٣٠ـ٣٢

(٣) الأحقاف : ١٣

(٤) يونس:٦٣

التقوى سبيل إلى العلم النافع

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة:٢٨٢.

والتقوى دلالة قبول الأعمال

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ المائدة:٢٧

وهي دلالة الإيمان

﴿ وَاتَّقُوا اللهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ المائدة :٥٧.

وهي سبب وثيق ـ بعد فضل الله تعالى ـ للنجاة في الدارين

﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ فصلت : ١٨ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يونس :١٠٣.

وقال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الزمر : ٦١.

اللهم اجعلنا من المتقين

❁❁❁

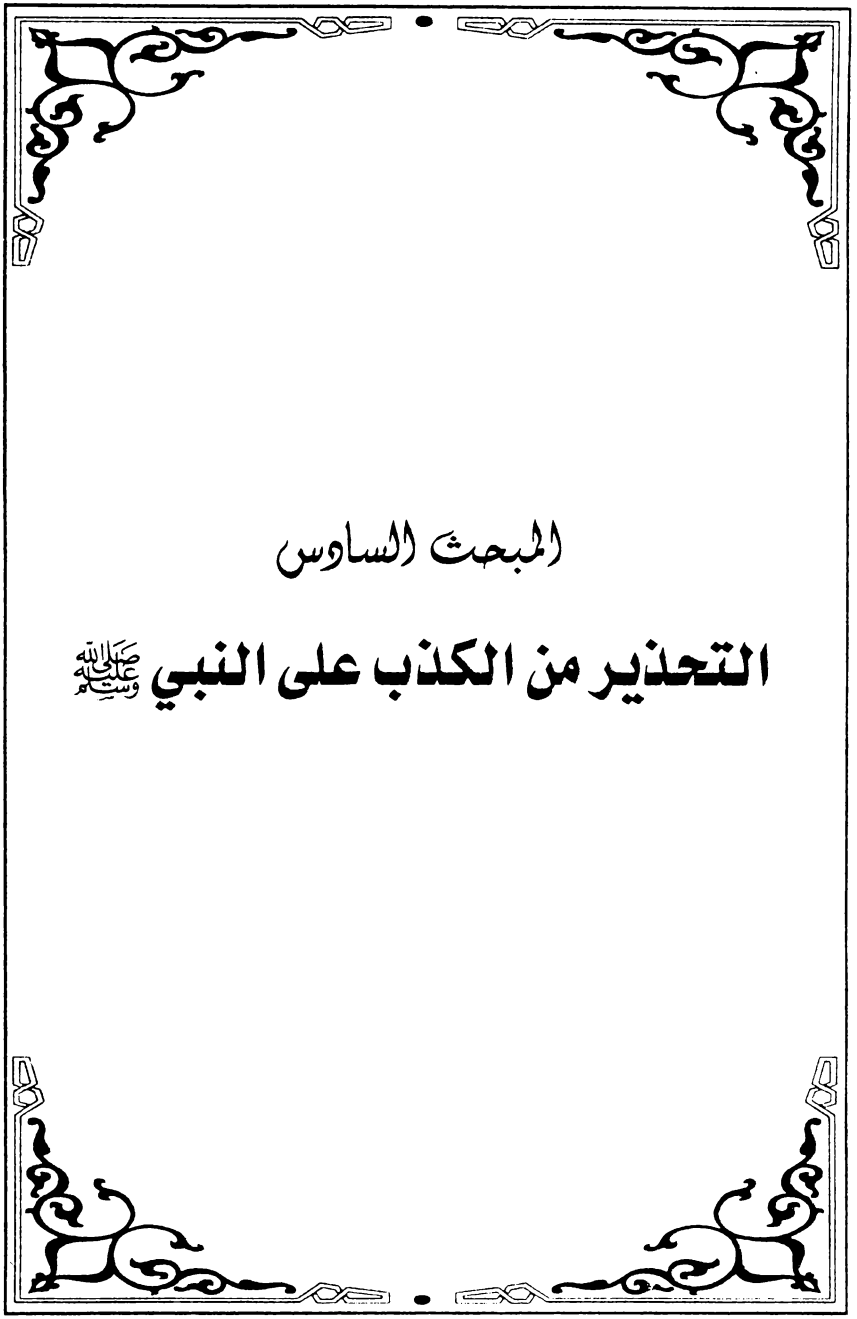

المبحث السادس

التحذير من الكذب على النبي ﷺ

التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ

إن الله تعالى مدح الصدق، والصادقين في كتابه. بل وأمر بالصدق، ورغَّب فيه، وأعدَّ لأصحابه المنازل العالية، وجعلهم مصابيح للدجى، وأعلامًا للهدى، فرفع قدرهم، ونشر في العالمين ذكرهم، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين، وجاء النبي ﷺ ليبين للناس ما أنزل الله إليهم لعلهم يتفكرون فيستقيموا على الجادة، ولا يغيروا، ولا يبدلوا.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وجعل ﷻ الصدق علامة على البر، والتقوى. فمن صدق فهو من البررة الأتقياء. قال تعالى: .

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۝ لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٣ـ٣٥].

فالقوم لمَّا صدقوا، وأطاعوا ربهم، كان الجزاء ضخمًا، والعاقبة مباركة، والحساب يسيرًا، والفوز عظيمًا، فمسح الله عنهم الأوزار، و الأوضار بل غفر لهم أسوأ الأعمال، وحاسبهم على حسناتهم. حيث قبل القليل، وبارك فيه،

وضاعفه أضعافًا كثيرة فجزاهم بكرمه بأحسن أعمالهم، وأجودها، وأفضلها .

والكذب يكون شنيعًا على حسب نوعيته، وإن كان جنسه مذمومًا والكذب على الله تعالى آفة الآفات، وسبيل العثرات، والحسرات، وضياع الأعمار، والأوقات، والحرمان من الخيرات والجنات .

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ الله وَأُولَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥] .

قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى الله كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ المُجْرِمُونَ﴾ [يونس:١٧] .

وأما الذين يكذبون على ربهم، فهم ملعونون والكاذب عليه في نار تلظى ما لم يتب قال ﷻ حكاية عن أهل الكذب على الله: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٨].

قال الإمام مسلم بن الحجاج في مقدمته (بشرح النووي): واعلم ـ وفقك الله تعالى ـ أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها و ثقات الناقلين لها من المتهمين أن لا يروى منها إلا ما عرف صحة مخارجه، والثقة في ناقليه، وأن يتقي منها ما كان منها عن أهل التهم، والمعاندين من أهل البدع. والدليل على أن الذي قلنا من هذا هو اللازم دون ما خالفه قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات:٦].

وقال تعالى: ﴿ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [البقرة:٢٨٢].

وقال ﷻ: ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنْكُمْ ﴾ [الطلاق: ٢].

فدل بما ذكرنا من هذه الآي أن خبر الفاسق ساقط غير مقبول، وأن الشهادة في بعض الوجوه فقد يجتمعان في أعظم معانيهما إذا كان خبر الفاسق غير مقبول عند أهل العلم، كما أن شهادته مردودة عند جميعهم، و دلت السنة علي نفس رواية المنكر من الأخبار. كنحو دلالة القرآن علي نفس خبر الفاسق وهو الأثر المشهور عن رسول الله ﷺ «**من حدث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**». (١).

قال الإمام مسلم: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع عن شعبة، عن الحكم، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن سمرة بن جندب «الحديث». .

وقال الإمام مسلم: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة أيضًا حدثنا وكيع، عن شعبة وسفيان عن حبيب عن ميمون بن أبي شبيب عن المغيرة بن شعبة قالا: قال رسول الله ﷺ ذلك ..... .

[٦٣] وعن ربعي بن خراش أنه سمع عليًا ﷺ يخطب قال: قال رسول الله ﷺ«**لا تكذبوا عليَّ، فإنه من يكذب عليَّ يلج النار**». (٢) .

[٦٤] وعن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك، أنه قال: إنه ليمنعني أن أحدثكم كثيرًا أن رسول الله ﷺ قال «**مَنْ تَعَمَّد عليَّ كَذِبًا فليتبوأ** مقعده من النار». (٣).

قال النووي رحمه الله: قال العلماء: معناه «**فليتبوأ مقعده من النار**» أي:

---

(١) مسلم بشرح النووي :١/ ٦٢

(٢) مسلم بشرح النووي :١/ ٦٥، ٦٦

(٣) مسلم بشرح النووي :١/ ٦٦

فلينزل، وقيل: «**فليتخذ منزله من النار**». وقيل: هو خبر بلفظ الأمر أي: معناه قعد أو استوجب ذلك فليوطن نفسه عليه ...قال رحمه الله: وأما الكذب فهو عند المتكلمين من أصحابنا الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عمدًا.

قال النووي: واعلم أن هذا الحديث يشتمل على فوائد وجمل من القواعد

أحدهما تقرير هذه القاعدة لأهل السنة أن الكذب يتناول إخبار العامد، والساهي عن الشيء بخلاف ما هو. .

الثانية تعظيم تحريم الكذب عليه ﷺ، وأنه فاحشة عظيمة، وموبقة كبيرة، ولكن لا يكفي بهذا الكذب إلا أن يستحله هذا هو المشهور من مذاهب العلماء[١] اهـ

[٦٥] وعن المغيرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن كذبًا عليّ ليس ككذبٍ على أحدٍ فمن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**».[٢]. قال القاسمي في قواعد التحديث صـ٣٥ فإن من سعادة الأمة أن يكون لديها من العلماء طائفة مهتمة يختص عملها بتنوير عقولهم بالمعارف الحقة، وتحليتها بالعلوم الصافية بكمال الدقة، لا ينون في تبيين طرق السعادة، وموادها، ولا يألون جهدًا في السلوك بهم في جَوَادِّها ...فإن لم يكن في الناس معلم حكيم، قَصَرت العقول عن درك ما ينبغي لها دركه من التقويم، وانقطعت دون الكفاية مما يلزم لسد ضرورات الحياة الأولى، والاستعداد لما يكون في الأخرى... وإن من أعظم ما يسعى إليه الساعون ويتنافس في الدعوة إليه المتنافسون، علوم الحديث الكاشفة النقاب عن جمال وجوه مجملات الكتاب، والمدار لتفصيل الأحكام، وتبيين أقسام الحلال والحرام: إذ

---

(١) مسلم بشرح النووي :١/ ٦٩ بتصرف

(٢) مسلم بشرح النووي :١/ ٧٠

مستندها ما صح من الأخبار، وثبت حسنه من الآثار، ولا طريق لتعرف ذلك إلاَّ بما أصطلح عليه من أصول تلك المسائل ..[١].اهـ.

التوقي في رواية الحديث عن النبي ﷺ

[٦٦] عن عمرو بن ميمون قال: «ما أخطأني ابن مسعود عشية خميس إلاَّ أتيته فيه . قال: فما سمعته يقول بشيء قط. قال رسول الله ﷺ: فلما كان ذات عشية قال: قال رسول الله ﷺ: قال: فنكس . قال: فنظرت إليه فهو قائم مُحَلَّلَة أزرار قميصه، قد اغرورقت عيناه، وانتفخت أوداجه . قال أو دون ذلك، أو فوق ذلك أو قريبًا من ذلك أو شبيهًا بذلك ».[٢].

ـ وعن عبد الرحمن بن أبي يعلى، قال: قلنا لزيد بن أرقم: حدثنا عن رسول الله ﷺ قال كبرنا و نسِّينا ،والحديث عن رسول الله ﷺ شديد[٣].

[٦٧] وعن أبي قتادة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على هذا المنبر: **«إياكم وكثرة الحديث عني .فمن قال عليَّ فليقل حقًا، أو صدقًا، ومن تقول عليَّ ما لم أقل، فليتبوأ مقعده من النار»** [٤].

بيان شدة تحري الصحابة رضي الله عنهم في حديث النبي ﷺ

إن الصحابة أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، وقد وعدهم الله تعالى في كتابه، وأخبر سبحانه بالرضا عنهم، ويكفي أنه قال سبحانه وتعالى:

---

(١) قواعد التحديث :صـ٣٥ بتصرف

(٢) صحيح سنن ابن ماجة :١/ ١٠ح٢١

(٣) ابن ماجة :١/ ١٠ح٢٣ وقال الألباني صحيح

(٤) صحيح سنن ابن ماجة :١/ ١٢ح٣٣، وقال الألباني: حسن، ونظر الروض النضير / ٧٠٧

﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

كما قال ﷻ في شأن أصحاب الحديبية منهم: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

كما أخبر عن إيمانهم العميق حيث قال عنهم ربهم سبحانه: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وقال ﷻ ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِالكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٩] وقال سبحانه ﴿ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

مع هذا الثناء القرآني البين في توثيقهم، وتعديلهم، وعمق إيمانهم، وكبير صدقهم، وإحسانهم كانوا غاية في الدقة، والتحري في حديث النبي ﷺ لأنهم يعلمون، ويدركون خطورة القول عليه تعالى، وعلى نبيه ﷺ بغير علم، ولما كان النبي لا يصدر إلا عن ربه كان الكذب عليه ﷺ كذبًا على الله لصدوره عن ربه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى۞إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى ﴾ [النجم: ٣ـ ٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٥].

فعلم بذلك أن الكذب على الله تعالى آفة مدمرة تعدل الشرك به سبحانه إذ قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالبَغْيَ

بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فجعل سبحانه القول عليه بغير علم يساوي الشرك به، وعطفه عليه، والكذب على النبي ﷺ يعني ابتكارًا في التشريع أو الاعتقاد وتغير لملامح الأحكام، والشرائع، والآداب، وتلك جريمة كبرى على الأفراد والمجتمعات. لأنه سبب في عبادة الله تعالى فيما لم يأذن به، وبما لم ينزل به سلطانا، ومن ثَمَّ حَذر الأئمة من هذه المغبة، وتحرى الصحابة في الحديث عن النبيﷺ.

قال العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ:

كيف وقد وضع رجل واحد من الزنادقة نحو أربعة آلاف حديث !ووضع ثلاثة من المعروفين بالوضع أكثر من عشرة آلاف حديث ! فماذا يقول القاريء الكريم في الأحاديث الأخرى التي وضعها أناسٌ آخرون لغاياتٍ مختلفة، وأغراض متباينة منها السياسية، ومنها العصبية الجنسية، والمذهبية، ومنها التقرب إلى الله تعالى بزعمهم، ومنها أحاديث وضعت خطأ دون قصد من بعض المغفلين من الصوفية، وضعفاء الحفظ ....ممن لا عناية لهم بالحديث، وضبطه، وهى منتشرة بكثرة في كتب الفقه، والتفسير والوعظ، والترغيب، والترهيب، وغيرها، ولكن الله تبارك وتعالى سخر لهذه الأحاديث طائفة من الأئمة بينوا ضعفها، وكشفوا عوارها، وأوضحوا وضعها، ولذلك لما قيل للإمام **عبد الله بن المبارك** هذه الأحاديث المصنوعة ! أجاب بقوله يعيش لها الجهابذة .

وقال ابن الجوزي: لَمَّا لم يكن لأحد أن يدخل في القرآن ما ليس منه أخذ أقوامٌ يزيدون في حديث رسول الله ﷺ: ويضعون عليه ما لم يقل، فأنشأ الله علماء

يذبون عن النقل، ويوضحون الصحيح، ويفضحون القبيح، وما يخلي الله منهم عصرًا من العصور، غير إن هذا الضرب قد قلَّ في هذا الزمان وصار أعز من عنقاء مغرب وقد كانوا إذا عُدُّوا قليلًا فقد صاروا أعز من القليل ..اهـ[١] .

أما عن تحرى الكبار من أصحاب النبيﷺ ورهبتهم من كثرة التحديث تورعًا ، وذلك خوفا من الكذب عليه ﷺ فحدث ولا حرج ، ولا يعنى هذا الإمساك عن التحديث والتبليغ لمجرد الخوف مع حفظ الحديث ومعرفة مخرجه، والعلم بصحته أو حسنه. ذلك لأن الله تعالى نهى عن كتمان العلم وحذر منه أشد التحذير أيضًا فالقسط القسط، والفهم الفهم، والوعي الوعي.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٩].

ـ عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن حمران مولى عثمان قال: سمعت عثمان بن عفان وهو بفناء المسجد، فجاءه المؤذن عند العصر فدعا بوضوء فتوضئ ثم قال: والله لأحدثنكم حديثًا لولا آية في كتاب الله ما حدثتكم، إني سمعت رسول اللهﷺ يقول: «**لا يتوضأ رجل مسلم فيحسن الوضوء فيصلي صلاة إلا غفر الله له ما بينه، وبين الصلاة التي تليها** ». وفي رواية عند مسلم أيضًا مفسرة «...قال عروة الآية: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ**﴾ وفي الرواية الأخرى عند مسلم أيضًا: .

يقول ﷺ «**ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها، وخشوعها، وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة**

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة ،والموضوعة للألباني :١/ ٦ بتصرف

وذلك الدهر كله ».[١].

والحديث يفيد الخوف على القوم من الاتكال من وجه ثم التحري في الحديث، وعدم الإقدام إلا على الصحيح منها من جهة أخرى .

[٦٨] روى البخاري في صحيحه من حديث عطاء، عن عبيد بن عمير «أن أبا موسى الأشعري، استأذن على عمر بن الخطاب ﷺ فلم يؤذن له، وكأنه كان مشغولًا، فرجع أبو موسى ففرغ عمر، فقال: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس ائذنوا له، قيل قد رجع فدعاه فقال: كنا نؤمر بذلك، تأتيني على ذلك بالبينة، فانطلق إلى مجالس الأنصار فسألهم فقالوا لا يشهد لك على هذا إلا أصغرنا أبو سعيد الخدري، فذهب بأبي سعيد الخدري إلى عمر فقال عمر: أَخْفِيَ عليَّ هذا من أمر رسول الله ﷺ. ألهاني الصفق بالأسواق: يعني الخروج إلى التجارة ».[٢].

ولفظ أبي داود أنه «أتى عمر فأستأذن ثلاثًا فقال يستأذن أبو موسى، يستأذن الأشعري، يستأذن عبد الله بن قيس، فلم يؤذن له فرجع، فبعث إليه عمر ما ردّك ؟ قال: قال رسول الله ﷺ. يستأذن أحدكم ثلاثًا، فإن أذن له، وإلا فليرجع قال: ائتني ببينة على هذا فذهب ثم رجع فقال: هذا أُبَيٌّ، فقال أُبَيٌّ يا عمر: لا تكن عذابًا على أصحاب رسول الله ﷺ، فقال عمر: لا أكون عذابًا على أصحاب رسول الله ﷺ »[٣].

قال الحافظ في الفتح: وفي الحديث أن الصحابي الكبير القدر، الشديد

---

(١) مسلم :١/ ١١٠ـ١١١

(٢) مسلم بشرح النووي :١/ ١١٢، والبخاري في الفتح :٤/ ٣٤٩ ح/ ٢٠٦٢

(٣) أبي داود في ك/الأدب :٤/ ٢٢٠١ ـ٢٢٠٢ ح/ ٥١٨١، ب/كم مرة يسلم الرجل في الإستئذان .

اللزوم لرسول الله ﷺ قد يخفى عليه بعض أمره، ويسمعه ممن هو دونه، وادعى بعضهم أن عمر كان لا يقبل الخبر من شخص واحد، وليس كذلك، لأن في بعض طرقه أن عمر قال إني أحببتُ أن أتثبت..[١] اهـ .

قلت وقد كان تحري عمر رضي الله عنه يتعدى البحث عن البينة وفقط بل كان أحيانًا يتوعد، ويهدد حِرصًا على العلم، وعلى حديث النبي ﷺ، وهذا قد لا يقف على الحكمة منه من طُمِسَتْ بصيرته: كالرافضة الماجنين، ومن كان معبودهم هواهم .لكن الحزم في دين الله كثيرًا ما تكون ثماره يانعة خاصة إذ كان من ملهم مسدد موفق كالفاروق رضي الله عنه وإليك رواية الإمام مسلم في صحيحه بلفظها الدال على ذلك من حديث عمرو بن الحارث، عن بكير بن الأشج، أن بُسْرَ بن سعيد حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول: «**كنا في مجلس عند أُبي بن كعب، فأتى أبو موسى الأشعري مُغْضَبًا حتَّى وقف فقال: أنشدكم الله هل سمع أحدٌ منكم رسول الله ﷺ يقول:«الاستئذان ثلاثًا فإن أذن لك وإلا فارجع»؟ قال أُبي: وما ذاك ؟ قال استأذنت على عمر بن الخطاب أمس ثلاث مرات فلم يؤذن لي فرجعت ثم جئته اليوم، فدخلت عليه فأخبرته أني جئت أمس فسلمت ثلاثًا ثم انصرفت، قال قد سمعناك، ونحن حينئذ على شغل، فلو ما استأذنت حتى يؤذن لك قال: استأذنت كما سمعت رسول الله ﷺ قال: فوالله لأوجعن ظهرك، وبطنك، أو لتأتيني بمن يشهد لك على هذا، فقال أُبي بن كعب: فوالله لا يقوم معك إلا أحدثنا سنًا، قُمْ يا أبا سعيد، فقمت حتى أتيت عمر فقلت: قد سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا**».[٢].

وفي المسند أول مسند الكوفيين بلفظ: **لتأتيني على هذا ببينة أو لأفعلن.**

---

(١) أبو داود في ك الأدب ح ٤٥١٠

(٢) مسند أحمد :٣/ ٦، والبخاري :٨/ ٦٧ ومسلم :٦/ ١٧٧

قال: كأنه يقول: أجعلك نكالًا في الآفاق ...الحديث[١] .

فانظر أخي يرحمك الله إلى أصحاب النبي ﷺ وتحريهم ذلك جدًا فسيكون لك دافعًا على الاهتمام بالحديث من حيث العلم بمخرجه، وصحته، وحسنه، أو ضَعْفِه، وفهم معانيه، وغريب ألفاظه، والمناسبة التي سيقت لأجله قدرًا أو سيق من أجلها الحديث شرعًا لتحظى بدعوة رسول الله ﷺ لمن جعل قلبه وعاءً لسنته وبلغها كما سمعها.

تحري أبي موسى الأشعري في الطهارة:

حديث حميد بن هلال قال: ولا أعلمه إلا عن أبي بردة، عن أبي موسى الأشعري قال: اختلف في ذلك رهط من المهاجرين، والأنصار، فقال الأنصاريون: لا يجب الغسل إلا من الدفق أو من الماء، وقال المهاجرون: بل إذا خالط فقد وجب الغسل. قال أبو موسى: فأنا أشفيكم من ذلك، فقمتُ فاستأذنتُ على عائشة، فأذنت لي، فقلتُ لها يا أماه، أو يا أم المؤمنين، إني أريد أن أسألك عن شيء وإني أستحييك، فقالت: لا تستحيي أن تسألني عما كنت سائلًا عنه أمك التي ولدتك، فإنما أنا أمك قلت فما يوجب الغسل؟قالت: على الخبير سقطت .

[٦٩] قال رسول الله ﷺ: **«إذا جلس بين شُعَبِهَا الأربع، ومس الختانُ الختانَ فقد وجب الغسل»**[٢] .

هذا أمر فقهي متعلق بعبادة عظيمة من أعظم العبادات، وهي الطهارة من الحدث الأكبر، وقد جعلها الشارع من الخطورة، والأهمية بمكان حيث

---

(١) مسند الكوفيين ح١٨٧٨٦

(٢) مسلم :١/ ١٨٧ ك/ الحيض ،باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين .

جعل الطهور شطر الإيمان كما في صحيح مسلم، وجعل الطهارة سببًا مباشرًا في حب الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ولعل سؤالًا يطرح .كيف اختلف الكبار في مثل هذا ؟وما سبب ذلك الاختلاف؟! أقول: إن الاختلاف هنا سائغ، وهو من باب خلاف التنوع المبني على النظر الثاقب في الأدلة الثابتة الصحيحة، وسبب الخلاف أن الأمر وقع فيه النسخ، وكما ينسخ القرآنُ القرآنَ، تنسخ السنةُ السنةَ فالحديث الذي تلي على مسامع القوم أولًا كان حكمًا آخر، وهو ما ثبت في صحيح مسلم أيضًا من

[٧٠] حديث أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ: «**إنما الماء من الماء**»(١).

والمعنى: إنما الغسل يكون من الإنزال للمني باحتلام، أو بالتقاء الختانين.

[٧١] وفي حديث أبي بن كعب قال سألت رسول الله ﷺ عن الرجل يصيب من المرأة ثم يُكْسِل، فقال: «**يغسل ما أصابه من المرأة ثم يتوضأ ويصلي**»(٢).

فهذا سبب الخلاف فالبعض سمع الرواية الأولى قبل النسخ، ولم يعلم بآخر الأمرين، والبعض سمع آخر الأمرين فحدث هذا الخلاف الفقهي العلمي الهادف. فأراد أبو موسى التحري عن الحق والبحث عن الحديث فذهب إلى أمنا عائشة رضي الله عنها فأخبرته الخبر أن الرجل إذا التقى بأهله ومس الختانُ الختانَ، وإن لم ينزل فقد وجب الغسل، فانظر إلى

---

(١) مسلم ك/ الحيض، ب/ الماء من الماء .

(٢) مسلم :١/ ١٨٥ ك/ الحيض، بـ/ إنما الماء من الماء

الاحتياط للحديث والتحري فيه أيها الحبيب واستفد من هذه الروايات المباركة .

[٧٢] وعن ابن عباس قال: إنا كنا نحفظ الحديث، والحديث يحفظ عن رسول الله ﷺ «**فأما إذا ركبتم الصعب، والذلول، فهيهات**» [(١)].

ومعنى الأثر أي: كنا نحفظ الحديث، ونأخذه اعتمادًا على صدق من سمع، والحديث يحفظ أي: حقيق أن يهتم به، وقوله وركبتم الصعب، و الذلول أي: كناية عن التفريط، والإفراط في النقل أي التساهل .وقوله: فهيهات أي: بَعُدَ أخذهم والحفظ اعتمادًا عليهم .هكذا كانوا ﷺ وجمعنا بهم في جنة النعيم...آمين.

[٧٣] وعن أبي قتادة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على هذا المنبر: «**إياكم وكثرة الحديث عني.فمن قال عليَّ فليقل حقًا أو صدقًا، ومن تَقَوَّل عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار**». [سبق تخريجه].

إن الشرع يعمل في مسألة كهذه التي هي من الخطورة بمكان على سد الذرائع، لأن الشرع ينبغي أن يحمي جنابه من قالة السوء ومن لا يعرفون قيمة العبادة، وتقعيدها، وإذن فمن أراد التصدر للكلام الشرعي والحديث النبوي فلابد من التوقي، والتحري، فلا يقول إلا حقًا أو صدقًا .

[٧٤] وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال «إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ حديثًا فظنوا به الذي هو أهناه، وأهداه، وأتقاه»[(٢)] .

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة ١/ ١٠، وقال الألباني صحيح، وقال الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي

(٢) صحيح ابن ماجة ١/ ٩ وصححه الألباني

ومن عظيم التحري في الحديث لابن عمر أنه سمع أبا هريرة يحدث حديثًا في فضل الجنائز، ولم يكن ابن عمر سمعه قبل، فاستوقفه وسأله عن الحديث .بل أرسل خبابًا ليسأل أمنا عائشة ـ رضي الله عنها ـ وليس هذا اتهامًا للحبر الكبير واعي السنة أبا هريرة ﷺ معاذ الله ـ ولكنه يعلمنا الاهتمام بما نسمع، وما نقول، ولا يعني هذا إطلاقًا الاتهام لمن أسمع منه وأتحرى قوله.

[٧٥] عن ابن عمر ﷺ أنه مر بأبي هريرة وهو يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: «**من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط، فإن شهد دفنها فله قيراطان، القيراط أعظم من أحد**».

فقال: له ابن عمر ﷺ: أبا هِر انظر ما تحدث عن رسول الله ﷺ .

فقام إليه أبو هريرة حتى انطلق به إلى عائشة أم المؤمنين فقال لها: يا أم المؤمنين: أنشدك بالله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط، فإن شهد دفنها فله قيراطان**»؟

فقالت: اللهم نعم .

فقال أبو هريرة: إنه لم يكن يشغلني عن رسول الله ﷺ غرس الودي ولا صفق بالأسواق، إني إنما كنت أطلب من رسول الله ﷺ كلمة يعلمنيها، وأكلة يُطعمنيها.

فقال له ابن عمر: أنت يا أبا هريرة كنت ألزمنا لرسول الله ﷺ وأعلمنا بحديثه[1].

---

(١) أحمد ٢/ ٢، ٢/ ٣٨٧، وانظر صحيح الترمذي ١/ ١٠٥١:٣٠٤، وصحيح ابن ماجة ١٥٣٩، وأصله في الصحيحين، وقال الأرنؤوط في تعليقه على المسند صحيح شرط الشيخين .

الحديث الموضوع وخطورة روايته

والحديث الموضوع: هو المختلف المكذوب على رسول الله ﷺ بأن يروي عنه ما لم يقل متعمدًا ذلك.

معرفة الوضع، والحامل عليه:

قال القاسمي في قواعد التحديث [صـ١٥٠, ١٥١]: ذكر المحدثون أمورًا كلية يُعْرف بها كون الحديث موضوعًا، ومنها: اشتماله على مجازفات في الوعد، والوعيد، ومنها سماجة الحديث وكونه مما يسخر منه مثل ما يروى في وفاة النبي ﷺ، ومنها مناقضته لما جاءت به السنة الصريحة ومنها أن يكون باطلًا في نفسه، فيدل بطلانه على وضعه، ومنها أن لا يُشبه كلام الأنبياء، بل لا يشبه كلام الصحابة، ومنها أن يشتمل على تواريخ الأيام المستقبلة، ومنها: أن يكون بكلام الأطباء أشبه، ومنها أن تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه، ومنها: مخالفته لصريح القرآن ...

قال الحافظ في نخبة الفكر: الحكم بالوضع إنما هو بطريق الظن الغالب، لا بالقطع، إذ قد يصدق الكذوب، ولكن لأهل العلم بالحديث ملكة قوية يميزون بها ذلك، وإنما يقوم بذلك منهم من يكون اطلاعه تامًا، وذهنه ثاقبًا، وفهمه قويًا، ومعرفته بالقرائن الدالة على ذلك متمكنة، وقد يعرف الوضع بإقرار واضعه، ثم قال: ومن القرائن التي يدرك بها الوضع، ما يؤخذ من حال الراوي، كما وقع للمأمون بن أحمد، أنه ذكر بحضرته الخلاف في كون الحسن سمع من أبي هريرة أَوْ لا فساق في الحال إسناده إلى النبي ﷺ أنه قال: سمع الحسن من أبي هريرة كما وقع لغياث بن إبراهيم حيث دخل على

المهدي فوجده يلعب بالحَمَامْ، فساق في الحال إسنادًا إلى النبي ﷺ أنه قال: «**لا سبق إلا في نَصْلٍ، أو خُفٍّ أو حافر أو جناح**». فزاد في الحديث (**أو جناح**) فعرف المهدي أنه كذب لأجله فأمر بذبح الحمام ...اهـ.

وقد ظن الظانون أنه يجوز وضع الأحاديث في فضائل الأعمال، وفي التشديد في المعاصي، وزعموا أن القصد منه صحيح !!، وهذا خطأ محض، إذ قال ﷺ: «**من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**».

وقال القاسمي: ولنرجع إلى الوُضّاع، فمنهم زنادقة قصدوا إفساد الشريعة، والتلاعب بالدين ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ**﴾ [التوبة: ٣٢].

فعملوا على تلبيس الحق بالباطل، وخلط السم بالترياق، وهيأت لهم فرص في الأزمان الغابرة مجالًا فسيحًا لهذا البهتان، حتى شحنوا الأذهان، وسودوا الدفاتر، وأفعموا الكتب بمفتريات ﴿**مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ**﴾ [يوسف:٤٠] وقد سرى هذا الداء في كتب التفسير، والسير، والتاريخ، وتلقتها العامة على سلامة الصدر، إما لشهرة المعزو إليه، أو لاستبعاد كذبه على رسول الله ﷺ فخبطوا وحادوا عن الجادة ﴿**وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾ [الكهف: من الآية ١٠٤] ثم قال: ولست أعجب من العامة، وصنعهم هذا، ولكن العجب العجاب من أهل العلم الذين يرون هذا المنكر رأى العين صباحًا ومساءً، ويتأولون له، كأن أعمال هؤلاء السوقة وحيٌ سماوي متشابه، يجب تأويله في رأي العلماء المتأخرين، اللهم ألهمنا السداد، ووفقنا إلى الرشاد..[1]اهـ.

---

(١) قواعد التحديث للقاسمي صـ١٥٤

وقال القاسمي رحمه الله: والداهية الدهياء أن الناس الآن أخذت تروي الأحاديث من غير إجازة، ولا تلقين، وحول العلماء وجهتهم إلى فروع الفقه، وآلات التفسير، والتوحيد، وانصرفوا عن الحديث إلا ما كان منه قراءة على سبيل التبرك ! فراجت سوق الأراجيف بهذه المعزوة على الدين، واختلط الباطل بالحق، فمهدوا بذلك للطاغين سبلًا كانت عذراء، وخططًا كانت وعثاء ...فإذا جلست في مرتاض، أو نادٍ، أو سوق، أو حانوت، أو محفل عرس أو مأتم سمعت من خلطهم وخبطهم في الدين، ما تخرج لأجله النفوس من العيون، وتمشي له القلوب في الصدور...وقد يكون الحديث مشهورًا بين كل الطبقات، وهو موضوع !فيظن أنه صحيح لشهرته خصوصًا على ألسنة بعض المشايخ فيفتى بأنه صحيح، وهناك الطامة الكبرى ...[1]اهـ..

وقال رحمه الله: وقد بلغ حَدّ التهافت على بيان أسرار الشريعة الغراء، عند بعض خطباء الجمع على المنابر أن جعلوا للفظة (رجب) حروفًا مقطعة، بمدلولات أخرى، فالراء لمعنى، والجيم لمعنى، والباء لغيرهما مع أن هذه الحروف ذاتها موجودة في كل كلمة ثلاثية تركبت منها (لجرب وبرج ورجب) بل لا ينكر عاقل أن الدخيل في الأحاديث، قد كان منه ما أضر بالإسلام، وجوهر الدين الحنيف ضررًا بالغًا ...[2] اهـ.

ـ وقال محمد بن المرتضى اليماني في كتابه إيثار الحق: ومن أنواع الزيادة في الدين، الكذب فيه عمدًا، وهذا الفن يضره من لم يكن من أئمة الحديث والسير، والتواريخ، ولا يتوقف عمن تعداهم فيه، بحيث لا يفرق بين ما

(١) قواعد التحديث للقاسمي صـ ٥٤، ٥٥

(٢) قواعد التحديث صـ١٦٠ بتصرف كبير .

يتواتر عند أهل التحقيق، وبين ما يزوره غيرهم، وليس له دواء ولا إتقان في هذا الفن، والرسوخ فيه، وعدم المعارضة لأهله بمجرد الدعاوى الفارغة ؛ وهو علم صعب يحتاج إلى طول المدة، ومعرفة علوم الحديث وعدم العجلة بالدعوى ...[١] اهـ.

ليس كل حديث صحيح يعرض على العامة:

إن هناك أحاديث صحيحة، ومع نصاعتها، وصحتها قد لا يقف على أهدافها، وأسرارها كل أحد، ولذا فينبغي أن يلمح الداعي أو المتحدث الظروف، والملابسات المحيطة به، وأحوال الذين يحدثهم، وما هو الأجدى لهم في العرض، والترغيب، والترهيب، ولا ريب أن هذا باب عظيم من أبواب الفقه في الدين، وقد كان النبي ﷺ يعطي بعض الناس، وغيرهم أحب إليه منهم، مخافة أن يكبوا على وجوههم في النار ليعلمنا الفقه في الدين ﷺ .

ـ وقد روى البخاري من حديث القاسم بن محمد، عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: تلا رسول الله ﷺ: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلا الله وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إلا أُولُو الألْبَابِ**﴾ [آل عمران: ٧]

قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**».[٢]

---

(١) إيثار الحق ١٢٨

(٢) أحمد :٦/ ١٢٤، البخاري قريبًا في الألفاظ :٦/ ٤٢، ك/ العلم ح/ ٤٨١٧، بـ/ النهي عن اتباع متشابه القرآن، وانظر ك/ التفسير فتح :٨/ ٥٧، ح / ٤٥٤٧ .

[٧٦] ومن حديث عبد الله بن عمرو قال هَجرت إلى رسول الله ﷺ يومًا قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية. فخرج علينا رسول الله يُعرف في وجهه الغضب فقال: «**إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب**»(١).

[٧٧] وعن جندب بن عبد الله البجليِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه**»(٢).

ـ وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن عبد الله بن مسعود قال:ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة (٣).

[٧٨] وعن أبي هريرة ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتوكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم، ولا آباؤكم فإياكم، وإياهم لا يضلونكم، ولا يفتنونكم**».(٤).

هذا وقد كان بعض أصحاب النبي ﷺ يعلمون أحاديث عنه ﷺ لكنهم كانوا يتوقون الحديث من باب سد الذرائع .

هذا وقد سمع معاذ بن جبل النبي ﷺ، و خشي إن حدث به أن يحدث شيئًا من الأماني أو الاتكال فأمسك طيلة حياته، ثم حدث به عند الموت خشية التأثم بل قد ثبت في بعض الروايات أن النبي ﷺ هو الذي نهى معاذًا عن ذلك خشية الاتكال.

[٧٩]عن معاذﷺ قال: كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له عُفَيْر، فقال:«**يا معاذ هل تدري حق الله على عباده ؟ وما حق العباد على الله ؟ قلت الله، ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا،**

---

(١) أحمد :٢/ ١٩٢ قريبًا منه في الألفاظ، صحيح الجامع ح/ ٢٣٧٤ ومختصر مسلم للألباني: ٢١٢١

(٢) البخاري :٩/ ١٣٦، ١٣٧ بـ/ كراهية الخلاف .

(٣) مسلم في المقدمة

(٤) مسلم في المقدمة بـالنهي عن الرواية عن الضعفاء :١/ ٧٨

وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا، فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس ؟! قال: لا تبشرهم فيتكلوا ».[١].

قال الشيخ رفيق العظم تحت عنوان (ما كل حديث تحدث به العامة، وندم أبي عبيدة على نقله الحديث لعامة الناس)، قال رحمه الله: كل مسلم اكتنهَ كُنْهَ[٢] الدين الإسلامي، ووقف على حكمه، وأسراره يرى من آياته العظمى في الترغيب، والترهيب، ما لو أحسن استعماله ووضع في موضعه، لكفى لإزعاج النفوس الشريرة عن مواطن الرذيلة مهما التصقت بها، وأمعنت فيها، ولجعل النفوس البارة نورًا على نور، وألبسها من الفضيلة لباسًا لا يصيبه بِلىً، وقد جاء الكتاب الكريم بالترغيب، والترهيب، ليكون باعثًا للنفوس على العمل الصالح رجاء الثواب الأخروي، الذي أعَدَّهُ الله لعباده الصالحين، لا ليكون لاستدراج النفوس في مدارج الاستباحة، طمعًا في عفو الله، لهذا جاء بإزاء الترغيب، والترهيب، لتُرسم على صفحات النفوس صورة العقاب كما ارتسمت صورة الثواب، فيكون لها منها داع إلى الخير، يذكرها بالثواب، ويُمكن منها الرغبة لا إلى حدَّ الطمع، والغرور، ثم الاستدراج في الشرور وزاجر عن الشر يذكرها بالعقاب، ويمكن منها الرهبة منه لا إلى حدِّ الانقطاع إلى تقويم أوْدِ[٣] النفس، وتعطيل وظائف الحياة، ولا إلى حَدِّ اليأس، والقنوط، ثم الاسترسال في الشهوات واقتراف المنكرات. على ذلك الأساس بُنِيَ الترغيب، والترهيب في الإسلام ولكن ما

---

(١) البخاري:٦/ ٦٩، ح/ ٢٨٥٦ ك/ الجهاد والسير بـ/ اسم الفرس والحمار ؛ ومسلم ك/ الإيمان .

(٢) قال مختار الصحاح :كُنه الشيء : نهايته، يقال: أعرفه كُنه المعرفة وقولهم لا يكتنهه الوصف بمعنى لا يبلغ كُنهه، وفي المعجم الوجيز صـ٥٤٣ كَنَهَ الأمر كَنهًا : أدرك حقيقته، والكنهه جوهر الشيء وحقيقته

(٣) قال في الصحاح صـ٣٢ (أوْد) الشيء : أعوجاجه

الحيلة.....؟ وقد أكثر البعض من حمل الحديث وروايته دون التفهم له، والعلم بمقاصده، ووضع كل شيء منه في محله، والتفريق بين صحيحه، وموضوعه، حتى أغروا العامة بعقيدة الإباحة لكثرة ما يروون لهم من أحاديث الترغيب، ولو موضوعة، كفضائل الصيام، والصلاة، وفضائل الشهور، والأيام، وفضائل التلاوات ....اهـ[1].

قرائن يعرف بها الحديث الموضوع

ومن أمثلة ذلك ما رواه الحاكم بسنده، إلى أبي عمار المروزي أنه قيل لأبي عصمة نوح بن أبي مريم: من أين لك؟عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورةٌ سورة ، وليس عند أصحاب عكرمة هذا ؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة، ومغازي ابن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة، وكان يقال: لأبي حسبة هذا (نوح الجامع) قال ابن حبان جمع كل شيء إلا الصدق .

وروي عن ابن حبان في الضعفاء عن ابن مهدي قال: قلت لميسرة بن عبد ربِّه: من أين جئت بهذه الأحاديث، من قرأ كذا فله كذا ؟ قال: وضعتها أرغب الناس فيها ؛ ومنها «القرائن»

أولًا: الإقرار بالوضع، وما ينزل منزلة الإقرار:

ومعنى الإقرار قال العراقي: كأن يحدث بحديث عن شيخ، ويُسأل عن مولده، فيذكر تاريخًا، يُعلم وفاة ذلك الشيخ قبله، ولا يُعرف ذلك الحديث إلا عنده، فهذا لم يعترف بوضعه، ولكن اعترافه بوقت مولده، يتنزل منزلة

(١) قواعد التحديث صـ١٧٦

إقراره بالوضع، لأن ذلك الحديث لا يعرفه إلا عن ذلك الشيخ، ولا يُعرف إلا برواية هذا عنه.

ثانيًا: ركاكة اللفظ والمعنى:

وذلك لأن النبي ﷺ أوتِيَ جوامع الكلم إذ يعبِّر عن المسائل الكبيرة جدًّا بكلمات معدودة، يظهر فيها بريق النبوة ونورها وبهاء الوحي . قال الربيع بن خيثم: إن للحديث ضوءًا كضوء النهار تُعرفه، وظلمة كظلمة الليل تنكره.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: المدار في الركة على رِكَّةِ المعنى فحيثما وجدت دلَّ على الوضع، وإن لم ينضم إليه ركة اللفظ، لأن هذا الدين كله محاسن، والركة ترجع إلي الرداءة، قال أما ركاكة اللفظ فقط، فلا تدل على ذلك، لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى، فغير ألفاظه .....قال ومما يدخل في قرينة حال المروى ..أن يكون مخالفًا للعقل، بحيث لا يقبل التأويل، ويلتحق به ما يدفعه الحس والمشاهدة، أو يكون منافيًا لدلالة الكتاب القطعية، أو السنة المتواترة، أو الإجماع القطعي ...اهـ[1].

ثالثًا: الإفراط بالوعد والوعيد:

الإفراط بالوعيد الشديد على الأمر الصغير، أو الوعد العظيم على الفعل الصغير، وهذا كثير في حديث القُصَّاص، والأخير راجع إلى الركة.

وليس هذا الأمر السابق على عمومه إذ إن الأجر الكبير قد يتوقف على عمل أو قول قليل، أو صغير، وهذا كثير في السنة الصحيحة بل له أصل في الكتاب العزيز كقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾ النور: ١٥.

---

(١) تدريب الراوي :٢٣٥، ٢٣٦

[٨٠] وعن أبي صالح، عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يُلقي لها بالًا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالًا يهوي بها في جهنم**»(١).

رابعًا: كون الراوي رافضيًّا:

ومن القرائن الدالة على الوضع كون الراوي رافضيًا، كالأحاديث الموضوعة في فضائل أهل البيت، وبدهِي أن أهل البيت لهم من الفضل ما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم، وحث عليه نبيه ﷺ في السنة الصحيحة لكن على النحو الشرعي الصحيح الذي بينه ﷺ بلا غلو، ولا إفراط، ولا تفريط، ولا تغيير للكلم عن مواضعه.

قال السيوطي: وقد أشار إلى غالب ما تقدم للزركشي في «مختصره» فقال: ويعرف بإقرار واضعه، أو من حال الراوي كقوله: سمعت فلانًا يقول وعلمنا وفاة المروي عنه قبل وجوده، أو من حال المروي، لركاكة ألفاظه حيث يمنع الرواية بالمعنى، ومخالفته القاطع، ولم يقبل التأويل، أو لتضمنه لما تتوفر الدواعي على نقله، أو لكونه أصلًا في الدين ولم يتواتر، كالنص الذي تزعم الرافضة أنه دل على إمامة علي، وهل تثبت بالبينة على أنه وضعه قال: وفي جمع الجوامع لابن السبكي أخذًا من «المحصول». وغيره: كل خبر أُوْهِمَ باطلًا ولم يقبل التأويل فمكذوب، أو نقص منه ما يزيل الوهم.

وقال ابن الجوزي: ما أحسن قول القائل: إذا رأيت الحديث يباين المعقول، أو يخالف المنقول، أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع

---

(١) [أحمد ٢/ ٣٣٤،البخاري ٨/ ١٢٥، ك/ الرقاق].

قال: ومعنى مناقضته للأصول: أن يكون خارجًا عن دواوين الإسلام من المسانيد، والكتب المشهورة.

ومن أمثلة ما دل على وضعه قرينة في الراوي: ما أسنده الحاكم، عن سيف بن عمر التميمي، قال: كنت عند سعد بن طريف، فجاء ابنه من الكُتَّاب يبكي، فقال: مَاَ لَكْ ؟ قال ضربني المعلم، قال لأخزينهم اليوم، حدثني عكرمة عن ابن عباس، مرفوعًا: «معلمو صبيانكم شِراركم، أقلهم رحمة لليتيم، وأغلظهم على المساكين».

وقيل لمأمون بن أحمد الهروي: ألا ترى إلى الشافعي، ومن تبعه بخراسان؟ فقال: حدثنا أحمد بن عبد الله، حدثنا عبدالله بن معدان الأزدي، عن أنس مرفوعًا:«يكونُ في أمَّتِي رَجلٌ يُقالُ له محمد بن إدريس، أَضرُّ عَلَى أمَّتي من إبليس، ويَكونُ في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتي...»[1].اهـ

فانظر إلى الهوى الذي سيطر على هؤلاء وبدون هدى، ولا دراية، فكذبوا على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ ظلمًا وزورًا، وافتراءً حتى تحدثوا عن الأئمة الكبار على هذا النحو المزري، والذي ينم عن جهل مركب، وحمية جاهلية بغيضة، هذا ولقد كان الأئمة ﷺ غاية في الأدب، والشفافية، وتقدير بعضهم البعض، وما كانوا يدعون الناس إلى الانقياد بأقوالهم دون غيرهم ـ وحاشاهم ـ وهكذا ينبت الكذب على النبي ﷺ سمومًا، وأحقادًا سوداء كدَّرت صفو العيش، فليحذر المسلمون هذا الهراء، وذلك الإجرام في دين الله تعالى، رزقنا الله وإياكم السداد والتوفيق، هو حسبنا ونعم الوكيل.

❁❁❁

(١) تدريب الراوي :١/ ٢٣٧، ٢٣٨

المبحث السابع

اتباع النبي ﷺ

إن الله تعالى رحمن رحيم، وسعت رحمته كل شيء، وكل حي، ولا يريد للناس عنتًا ولا تعبًا ولا مشقةً، بل رحمهم إذ خلقهم في أحسن صورة ورحمهم إذ شق أسماعهم وأبصارهم ورزقهم، وآتاهم من كل النعم المتكاثرة فوق ما يتصورون . قال الله تعالى: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ الله لا تُحْصُوهَا﴾ إبراهيم: ٣٤ وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ الأنبياء:١٠ وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ الزخرف:٤٤.

فبيَّن الله لهم من خلال هذا الكتاب الذي رفعت به قيمتهم ونسْبَتُهم كيف يفرون من النار حتى لا يكون عليهم سلطان منها .

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ۞وَأَطِيعُوا الله وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ۞وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ۞الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَالله يُحِبُّ المُحْسِنِينَ۞وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا الله وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ۞أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ﴾ آل عمران: ١٣١ـ١٣٦.

وروي عن أبي حنيفة أنه قال هي أخوف آية في القرآن، حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ﴿ وَأَطِيعُوا الله وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ إن طاعة الله ورسوله ـ ﷺ ـ فيها السداد والرشاد والهدى في الدنيا إلى الصراط السوي، والهدي في الآخرة إلى جنات النعيم حيث قال تعالى عن الطائعين ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ﴾ الصافات:١١٨.

وليس هذا للأنبياء وحدهم بل من اتبعهم حظي بالهدى والخير قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۞ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ﴾ يونس:٩-١٠ وفي الآخرة يهديهم إلى الجنة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا البَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ الله لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۞ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ الله لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۞ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۞ وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ محمد:٢-٦.

* واتباع النبي - ﷺ - هدى وعصمة ومخالفته ضلال ونقمة قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا البَلاغُ المُبِينُ﴾ النور: ٥٤.

وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور: ٦٣.

اتباع النبي - ﷺ - أحد ركائز دين الإسلام وأساسياته وقد استفاضت النصوص الشرعية الصحيحة في بيان ذلك والتأكيد عليه ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ الحشر: ٧ وقال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ الله وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ النساء: ٨٠

إلا أن ذلك لم يمنع انحراف طوائف من المسلمين عن سلوك الجادة فيه

ولزوم الطريق السوي، حيث اضطربت فيه أفهام وزلت فيه أقدام، مما جعل الحاجة لإيضاحه تَعْظُمُ، والبيان يتوجب ولذا كان لنا وقفات .

١ـ **الاتباع في اللغة:** مصدر يقال: اتبع القرآن أي جعله له إمامًا بمعنى أنه آمن به وعمل بما فيه، واتبع الرسول ﷺ أي تأسى به واقتفى أثره .

٢ـ **الاتباع في الشرع:** هو الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ في الاعتقادات والأقوال والأفعال والتروك، ويعمل كما أمره النبي ﷺ من إيجاب أو ندب أو إباحة أو كراهة أو حظر أو نحو ذلك مع توفر النية الصالحة في جميع ذلك.

قال الشيخ الفوزان في كتاب حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال صـ٩٤: و يكون الإتباع للنبي ﷺ في الاعتقادات: بأن يعتقد العبد ما اعتقده النبي ﷺ على الوجه الذي اعتقده من ناحية الوجوب أو البدعة، أو لكونه من أسس الدين، أو ناقضًا لأصله، أو قادحا في كماله ...إلخ من أجل أنه اعتقده النبي ﷺ .

ويكون الاتباع للنبي ـ ﷺ ـ في الأقوال: بامتثال مدلولها، وما جاءت به من معاني، لا أن تتكرر ألفاظها وتردد نصوصها.

[٨١] فحسب فمثلًا الاتباع لقوله ﷺ (**صلوا كما رأيتموني أصلي**) [١] .

[٨٢] يكون بالصلاة كصلاته والاتباع لقوله ﷺ (**لا تحاسدوا ولا تناجشوا**) [٢]بترك الحسد والنجش والاتباع.

[٨٣] لقوله ﷺ: «**من سُئل عن علم علمه ثم كتمه أُلجم يوم القيامة**

(١) البخاري مع الفتح :٢/ ١٣٢، ١٣١ ح/ ٦٣١

(٢) الحديث رواه مسلم

بلجام من نار ».[١] بنشر الإنسان لعلمه الصحيح النافع وعدم كتمانه له .

كما يكون الاتباع في الأفعال للنبي ﷺ بأن تفعل مثل فعله على الوجه الذي فعله من أجل أنه فعله، فقولنا(**مثل فعله**) لأنه لا تأسي مع اختلاف صورة الفعل وكيفيته، وقولنا (**على الوجه الذي فعله**) معناه المشاركة في غرض ذلك الفعل ونيته ـ إخلاصًا وتحديدًا للفعل من حيث كونه واجبًا أو مندوبًا ـ لأنه لا تأسي مع اختلاف الغرض والنية وإن اتحدت صورة الفعل.

وقولنا (**من أجل أنه فعله**) لأنه لو اتحدت الصورة والقصد ولم يكن المراد التأسي والإقتداء فإنه لا يكون اتباعًا ولتوضيح الاتباع في الفعل لو أردنا أن نقتدي بالنبي ﷺ في صومه فلا بد أن نصوم على الصورة التي صامها ﷺ بحيث نمسك عن جميع المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بقصد التقرب إلى الله تعالى، فلو أمسك أَحَدُنا عن بعض المفطرات فقط لم يكن متبِعًا، كما لو أمسك في جزء من الوقت فقط لم يكن مُتبِعًا كما لابد أن نصوم على الوجه الذي صامه ﷺ ولذا لا يعد الشخص متأسيًا بشخص آخر غير النبي ﷺ يشاركه في الصورة والقصد إذا كان كل منهما يعمل ذلك امتثالًا لأمر الله تعالى واتباعًا لرسوله ﷺ...[٢]اهـ.

وعلى هذا فإن الله تعالى بيَّن أن النجاة من النار متوقفة على السمع والطاعة فيما أحب الإنسان وكره في المنشط والمكره والعسر واليسر وعلى اتباع خطى الحبيب ﷺ على نحو ما أمر الله وبيّن رسول الله ﷺ بلا زيادة ولا نقصان ولا انحراف ولا زيغ مع حسن اتجاه في قصد الوجهةُ الشرعية، ولذلك قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝ وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ**

---

(١) انظر صحيح الترمذي :٢/ ٣٣٦، ح/ ٢١٣٥

(٢) حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال ط/ دار الفوزان صـ٩٤، ٩٥

تُرْحَمُونَ ۞ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٢-١٣٣] أي: إلى ما يؤدي إليها من التوبة والاستغفار وكل ميادين الأعمال الصالحة كما قال تعالى:﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِالله وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَالله ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ الحديد:٢١

(أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) قال الآلوسي في التفسير٣/ ٣٥٢، وما بعدها: أي هُيِّئت للمطيعين لله تعالى ورسوله ـ ﷺ ـ وإنما أضيفت إليهم للإيذان بأنهم المقصودون بالذات، وإنّ دخول غيرهم كعصاه المؤمنين والأطفال والمجانين بطريق التبع...

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَالله يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾ آل عمران: ١٣٤.

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء﴾ يتناول كل ما يصلح للإنفاق المحمود ﴿فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء﴾ أي في اليسر والعسر. قاله ابن عباس وقيل في حال السرور والاغتمام، وقيل فيما يسر كالنفقة على الولد والقريب وقيل: في ضيافة الغني والإهداء إليه ...والمراد هنا: أنهم لا يخلون في حال ما من إنفاق ما قدروا عليه من كثير أو قليل ... اهـ بتصرف كبير

قوله ﴿وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ﴾ أي الممسكين عن الغضب والبطش بمن أساء إليهم .

قال الآلوسي: أصل الكظم شَدُّ رأس القربة عند امتلائها ويقال: فلان كظيم أي ممتلئ حُزنًا (والغيظ) هيجان الطبع عند رؤية ما ينكر، والفرق بينه وبين الغضب على ما قيل: أن الغضب يتبعه إرادة الانتقام البتة، ولا كذلك الغيظ، وقيل الغضب ما يظهر على الجوارح، والبشرة من غير اختيار، والغيظ ليس كذلك، وقيل هما متلازمان ... انتهى .

وقال البغوي عن تفسير هذه الآيات ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي بادروا وسابقوا إلى الأعمال التي توجب المغفرة، قال ابن عباس ـ ﷺ ـ إلى الإسلام، وروى عنه: إلى التوبة، وبه قال عكرمة، وقال عليُ بن أبى طالب ـ ﷺ ـ إلى أداء الفرائض، وقال أبو العالية: إلى الهجرة.

(عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ) أي سعتها .وإنما ذكر العرض على المبالغة لأن طول الشيء دائمًا أكثر من عرضه، يقول هذه صفة عرضها، فكيف طولها؟

قال الزهري: إنما وصف عرضها، فأمَّا طولها فلا يعلمه إلا الله. وهذا على التمثيل لا أنها كالسماوات والأرض لا غير معناه: كعرض السماوات السبع والأراضين السبع عند ظنكم، (أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) ... [1]اهـ .

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ .

قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ نزلت في شأن رجل تَمَّارٍ (يبيع التمر) جاءت امرأة تشتري منه تمرًا، فأدخلها في حانوته وقبلها ثم ندم على ذلك، فنزلت هذه الآية ....وقوله: (فَعَلُوا فَاحِشَةً) يقال الفاحشة: ما استوجب النار، وقيل: ما يستوجب الحد في الدنيا وقوله (أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) مادون ذلك، وقال غير واحد: الظلم هنا هو تفسير الفاحشة وقوله (فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ) أي الاستغفار باللسان والندامة بالقلب .

قال السعدي في التفسير: ١/ ٢٩٦: وأفعال الخير والطاعة توجب رضا الرحمن، ودخول الجنان، وحصول الرحمة ولهذا قال: ﴿ وَأَطِيعُوا اللهَ

(١) مختصر تفسير البغوي صـ١٤٧ بتصرف

وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران: ١٣٥ .

أي بفعل الأوامر وامتثالها، واجتناب النواهي (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) فطاعة الله وطاعة رسوله من أسباب الرحمة، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ۞الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ۞قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ الأعراف: ١٥٦ـ١٥٨ .

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ثم أمرهم تعالى بالمسارعة إلى مغفرته، وإدراك جنته، التي عرضها السماوات والأرض فكيف بطولها التي أعدها الله للمتقين، فهم أهلها، وأعمال التقوى هي الموصلة إليها، ثم وصف المتقين وأعمالهم فقال: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾

فقال ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ أي في عسرهم ويسرهم، إن أيسروا أكثروا من النفقة، وإن أعسروا لم يحتقروا من المعروف شيئًا ولو قَلَّ .

قوله ﴿وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ﴾أي إذا حصل لهم من غيرهم أذية توجب غيظهم وهو امتلاء قلوبهم من الحنق، الموجب للانتقام بالقول أو الفعل ـ هؤلاء لا

يعملون بمقتضى الطباع البشرية ـ بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ، ويصبرون على مقابلة المسيء إليهم، قوله ﴿وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ يدخل في العفو عن الناس، العفو عن كل من أساء إليك بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم، لأن العفو ترك المؤاخذة، مع السماحة عن المسيء .وهذا إنما يكون ممن تحلى. بالأخلاق الجميلة، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله، رحمةً بهم، وإحسانًا إليهم، وكراهيةً لحصول الشر عليهم، وليعفو الله عنه، ويكون أجره على ربه الكريم، لا على العبد الفقير كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى الله﴾ الشورى: ٤٠.

ثم ذكر حالة أعم من غيرها، وأحسن، وأعلى، وأجلّ، وهي الإحسان، فقال تعالى: (وَالله يُحِبُّ المُحْسِنِينَ) والإحسان نوعان:

الإحسان في عبادة الخالق، والإحسان إلى المخلوق .

فالإحسان في عبادة الخالق فسَّرها النبي ـ ﷺ ـ بقوله (**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**) وأما الإحسان إلى المخلوق فهو إيصال النفع الديني والدنيوي إليهم، ودفع الشر الديني والدنيوي عنهم، فيدخل في ذلك أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، والنصيحة لعامتهم، وخاصتهم، والسعي في جمع كلمتهم، وإيصال الصدقات والنفقات الواجبة والمستحبة إليهم، على اختلاف أحوالهم، وتباين أوصافهم فيدخل في ذلك بذل الندى، وكف الأذى، واحتمال الأذى، كما وصف الله المتقين في هذه الآيات فمن قام بهذه الأمور فقد قام بحق الله وحق عبيده، ثم ذكر اعتذارهم لربهم، من جناياتهم وذنوبهم فقال ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ آل عمران:١٣٥ أي: إذا صدر منهم أعمال سيئة كبيرة أو ما دون ذلك، بادروا إلى التوبة والاستغفار، وذكروا

ربهم وما توعد به العاصين، ووعد به المتقين، وسعة مغفرته فسألوه المغفرة لذنوبهم والستر لعيوبهم، مع إقلاعهم عنها، وندمهم عليها، فلهذا قال ﴿ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا الله وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ .

أولئك الموصوفون بتلك الصفات ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ تزيل كل محذور ﴿ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ فيها من النعيم المقيم والبهجة، والحبور والبهاء والخير والسرور والقصور والمنازل الأنيقة العاليات والأشجار المثمرة البهية والأنهار الجاريات فضلًا عن تلك المكافأت ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا يحولون عنها ولا يبغون بها بدلا ولا يغير ما هم فيه من النعيم ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ﴾ عملوا لله قليلًا فأجروا كثيرًا، وعند الصباح يحمد القوم السدى، وعند الجزاء يجد العامل أجره كاملًا موفورا، وهذه الآيات الكريمات، من أدلة أهل السنة والجماعة، على أن الأعمال تدخل في الإيمان، خلافًا للمرجئة، ووجه الدلالة إنما يتم بذكر الآية التي في سورة الحديد، نظير هذه الآيات وهي قوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِالله وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَالله ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ الحديد:٢١...[1].

أحاديث في هذا المبحث

١ـ طاعة النبيﷺ نجاةٌ من النار وسبب وثيق لدخول الجنة بعد فضل الله تعالى

[٨٤] عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن يأبى ؟ قال منْ**

(١) من تفسير السعدي :١/ ٢٩٨، ٢٩٦، بتصرف

أطاعني دخل الجنة ومنْ عصاني فقد أبى ».[١].

قال الحافظ في الفتح: (**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**) بفتح الموحدة أي: امتنع، وظاهره أن العموم مستمر لأن كلًا منهم لا يمتنع من دخول الجنة، ولذلك قالوا (ومن يأبى) فبين لهم أنَّ إسناد الامتناع إليهم عن دخول الجنة مجاز عن الامتناع عن سنته، وهو عصيان الرسول ـ ﷺ ـ ...وقد تقدم حديث أبي هريرة رفعه (**من أطاعني فقد أطاع الله**)....وأخرج الحاكم من طريق صالح بن كيسان، عن الأعرج، عن أبي هريرة رفعه (**لتدخلن الجنة إلاَّ من أبى وشَرَدَ على الله شراد البعير**) وسنده على شرط الشيخين، وله شاهد عند أبي أمامة عند الطبراني، وسنده جيد والموصوف بالإباء ـ وهو الامتناع ـ إن كان كافرًا فهو لا يدخل الجنة أصلًا، وإن كان مسلمًا فالمراد: منعه من دخولها مع أول داخل إلاَّ من شاء الله تعالى ...[٢]اهـ

[٨٥] عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ ـ قال «**دعوني ما تركتكم، فإنما أَهلَكَ مَنْ كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء، فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم** ».[٣]

هذا الحديث العجيب يبين عظم هذا الدين، وكم هو منضبط ويعمل على ضبط أخلاق أهله، فلا كلام إلا من بعد هدف، ولا كلام إلَّا أن يُبنى على قواعد أصلية، وليس السؤال متروكًا لكل أحد يسأل عمّا أحب وما كره وما

---

(١) البخاري في الفتح :١٣/ ٢٣٦ ح/ ٧٢٨٠، ك/ الاعتصام بالكتاب والسنة

(٢) الفتح :١٣/ ٢٦٨

(٣) البخاري في الفتح :١٣/ ٢٦٤، ح/ ٧٢٨٨

تهواه نفسه وما لا تهواه، وعمّا يفتح باب الشر والفتنة والمحنة أو يغلق هذه الأبواب العاتية ويؤصدها كي لا يتمكن منه الشيطان فيضل سعيه في الحياة الدنيا مع ما ينتظره يوم يقوم الأشهاد، ومن ثمَّ فلا غلو ولا إفراط ولا تفريط لا سفسطة ولا جدال إلا ما بُنِيَ على الإخلاص وفي إطار الشرع وإلا فلا، قال الحافظ في الفتح: ١٣/ ٢٧٥، ٢٧٤ قوله (دعوني) في رواية مسلم (ذروني) وهي بمعنى (دعوني) وذكر مسلم سبب هذا

[٨٦] الحديث من رواية محمد بن زياد، فقال عن أبي هريرة «**خطبنا رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس إن الله فرض عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أكلَّ عامٍ يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم...**». الحديث وأخرجه الدار قطني مختصرًا وزاد فيه: فنزلت ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ**﴾ [المائدة: ١٠١] وله شاهد عن بن عباس عند الطبري في التفسير وفيه (**لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم فاتركوني ما تركتكم**) الحديث وفيه فأنزل الله﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ**﴾ ...قوله (**ما تركتكم**)أي مدة تركي إياكم بغير أمر بشيء ولا نهي عن شيء، ....والمراد بهذا الأمر ترك السؤال عن شيء لم يقع خشية أن ينزل به وجوبه أو تحريمه، وعن كثرة السؤال لما فيه غالبًا من التعنت، وخشية أن تقع الإجابة بأمر يُسْتَثْقَل، فقد يؤدي لترك الامتثال فتقع المخالفة، قال ابن فرج: معنى قوله (**ذروني ما تركتكم**) لا تكثروا من الاستفصال عن المواضع التي تكون مفيدة لوجه ما ظهر ولو كانت صالحة لغيره، كما أن قوله (**حجوا**) وإن كان صالحًا للتكرار، فينبغي أن يكتفي بما يصدق عليه اللفظ

وهو المرة، فإن الأصل عدم الزيادة، ولا تكثروا التنقيب عن ذلك لأنه قد يفضي إلى مثل ما وقع في بني إسرائيل، إذ أُمِروا أن يذبحوا بقرة، فلو ذبحوا أيَّ بقرة كانت لامتثلوا ولكنهم شددوا فَشُدِّدَ عليهم، وبهذا تظهر مناسبة قوله (**فإنما هلك من كان قبلكم**)إلى آخره بقوله (**ذروني ما تركتكم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**)... قال الحافظ: ثم إن النهي عام في جميع المناهي، ويستثنى من ذلك ما يكره المكلف على فعله ... قوله (**وإذا أمرتكم بشيء**) وفي رواية مسلم بأمر (**فأتوا منه ما استطعتم**) أي: افعلوا قدر استطاعتكم ...قال النووي: هذا من جوامع الكلم وقواعد الإسلام ،ويدخل فيه كثير من الأحكام كالصلاة لمن عجز عن ركن منها أو شرط فيأتي بالمقدور، وكذا الوضوء، وستر العورة، وحفظ بعض الفاتحة، وإخراج بعض زكاة الفطر، لمن لم يقدر على الكل، والإمساك في رمضان لمن أفطر بالعذر ثم قدر في أثناء النهار إلى غير ذلك من المسائل التي يطول شرحها، وقال غيره: فيه أن من عجز عن بعض الأمور لا يسقط عنه المقدور، وعبَّر عنه بعض الفقهاء بأن الميسور لا يسقط المعسور، كما لا يسقط ما قدر عليه من أركان الصلاة بالعجز عن غيره ...ثم قال الحافظ رحمه الله بعد كلام طويل وفي الحديث إشارة على الاشتغال بالأهم المحتاج إليه عاجلًا عما لا يحتاج إليه في الحال فكأنه قال: عليكم بفعل الأوامر واجتناب النواهي، فاجعلوا انشغالكم بها عوضًا عن الاشتغال بالسؤال عما لم يقع، فينبغي للمسلم أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله ثم يجتهد في تفهم ذلك والوقوف على المراد به، ثم يتشاغل بالعمل به، فإن كان من العلميات يتشاغل بتصديقه واعتقاد حقيقته وإن كان من العمليات يبذل وسعه في القيام به فعلًا وتركا...[1] اهـ .

---

(١) بتصرف من الفتح :٣/ ٢٧٨

الاقتداء بأفعال النبي ـ ﷺ ـ :

[٨٧] عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال «**اتخذ النبي ـ ﷺ ـ خاتمًا من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب فقال النبي ﷺ إني اتخذت خاتمًا من ذهب ! فنبذه وقال: إني لا ألبسه أبدًا، فنبذ الناس خواتيمهم** »[(١)].

إن العجيب في صحابة النبي ـ ﷺ ـ أنهم كانوا سراعا في تلبية أمر الله تعالى وطاعة نبيه ـ ﷺ ـ، وما كانوا يقفون طويلًا سائلين عن علة الحكم ووجوب الدلالة، وهل الأمر للوجوب أم للندب، ما كانوا كذلك ولكن كانوا غاية في الاستجابة لله تعالى ونبيه ـ ﷺ ـ فبمجرد رؤيتهم له ـ عليه السلام ـ وقد اتخذ خاتما فاتخذوا خواتيم فلا تلكئوا حتى يسألوا عن ذلك الحكم الجديد، ولكنه حزي بهذا وحقيق به أم لا؟! هكذا كانوا في خير تلبية مع حسن السمع والطاعة، فأكرمهم ربهم بصحبة رسوله ـ ﷺ ـ .

قال الحافظ في الفتح: الأصل فيه ـ الاقتداء ـ قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ **الأحزاب: ٢١** وقد ذهب جمعٌ إلى وجوبه، لدخوله في عموم الأمر بقوله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ **الحشر: ٧** بقوله ﴿**فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ**﴾ **آل عمران: ٣١** وبقوله تعالى: ﴿ **فَاتَّبِعُوهُ** ﴾ **الأنعام: ١٥٣** فيجب إتباعه في فعله كما يجب في قوله حتى يقوم دليل على الندب والخصوصية، (**فاتخذ الناس خواتيم من ذهب**) وفيه (**فنبذه وقال إني لا ألبسه أبدًا فنبذ الناس خواتيمهم**) اقتصر على هذا المثال لاشتماله على تأسيهم به في الفعل والترك، قال ابن بطال بعد أن حكى الاختلاف في أفعاله ـ عليه السلام ـ محتجًا

---

(١) البخاري في الفتح :١٣/ ٢٨٨، ك/ الاعتصام بالكتاب والسنة، بـ/ الإقتداء بأفعال النبي ـ ﷺ ـ

لمن قال بالوجوب بحديث الباب، لأنه خلع خاتمه فخلع الناس خواتيمهم، ونزع نعله في الصلاة فنزعوا، ولما أمرهم عام الحديبية بالتحلل، وتأخروا ففعل فتابعوا مسرعين، فدلَّ ذلك على أن الفعل أبلغ من القول، ولما نهاهم عن الوصال، وقالوا إنك تواصل فقال «إني أُطعمُ وأُسقى». فلولا أن لهم الإقتداء به لقال: وما في مواصلتي ما يبيح لكم الوصال لكنه عَدَلَ عن ذلك وبين لهم وجه اختصاصه بالمواصلة...اهـ.

قال الحافظ: وليس في جميع ما ذكره ما يدل على المدعي من الوجوب، بل على مطلق التأسي به...اهـ [١].

وعن الأعمش، عن أبي وائل، قال: قال سهل بن حنيف: يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل، ولو استطعت أن أردَّ أمْر رسول الله ـ ﷺ ـ لرددته وما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلى أمر يفظعنا إلا أسهَلْنَ بنا إلى أمر نعرفه غير هذا الأمر ....)[٢].

قوله (**يفظعنا**) أي: يوقعنا في أمر فظيع، وهو الشديد في القبح ونحوه، وقوله (**إلّا أسْهَلْنَ**) بسكون اللام بعد الهاء المفتوحة، والمعنى: أنزلنا في السهل من الأرض، أي أفضين بنا، وهو كناية عن التحول من الشدة إلى الفرج ....ومراد سهل: أنهم كانوا إذا وقعوا في شدة يحتاجون فيها إلى القتال في المغازي والثبوت، والفتوح العمرية، عمدوا إلى سيوفهم فوضعوها على عواتقهم، وهو كناية عن الجد في الحرب، فإذا افعلوا ذلك انتصروا، وهو المراد بالنزول في السهل.

---

(١) الفتح :١٣/ ٢٨٩ بتصرف كبير

(٢) البخاري :١٣/ ٢٩٦، ح/ ٧٣٠٨، ك/ الاعتصام بالكتاب والسنة، بـ/ ما يذكر من ذي الرأي

[٨٨] وفي حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال «**المتمسك بسنتي، عند اختلاف أمتي، كالقابض على الجمر**»[(١)].

هكذا فليتهم المرءُ رأيه وفكره ولا يتهم النصوص فإنها معدة منزلة من اللطيف الخبير على لسان نبيه ـ ﷺ ـ وما كان الرسول ـ ﷺ ـ لينطق بكلمة واحدة إلا بإذن شرعي من الله ـ عز وجل ـ قال تعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ النجم:٣ـ٤.

أما أن يترك الشرع باسم العقل والفكر والوعي والاستنباط وباسم كل هراء فيوشك أن تكون هذه التنازلات بهذا الأسلوب الساقط وثنية جديدة أو عبادة للهوى من دون الله تعالى والمسلم كالجمل الأَنِف يسمع ويطيع بلا تلكؤ أو استنكاف وإن تعجب فعجب قول من قال: لابد أن تقنعني بما تقول ثم أؤمن بعد الاقتناع بهذا الحديث أم لا ثم يسأل عن كل حكمة لكل نص مع ان الله تعالى ما أمرنا بهذا الغلو وهذا الأسلوب ـ وإن أمرنا بتدبر القرآن ـ ومن حيث الحكمة التي صارت الآن كلمة زئبقية تطلق ويراد بها الباطل والتحول عن إحقاق الحق، إن الله تعالى يأمرك أن تقبل حجرًا ـ على لسان نبيه ـ ﷺ ـ وأن ترجم حجرًا وأن تمسك عن الطيب الذي كان مستحبًا ولكن قبل ذلك الإحرام وبعد التحلل منه وأمرنا أن نرمي حجرًا بحصوات كالخزف في الصغر وأن نطوف حول حجر فهل يسعك أن توجد حكمة لهذا إلا التربية وتعليم المسلمين أن يكونوا عبادًا طائعين راضين دائمًا بشرع الله تعالى يهيئهم تهيئة مناسبة ليكونوا مع خير من اصطفى واجتبى يوم القيامة حيث وضّح النبي ﷺ ذلك مرارًا إذ المرء مع من أحب ويقول الله تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾ النساء:٦٩ـ٧٠.

---

(١) حديث حسن انظر صحيح الجامع ٦٦٧٦، والصحيحة ٩٥٧ وحسنه الألباني ونسبه للحكيم الترمذي.

إن المسلم أصلًا في بداية أمره ارتضى الله تعالى إلاهًا وربًا ومعبودًا، وارتضى نبيه ـ ﷺ ـ زعيما وإمامًا وهدى ورحمة واختار الكتاب العظيم منهاجًا ودستورًا ونبراسًا فلا ينبغي أن يتبع خطوات الشيطان، ومن عرفها علم أنها خطوات الشيطان هي الساقطة إلى الضلال المبين ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلالُ﴾ يونس:٣٢

قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ۞الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ۞ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ الزخرف: ٦٨ـ٧٠

وهكذا يكون المسلم معتصمًا رضيًا وليًا لله تعالى فيمن قبِلَ ـ سبحانه ـ.

خطورة مخالفة النبي ـ ﷺ ـ:

١ـ المخالفة ضد الاتباع، وتكون المخالفات في الأصول والفروع، في الإيمان ـ الاعتقادات ـ والأعمال والأقوال فأما في الاعتقادات كأن يعتقد العبد خلاف ما اعتقده النبي ـ ﷺ ـ ولذا فقد أكثر العلماء من شرح أصول أهل السنة حتى لا يلتبس الأمر على أحد ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ الأنفال: ٤٢.

فقد يستحل العبد ما حرم النبي ﷺ ويكون ذلك مشهور بالضرورة، أو يحرم ما أحل النبي ﷺ، مثل البدع الاعتقادية فهي كثيرة وكم حالت بين الناس والهدى بل أركستهم في الردى فكدرت صفوهم وجعلتهم هائمين على وجوههم، وكأن يعتقد معتقد أن أولياء الشيطان من أصل ولاية الشرع وأولياء الرحمن أحق بالبعد والجفاء.

٢ـ والمخالفة في القول تكون بترك امتثال ما اقتضاه القول ودلَّ عليه من وجوب أو حظر قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ الأعراف: ٣.

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ الفرقان:٢٧ـ٢٨ وقال عن المخالفين للسنة: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ۞ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ الأحزاب:٦٦ـ٦٧ .

وهكذا يأبى الله تعالى إلا أن يجعل من صرفت له حقوق الله تعالى وحقوق رسوله ﷺ المشروعة المقيدة بالوحيين إلا أن يكون عدوًا مبينًا في وسط أمواج النار وأن يكون هؤلاء وأولئك ـ التابع والمتبوع ـ محلًا للخصومات واللعنات يوم القيامة كما كانوا محلًا لها في الدنيا ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ العنكبوت: ٢٥

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ ص:٦٤

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ۞ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا﴾ النساء:٤١ـ٤٢ .

والمخالفة في القول بترك امتثال ما اقتضاه القول، ودلَّ عليه من وجوب أو حظر والمخالفة في الفعل تكون بالعدول عن مثله مع كونه واجبًا، والمخالفة في الترك تكون بفعل ما ترك مع كونه محرمًا، ولا تكون المخالفة في ترك المندوبات وفعل المكروهات، وإن كان هذا في الغالب يفضي إلى ترخيص مقيت يعدل بالمرء عن الهدى، ولم يكن الصحابة مهتمين بهذه التقسيمات الفرعية إذ إنها لم تك موجودة أصلًا بينهم لعدم الحاجة إليها فقد كانوا من الفقه بحيث يفهموا قضايا الشرع من قرب وبدون تعب فإن أُشْكِلْ عليهم أمر سألوا فيه النبي ـ ﷺ ـ فيعلمهم ويفتيهم فكانوا يتأسون به في الصوم ونحوه .

قواعد مهمة في هذا الشأن:

١ـ **مبنى الإسلام على الوحي** والنقل الصحيح لا على الرأي والعقل فما جاءنا من أمر ونهي عن الله تعالى ورسوله ـ ﷺ ـ من خلال السنة الصحيحة وجب علينا أن نلبي مسرعين بدون تلكؤ أو تراجع فعلًا وتركًا وليس هذا يعني أن الفعل لا قيمة له شرعًا بل الأمر على العكس من ذلك تمامًا لأنه مناط التكليف، ولم ينزل الشرع مخاطبا مجانين ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ الفجر: ٥ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُولِي النُّهَى﴾ طـه: ٥٤ وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ آل عمران: ١٩٠ فقد ورد في القرآن الكريم ما يزيد على ثلاثمائة آية تتحدث عن العقل والفكر والتدبر، ونحو ذلك لكن لها إطارات لا تخرج عنها ويبقى أن العقل ليس وحيًا ولا شرعًا ولا يغير من طبيعة النصوص والآثار ولمّا خالف المعتزلة هذه القاعدة تاهوا وضلوا السبيل واتخذوا النصوص ظهريًا ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ الزمر: ٥١ .

ولذا كان السلف ـ رحمهم الله ـ يدورون مع النصوص حيث دارت ويحكمون على الرجل بأنه على الطريق ما كان على الأثر.

قال الزهري ـ رحمه الله ـ : **مِنَ الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم.**

[٨٩] وعن عكرمة، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «**كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله أقرب الكتب عهدًا بالله تقرءونه محضًا لم يُشب**». (١) .

---

(١) البخاري في الفتح: ١٣/ ٥٠٥، رقم: ٧٥٢٢

[٩٠] وقال أيضًا: «يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم ـ ﷺ ـ أحدثُ الأخبار بالله محضًا لم يُشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله، وغيروا فكتبوا بأيديهم قالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا، أولا ينهاكم ما جاء كم من العلم عن مسئلتهم فلا والله ما رأينا رجلًا منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم»[١].

[٩١] وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «ما من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله أو من ـ أوآمن ـ عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ فأرجو أني أكثرهم تابعًا يوم القيامة ».[٢].

قال الحافظ: إن القرآن أعظم المعجزات وأفيدها وأدومها لاشتماله على الدعوة والحجة ودوام الانتفاع به إلى آخر الدهر، فلما كان لا شيء يقاربه فضلًا عن أن يساويه كان ما عداه بالنسبة إليه كأن لم يقع ...[٣] اهـ.

[٩٢] وعن همام عن حذيفة قال: (يا معشر القُرَّاء استقيموا فقد سبقتم سبقًا بعيدًا، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا).[٤].

قال الحافظ في الفتح: ١٣/ ٢٧١: قوله «يا معشر القُرّاء ». بضم القاف وتشديد الراء مهموز: جمع قارئ، والمراد بهم العلماء بالقرآن والسنة العُبَّاد، ...وقوله «استقيموا ». أي: اسلكوا طريق الاستقامة وهي كناية عن التمسك بأمر الله تعالى فعلًا وتركًا، وقوله «سبقتم سبقًا بعيدًا ».أي ظاهرًا ووصفه بالبعد لأنه غاية شأن السابقين والمراد أنه خاطب بذلك من أدرك أوائل الإسلام فإذا تمسك

---

(١) البخاري في الفتح :١٣/ ٥٠٥، ح/ ٧٥٢٣ك/ التوحيد، بـ/ كل يوم هو في شأن

(٢) البخاري :١٣/ ٢٦١، ح/ ٧٢٧٤

(٣) الفتح :١٣/ ٢٦٢

(٤) البخاري في الفتح :١٣/ ٢٧١، ك/ الاعتصام بالكتاب والسنة بـ/ الإقتداء بسنن رسول الله ـ ﷺ ـ ح/ ٧٢٨٢

بالكتاب والسنة سبق إلى كل خير، لأن من جاء بعده إن عمل بعمله لم يصل إلى ما وصل إليه من سبقه إلى الإسلام ....قوله «**فإن أخذتم يمينًا وشمالًا**». أي خالفتم الأمر المذكور، وكلام حذيفة منتزع من قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ **الأنعام: ١٥٣**.

والذي له حكم الرفع من حديث حذيفة هذا الإشارة إلى فضل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين مضوا على الاستقامة فاستشهدوا بين يدي النبي ـ ﷺ ـ أو عاشوا بعده على طريقته فاستشهدوا أو ماتوا على فُرُشِهِمْ...اهـ[١].

[٩٣] وعن أبي نجيح العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ قال: وعظنا رسول الله ـ ﷺ ـ موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تَأَمَّر عليكم عبد حبشي وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**».[٢]قال ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح رياض الصالحين وهذا من دأبه ـ ﷺ ـ أنه كان يعظ الناس أحيانًا على وجه راتب كما في يوم الجمعة، خطب الجمعة، وخطب العيدين، وأحيانًا على وجه عارض، إذ وجد سبب يقتضي الموعظة، قال: ـ عليه السلام ـ فوعظ الناس، ومن ذلك موعظته ـ ﷺ ـ بعد صلاة الكسوف، فإنه خطب ووعظ موعظة عظيمة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، وجلت: أي خافت، وذرفت العيون من البكاء فأثَّرت فيهم تأثيرًا بالغًا حتى قالوا يا رسول الله:

---

(١) الفتح :١٣/ ٢١٧

(٢) انظر مسند أحمد رحمه الله :٤/ ٢٦، وفي سنن أبي داود ٤٦٠٧، والدارمي :٩٦، وابن ماجة :٤٣، وصححه الألباني وابن ماجة ٤٤، والترمذي ٢٦٧٦ وانظر صحيح سنن ابن ماجة ١:/ ١٣ ح/ ٤٠، ٤٣

كأنها موعظة مودع فأوصنا، لأن المودع إذا أراد المغادرة، فإنه يعظ من خلفه بالمواعظ البليغة التي تكون ذكرى لهم، فلا ينسوها ولهذا تجد الإنسان إذا وعظ عند فراق السفر أو غيره، فإن الموعظة تمكث في قلب الموعوظ، وتبقى لهذا قالوا كأنها موعظة مودع فأوصنا فقال ﷺ: (**عليكم بتقوى الله**) هذه الوصية هي التي أوصى بها الله عباده كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا الله**﴾ **النساء: ١٣١**.

والتقوى كلمة جامعة من أجمع الكلمات الشرعية، ومعناها اتخاذ وقاية من عذاب الله، ....ولا يكون هذا إلا بفعل الأوامر واجتناب النواهي، ولا يكون فعل الأوامر وترك النواهي إلا بعلم الأوامر والنواهي إذًا فلابد من العلم ولابد من العمل فإذا اجتمع للإنسان العلم والعمل، نال بذلك خشية الله، وحصلت له التقوى، فتقوى الله إذن: أن يتخذ الإنسان وقاية من عذاب الله، بفعل أوامره واجتناب نواهيه، ولا حصول ووصول إلى ذلك إلَّابالعلم، وليس المراد بالعلم أن يكون الإنسان بحرًا، لا المراد به العلم بما يتعين عليه من أوامر الله، والناس يختلفون في ذلك فمثلًا من عنده مال يجب أن يعلم أحكام الزكاة، والحول والنصاب، ومن قدر على الحج وجب عليه أن يعلم أحكام الحج، والتاجر ينبغي له أن يعلم أحكام البيع والشراء فيكون تعليمهم على سبيل النجاة وتحري قبول الأعمال لهم ولغيرهم والعلوم الشرعية فرض كفاية، إلا ما تعين على العبد فعله فإن علمه يكون فرض عين.

قال رسول الله ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإنْ تَأَمَّر عليكم عبد حبشي** ». السمع والطاعة يعني لولي الأمر، «**وإن تأمر عليكم عبد حبشي** ». سواء كانت إمارته عامة كالرئيس الأعلى في الدولة، أو خاصة كأمير بلدة، أو أمير قبيلة، وما أشبه. ذلك،يعني حتى ولو لم يكن من العرب لو كان من الحبشة، وتولَّى وجعل الله له السلطة، فإن الواجب السمع والطاعة له، لأنه

صار اميرًا، ولوقلنا بعدم السمع والطاعة لأصبح الناس فوضى، كل يعتدي على الآخر وكل يضيع حقوق الآخرين وقوله «**السمع والطاعة**».هذا الإطلاق مقيد بما قيده به النبي ـ ﷺ ـ حيث قال: «**إنما الطاعة في المعروف**». ثلاث مرات، يعني فيما يقره الشرع، وأما ما ينكره الشرع فلا طاعة لأحد فيه، حتى لو كان الأب أو الأم أو الأمير العام أو الخاص فإنه لا طاعة له،...«**فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرًا**». يعني أن من سيعيش منكم ويُمَد له في عمره فسيرى اختلافًا كثيرًا في الولاية، واختلافًا كثيرًا في الرأي واختلافًا كثيرًا في العمل، واختلافًا كثيرًا في حال الناس عمومًا، وفي بعض الأفراد خصوصًا، وهذا الذي وقع، فإن الصحابة لم ينقرضوا حتى حصلت الفتن ...قال«**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**». فالرسول أمرنا عندما نرى هذا الاختلاف أن نلزم سنة رسول الله ﷺ، وسنته عليه الصلاة والسلام: هي طريقته التي يمشي عليها، عقيدةً، وخلقًا، وعملًا، وعبادةً، وغير ذلك نلزم سنته ونجعل التحاكم إليها، كما قال الله تعالى: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ **النساء:٦٥**

فسنة النبي ـ ﷺ ـ هي سبيل النجاة، لمن أراد نجاته من الخلافات والبدع وهي ولله الحمد موجودة في كتب أهل العلم الذين ألفوا في السنة مثل(الصحيحين) للبخاري ومسلم، والسنن والمسانيد، وغيرهما مما ألفه أهل العلم، وحفظوا به سنة رسول الله ـ ﷺ ـ وقوله (**وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**) والخلفاء جمع خليفة وهم الذين خلفوا النبي ـ ﷺ ـ في أمته علمًا وعملًا ودعوةً وجهادًا وسياسةً، وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون الأربعة (**أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليٌ**) رضي الله عنهم أجمعين وألحقنا بهم في جنات النعيم، هؤلاء الخلفاء الأربعة ومن بعدهم من خلفاء الأمة الذين خلفوا النبي ـ ﷺ ـ في أمته، هم

الذين أمرنا بإتباع سنتهم، ولكن ليعلم أن سنة هؤلاء الخلفاء تأتي بعد سنة الرسول ﷺ فلو تعارضت سنة خليفة من الخلفاء مع سنة النبي ﷺ فإن الحكم لسنة النبي ﷺ قال بن عباس: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله وتقولون قال أبو بكر وعمر» ...اهـ.

[٩٤]عن سعيد بن ميناء، عن جابر، عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارًا فأتمها وأكملها، إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها، ويقولون لولا موضع اللبنة ؟! قال رسول الله ـ ﷺ: فأنا موضع اللبنة، جئت فختمت الأنبياء**».(١)

إنها المنة الكبرى والنعمة العظمى أن يرسل الله إلينا رسولًا هو خير الرسل وخاتمهم وقد أرسله بلسان العرب وسهل عليهم هذا الكتاب الذي أنزله عليهم والذي كان فيه شرفهم وعزهم ﴿**لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾ الأنبياء:١٠

[٩٥] وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «**مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا، فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يُذْهِبْهن عنها وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي**».(٢).

الجنادب: نحو الجراد والفراش، والحجز: معقد الإزار.

أراد النبي ـ ﷺ ـ بهذا المثل أن يبين حاله مع أمته ـ عليه السلام ـ وذكر أن هذه الحال كحال رجل في بريّة، أوقد نارًا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها (الجنادب) نوع من الجراد أما الفراش فمعروف (**يقعن فيها**) لأن هذه هي عادة الفراش والجنادب، والحشرات الصغيرة إذا أوقد نارًا في البر فإنها تأوي

---

(١) أحمد :٣/ ٣٦١، والبخاري :٤/ ٢٢٦، ومسلم :٧/ ٦٥، طـ/ استنبول

(٢) أحمد :٣/ ٣٦١، ، ومسلم :٧/ ٦٤

إلى هذا الضوء، قال: (**وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تفلتون من يدي**) يعني لأمنعكم من الوقوع فيها، ولكنكم تفلتون من يدي ففي هذا دليل على حرص النبي ـ ﷺ ـ على حماية أمته من النار، وأنه يأخذها بحجزها ويشدها حتى لا تقع في هذه النار، ولكنها تفلت من ذلك وتأبى إلَّا الورود! نسأل الله أن يعاملنا بعفوه، فالإنسان ينبغي له أن ينقاد لسنة النبي ـ ﷺ ـ وأن يكون لها طوعًا ...ومن فوائد هذا الحديث: أنه ينبغي للإنسان بل يجب عليه أن يتبع سنة رسول الله ـ ﷺ ـ في كل ما أمر، وفي كل ما نهى عنه، وفي كل ما فعله، وفي كل ما تركه، يلتزم بذلك، ويعتقد أنه الإمام المتبوع، لكن من المعلوم أنَّ من الشريعة ما هو واجب يأثم الإنسان بتركه، وما هو محرم يأثم بفعله، ومنها ما هو مستحب إن فعله فهو خير وأجر، وإنْ تركه فلا إثم عليه، وكذلك من الشريعة ما هو مكروه كراهة تنزيه إن تركه الإنسان فهو خير له، وإن فعله فلا حرج عليه لكن المهم أن نلتزم بالسنة عمومًا وأن تعتقد أنَّ إمامك، ومتبوعك هو محمد ـ ﷺ ـ، وأنه ليس هناك سبيل إلى النجاة إلّا باتباعه والسير في طريقه والتمسك بهديه ـ ﷺ ـ ومن فوائد هذا الحديث عظم حق النبي ـ ﷺ ـ على أمته، وأنه كان لا يألوا جهدًا في منعها وصدها عن كل ما يضرها في دينها، ودنياها، وبناء على ذلك فإذا رأيت نهي النبي ﷺ عن شيء فأعلم أن فعلك شر ولا تقل هو للكراهة أم هو للتحريم، افعل ما تؤمر به فهو خير لك ....[1] اهـ.

❁❁❁

(١) بتصرف من شرح رياض الصالحين لابن عثيمين :١/ ٥٩٢، ٥٩١

المبحث الثامن

خطورة اللسان

حبس اللسان عما يغضب الرحمن وقاية من النيران

إن هذه المضغة الصغيرة قد تكون سببًا ـ بعد فضل الله تعالى ـ في نجاة المرء ؛ وقد تكون سببًا في عطبه وضياعه ـ عياذًا بالله ـ ولذا فإن النبي ـ ﷺ ـ اهتم كثيرًا في الإنذار والوعيد تحذيرًا من خطايا اللسان، وذلك لأن القرآن اهتم اهتمامًا بالغًا بهذه القضية الخطيرة جدًا والتي تستحق من دعاة الحق والمربين أن لا يهملوها ؛ ولا يجعلوها من نافلة القول لما لها من تأثير بالغ على خط سير حياة المسلم في الآخرة والأولى وصدق الله الذي نبه عباده على عظم هذه القضية إذ قال تعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إلا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ النساء:١٤٨.

كما قال سبحانه و تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ المؤمنون:٣ .

وقال ـ ﷻ ـ واصفًا الناجين الفائزين ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۞وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۞وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۞أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا ۞خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢ـ٧٦].

قال الغزالي ـ يرحمه الله ـ في الإحياء: فاللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة، فإنه صغير جِرْمُهُ، عظيمة طاعته وجرمه، إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة، والعصيان، ومن أطلق عَذَبَةَ اللسان وأهمله مرخي العنان سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هارٍ إلى أن يضطره إلى البوار، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه

إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة، ويكُفُّهُ عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله.

[٩٦] ففي حديث معاذ ـ رضي الله عنه ـ قوله ـ ﷺ ـ: «**وهل يكب الناس في النار على وجوههم ـ أو قال على مناخرهم ـ إلا حصائد ألسنتهم**»[(١)].

[٩٧] **وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا يهوي بها سبعين خريفًا في النار».**[(٢)]اهـ.

والمراد بحصائد الألسن: جزاء الكلام المحرم وعقوباته فإن اللسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات ثم يحصد يوم القيامة ما زرع، فمن زرع خيرًا من قول أو عمل حصد الكرامة؛ ومن زرع شرًا من قول أو عمل حصد الندامة ؛ وقال الغزالي: وظاهر حديث معاذ يدل على أنَّ أكثر ما يدخل الناس به النار النطق بألسنتهم ؛ فإن معصية النطق يدخل فيها الشرك وهو أعظم الذنوب عند الله تعالى ويدخل فيها القول على الله بغير علم وهو قرين الشرك ويدخل فيها شهادة الزور والسحر والقذف وغير ذلك من الكبائر والصغائر كالكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي الفعلية لا يخلو غالبًا من قول يقترن بها يكون معينًا عليها...اهـ.

---

(١) رواه الترمذي :١٠/ ٨٧،٨٨ في الإيمان وقال: هذا حديث حسن صحيح ،وابن ماجة في الفتن ح/ ٣٩٧٣،والحاكم :٢/ ٤١٣ ،في التفسير وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وصححه الألباني في سنن ابن ماجة ح٣٢٠٩ وذكره في الإرواء والتعليق الرغيب :٤/ ٥، ٦ تخريج الإيمان لابن أبي شيبة ١، ٢

(٢) أحمد في المسند :٢/ ٢٣٦، ٢٩٧ والبخاري :٨/ ١٢٥ ومسلم :٨/ ٢٢٣، ٢٢٤ وابن ماجة ٣٩٧٠.

أحاديث مفيدة في هذا الباب

١ـ فضل الصمت:

[٩٨] عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**».

ومن رواية يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير سمع عبد الله بن عمرو يقول: إن رجلًا سأل النبي ﷺ:أي المسلمين خير؟ قال: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**».(١).

قال رحمه الله: وأما رواية (المسلم) فيقتضي حصر المسلم فيمن سلم المسلمون من لسانه ويده ؛ والمراد بذلك المسلم الكامل الإسلام، فمن لم يسلم المسلمون من لسانه ويده فإنه ينتفي عنه كمال الإسلام الواجب ؛ فإن سلامة المسلمين من لسان العبد ويده واجبةٌ، فإن أذى المسلم حرام باللسان واليد، فأذى اليد الفعل وأذى اللسان القول، والظاهر أن النبي ﷺ إنما وصف بهذا في هذا الحديث لأن السائل كان مسلمًا قد أتى بأركان الإسلام الواجبة لله ﷻ وإنما يجهل دخول هذا القدر الواجب من حقوق العباد في الإسلام ؛ فبين له النبي ﷺ ما جهله، ويشبه هذا أن النبي ﷺ لَمَّا خطب في حجة الوداع وبيّنَ للناس حرمة دمائهم وأموالهم وأعراضهم أتبع ذلك بقوله: «**سأخبركم من المسلم: من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم**»(٢).

وكان النبي ﷺ أحيانًا يجمع لمن قدم عليه يريد الإسلام، بين ذكر

---

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم البخاري في فتح الباري لابن رجب الحنبلي:١/ ٣٦؛ح/ ١٠ ، وقال كما خرج مسلم هذا الحديث من رواية المصريين ، عن عبد الله بن عمرو

(٢) مسلم ح/ ٤٠ سيأتي تخريجه كاملًا .

[٩٩] حق الله وحق العباد، كما في مسند أحمد عن عمرو بن عبسة قال: قال رجل: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «**أنْ تُسْلِمَ قلبك لله، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك**».[١].

[١٠٠] وفيه أيضًا عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده أنه أتى النبي ﷺ ليُسلم فقال له: أسألك بوجه الله بم بعثك الله ربنا إلينا؟ قال «**بالإسلام**» قال: قلت: وما آية الإسلام؟ قال: «**أن تقول: أسلمت وجهي لله، وتخَلَّيتُ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وكل مسلم على مسلم محرَّم**».

وذكر الحديث وقال فيه: قلت: يا رسول الله هذا ديننا؟ قال: هذا دينكم...، وقوله: «**والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**». فأصل الهجرة هجران الشر ومباعدته لطلب الخير ومحبته والرغبة فيه ...وإذ كان كذلك فأصل الهجرة أن يهجر ما نهاه الله عنه من المعاصي، فيدخل في ذلك هجران ما نهى الله عنه، ومن جملة ذلك هجران بلد الشرك مع القدرة عليه... اهـ.[٢]

قال أبو إسحاق الفزاري: كان إبراهيم بن أدهم رحمه الله يطيل السكوت فإذا تكلم ربما انبسط . قال: فأطال ذات يوم السكوت، فقلت لو تكلمت؟ فقال: الكلام على أربعة وجوه: فمن الكلام كلام ترجو منفعته، وتخشى عاقبته، والفضل في هذا السلامة منه، ومن الكلام كلام لا ترجوا منفعته ولا تخشى عاقبته، فأقلُّ ما لك خِفّةُ المؤنة على بدنك ولسانك، ومن الكلام كلام لا ترجو منفعته وتأمن عاقبته، فهذا قد كفي العاقل مؤنته، ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتأمن عاقبته، فهذا الذي يجب عليك نشره.

قال خلف بن تميم: فقلت لأبي إسحاق: أراه قد أسقط ثلاثة أرباع الكلام؟

---

(١) خرجه ابن حبان في صحيحه من حديث فضالة بن عبيد

(٢) فتح الباري لابن رجب الحنبلي / ٣٦:٣٩

قال: نعم[١].

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلوت ولكن قل عليَّ رقيبُ
ولا تحسبن الله يغفل ساعةً ولا أن ما تخفيه عنه يغيبُ
لهونا لعمر الله حتى تتابعت ذنوب على آثارها ذنوبُ
فيا ليت أن الله يغفر ما مضى ويأذن في توباتنا فنتوبُ
أقول إذا ذهبت عليَّ مذاهبي وجلَّ بقلبي للهموم نُدوبُ
لطول جنايايَ وعظم خطيئتي هلكت ومالي في المتاب نصيبُ
ويذكرني عفو الكريم عن الورى فأحيا وأرجو عفوه وأنيبُ
فأخضع في قولي وأرغب سائلًا عسى كاشف البلوى عليَّ يتوبُ

من ثمرات الأخلاق والآداب

١ـ ومن ذلك الأدب مع الله وتوقيره تعالى وتقديسه .

[١٠١] عن أبي رافع، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ رأى نخامة في قبلة المسجد فأقبل على الناس فقال «**ما بالُ أحدكم يقوم مستقبل رَبِّه فيتنخع أمامه، أيحب أحدكم أن يُستَقبلَ فيتنخع في وجهه، فإذا تنخع أحدكم فليتنخع عن يساره تحت قدمه، فإن لم يجد فليقل هكذا ووصف القاسم فتفل في ثوبه ثم مسح بعضه على بعض**». [٢] .

نخامة: ما يخرجه الإنسان من بصاق وقوله يتنخع: أي الصوت الذي يخرجه الإنسان حين يريد البصاق .

---

(١) انظر ك/ الصمت وحفظ اللسان لابن أبي الدنيا صـ٥٠

(٢) مسلم ك/ المساجد ومواضع الصلاة فيها ،ب/ النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها .

٢ـ تورث الحياء وهو من الأخلاق النادرة .

روى مسلم في صحيحه قال: حدثنا محمد بن بشار العبدي، حدثنا أسد حدثنا شعبة، حدثني حميد بن هلال، قال سمعت:

[١٠٢] عبد الله بن مغفل يقول: رُمِيَ إلينا جراب فيه طعام وشحم يوم خيبر فوثبت لآخذه فالتفتُ فإذا رسول الله ﷺ فاستحييت منه[١].

والجراب وعاء من جلد يوضع فيه الزاد .

قال النووي في شرح مسلم (فألتفتُ فإذا رسول الله ﷺ فاستحييت منه) يعني لما رآه من حرصه على أخذه ؛ أو لقوله لا أعطي اليوم من هذا شيئًا .

٣ـ ومن الثمرات حسن العشرة بين المسلمين حيث التوقير للكبار والرحمة للصغار .

[١٠٣] فعن أنس بن مالك، قال: جاء شيخ يريد النبي ـ ﷺ ـ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له، فقال النبي ﷺ **«ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا»**.[٢]

٤ـ أنه يزين صاحبه بحلة مباركة.

[١٠٤] وذلك لحديث شريح بن هانئ من حديث عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»**.

---

(١) مسلم ح/ ٣٣٢١ ك/ الجهاد والسير ،ب/ جواز الأكل من طعام الغنيمة في دار الحرب .

(٢) الحديث رواه الترمذي وقال حديث غريب ،ك/ البر والصلة ما جاء في رحمة الصبيان وصحيح الجامع ٥٤٤٣ ، ٥٤٤٤ وصححه الألباني وحسن ما قبله وذكره في صحيح الترغيب ، صححه رقم ٩ .

وفي حديث أبي الدرداء ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: «**من أُعطي حَظَّه من الرفق أُعطيَ حظه من الخير**».[١]

[١٠٥] وفي حديث جرير عند مسلم: «**من يحرم الرفق يحرم الخير كله**».[٢]

قال النووي: وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف ولا إيذاء إذا لم يأت بالمخالفة استخفافًا أو عنادًا، وفيه دفع أعظم الضررين باحتمال أخفهما[٣].

٥ـ صاحب الخلق الحسن من أفضل الخلق:

[١٠٦] عن مسروق قال: دخلنا على عبد الله بن عمرو حين قدم مع معاوية إلى الكوفة، فذكر رسول الله ﷺ فقال: لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا وقال: قال رسول الله ﷺ «**إن من خيركم أحسنكم خلقًا**»[٤].

أحاديث في الباب

١ـ قال الحافظ في الفتح في شرح الحديث السابق: ١٠/ ٤٦٧:

والفحش: كل ما خرج ؛عن مقداره حتى يستقبح، ويدخل في القول والفعل والصفة، يقال:طويل فاحش الطول إذا أفرط في طوله، لكنَّ استعماله في القول أكثر، والمتفحش بالتشديد:الذي يتعمد ذلك ويكثر منه ويتكلفه .... اهـ.

وهذا الحديث يفيد أن المسلم يجب أن يتأسى بالنبي ـ ﷺ ـ في كل شيء، وهذه أخلاقه ـ عليه السلام ـ ليس فاحشًا ولا متفحشًا ولا يحب الفحش، نهدي هذه الكلمات

---

(١) أحمد :٦/ ٥٨ والبخاري في الأدب المفرد ٤٦٩ ومسلم :٨/ ٢٢ وأبو داود ح/ ٢٤٧٨، ٤٨٠٨ .

(٢) فتح الباري ح/ ٦٠٢٥ وانظر أحمد :٦/ ١٠٤ ومسلم :٨/ ٢٢ (د) ٢٤٧٨

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ك/ الطهارة ،ب/ وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد .

(٤) البخاري :١٠/ ٤٦٧ ؛ ك/ الأدب ،بـ/ قوله تعالى ﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها﴾ ،ح/ ٥٥٦٨

المشرقة لمن تركوا العنان لأنفسهم في السباب واللعان والتفحش المنهي عنه من القول والإشارة مع دوام النهي في القرآن والسنة وهم يأبون إلا العصيان .

[١٠٧] عن عبد الله بن أبي مليكة، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ «أن يهود أتوا النبي ـ ﷺ ـ فقالوا السام عليكم، فقالت عائشة: عليكم، ولعنكم الله، وغضب الله عليكم .قال: مهلًا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش . قالت أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: «**أو لم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم فيَّ**». (١)

[١٠٨] وفي صحيح الأدب المفرد قريبًا منه من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت:دخل رهطٌ من اليهود على رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا: السامُ عليكم، قالت عائشة: ففهمتها فقلت: عليكم السامُ واللعنة، قالت: فقال رسول الله ﷺ مهلًا يا عائشة ! إن الله يحب الرفق في الأمر كله، فقلت يا رسول الله: أولم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ«**قد قلت وعليكم**». (٢)

وفي حديث جرير بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ «**من يُحرم الرفق يحرم الخير**». (٣)

[١٠٩] وفي حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كنت على بعير فيه صعوبة، فقال النبي ﷺ«**عليك بالرفق، فإنه لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه**». (٤)

---

(١) البخاري في الفتح ك/ الأدب :١٠ / ٤٦٧،ح/ ٦٠٣٠

(٢) صحيح الأدب المفرد ح/ ٣٥٩،باب الرفق، والصحيحة ٥٣٧

(٣) صحيح الأدب المفرد ٣٦٠ ، وهو حديث صحيح وانظر التعليقات الحسان للألباني ٥٤٩،وأصله في مسلم ك/ البر والصلة والآداب

(٤) صحيح الأدب المفرد ٣٦٥، والصحيحة ٥٢٤،وأصله في صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب.

[١١٠] وفي حديث عبد الله بن مغفل، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف**». (١)

إن اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم الدين، فكيف لا نلعنهم أو قل: لِمَ نهى النبي ـ ﷺ ـ عائشة عن هذا؟ قال فضل الله الجيلاني صاحب كتاب الفائق ـ ملخص فضل الله الصمد ـ فيحتمل أن يكون إنكاره ـ ﷺ ـ عليها من أجل إطلاقها لعنتهم من غير هذا التقييد ويحتمل أن يكون سببه إرادة ملاحظتهم رجاء إيمانهم، ويحتمل أن يكون سببه حفظ اللسان وصونه عن الفحش، ولو مع من يستحق ....اهـ.

*** شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه .**

قد يكون المرء مشغولًا عن أدب نفسه من الكتاب والسنة وهذا الإهمال بدوره يعرض الإنسان للتلف التربوي فيقسو قلبه وهو ماض في طريق الغي لا يلوي على شيء حتى يتمرس على ذلك ويكون المنكر عنده معروفًا والمعروف عنده منكرًا، ويصير سلوك السوء مصاحبًا له شيمة وديدنًا حتى يتحاشاه الناس ويتركونه مخافة أن يمسهم بحد لسانه فيجرحهم وهنا يكون ذلك المعتدي المنحرف قد وصل إلى درجة من بغض الخلق مخيفة وصار مقيتًا لا يحب أحد الاقتراب منه .

[١١١] عن عروة، عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رجلًا استأذن على النبي ﷺ فلمّا رآه قال: «**بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة**»، فلما جلس تَطَلَّق النبي ـ ﷺ ـ، وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله،

---

(١) صحيح الأدب المفرد ح/ ٣٦٨،وصحيح الروض النضير :٣٦ وهو في سنن أبي داود ك/ الأدب بـ/ الرفق ح/ ٤٠

حين رأيت الرجل قلت كذا وكذا ثم تطلقت في وجهه، وانبسطت إليه، فقال رسول الله ﷺ «**يا عائشة متى عهدتني فاحشًا؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره**»[1] قوله: (**بئس أخو العشيرة**) قال الحافظ في رواية معمر (**بئس أخو القوم وابن القوم**) وهي بالمعنى، قال عياض: المراد بالعشيرة الجماعة أو القبيلة، وقال غيره: العشيرة الأدنى إلى الرجل من أهله وهم ولد أبيه وجده، وقوله (**فلما جلس تطلق**) بفتح الطاء المهملة وتشديد اللام:أي أبدى له طلاقة وجهه يقال وجهه طلق وطليق ،أي: مسترسل منبسط غير عبوس، ووقع في رواية ابن عامر (**بش في وجهه**).

ولأحمد من وجه آخر عن عائشة: واستأذن آخر فقال: «**نعم أخو العشيرة**». فلما دخل لم يهش له ولم ينبسط كما فعل بالآخر فسألته فذكر الحديث .

قال الخطابي: جمع هذا الحديث علمًا وأدبًا وليس في قول النبي ـ ﷺ ـ في أمته بالأمور التي يسميهم بها، ويضيفها إليهم من المكروه غيبة، وإنما يكون ذلك من بعضهم في بعض، بل الواجب عليه أن يبين ذلك ويفصح به ويعرف الناس أمره، فإن ذلك من باب النصيحة والشفقة على الأمة ولكنه لما جبل عليه من الكرم وأعطيه من حسن الخلق أظهر له البشاشة ولم يجبهه بالمكروه هذا لتقتدي به أمته في اتقاء شر من هذا سبيله، وفي مداراته، ليسلموا من شره وغائلته، قلت وظاهر كلامه أن يكون هذا من جملة الخصائص وليس كذلك، بل كل من اطلع من حال شخص على شيء، وخشي أن غيره يغتر بجميل ظاهره فيقع في محذور ما فعليه أن يطلعه على ما يحذر من ذلك قاصدًا نصيحته، وإنما الذي يمكن أن يختص به النبي ﷺ أن يكشف له عن حال من يغتر بشخص من غير أن يطلعه المغتر على حاله فيذم الشخص بحضرته ليتجنبه

---

(١) البخاري في الفتح :١٠/ ٤٦٧،ك/ الأدب ،ب/ لم يكن النبي ـ ﷺ ـ فاحشًا ولا متفحشًا ح/ ٦٠٣٢ ،وطرفاه ٦٠٥٤ ، ٦١٣١

المغتر ليكون نصيحة بخلاف غير النبي ﷺ، فإن جواز ذمه للشخص يتوقف على تحقيق الأمر بالقول أو الفعل ممن يريد نُصْحَهُ .قال القرطبي في الحديث جواز غيبة المعلن بالفسق أو الفحش ونحو ذلك من الجور في الحكم والدعاء إلى البدعة مع جواز مداراتهم اتقاء شرهم ما لم يؤد ذلك إلى المداهنة في دين الله تعالى ثم قال تبعًا لعياض: والفرق بين المداراة والمداهنة أن المداراة بذل الدنيا بصلاح الدنيا أو الدين أو هما معًا، وهي مباحة وربما استحبت ؛ والمداهنة ترك الدين لصلاح الدنيا والنبي ﷺ إنما بذل من دنياه .

حسن عشرته والرفق في مكالمته ومع ذلك فلم يمدحه بقول، فلم يناقض قوله فيه فعله، فإن قوله فيه قول حق، وفعله معه حسن عشرة وبعد كلام له رحمه الله ذكر أن الرجل المذكور بهذا الكلام الماضي في الحديث هو عيينة بن حصن.

قال عياض: لم يكن عيينة ـ والله أعلم ـ حينئذ أسلم، فلم يكن القول فيه غيبة ـ أو كان أسلم، ولم يكن إسلامه ناصحًا فأراد النبي ﷺ أن يبين ذلك لئلا يغتر به من لم يعرف باطنه فيكون ما وصفه به النبي ﷺ من جملة علامات النبوة، وأما إلانةُ القول له بعد أن دخل فعلى سبيل التألف له ....وهذا الحديث أصل في المداراة، وفي جواز غيبة أهل الكفر والفسق ونحوهم والله أعلم .

قوله (اتقاء فحشه)أي: قبح كلامه، ولأن المذكور كان من جفاة العرب... اهـ[1]

قد يقرأ البعض هذا الحديث ثم يجعله عمدة له في إطلاق العنان للسانه يمنة ويسرة يجرح به الناس ويفري به الأعراض وكأنه يتلمس شيئًا يتوكأ عليه ليكون مندوحة له في إيذاء الخلق وذمهم والجناية عليهم فليعلم أن هذا الحديث له فقهه وسببه وخصائص المتحدث به ـ ﷺ ـ فقد أطلعه الله تعالى على داخل الرجل أما أن يدعي أناس أنه لا غيبة في فاسق ثم يُفَسِّق الخلق ليجعلهم حقل تجارب له فهذا لا يعذره هناك يوم يقوم الناس لرب العالمين: ﴿وَكُلُّ

(١) الفتح :١٠/ ٤٦٩

صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ القمر: ٥٣، وقال تعالى:﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ قّ:١٨.

خطورة اللسان

[١١٢] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة ؛ والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار**».(١)

تلك هي خطورة اللسان فهو حاصد لخير عظيم يبلغ به المرء الدرجات العلا وإذا به قد حشر مع أحب الخلق إلى الحق مع هذه الكوكبة النورانية تحت لواء النبي الكريم ـ ﷺ ـ واللسان أيضا مكمن الخطر فهو يندفع بدون روية ليرمى بكلمة نابية لا يظن أن تبلغ هذه المبلغ فتأخذه قاذفة به إلى نار تلظى ـ عياذًا بالله تعالى ـ .

وفي كتاب المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح للحافظ الدمياطي قال المؤلف رحمه الله صـ٤٠٢،طـ/ التوفيقية:ـ

[١١٣] وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**الحياء والعيُ شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق**»(٢).

قال: والبَذاء، بباء موحدة مفتوحة وذال معجمة ممدود (والعيُ) قلة الكلام والبذاء: هو الفحش في الكلام، والبيان هو كثرة الكلام، مثل هؤلاء الخطباء الذين يخطبون فيتوسعون في الكلام ويتفصحون فيه من مدح الناس فيما لا يرضي الله تعالى .... اهـ.(٣)

---

(١) أحمد :٢/ ٥٠١، والترمذي ٢٠٠٩،وقال حديث حسن صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٣١٩٩،والمشكاة ٥٠٧٧، والروض النضير ٧٤٦ ،والصحيحة ٤٩٥، صحيح الجامع ح/ ٣٢٠١ والمشكاة:٤٧٩٦ .

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن وأخرجه الطبراني

(٣) المتجر الرابح :٤٠٢

إن أبغض وأشد ما كان يخافه النبي ـ ﷺ ـ على هذه الأمة منافق عليم اللسان ذلك لأنه يدعوا الناس بلسانه إلى الجنة، ويصدهم عن الحق والخير والبر والجنة بأعماله وأقواله ولذلك حذر النبي ﷺ من أي رجل كان هذا سمته وتلك خصاله وصدق الله تعالى إذ قال ناعيًا على بني إسرائيل: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ البقرة:٤٤، وقال سبحانه ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ الله عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ ۞وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَالله لا يُحِبُّ الفَسَادَ﴾ البقرة:٢٠٤ـ٢٠٥،فهذا عين النفاق وتلك صفات المنافقين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۞كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ الله أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ الصف: ٢.

والمسلم الحريص على إرضاء الله تعالى يتبرأ من كل هذا ويجتنبه إن كان ينشد رضوان الله والجنة ويهرب فرارًا من سخطه تعالى والنار.

اللسان وتأثيره على القلب:

إن الألسنة مغارف والقلوب أوعية وقد جعل اللسان على الفؤاد دليلًا، ولا يستطيع المرء دائمًا أن يختبئ تحت لسانه طويلًا فلابد للسان من زلات فيبدوا بها ما في هذا القلب وصدق الله إذ قال عن المنافقين: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ القَوْلِ وَالله يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ محمد: ٣٠.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ۞الله يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ البقرة:١٥ هكذا كانت ألسنتهم معبرة عما في قلوبهم أو مظهرة لحقد وحمق وحسد قلوبهم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِالله وَبِاليَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ البقرة:٨، ولّما كانت الخطايا مؤثرة بالضرورة على القلوب لكونها قاصمة قال تعالى مبينًا ذلك بقوله تعالى: ﴿كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ المطففين:١٤ـ١٥.

والران هذا هو تأثر القلب بسواد الذنب حتى يصاب بالمرض العضال فلعله يسكر ثم يتأهب للموت فيقضي عليه فمن فضل الله على العبد أن ييسر له سبل الخيرات، وأن يصرف عنه السوء والمنكرات ولا شك أن الاهتمام بما تزكو به النفس ويرق به القلب حتى ينقاد لشرع الله ويستجيب لأمره ونهيه من أعظم أسباب الخير في الدنيا والآخرة، فإن القلوب لا تصل إلى مناها حتى تصل إلى مولاها، ولا تصل إلى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة، والسعادة سعادة القلوب والشقاء شقاء القلوب، والقلوب لا تسعد إلا بالله ولا تطمئن إلا بذكره وطاعته كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ الرعد:٢٨.

فاتضح مما ذكرناه أن طريق السعادة والاهتمام بالقلوب وإصلاحها ومداواة أمراضها وأسقامها حتى تستجيب لربها، والموفق من وفقه الله والمخذول من حرم عنايته وهداه ...اهـ[١].

[١١٤] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**لا تكثروا الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب**»[٢].

هكذا يراعي الحبيب ﷺ كل المؤثرات التي تصيب القلب فينفِّر ويحذر منها حتى تبقي للقلب حياته في طاعة الله تعالى ورضوانه، حتى وإن كان المرء يحب الضحك جدًا لكن القلب يتأثر بمثل هذا فلا ينبغي أن يسرف المسلم في ذلك أخذًا بوصايا الحبيب ﷺ.

اعرض كلامك على الشرع قبل أن تتلفظ به:

[١١٥] عن أبي هريرة ﷺ سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن العبد ليتكلم**

---

(١) انظر البحر الرائق د/ أحمد فريد صـ١، ١٠

(٢) البخاري في الأدب المفرد وابن ماجة ح/ ٤١٩٣ وانظر صحيح ابن ماجة :٢/ ٤٠٨ ح/ ٤١٩٣ والتعليق الرغيب :٣/ ١٧٩ والصحيحة ٥٠٦ .

بالكلمة ما يتبين فيها يذل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب». وفي رواية «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا يهوي بها سبعين خريفًا في النار**»(١).

[١١٦] عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ «**إن الرجل يتكلم بالكلمة ما يرى أن تبلغ حيث بلغت يهوي بها في النار سبعين خريفًا**».(٢).

[١١٧] وفي رواية «**إن العبد ليتكلم بالكلمة يذل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**».(٣)

[١١٨] وفي أخرى «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي بها بالًا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يرى لها بالًا يهوي بها في جهنم».(٤).

فليقل خيرًا أو ليصمت :

[١١٩] عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»(٥).

إن للإيمان دلائل وسمات وبراهين وعلامات فمن استكملها فقد استكمل الإيمان، ولابد من هذه السمات لأنها آية الإيمان وبرهانه في التصور وفي السلوك.

النهي عن إيذاء المسلمين من دلائل الإيمان:

[١٢٠] حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا**

---

(١) أحمد :٢/ ٢٣٦-٢٩٧،والبخاري :٨/ ١٢٥،ومسلم :٨/ ٢٢٣-٢٢٤

(٢) أحمد :٢/ ٣٥٥

(٣) أحمد :٢/ ٣٧٨،وابن ماجة :٣٧٧

(٤) أحمد :٢/ ٣٣٤والبخاري :٨/ ١٢٥

(٥) أحمد :٢/ ٤٦٣،والبخاري :٨/ ١٣،ومسلم :١/ ٤٩

عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره التقوى ها هنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام. دمه وماله، وعرضه».[1]

هذا هو المسلم في ميزان الشرع، في ضوء الكتاب والسنة يجاهد نفسه ويلجمها بلجام حتى لا يقع في تلك المحظورات التي تورد الموارد، وتطمس بها القلوب ويعكر بها صفو النفس قال ابن السمَّاك ـ متحدثًا عن اللسان وخطره بأسلوب رائع رائق ـ:(سَبْعُكَ بين لِحْيِيكَ تأكل به كل من مرَّ عليك، قد آذيت أهل الدور في الدور حتى تعاطيت أهل القبور، فما ترثي لهم وقد جرى البلى عليهم وأنت هاهنا تنبشهم إنما نرى نبشهم أخذ الخرق عنهم، إذا ذكرت مساويهم فقد نبشتهم، إنه ينبغي لك أن يدلك على ترك القول في أخيك ثلاث خلال أما واحدة:فلعلك تذكره بأمر هو فيك، فما ظنك بربك إذا ذكرت أخاك بذنب هو فيك، ،ولعلك تذكره بأمر فيك أعظم منه، فذلك اشد استحكامًا لمقته إياك، ولعلك تذكره بأمر عافاك الله منه فهذا جزاؤه إذْ عافاك، أما سمعت: ارحم أخاك واحمد الذي عافاك).اهـ

ورحم الله القائل:

إذا أردت أن تحيا سليمًا من الأذى ... وحظك موفورًا وعرضك صينُ

لسانك لا تذكر به عورة امرئ ... فكلك عورات وللناس ألسنُ

وعيناك إن أبدت إليك مساوئا ... فصنها وقل يا عين للناس أعينُ

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ... وجادل ولكن بالتي هي أحسنُ

ولابد أن تراعي ستر إخوانك وعدم إفشاء عيوبهم وذنوبهم ومساوئهم فكل إنسان له عورات وذنوب وخبايا فمن ستر ستره الله ومن فضح الناس

---

(١) أحمد:٢/ ٢٧٧،ومسلم :٨/ ١١،١٠؛وابن ماجة ٣٩٣٣،

يوشك أن يعامل بسوء قصده وخبث طويته [١].

[١٢١] عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من ستر أخاه المسلم في الدنيا ستره الله يوم القيامة**» [٢].

فاللسان قد تكون كلماته باعثة ـ بفضل الله ـ على الستر والخير والأجر العظيم السرمدي الباقي وقد تكون الأخرى إذ لم ينزجر بزواجر هذا الدين الحنيف

[١٢٢] عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «**من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**» [٣].

[١٢٣] وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ردَّ عن عرض أخيه، كان له حجابًا من النار**». [٤]

[١٢٤] وعن أسماء بنت يزيد أن رسول الله ﷺ قال: «**من ذبَّ عن عرض أخيه بالغيبة، كان حقًا على الله أن يعتقه من النار**» [٥].

فهل يا ترى سوف نفرط في طوق النجاة الذي علمته ورزقته من خلال تعليم الله لك وتوفيقك لتلك النصوص، هل تقصر في ما فيه حجاب لك من عذاب الحريق كما مرَّ في الأحاديث .

واسمع معي إلى حديث نبيك ﷺ ناصحًا ومؤدبًا ومهذبًا ومعلمًا.

[١٢٥] عن يحيى بن راشد خرجنا حجاجًا عشرة من أهل الشام ،حتى أتينا مكة، فذكر الحديث . قال: (فأتيناه فخرج إلينا ـ يعني ابن عمر ـ فقال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ حالت شفاعته دون حدٍّ من حدود الله ﷻ فقد ضادَّ الله في أمره، ومن مات وعليه دين، فليس بالدينار والدرهم، ولكن**

---

(١) انظر فتح المغيث :٣/ ١٧٦

(٢) صحيح الجامع ٦٢٨٧،والصحيحة ٢٣٤١،

(٣) انظر صحيح الجامع ٦٢٦٢،وغاية المرام ٤٣١

(٤) انظر صحيح الجامع :٦٢٦٣،وغاية المرام للألباني ٤٣١

(٥) صحيح الجامع ٦٢٤٠،وهو عند أحمد و الطبراني وانظر غاية المرام ٤٣١

بالحسنات والسيئات، ومن خاصم في باطل، وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه، أسكنه الله ردغة الخبال، حتى يخرج مما قال وليس بخارج».[١]

وهذا الحديث يفسره الحديث الآتي من حديث أيوب بن سليمان ـ رجل من أهل صنعاء ـ قال: كنا بمكة فجلسنا إلى عطاء الخرساني إلى جنب جدار المسجد، فلم نسأله ولم يحدثنا، قال: ثم جلسنا إلى:

[١٢٦] ابن عمر مثل مجلسكم هذا، قال: فقال: «ما بالكم لا تتكلمون ولا تذكرون الله؟ قولوا: الله أكبر والحمد لله، وسبحان الله وبحمده، بواحدةٍ عشرًا، وبعشر مائة، من زاد زاده الله، ومن سكت غفر له، ألا أخبركم بخمس سمعتهن من رسول الله ﷺ؟ قالوا: بلى .قال:ـ من حالت شفاعته دون حدٍّ من حدود الله فهو مضادٌّ لله في أمره، ومن أعان على خصومة بغير حق، فهو مستظل في سخط الله حتى يترك، ومن قفا مؤمنًا أو مؤمنة حبسه الله في ردغة الخبال، عصارة أهل النار، ومن مات وعليه دين، أُخِذَ لصاحبه من حسناته لا دينار ثَمَّ ولا درهم، وركعتا الفجر حافظوا عليهما فإنهما من الفضائل».[٢]

[١٢٧] وعن ابن عمر،عن النبي ﷺ: «من أعان على خصومة بظلم، فقد باء بغضبٍ من الله ﷻ»[٣].

وفي عون المعبود قال في شرح الحديث قبل الماضي قال رحمه الله: ١٠/ ٤ وما

---

(١) أحمد :٢/ ٧٠ ،وبتحقيق الشيخ أحمد شاكر في المسند:٨/ ٢٠٤ ح/ ٥٣٨٥ وقال: إسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح/ ٦١٩٦،والصحيحة ٤٣٨،والإرواء ٢٣١٨

(٢) أحمد في مسنده :٢/ ٨٢، تحقيق الشيخ أحمد شاكر :٧/ ٢٥٤، ٢٥٥؛ح ٥٥٤٤، وقال: إسناده صحيح ، وانظر تحقيق هذا الحديث للشيخ أحمد شاكر فهو نفيس :٧/ ٢٥٤ .

(٣) أبو داود في السنن :٣/ ١٥٥٧ ح٣٥٩٨ ك الأقضية في الشهادات وإسناده ضعيف وأخرجه ابن ماجه في الأحكام ب/ من ادعى ما ليس له :٢/ ٧٧٨ ح٢٣٢٠ والبيهقي في السنن :٦/ ٨٢ من طريق مطي الوراق قال الحافظ في التقريب : صدوق كثير الخطأ

بعدها: (**حالت**) من الحيلولة أي: حجبت(**شفاعته دون حد**) أي: عنده والمعنى:أي من مَنَعَ بشفاعته حدًّا ؛ قال الطيبي:أي قدام حد فيحجز عن الحد بعد وجوده عليه بأن بلغ الإمام (**فقد ضادَّ الله**) أي خالف أمره لأن أمره إقامة الحدود، قاله القاري:وقال في فتح الودود:أي حاربه وسعى في ضد ما أمر الله به (**ومن خاصم**)أي: جادل أحدًا (**في باطل وهو يعلمه**) أي: يعلم أنه باطل، أو يعلم نفسه أنه على الباطل، أو يعلم أن خصمه على الحق، أو يعلم الباطل أي ضده الذي هو الحق ويصير عليه (**حتى ينزع عنه**)أي: يترك وينتهي عن مخاصمته، يقال: نزع عن الأمر نزوعًا إذا انتهى عنه(**ما ليس فيه**) أي: من المساوئ (**ردغة الخبال**) قال في النهاية: بفتح الراء وسكون الدال المهملة وفتحها هي: طين ووحل كثير، وجاء تفسيرها في الحديث أنها عصارة أهل النار: قال المؤلف: قلت فالإضافة في الحديث للبيان .وقال في فتح الودود:قلت:والأقرب المراد بالخبال العصارة، والردغة الطين الحاصل باختلاط العصارة بالتراب... انتهى.

(**حتى يخرج مما قال**): قال القاضي وخروجه مما قال:أي يتوب عنه ويستحل من المقول فيه؛ وقال الأشرف ويجوز أن يكون المعنى:أسكنه الله ردغة الخبال ما لم يخرج من إثم ما قال، فإذا خرج من إثمه: أي إذا استوفى عقوبة إثمه لم يسكنه الله ردغة الخبال، بل ينجيه الله تعالى منه ويتركه .

قال الطيبي: حتى على ما ذهب إليه القاضي غاية فعل المغتاب فيكون في الدنيا، فيجد التأويل في قوله:أسكنه ردغة الخبال بسخطه وغضبه: الذي هو سبب في إسكانه ردغة الخبال كذا في المرقاة .

المسلم يجب أن ينشغل بنفسه عن عيوب الخلق:

[١٢٨] عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**يبصر أحدكم القذى في عين أخيه، وينسى الجذع في عينه**».[1]

---

(١) ابن حبان في صحيحه (١٨٤٨)وأبو نعيم في الحلية :٤/ ٩٩،وصححه الألباني في الصحيحة

ومعنى القذى:أي ما يقع في العين من الشئ الدقيق كالغبار والدقيق ونحوهما، والمقصود بقوله (في عين) أخيه أي أخاه في الله ومعنى قوله (الجذع) أي جذع النخل كناية عن التطفيف في القول والحكم عن الآخرين بحيث لا يعاملهم بعدل.

ولفظ الصحيحة عند الألباني «**يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه وينسى الجذع أو الجِذْلَ في عينه معترضًا**».[١]

الواجب على كل عاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس، مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه فإن من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره، أراح بدنه ولم يتعب قلبه، فكلما اطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه، وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمي قلبه وتعب بدنه .وتعذر عليه ترك عيوب نفسه، وإن من أعجز الناس من عابهم بما فيه، ومن عاب الناس عابوه ... اهـ .[٢]

حد العفة أن تغض بصرك وجميع جوارحك عن الأجسام التي لا تحل لك، فما عدا هذا فهو عُهرٌ ....حد العدل أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه .....وحد الجور أن تأخذه ولا تعطيه... وحد الكرم أن تعطي من نفسك الحق طائعًا وتتجافى عن حقك لغيرك قادرًا، قال الشاعر:

وإن الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمي لمختلف جدًا
فإن أكلوا لحمي وَفَرْتُ لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدًا
وإن ضيعوا غيبي حفظتُ غيوبهم ... وإن هم هووا غيي هويت لهم رشدًا
وإن زجروا نحسا تمربي ... زجت لهم طيرًا تغمرهم به سعدًا

ح/ ٤٤

(١) الصحيحة :٣٣،ونسبه الألباني لابن المبارك في الزهد والقضاعي في مسند الشهاب وغيرهما

(٢) انظر روضة العقلاء ونزهة الفضلاء صـ١٢٥

ولا أحمل الحقد القديم عليهمو ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جُل مالي إن تتابع لي غنى ... وإن قلَّ مالي لم اكلفهم رفدًا
وإني لعبد الضيف ما دام نازلًا ... وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا

لا يخلو مخلوق من عيب، فالسعيد من قلت عيوبه، ودفنت .أكثر ما يكون ما لم تظن...)[1]

وقال ابن حزم رحمه الله: في نفس المصدر رأيت الناس في الكلام: ينقسمون أقسامًا ثلاثة :

أحدها: من لا يبالي فيما أنفق كلامه، فيتكلم بكل ما سبق إلى لسانه غير محقق نصر حق ولا إنكار باطل، وهذا هو الأغلب في الناس.

والثاني: أن يتكلم ناصرًا لما وقع في نفسه أنه حق ودافعًا لما توهم أنه باطل غير محقق لطلب الحقيقة لكن لجاجا فيما التزم وهذا كثير وهو دون الأول.

والثالث: واضع الكلام في مواضعه وهذا أعز من الكبريت الأحمر...اهـ

(نفس المصدر السابق صـ ٧٣).

يا من يَرْجَى الثواب بغير عمل، ويرجى التوبة بطول الأمل تقول في الدنيا قول الزاهدين وتعمل فيها عمل الراهبين، الراغبين، لا بقليل منها تقنع، ولا بكثير منا تشبع، تكره الموت لأجل ذنوبك، وتقيم على ما تكره الموت له من عيوبك تغلبك نفسك على ما تظن ولا تغلبها على ما تستيقن، ما تثق من الرزق بما ضمن لك، ولا تعمل من العمل ما فرض عليك وتستكثر من معصية غيرك ما تحتقره من نفسك أما تعلم أن الدنيا كالحية ليِّنٌ مَسُّهَا والسم الناقع من جوفها يهوي إليها الصبي الجاهل، ويحذرها اللبيب العاقل،

(١) انظر مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق لابن حزم صـ ٣٧،٣٩

كيف تقر عين من عرفها، وما أبعد أن يفطم عنها من ألفها فتفكروا يا إخواني في أهل الصلاح والفساد، وميزوا بين أهل الخسران وأهل الأرباح، فيا سرعان عمر يفنيه المساء والصباح،.... اهـ.[١]

[١٢٩] عن يزيد بن عبد الرحمن الأوديِّ، عن أبي هريرة ـ ﷺ ـ قال: «**سئل النبي ﷺ: ما أكثر ما يدخل الجنة؟ قال: التقوى وحسن الخلق، وسئل ما أكثر ما يدخل النار؟ قال: الأجوفان: الفم، والفرج**».[٢]

إذا كان فضول الكلام عليه حساب في القيامة، لأن المسلم لا يتكلم ـ ابتداءً ـ إلا إذا كان لكلامه هدف شرعي بنية صالحة، فكيف إذا كان الكلام حاملًا للغو والرفث ونحوهما؟!

إن الله تعالى قال: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ سورة قّ:١٨.

[١٣٠] وعن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من وقاه الله شرَّ ما بين لحييه وشرَّ ما بين رجليه دخل الجنة**».[٣]

[١٣١] وفي صحيح الجامع بلفظ آخر من حديث سهل بن سعد: «**من يتوكل لي ما بين لحييه وما بين رجليه، أتوكل له بالجنة**».[٤]

وفي رواية «...**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**».[٥]

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان :٢/ ٣٥٠،٣٥١

(٢) أحمد :٢/ ٢٩١ / ٢/ ٣٩٢،وفي ٢/ ٤٤٢،وابن ماجة ٤٢٤٦ وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة: ٢/ ٤١٧ ح٣٤٢٤ والصحيحة ٩٧٧.

(٣) أخرجه الترمذي وانظر صحيح الجامع ٦٥٩٣، والصحيحة ٥١٠.

(٤) صحيح الجامع ح/ ٦٦٠٥،والترغيب :٣/ ١٩٧

(٥) فيض القدير :٦/ ٣٢٢،ح/ ٩١٠٩

ولا أحمل الحقد القديم عليهمو ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جُل مالي إن تتابع لي غنى ... وإن قلَّ مالي لم اكلفهم رفدًا
وإني لعبد الضيف ما دام نازلًا ... وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا

لا يخلو مخلوق من عيب، فالسعيد من قلت عيوبه، ودفنت .أكثر ما يكون ما لم تظن...)[1]

وقال ابن حزم رحمه الله: في نفس المصدر رأيت الناس في الكلام: ينقسمون أقسامًا ثلاثة :

أحدها: من لا يبالي فيما أنفق كلامه، فيتكلم بكل ما سبق إلى لسانه غير محقق نصر حق ولا إنكار باطل، وهذا هو الأغلب في الناس.

والثاني: أن يتكلم ناصرًا لما وقع في نفسه أنه حق ودافعًا لما توهم أنه باطل غير محقق لطلب الحقيقة لكن لجاجا فيما التزم وهذا كثير وهو دون الأول.

والثالث: واضع الكلام في مواضعه وهذا أعز من الكبريت الأحمر...اهـ

(نفس المصدر السابق صـ ٧٣).

يا من يَرْجَى الثواب بغير عمل، ويرجى التوبة بطول الأمل تقول في الدنيا قول الزاهدين وتعمل فيها عمل الراهبين، الراغبين، لا بقليل منها تقنع، ولا بكثير منا تشبع، تكره الموت لأجل ذنوبك، وتقيم على ما تكره الموت له من عيوبك تغلبك نفسك على ما تظن ولا تغلبها على ما تستيقن، ما تثق من الرزق بما ضمن لك، ولا تعمل من العمل ما فرض عليك وتستكثر من معصية غيرك ما تحتقره من نفسك أما تعلم أن الدنيا كالحية ليِّنٌ مَسُّهَا والسم الناقع من جوفها يهوي إليها الصبي الجاهل، ويحذرها اللبيب العاقل،

(١) انظر مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق لابن حزم صـ ٣٧،٣٩

كيف تقر عين من عرفها، وما أبعد أن يفطم عنها من ألفها فتفكروا يا إخواني في أهل الصلاح والفساد، وميزوا بين أهل الخسران وأهل الأرباح، فيا سرعان عمر يفنيه المساء والصباح،.... اهـ.[١]

[١٢٩] عن يزيد بن عبد الرحمن الأوديِّ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «**سئل النبي ﷺ: ما أكثر ما يدخل الجنة؟ قال: التقوى وحسن الخلق، وسئل ما أكثر ما يدخل النار؟ قال: الأجوفان: الفم، والفرج**».[٢]

إذا كان فضول الكلام عليه حساب في القيامة، لأن المسلم لا يتكلم ـ ابتداءً ـ إلا إذا كان لكلامه هدف شرعي بنية صالحة، فكيف إذا كان الكلام حاملًا للغو والرفث ونحوهما؟!

إن الله تعالى قال: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ سورة قّ:١٨.

[١٣٠] وعن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من وقاه الله شرَّ ما بين لحييه وشرَّ ما بين رجليه دخل الجنة**».[٣]

[١٣١] وفي صحيح الجامع بلفظ آخر من حديث سهل بن سعد: «**من يتوكل لي ما بين لحييه وما بين رجليه، أتوكل له بالجنة**».[٤]

وفي رواية «...**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**».[٥]

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان :٢/ ٣٥٠،٣٥١

(٢) أحمد :٢/ ٢٩١ / ٢/ ٣٩٢،وفي ٢/ ٤٤٢،وابن ماجة ٤٢٤٦ وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة: ٢/ ٤١٧ ح٣٤٢٤ والصحيحة ٩٧٧.

(٣) أخرجه الترمذي وانظر صحيح الجامع ٦٥٩٣، والصحيحة ٥١٠.

(٤) صحيح الجامع ح/ ٦٦٠٥،والترغيب :٣/ ١٩٧

(٥) فيض القدير :٦/ ٣٢٢،ح/ ٩١٠٩

قال المناوي: (**منْ يضمن**) من الضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية، فأطلق الضمان وأراد لازمه وهو أداء الحق الذي عليه (**لي ما بين لحييه**) بفتح فسكون هما العظمان بجانب الفم، وأراد بما بينهما اللسان، وما يتأتى به النطق وغيره، فيشمل سائر الأقوال، والأكل والشرب، وسائر ما يتأدى بالفم من الفعل والنطق باللسان أصل كل مطلوب (**وما بين رجليه**)أي: الفرج، والمعنى: منْ أدى الحق الذي على لسانه، من النطق بالواجب، والصمت عما لا يعنيه، وأدى الحق الذي على فرجه من وضعه في الحلال، وكفه عن الحرام (**أضمن**) بالجزم جواب الشرط (**له الجنة**) أي دخوله إياها، وهذا تحذير من شهوة البطن والفرج، وأنها مهلكة، ولا يقدر على كسر شهوتها إلا الصديقون (بالاستعانة بالله) ...اهـ

[١٣٢] وعن علقمة بن وقاص الليثي، أن بلال بن الحارث المزني قال له: إني رأيتك تدخل على هؤلاء الأمراء وتغشاهم، فانظر ماذا تحاضرهم به، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من الخير ما يعلم مبلغها يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من الشر ما يعلم مبلغها يكتب الله بها عليه سخطه إلى يوم يلقاه**». فكان علقمة يقول رُبَّ حديث قد حال بيني وبينه ما سمعت من بلال...)[1]

ومن ثمَّ وجب على المسلم أن يعرض الكلام قبل إخراجه على قلبه فإن كان له تكلم وهو آمن من سخط الله تعالى، وإن كان عليه وجب عليه أن يمسك حتى لا يثقل حمله بالأوزار وتكون التبعات مجهدة له في يوم توبق فيه السيئات وتعز فيه الحسنات وتكثر فيه البليات والحسرات فاهرع إلى النجاة

---

(١) البغوي في شرح السنة :١٤/ ٣١٥،حديث صحيح رقم ٤١٢٥،وصححه الأرناؤوط رحمه الله.

قبل اصفرار شمس العمر والممات .

[١٣٣] وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أكثر ما يدخل أمتي النار الأجوفان: الفرج والفم**».[١]

[١٣٤] وعن عقبة بن عامر الجهني قال: لقيت رسول الله ﷺ يومًا فقلت: ما النجاة؟ فقال: «**يا عقبة أملك عليك لسانك، وليسعك بيتك وابك على خطيئتك**». [٢]

[١٣٥] وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله قال: «**قولوا خيرًا تغنموا، واسكتوا عن شر تسلموا**».[٣]

قال المناوي: بقول الخير إذا نوي به نشر الخير وتعليمه والاشتغال به عن شر، فيغنم بنيته، وكذا السكوت عن الشر بنية الصيانة عنه، وأن لا ينشره، ولا يبدأ به، ولا يوافق أهله ...قال بعض السلف: كنا نتعلم السكوت كما تتعلمون الكلام (اسكتوا عن شر تسلموا).

---

(١) شرح السنة للبغوي :١٤/ ٣١٦،ح/ ٤١٢٧ وقال الأرنؤوط حديث حسن وفيه يزيد الأودي وهو ضعيف إلا أنه لم ينفرد به ،فقد رواه الترمذي أيضًا في البر والصلة عن أبي كريب ،عن عبد الله بن إدريس ،عن أبيه إدريس بن يزيد الأودي عن جده ،عن أبي هريرة وقال حديث صحيح غريب ،ورواه ابن ماجة ح/ ٤٢٤٦،وصححه ابن حبان (١٩٢٣) وحسنه الألباني بمعناه وقد سبق الإشارة إليه .

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد رقم:١٣٤،والترمذي :٢٤٠٨،ومعلوم أن على بن زيد= =ضعيف إلا أن أحمد روى هذا الحديث من طريق إسماعيل بن عياش عن أسيد بن عبد الرحمن الخثعمي ،عن فروة بن مجاهد اللخمي عن عقبة بن عامر بأطول من هذا ،وهذا اسناد قوي فإن إسماعيل بن عياش صدر في رواية عن أهل بلده وهذا منها ،وفروة بن مجاهد اللخمي روى عنه جماعة ،وذكره ابن حبان في الثقات ،راجع تعليق الأرنؤوط على هذا الحديث في هامش شرح السنة للبغوي :١٤/ ٣١٧

(٣) صحيح الجامع ح/ ٤٤١٩،والصحيحة ٤١٢

[١٣٦] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**».[١]

اعلم رحمنا الله وإياك أن رأس مال العبد أوقاته، فمهما صرفها إلى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابًا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله، ولهذا قال النبي ﷺ في هذا الحديث الماضي: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**». وسببه الباعث عليه هو الحرص على معرفة ما لاحاجة إليه، أو تزجية أوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها، وعلاج ذلك كله أن يعلم أن أنفاسه رأس ماله، وأن لسانه شبكة يقدر أن يقتنص بها الخيرات الحسان فإهماله ذلك وتضييعه خسران مبين، ومعنى قول النبي ﷺ: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**».

أن مَنْ حَسُنَ إسلامه تَرَكَ ما لا يعنيه من قول أو فعل، واقتصر على ما يعنيه من قول وفعل ومعنى يعنيه:أي تتعلق عنايته به، ويكون من مقصوده ومطلوبه والعناية شدة الاهتمام بالشيء وليس المراد: أن يترك ما لا إرادة له، ولا عناية بحكم الهوى وطلب النفس، بل بحكم الشرع والإسلام ولهذا جعله من حسن الإسلام، وأكثر ما يراد بترك ما لا يعني حفظ اللسان من لغو الكلام.

قال مورق العجلي:أمُرُّ أنا في طلبه منذ كذا وكذا سنة لم أقدر عليه، ولست بتارك طلبه أبدا قالوا: وما هو؟ قال: الكف عمَّا لا يعنيني وروى أبو عبيدة عن الحسن قال: من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه خذلانا من الله ـ عز وجل ـ.

وقال سهل بن عبد الله:من تكلم فيما لا يعنيه حُرِمَ الصدق وحَدُّ الكلام فيما لا يعنيك أن تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تأثم ولم تستضر في حال ومال

---

(١) ابن ماجة :٢/ ١٣١٥،ح/ ٣٩٧٦،وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٢:/ ٣٦٠،ح/ ٣٢١١والروض :٣٢١،٢٩٣

مثاله:أن تجلس مع قومٍ فتذكر لهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار، وما وقع لك من الوقائع، وما استحسنته من الأطعمة والثياب، فهذه أمور لو سكتّ عنها لم تأثم ولم تستضر .... والكلام فيما لا يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة نوع فضول فإن من يعنيه أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر، ويمكنه أن يحسمه ويقرره ويكرره، ومهما تأدي مقصوده بكلمة واحدة فذكر سبق، وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر ....اهـ.[١]

[١٣٧] وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ يقول: قال رسول الله ﷺ **«إنَّ العبد ليقول الكلمة، لا يقولها إلا ليضحك بها الناس، يهوي بها أبعد ما بين السماء والأرض وإنه ليزل عن لسانه أشد مما يزل من قدمه»**.[٢]

لكن يشهد له هذا الحديث لأبي هريرة أيضًا أنَّ رسول الله ﷺ قال:

[١٣٨] **«إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»**.[٣]

[١٣٩] كما يشهد له هذا حديث أيضًا **«إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا، يَهوى بها سبعين خريفًا في النار»**.[٤].

[١٤٠] عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: **«أكثر خطايا بن آدم في لسانه»**.[٥]

---

(١) البحر الرائق في الزهد والرقائق صـ٧٤ـ٧٥،د/ أحمد فريد بتصرف كبير

(٢) حديث ضعيف ولكن يشهد له ما ذكرناه قبل ذلك لأن فيه يحيى بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب وهو متروك.

(٣) أصله في الصحيحين وذكره الألباني في صحيح الجامع :١٦٧٨،والصحيحة ٥٤٠ وقد تقدم تخريجه.

(٤) صحيح الجامع :١٦١٨،والصحيحة ٥٤٠،وأصله متفق عليه.

(٥) حديث حسن انظر صحيح الجامع :١٢٠١،والصحيحة ٥٣٤.

وقفات مع الصمت

(١) **حفظ اللسان**: هو أن يصون الإنسان لسانه عن الكذب، والغيبة، والنميمة، وقول الزور وما نهى عنه الشارع الحكيم، ...اهـ

قال الحافظ: من الأخلاق الفاضلة:اللهجة: وهي الإخبار عن الشيء على ما هو به وهذا الخلق مستحسن ما لم يُؤدِّ إلى ضرر مُجْحِفٍ .

يقول الماوردي:اعلم أنَّ الكلام ترجمان يعبر عن مستودعات الضمائر ويخبر بمكنونات السرائر، لا يمكن استرجاع بوادره ولا يقدر على رد شوارده، فحق على الغافل أن يحترز من الله بالإمساك عنه أو بالإقلال منه .

وقال الماوردي ـ رحمه الله ـ في آداب الكلام: واعلم أن للكلام آدابًا لا يسلم المتكلم من الزلل إلا بها ولا يعرى من النقص إلا بعد أن يستوفيها وهي:

١ـ أن لا يتجاوز في مدح، ولا يسرف في ذمَّ، وإن كانت النزاهة عن الذم كرما، والتجاوز في المدح قلقًا، يصدر عن مهانة، والسرف في الذم انتقام يصدر عن شر، وكلاهما شينٌ، وإن سلم من الكذب .

٢ـ أن لا تبعثه الرغبة، والرهبة في وعد أو وعيد يعجز عنهما، ولا يقدر على الوفاء بهما، فإن من أطلق لسانه، وأرسل فيها عنانه، ولم يستثقل من القول ما يستثقله من العمل صار وعده نكثًا، ووعيده عجزًا .

٣ـ إن قال قولًا حققه بفعله، وإذا تكلم بكلام صدقه بعمله، فإنَّ إرسال القول اختيار و العمل به اضطرار، ولأن يفعل مالم يقل أجمل من أن يقول ما لم يفعل .

٤ـ أن يراعي مخارج كلامه بحسب مقاصده، وأغراضه، فإن كان ترغيبًا قرنه باللين واللطف، وإن كان ترهيبًا خلطه بالخشونة والعنف، فإن لين اللفظ

في الترهيب وخشونته في الترغيب، خروج عن موضعهما، وتعطيل للمقصود بهما، فيصير الكلام لغوًا، والغرض المقصود لهوًا .

٥ـ ألا يرفع بكلامه صوتًا مستكرهًا، ولا ينزعج له انزعاجًا مستهجنًا وليكف عن حركةٍ تكون طيشًا، وعن حركة تكون عِيًا فإن نقص الطيش أكثر من فضل البلاغة .

٦ـ أن يتجافى هجر القول، ومستقبح الكلام، وليعدل إلى الكناية عمَّا يستقبحُ صريحه، ويستهجن فصيحه، ليبلغ الغرض ولسانه نَزِهٌ، وأدبه مصون، وكما أنه يصون لسانه عن ذلك، فهكذا يصون عنه سمعه، فلا يسمع خنى، ولا يصغى إلى فحش فإن سماع الفحش داع إلى إظهاره، وذريعة إلى إنكاره، وإذا وُجِدَ عن الفحش معرضًا، كفّ قائله وكان إعراضه أحد النكيرين، كما أن سمعه أحد الباعثين .

٧ـ أن يجتنب أمثال العامة الغوغاء، ويتخصص بأمثال العلماء الأدباء، فإن لكل صنف من الناس أمثالًا تشاكلهم، فلا تجد لساقط إلا مثلًا ساقطًا، وتشبيهًا مستقبحًا، وللأمثال من الكلام موقع في الأسماع وتأثير في القلوب، لا يكاد الكلام المُرسل يبلغ مبلغها، ولا يؤثر تأثيرها، لأن المعاني بها لائحة، والشواهد بها واضحة والنفوس بها وامقة ، والقلوب بها واثقة، والعقول لها موافقة، فلذلك ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز، وجعلها من دلائل رسله، وأوضح بها الحجة على خلقه لأنها في العقول معقولة، وفي القلوب مقبولة)[1].

[١٤١] حديث معاذ بن جبل ﷺ قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير، فقلت: **يا رسول الله أخبرني بعمل**

---

(١) انظر ك/ أدب الدنيا والدين للماوردي صـ٢٦٦ـ ٢٦٧بتصرف كبير، وانظر موسوعة نضرة النعيم :٧/ ٢٦٣٦

يدخلني الجنة،ويباعدني من النار، قال: «لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلتُ: بلى يا نبي الله. فأخذ بلسانه. قال: كُفَّ عليك هذا: فقلت: يا نبي الله: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم». (١)

(وقوله بملاك ذلك) أي بما يملك الإنسان ذلك كله بحيث يسهل عليه جميع ما ذكر (كفَّ عليك) أي احبس واحفظ (ثكلتك) أي فقدتك وهو دعاء عليه بالظاهر والمقصود التعجب من الغفلة في هذا الأمر على خطورته وشهرته (يكب) من كبَّه إذا صرعه.

(حصائد ألسنتهم) بمعنى محصوداتهم على تشبيه ما يتكلم به الإنسان بالزرع المحصود بالآلة من غير تمييز بين رطب ويابس، وجيد وردئ، ،وكذلك لسان المكثار في الكلام، بكل فن من فنون الكلام، من غير تمييز بين ما يحسن ويقبح .

عن شكل بن حميد ﷺ قال: «أتيت النبي ﷺ فَقُلْتُ: يا رسول الله، علمني تعوذًا أتعوذ به، قال: فأخذ بكفِّي فقال: قل «اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي، ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبي، ومن شر منيي»(٢)

هذا أمر من النبي ﷺ ولا يشدد في النصيحة إلا إذا كان الأمر جدًا وخطيرًا فاللسان شر مستطير وربما أطاح بعزم صاحبه فكان أمره فرطا فتدني إلى أخلاق

---

(١) الترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجة ٣٩٧٣،وانظر صحيح ابن ماجة ٢:/ ٣٥٩،ح/ ٣٢٠٩،والإرواء ٤١٣،والتعليق الرغيب :٤/ ٥ـ٦ وتخريج الإيمان لابن أبى شيبة :١ـ٢ بتحقيق الألباني .

(٢) صحيح الترمذي ،ح/ ٢٧٧٥،وصحيح أبو داود ١٣٨٧

سيئة فأوردته الموارد وأرجعته القهقرى إلى أخلاق الجاهلية المظلمة ـ عياذًا بالله ـ

خلِّ جنبيك لرام ... وامض عنه بسلام

مُت بداء الصمت خير ... لك من داء الكلام

إنما السالم من ... ألجم فاه لجام

وعن عطاء بن أبى رباح قال إن من كان قبلكم كانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله أو أمر بمعروف، أو نهي عن المنكر، أو أن تنطق في معيشتك التي لابد لك منها، أفتنكرون أن عليكم حافظين كرامًا كاتبين، عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، أما يستحيي أحدكم لو نشرت صحيفته التي أملى صدر نهاره وليس فيها شيء من أمر آخرته ...[1] اهـ

وعن ثابت البناني ـ رحمه الله ـ قال شداد بن أوس لغلامه «**ائتنا بسفرتنا فنعبث ببعض ما فيها . فقال له رجل من أصحابه ما سمعتُ منك كلمة منذ صاحبتك أرى أن يكون فيها شيء من هذه؟ قال صدقت ما تكلمت بكلمة مذ بايعت رسول الله ﷺ إلا أُزِمُها وأخطمها إلا هذه، وأيم الله لا تذهب مني هكذا فجعل يسبح ويكبر ويحمد الله ﷻ**».[2]

وقال ابن القيم: جعل الله لحكمته كل جزء من أجزاء ابن آدم، ظاهرة وباطنة، آلة لشيء إذا استعمل فيها فهو كماله، فالعين آلة للنظر، والأذن آلة للسماع، والأنف آلة للشم، واللسان للنطق، والفرج للنكاح، واليد للبطش، والرجل للمشي، والقلب للتوحيد والمعرفة، والروح للمحبة، والعقل آلة للتفكر والتدبر لعواقب الأمور الدينية والدنيوية و إيثار ما ينبغي إيثاره، وإهمال ما ينبغي إهماله .

---

(١) سير أعلام النبلاء :٥/ ٨٦

(٢) حلية الأولياء :١/ ٢٦٥

أخسر الناس صفقة من اشتغل عن الله بنفسه، بل أخسر منه من اشتغل عن نفسه بالناس.

[١٤٢] في السنن عن أبي سعيد الخدري يرفعه: «**إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، تقول: أتق الله، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا**».(١).

[١٤٣] [١٣٠] وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من وقاه الله شر ما بين لحييه، وما بين رجليه، دخل الجنة**».(٢)

قال ابن القيم رحمه الله: قوله: (**تكفر اللسان**) قيل معناه تخضع له وإنما خضعت للسان لأنه بريد القلب وترجمانه، والواسطة بينه وبين الأعضاء، وقوله: (**إنما نحن بك**) أي نجاتنا بك، وهلاكنا بك ولهذا قالت: (**فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا**)..(٣)اهـ.

قال أحد الحكماء لابنه: يا بني تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث، وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول، فاحذر أن تَسرع في القول فيما يجب الرجوع عنه بالفعل، حتى يعلم الناس انك على فعل ما لم تقل أقرب منك إلى قول ما لم تفعل ... اهـ.(٤)

قال الحسن البصري: لسان العاقل من وراء قلبه فإذا أراد الكلام تفكر، فإن كان له قال، وإن كان عليه سكت، وقلب الأحمق من وراء لسانه، فإذا أراد أن يقول قال، فإن كان له سكت وإن كان عليه قال.

---

(١) الترمذي في السنن وأبو نعيم الحلية :٤/ ٣٠٩،وابن المبارك في الزهد :١٠١٢،وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي :٢/ ٢٨٧، ح/ ١٩٦٢، والمشكاة :٤٨٣٨

(٢) صحيح الترمذي ح ١٩٦٤ وحسنه الألباني في الصحيحة ٥١٠ .

(٣) انظر الفوائد صـ٧٧ـ٧٨ بتصرف .

(٤) ك/ تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين صـ٧٢،مكتبة القرآن لـ/ أحمد بن عبد ربه الأندلسي.

ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فتكلم عنده بكلام أعجب سليمان، فأراد أن يختبره لينظر: أعقله على قدر كلامه أم لا؟ فوجده مضعوفًا ـ ضعيف الرأي ـ فقال:فضل العقل على المنطق حكمة، وفضل المنطق على العقل هُجنة والهجنة من الكلام ما يلزمك منه العيب، وخير الأمور ما صدق بعضه بعضًا وأنشد:

وما المرء إلا الأصغران لسانه ومعقوله والجسم خلق مصورُ
فإن تَرَ منه ما يروق فربما أمر مذاق العود والعود أخضر[1]

وفي المصدر السابق قال المؤلف صـ١٨٨:

وعاب رجلٌ رجلًا عند بعض الأشراف فقال له: قد استدللت على كثرة عيوبك، بما تكثر من عيوب الناس، لأن طالب العيوب إنما يطلبها بقدر ما فيه منها: أما سمعت قول الشاعر

لا تهتكن من مساوي الناس ما ستروا فيهتك الله سترًا من مساويكا
وأذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحد منهم بما فيكا
واحفظ لسانك من طعن على أحد من العباد ومن نقلٍ ومن كذب
وكن وقورًا خشوعًا غير منهمك في اللهو والضحك واللعب
ونزه الصدر من غش ومن حسد وجانب الكبر يا مسكين والعجب
وارض التواضع خلق أل أخيار فاقتد بهم تنجو من الوصب
وخالف النفس واستشعر عداوتها وارفض هواها وما تختاره تصب[2]

(١) ك/ تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين صـ١٥٠ـ١٥١،مكتبة القرآن لـ/ أحمد بن عبد ربه الأندلسي .

(٢) انظر القصائد الزهديان للشيخ السلمان :١/ ٤٣٢

من آفات اللسان

الكلام فيما لا يعنيك:

قال الغزالي: اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات (**آفات اللسان**) من الغيبة والنميمة والكذب، والمراء، والجدال، وغيرها، وتكلم فيما هو مباح، لا ضرر عليك فيه، ولا على مسلم أصلًا، إلا أنك تتكلم فيما أنت مستغن عنه، ولا حاجة بك إليه، فإنك مضيع به زمانك، ومحاسب على عمل لسانك، وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفكر، ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عن الفكر ما يعظم جدواه، ولو هلَّلت الله سبحانه، وذكرته، وسبحته لكان خيرًا لك، فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة، ومن قدر على أن يأخذ كنزًا من الكنوز فأخذ مكانه مدرة لا ينتفع بها كان خاسرًا خسرانًا مبينًا، وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى، واشتغل بمباح لا يعنيه فإنه وإن لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى، فإن المؤمن لا يكون صمته إلا فكرًا، ونظره إلا عبرة، ونطقه إلا ذكرًا ... بل رأس مال العبد أوقاته، ومهما صرفها إلى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابًا في الآخرة، فقد ضَيَّع رأس ماله، ولهذا قال النبي ﷺ: (**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**) [1]، وأيضًا قد نبه النبي على الصمت في أحاديث عديدة قد مضى بعضها منها.

[١٤٤] حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم**

---

(١) سبق تخريجه

ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت».[١].

وفي رواية «...فليقل خيرًا أو ليسكت».[٢].

(فليقل خيرًا) يثاب عليه بعد التفكير فيما فيه التكلم به، فإذا ظهر له أنه خير لا يترتب عليه مفسدة قاله (أو ليصمت)أي يسكت عن الشر فيسلم،لقوله في الحديث الآخر (من صمت نجا) قاله ..... أي يسكت عما لا خير فيه وفواتهما ينافي حال المؤمنين، وشرف الإيمان لأنه من الأمن ولا أمان لمن فاتته الغنيمة والسلامة .وفي رواية (السكوت) ومعناهما واحد لكن الصمت أخص لأنه السكوت مع القدرة وهو المأمور به، أما السكوت مع العجز لفساد آلة النطق فهو الخرس أو لتوقفها فهو العي...اهـ

قال القرطبي:معناه أن المصدق بالثواب والعقاب المترتبين على الكلام في الدار الآخرة لا يخلو أما أن يتكلم بما يحصل له ثوابًا أو يسكت عن شيء يجلب له عقابًا أو شرًا فيسلم فأو للتنويع والتقييم فليسن له الصمت حتى عن المباح لأدائه إلى محرم أو مكروه، وبفرض خلوه عن ذلك فهو ضياع الوقت فيما لا يعني ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ...

وأفاد الحديث أن قول الخير أفضل من الصمت لتقديمه عليه، وإنما أمر به عند عدم قول الخير وقد أكثر الناس في تفصيل آفات الكلام وهي أكثر من أن تدخل تحت حصر، وحاصله أن آفات اللسان أسرع الآفات للإنسان وأعظمها في الهلاك، والخسران، فالأصل ملازمة الصمت حتى تتحقق السلامة من الآفات والحصول على الخيرات فحينئذ تخرج تلك الكلمة مخطومة

(١) أحمد :٢/ ٤٦٣،البخاري :٨/ ١٣،ومسلم :١/ ٤٩ـ٥٠،
(٢) أحمد :٢/ ٤٦٣،

وبأزمة التقوى، مذمومة وهذا من جوامع الكلم، لأن الكلام كله خير أو شر، أو آيل إلى أحدهما، فدخل في الخير كل مطلوب من فرض ونفل، فأذن منه على اختلاف أنواعه ودخل فيه ما يئول إليه، وما عدا ذلك مما هو شر أو يئول إليه فأمر بالصمت عنه، وكل من آمن بالله حقّ الإيمان خاف وعيده ورجى ثوابه، ومن آمن باليوم الآخر استعد واجتهد في فعل ما يدفع به أهواله، فيأتمر بالأوامر، وينتهي عن النواهي، ويتقرب لمولاه بما يقربه إليه، ويعلم أن أهم ما عليه ضبط جوارحه، ومن أكثر المعاصي عددًا وأيسرها فعلًا معاصي اللسان، وقد استقرأ المحاسبون لأنفسهم آفات اللسان، فزادت عن العشرين وأرشد ﷺ إلى ذلك جملة ...فمن آمن بذلك حق إيمانه اتقى الله في لسانه، وقد قال ابن مسعود وسلمان (**ما شيء أحق بطول سجنه من اللسان**) [1].

إن المسلم المسدد ليدرك أنَّ هذا العمر هو هبة العليُ الأعلى لنا ولا يستقيم أن يضيع الإنسان رأس ماله الذي به ـ بعد فضل الله ـ السعادة والسداد ورغد العيش والحبور يوم يقوم الأشهاد، وعليه فينبغي أن نضن بالوقت أن يذهب سدى في غير ما فائدة وإلا تقطعت نفس المفرط حسرات على ما ضاع منه من أنفس الدرر واليواقيت التي يفترض أن تدفع دفعًا جميلًا إلى رضوان الله تعالى والجنة وتحول بين المرء وبين سخط الله والنار ـ بعد فضل الله ورحمته ـ .

قال مجاهد رحمه الله: سمعت ابن عباس يقول: خمسٌ لهن أحب إليَّ من الدهم الموقوفة ـ العدد الكثير من الإبل ـ لا تتكلم فيما لا يعنيك، فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر، ولا تتكلم فيما لا يعنيك حتى تجد له موضعًا، فإنه رُبَّ متكلم فيما لا يعنيه، قد وضعه في غير موضعه، فَعَنَتَ، ولا تمار حليمًا ولا سفيهًا فإن

(١) انظر شرح الزرقاني على موطأ مالك :٤/ ٣٨٣، طـ/ الكتب العلمية

الحليم يقليك، والسفيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به واعفه مما تحب أن يعفك منه وعامل أخاك بما أن تحب أن يعاملك به، واعمل عمل رجل يعلم أنَّه مجازى بالإحسان مأخوذ بالإجرام ... اهـ[١]

وأما الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه، أو المباسطة بالكلام على سبيل التودد، أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها، وعلاج ذلك كله أن يعلم أنَّ الموت بين يديه، وأنه مسئول عن كل كلمة، وأن أنفاسه رأس ماله ... اهـ.[٢]

أقوال منثورة مهمة

١ـ عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «**والذي لا إله غيره ما على ظهر الأرض من شيء أحوج إلى أطول سجن من لسان**»[٣].

٢ـ قال ابن رجب ـ يرحمه الله ـ في شرح حديث «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»: ومعنى هذا الحديث أن من حسن إسلامه تركه ما لا يعنيه من قول وفعل اقتصر على ما يعنيه من الأقوال والأفعال، ومعنى يعنيه أن تتعلق عنايته به ويكون من مقصده ومطلوبه، والعناية شدة الاهتمام بالشيء يقال: عناه: يعنيه إذا اهتم به وطلبه، وليس المراد أنه يترك ما لا عناية له به ولا إرادة بحكم الهوى وطلب النفس، بل بحكم الشرع والإسلام، وبهذا جعله

(١) إحياء علوم الدين :٢/ ١٥٤٦،طـ/ الشعب
(٢) إحياء علوم الدين :٢/ ١٥٤٧،طـ/ الشعب
(٣) الزهد للإمام أحمد : ١٦٢

من حسن الإسلام، فإذا حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه في الإسلام من الأقوال والأفعال، فإن الإسلام يقتضي فعل الواجبات..... وإن الإسلام الكامل الممدوح يدخل فيه ترك المحرمات كما قال النبي ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**». وإذا حسن الإسلام اقتضى ترك ما لا يعني كله من المحرمات أو المشتبهات أو المكروهات، وفضول المباحات التي لا يحتاج إليها فإن هذا كله لا يعني المسلم إذا كمل إسلامه وبلغ إلى درجة الإحسان وهو أن يعبد الله تعالى كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه، فمن عبد الله على استحضار قربه، ومشاهدته بقلبه أو على استحضار قرب الله منه، واطلاعه عليه فقد حسن إسلامه، ولزم من ذلك أن يترك ما لا يعنيه في الإسلام ويشتغل بما يعنيه فيه، فإنه يتولد من هذين المقامين الاستحياء من الله وترك كل ما يستحيي منه كما وصى ـ ﷺ ـ رجلًا أن يستحي من الله كما يستحيي من رجل من صالحي عشيرته لا يفارقه

[١٤٥] وفي «المسند» والترمذي عن ابن مسعود ﷺ مرفوعًا: «**الاستحياء من الله تعالى: أن تحفظ الرأس وما وعى، وتحفظ البطن وما حوى، ولتذكر الموت والبِلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**». قال بعضهم استحي من الله على قدر قربه منك وخف الله على قدر قدرته عليك وقال بعض العارفين: إذا تكلمت فاذكر سمع الله لك وإذا سكت فاذكر نظره إليك .

وقد وضحت الإشارة إلى هذا المعنى في القرآن العظيم في مواضع: كقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ ۞ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۞ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ ق:١٦ـ ١٨ وقوله تعالى: ﴿**وما تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ**

قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ يونس:٦١ وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ الزخرف:٨٠.

[١٤٦] وفي صحيح ابن حبان عن أبي ذر ﷺ - عن النبي - ﷺ - قال «كان في صحف إبراهيم ﷺ -: وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبًا على عقله أن تكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم، والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنًا - ساعيًا - إلا لثلاث، تزود لمعاد، أو حرفة لمعاش، أو لذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيرًا بزمانه مقبلًا على شانه، حافظًا للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قلَّ كلامُهُ إلا فيما يعنيه».(١)

تمسك بتقوى الله فالمرء لا يبقى ... وكل امرئ ما قدمت يده يلقى
ولا تظلمن الناس في أمر دينهم ... ولا تذكرن إفكًا ولا تحسدن خلقًا
ولا تقربن فعل الحرام فإنه ... لذاذته تفنى وأنت به تشقى
وعاشر إذا عاشرت ذا الدين ... تنتفع بعشرته احذر معاشرة الحمقى

❁❁❁

(١) بتصرف من جامع العلوم والحكم صـ١٣٦ـ١٣٨، طـ/ دار الحديث

المبحث التاسع

الـغـيـبـــة

٢. الغيبة وحكمها

اعلم أن الغيبة أن تذكر أخاك بما يكره لو بلغه سواء ذكرته بنقص في بدنه أو في نسبه، أو في خُلقِهِ أو فعله، أو في قوله، أو في دينه، أو في دنياه، حتى في ثوبه، وداره، ودابته، أما البدن فكذكرك العمش، والحوَل، والقرع، والقصر، والطول، والسواد، والصفرة، وجميع ما يتصور أن يوصف بما يكرهه كيفما كان، وأما النسب، فبأن تقول: أبوه نبطي أو هندي، أو فاسق أو خسيس، أو إسكافٍ، أو زبَّال، أو أي شيء مما يكرهه، كيفما كان، وأما الخُلُق فبأن تقول: هو سيئ الخلق بخيل متكبر، مُراء، شديد الغضب، جبان عاجز، ضعيف القلب متهور، وما يجري مجراه، وأما في أفعاله المتعلقة بالدين، فكقولك هو سارق، أو كذاب، أو شارب خمر، أو خائن أو ظالم، أو متهاون بالصلاة، أو الزكاة، أو لا يضع الزكاة موضعها، أو لا يحسن قسمتها، أو لا يحرس صومه عن الرفث والغيبة، والتعرض لأعراض الناس، وأما فعله المتعلق بالدنيا، فكقولك إنه قليل الأدب متهاون بالناس، أو لا يرى لأحد على نفسه حقًّا، أو يرى لنفسه حق على الناس، أو أنه كثير الكلام، أو كثير الأكل، نئوم ينام في غير وقت النوم، ويجلس في غير موضعه، وأما في ثوبه، فكقولك إنه واسع الكم، طويل ذيل الثوب، وسخ الثياب، .... اهـ[1]

١ـ قال الله ﷻ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ**

(١) إحياء علوم الدين :٣/ ١٥٩٩ـ١٦٠٠ .

فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ الحجرات:١١-١٢

المعنى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ) أي كونوا على جانب منه ....فإن الظان غير محقق وإبهام[1] (كَثِيرا) لإيجاب الاحتياط والتورع فيما يخالج الأفئدة من هواجسه، إذ لا داعية تدعوا المؤمن للمشي وراءه، أو صرف الذهن فيه، بل من مقتضى الإيمان ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم الحسن قال تعالى: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ النور:١٢

نعم ومن أظهر فسقه، وهتك ستره فقد أباح عرضه للناس... ولذا قال الزمخشري: والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سداها وسواها أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة، وسببًا ظاهرًا، كان حرامًا واجب الاجتناب وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح، وآنست منه الأمانة في الظاهر، فظن الخيانة والفساد به محرم، بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث... (وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) أي لا يقل. بعضكم في بعض بظهر الغيب، ما يكرهه المقول فيه ذلك أن يقال له في وجهه، يقال: غابه واغتابه، كغاله واغتاله، إذا ذكره بسوء في غيبته (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ) أي فلو عرض عليكم نفرت عنه نفوسكم وكرهتموه، فلذا ينبغي أن تكرهوا الغيبة .

فائدة:

قال الزمخشري ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ :تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عِرْضِ المغتاب على

(١) أي: وإبهام هذه الجملة (كثيرًا)

أفظع وجه وأفحشه، وفيه مبالغات شتى: منها: الاستفهام الذي معناه التقرير، وهو يفيد المبالغة من حيث إنه لا يقع إلا في كلام مسلم عند كل سامع، حقيقةً أو ادعاءً.

ومنها: جعل ما هو غاية من الكراهة موصولًا بالمحبة.

ومنها: إسناد الفعل إلى (أَحَدُكُمْ) والإشعار بأن أحدًا من الأحدين لا يحب ذلك.

ومنها: أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان، حتى جعل الإنسان أخًا.

ومنها: أن لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعله ميتا...[1] اهـ.

وقال ابن القيم رحمه الله عند هذه الآية ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ**﴾: هذا من أحسن القياس التمثيلي، فإنه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه، ولما كان المغتاب يمزق عرض أخيه في غيبته كان بمنزلة من يقطع لحمه في غيبة روحه عنه بالموت ولما كان المغتاب عاجزًا عن دفعه عن نفسه بكونه غائبًا عن مجلس ذمّه كان بمنزلة الميت الذي لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ولما كان مقتضى الأخوة التراحم والتواصل والتناصر، فعلق عليها المغتاب ضد مقتضاها من الذم والطعن، كان ذلك نظير تقطيع لحم أخيه، والأخوة تقتضي حفظه، وصيانته والذب عنه، ولمَّا كان المغتاب متمتعًا بعرض لحم أخيه، متفكهًا في غيبته وذمّه، متحليًا بذلك شبهه بأكل لحم أخيه بعد تقطيعه، ولمَّا

---

(١) تفسير القاسمي: ١٥/ ٥٤٦٦

كان المغتاب محبًا لذلك معجبًا به، شُبّه بمن يحب أكل لحم أخيه ميتًا، وحجبته لذلك قدر زائد على مجرد أكله كما أن أكله قدر زائد على تمزيقه، فتأمل هذا التشبيه والتمثيل وحسن موقعه، ومطابقة المعقول فيه للمحسوس !! وتأمل إخباره عنهم بكراهة أكل لحم الأخ ميتًا، ووصفهم بذلك في آخر الآية والإنكار عليهم في أولها:أن يحب أحدكم ذلك، فكما أن هذا مكروه في طباعهم فكيف يحبون ما هو مثله ونظيره؟! فاحتج عليهم بما كرهوه على ما أحبوه، وشبّه لهم ما يحبونه بما هو أكره شيء إليهم وهم أشد شيء نفرة عنه، فلهذا يوجب العقل، والفطرة، والحكمة:أن يكونوا أشد شيء نفرة كما هو نظيره ومشبهه...[1] اهـ.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ:إنما ضرب الله هذا المثل للغيبة؛ لأن أكل لحم الميت حرام مستقذر، وكذا الغيبة حرام في الدين وقبيحة في النفوس .

وقال قتادة: كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا، كذلك يجب أن يمتنع عن غيبته حيًا.

واستعمل أكل اللحم مكان الغيبة، لأن عادة العرب بذلك جارية، وقال الشاعر:

فإن أكلوا لحمي وفرتُ لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدًا

وقال ابن الأثير في المثل السائر في بحث الكناية:

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ الحجرات: ١٢

فإنه كنى بالغيبة يأكل الإنسان لحم إنسان آخر ميتٍ مثله، ثم لم يقتصر

---

(١) التفسير القيم لابن القيم عند كلامه عن هذه الآية

على ذلك حتى جعله ميتًا، ثم جعل ما هو الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة .فهذه أربع دلائل واقعة على ما قصدت له، مطابقة للمعنى، الذي وردت من أجله، فأما جعل الغيبة كأكل لحم الإنسان لحم إنسان آخر مثله، فشديد المناسبة جدًا؛ لأن الغيبة إنما هي ذكر مثالب الناس، وتمزيق على الحقيقة، وأما جعله كلحم الأخ فلما في الغيبة من الكراهة؛ لأن العقل والشرع مجتمعان على استكراهها، آمران بتركها والبعد عنها، ولما كانت كذلك جعلت بمنزلة لحم الأخ في كراهته ومن المعلوم أن لحم الإنسان مكروه مستكره عند إنسان آخر، إلا أنه لا يكون مثل كراهة لحم أخيه فهذا القول مبالغة في استكراه الغيبة، ....فانظر أيها المتأمل إلى هذه الكناية تجدها من أشد الكنايات شبهًا، لأنك إذا نظرت لكل واحدة من تلك الدلالات الأربع التي أشرنا إليها، وجدتها مناسبة لما قصدت له ...اهـ.[1]

موعظة عبّاد الشامي لقومه

جاء في سنن الدارمي مع رسالة عباد بن عبَّاد الخواص الشامي .ومما جاء فيها (....وقد ذكر عن عمر أنه قال لزياد:هل تدري ما يهدم الإسلام؟ ذلّة عالم، وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلون، اتقوا الله وما حدث في قرائكم وأهل مساجدكم من الغيبة والنميمة والمشي بين الناس بوجهين ولسانين، وقد ذكر أن من كان ذا وجهين في الدنيا كان ذا وجهين في النار، يلقاك صاحب الغيبة فيغتاب عندك، من يرى أنك تحب غيبته، ويخالفك إلى صاحبك فيأتيه عنك بمثله، فإذا هو قد أصاب عند كل واحد منكما حاجته، وخَفِيَ على كل

(١) انظر تفسير القاسمي :١٥/ ٥٤٦٦ بتصرف

واحد منكما ما أتى به عند صاحبه حضوره عند من حضره حضورُ الإخوان وغيبته على من غاب عنه غيبة الأعداء، مَنْ حضر منهم كانت له الأثرة ومن غاب منهم لم تكن له حُرمة، يفتن من حضره بالتزكية،ويغتاب من غاب عنه بالغيبة، فيا لعباد الله أما في القوم من رشيد ولا مصلح يقمع هذا عن مكيدته، ويرده عن عرض أخيه ... اهـ [١]

تعريف الغيبة وحدَّها

قال الراغب:الغيبة:هي أن يذكر الإنسان عيب غيره من غير محوج إلى ذلك.

وقد قال ابن الأثير: الغيبة: أن تذكر الإنسان في غيبته بسوء وإن كان فيه... اهـ. [٢]

وقال النووي: الغيبة:ذكر المرء بما يكرهه سواء كان ذلك في بدن الشخص أو دينه أو دنياه، أو نفسه أو خلقه، أو خُلُقِهِ، أو ماله أو ولده أو زوجته أو خادمه أو ثوبه، أو حركته أو طلاقته، أو عبوسه أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء ذكرته باللفظ أو بالإشارة والرمز. اهـ. [٣]

أحاديث في الباب:

١ـ النهي عن إيذاء الناس بالكلام، وقد يغتاب شخصًا ما وقد يغتاب عائلة كاملة، وقد يشتد ظلمه لنفسه وللناس وتهون عليه حسناته أن يحوزها في القيامة بعد أن كانت أمام عينيه شهدًا مُصَفّى كجبال الثلج فإذا هي تنتقل منه بعد أن سهر فيه ليالي طويلة وصام أيامًا كثيرة فإذا هي تبدد، أحيانًا يطغى العبد

(١) انظر سنن الدارمي المقدمة ح/ ٦٤٧،بـ/ رسالة عباد بن عباد الخواص الشامي

(٢) النهاية في غريب الحديث :٣/ ٣٩٩

(٣) الأذكار للنووي صـ٢٣٠،وانظر ما قاله الغزالي في الإحياء وقد مرَّ بك آنفًا

فيهجو بلدة كاملة ولا يدري أن ذلك مكتوب عليه مرصود معدود وهو في القيامة للسؤال موقوف فلينتبه العاقل لذلك قبل أن تدور عليه الدوائر.

[١٤٧]عن أبي صالح، عن أبي هريرة ـ **رضي الله عنهما** ـ أن رسول الله ﷺ قال«**إذا قال الرجل: هلك الناسُ، فهو أَهْلَكَهُمْ**».[(١)].

قد يقول المرء ذلك غيبة وكأنه معصوم عن هذا مُبَرأٌ من مثله، فينظر إلى الخلق من علو ظانًّا أنهم في سفل يتنزه عنه ويُفَرُّ منه، ناسيًا أن كل بني آدم خطَّاء وخير الخطائين التوابون، أما إن قال ذلك من قبيل حزنه على الناس وتوجعه لهم، كأحد الدعاة الذين يصفون واقع الخلق ويقصد من ذلك الوعظ والتذكير لا يقصد انتقاص أحد من الخلق فهو ونيته وإنما الأعمال مجزية بالنيات وللمرء ما نوى.

[١٤٨] عن أبي سعيد مولى عامر بن كُرَيْز، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**».[(٢)].

(**ولا يخذله**) قال العلماء الخذل: ترك الإعانة والنصرة ومعناه: إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه، لزمه إعانته إذا أمكنه (**ولا يحقره**) أي لا يحتقره، فلا يتكبر عليه، ولا يستصغره.

---

(١) مالك في الموطأ :٦٠٩،وأحمد :٢/ ٢٧٢ـ٣٤٢،ومسلم :٨/ ٣٦

(٢) أحمد :٢/ ٢٧٧،ومسلم :٨/ ١٠ـ١١،ابن ماجة :٣٩٣٣، ٤٢١٣

[١٤٩] روى مالك في الموطأ قال: عن الوليد بن عبد الله، بن صيَّاد، أن المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومي أخبره: «**أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ ما الغيبة؟ قال رسول الله ﷺ: أن تذكر من المرء ما يكره أن يسمع قال يا رسول الله: وإن كان حقًا؟ قال رسول الله ﷺ: وإن قلت باطلًا فذلك البهتان**».[1].

قال الزرقاني (ما الغيبة)أي ما حقيقتها التي نهينا عنها بقوله: ﴿ **وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**﴾ الحجرات: ١٢.

(**فقال رسول الله ﷺ أن تذكر**) بلفظ أو كتابة، أو رمز،أو إشارة أو محاكاة (**من المرء**) **في غيبته** (**ما يكره أن يسمع**) لو بلغه في دينه أو دنياه أو خلقه أو أهله أو خادمه أو ماله أو ثوبه أو حركته أو طلاقته أو عبوسته أو غير ذلك مما يتعلق به .

(**قال يا رسول الله وإن كان حقًا؟**)**بأن كان فيه ما ذكرته به** «**قال رسول الله ـ ﷺ ـ إذا قلت باطلًا فذلك هو البهتان**». أي الكذب وهو أولى مَا فسَّر به قوله في رواية مسلم «**أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال:ذكرك أخاك بما يكره قيل:أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته**». والبهتان الباطل الذي يتحير فيه ..اهـ

(**بتصرف ٥٢١٤**)

[١٥٠] عن أسماء بنت يزيد قالت: قال النبي ﷺ: «**ألا أخبركم بخياركم؟**». قالوا: بلى . قال: «**الذين إذا رُؤوا ذكر الله، أفلا أخبركم بشراركم؟**». قالوا: بلى .قال «**المشاؤون بالنميمة، والمفسدون بين الأحبة**

(١) الموطأ شرح الزرقاني :٤/ ٥٢٠،ح/ ١٩١٩،ك/ الجامع ،بـ/ ما جاء في الغيبة ،طـ/ دار الكتب بيروت

الباغون البُراء العنت». [١]

(إذا رُؤوا)هذا هو سيماء أولياء الله الذين تنفعنا صحبتهم، قال الشيخ المحدث الدهلوي: إذا رؤوا ذكر الله لظهور سيماء العبادة في وجوههم .

«المشاؤون بالنميمة». أي بين الناس، «المفسدون بين الأحبة». المفرقون بينهم كما في رواية «والبغي الطلب».

(الباغون) يتمنون أن يتلوث البرآءُ بالسفاح.

«البرآء». جمع برىء «العنت»...الفساد والإثم والهلاك والمشقة [٢].اهـ

* عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: «القائل الفاحشةَ، والذي يشيع بها في الإثم سواء». [٣]

* وعن عطاء، أنه كان يرى النكال على من أشاع الزنا، يقول: «أشاع الفاحشة». [٤]

* وعن عكرمة، قال: لا أدري أيهما جعل لصاحبه طعامًا، ابن عباس أو ابن عمه، فبينما الجارية تعمل بين أيديهم، إذ قال أحدهم لها: يا زانية ! فقال مه ! إن لم تَحُدَّكِ في الدنيا تَحُدَّكِ في الآخرة، قال:أفرأيت إن كان كذلك؟ قال: «إن الله لا يحب الفاحش المتفحش». [٥]

---

(١) انظر صحيح الأدب المفرد ،بـ/ النهام ح/ ٢٤٦،وتخريج الترغيب :٣/ ٢٩٥،وللشطر الأول منه شاهد صحيح مخرج في الصحيحة ١٦٤٦،والتعليق الرغيب :٣/ ٢٦٠ـ٢٩٥

(٢) ملخص فضل الله الصمد :١/ ٣٠٢ بتصرف

(٣) حسن الإسناد وانظر صحيح الأدب المفرد رقم ٢٤٧

(٤) صحيح الإسناد نفس المصدر السابق رقم :٢٤٩

(٥) حسن الإسناد انظر نفس المصدر السابق رقم ٢٥٢

[١٥١] ومن حديث ابن مسعود «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**». [١]

[١٥٢] عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «**من حالت شفاعته دون حدٍ من حدود الله فقد ضادَّ الله ومن مات وعليه دين فليس بالدينار ولا بالدرهم ولكن بالحسنات والسيئات، ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال وليس بخارج**». [٢] وردغة الخبال: عصارة أهل النار عافانا الله والمسلمين.

[١٥٣] عن أبي هريرة ، قال رسول ﷺ: «**من ذكر رجلًا بما فيه فقد اغتابه**». [٣]

[١٥٤] عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يخونه، ولا يكذبه، ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام، عِرْضه، دمه، وماله، التقوى ها هنا، بحسب امرئ من الشر أن يحتقر أخاه المسلم**». [٤]

[١٥٥] وعن الوليد بن رباح، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «**المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكفُّ عليه ضيعته ويحوطه من ورائه**». (**الأدب المفرد:٢٣٩،وأبو داود، ٤٩١٨**).

---

(١) صحيح الأدب المفرد ٢٣٧،والصحيحة ٣٢٠،وهو عند الترمذي ك/ البر والصلة ،بـ/ ما جاء في اللعنة

(٢) صحيح رواه أبو داود والطبراني والحاكم والبيهقي ،وانظر صحيح الجامع :٦٠١٩٦ ،والصحيحة ٤٣٨ ،والإرواء :٢٣٨١ ، وقد ذكر قبل ذلك .

(٣) صحيح الجامع :٦٢٤٤، وأصله في مسلم والترمذي والدارمي والمسند والصحيحة :١٤١٩

(٤) أبو داود ،ح/ ٤٨٨٢ ، وتقدم تخريجه مستفيضًا .

[١٥٦] وعن عليٍّ ﷺ قال: أمر النبي ﷺ عبد الله بن مسعود أن يصعد شجرةً فيأتيه منها بشيء، فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله، فضحكوا من حموشة ساقيه، فقال رسول الله ﷺ: «**ما تضحكون؟ لَرِجْلُ عبد الله أثقل في الميزان من أُحد**». (١)

حموشة ساقيه: أي دقة ساقيه.

[١٥٧]عن المستورد، عن النبي ﷺ قال: «**من أكل بمسلمٍ أُكلة، فإن الله يطعمه مثلها من جهنم، ومن كسي برجل مسلم، فإن الله ﷻ يكسوه من جهنم، ومن قام برجل رياء وسمعة، فإن الله يقوم به مقام رياء وسمعة يوم القيامة**». (٢)

وذلك كأن يكون صديقًا لمسلم ثم يذهب لعدوه فيذكر له السوءات والعيوب ويذكر أخاه بشر ما يعرف؛ طمعًا في الهبات والأموال والمتاع الحقير فيتكلم بغير الجميل ليجيزه بجائزة فإن أعطاه الرجل متاعًا أو مالًا أو كسوة أو نحو ذلك فلا بركة فيها مع ما ينتظره من جزاء على ما اقترف لسانه وقدمت يداه.

قال النووي: الغيبة: ذكرك أخاك بما يكره، سواء ذكرته بلفظك أو في كتابك أو رمزت أو أشرت إليه بعينك أو يدك أو رأسك، وضابطه كل ما أفهمته به غيرك نقصان مسلم فهو غيبة محرمة، ومن ذلك المحاكاة بأن يمشي متعارجًا أو متطأطًا أو على غير ذلك من الهيئات مريدًا حكاية هيئة من يتنقصه بذلك، فكل ذلك حرام بلا خلاف، ومن ذلك إذا ذكر مصنف كتاب شخصًا بعينه في كتابه قائلًا: قال: فلان كذا مريدًا تنقيصه والشناعة عليه فهو حرام، فإن أراد بيان غلطه لئلا يقلد أو بيان ضعفه في العلم لئلا يغتر به، وكذا إذا قال

---

(١) صحيح الجامع ح/ ١٧٦، وحسنه الألباني(حسن لغيره) وذكره في الصحيحة ٣١٩٢،

(٢) صحيح الجامع ١٧٩ ، والصحيحة ٩٣٤،وسنن أبي داود ك/ الأدب ،بـ/ الغيبة

المصنف أو غيره: قال قوم أو جماعة كذا، وهذا خطأ أو جهالة وغفلة، ونحو ذلك، فليس غيبة، إنما الغيبة ذكر الإنسان بعينه أو جماعة معينين ...[١]اهـ

[١٥٨]عن سعيد بن عبد الله بن جريج، عن أبي برزة الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من يتبع عوراتهم يَتَّبِعُ الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته**». [٢]

ومعنى: لا تتبعوا عوراتهم: أي لا تجسسوا على عيوبهم وتنشروها وتذيعوا مساويهم، فإن من فعل هذا بالمسلمين يوشك أن يهتك الله ستره، ويفضح عيوبه، ولو في عقر داره .

[١٥٩] عن العلاء عن أبيه، عن أبي هريرة أنه قيل: «**يا رسول الله ما الغيبة؟ قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهَتَّه**». [٣]

(قيل) أي قال بعض الصحابة (**ما الغِيبة**) بكسر الغين (**ذكرك**):أي أيها المخاطب خطابا عامًا (**أخاك**)أي المسلم (**بما يكره**) أي بما لو سمعه لكرهه (**أفرأيت**) أي: فأخبرني (**إن كان في أخي**) أي موجود (**ما أقول**) أي من المنقصة . والمعنى أيكون حينئذ ذكره بها أيضًا غيبة كما هو المتبادر من عموم ذكره بما يكره (**فإن كان فيه ما تقول فقد اغتبته**) أي: لا معنى للغيبة إلا هذا وهو أن تكون المنقصة فيه (**فقد بهته**) بفتح الهاء المخففة وتشديد التاء على الخطاب أي قلت

---

(١) الأذكار للنووي صـ٣٣٢ـ٣٣٣

(٢) أخرجه أحمد :٤/ ٤٢٠، وأبو داود ٤٨٨٠،حديث صحيح

(٣) أبو داود :٤/ ٢٠٧٩، ك/ الأدب ،بـ/ الغيبة ، ح/ ٤٨٧٤، وأصله في مسلم ك/ البر ،بـ/ تحريم الغيبة :٤/ ٣٢٩ ،وأحمد في المسند

عليه البهتان وهو كذب عظيم يبهت فيه من يقال في حقه...[١].اهـ

[١٦٠] وعن أبي بكرة ﷺ قال: بينما أنا أمشي مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي، ورجل على يساره، فإذا نحن بقبرين أمامنا، قال رسول الله ﷺ «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، وبلى، فأيكم يأتيني بجريدة، فاستبقنا فسبقته فأتيته بجريدة، فكسرها نصفين، فألقى على ذا القبر قطعة، وعلى ذا القبر قطعة، قال: إنه يهوِّن عليهما ما كانتا رطبتين، وما يعذبا إلا في الغيبة والبول**».[٢]

ولفظ ابن ماجة «... **مرَّ النبي ﷺ بقبرين:فقال:ـ إنهما ليعذبان .وما يعذبان في كبير . أما أحدهما فيعذب في البول . وأما الآخر فيعذب في الغيبة**». قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي في تعليقه على سنن ابن ماجة:١/ ١٢٥،أصل الحديث في الصحيح بلفظ النميمة . ورواه الطبراني عن يحيى بن عبد الرحمن بن بكرة عن أبي بكرة في الأطراف وهو الصواب . كذا في الزوائد ...[٣]اهـ

ومعنى (في كبير) أي في أمر يشق عليهما الاحتراز منه، ونقل عن المازري أي شاق تركه، لأن المنهي عنه يشق تركه كالمستلذات، ومنه ما ينفر الطبع كالمسمومات، ومنه ما لا يشق تركه كهذا .وقال عياض: (وقيل المعنى في كبيرة عندكم، وهو عند الله كبير) قلت: فهذا يذكرنا بقوله تعالى تعقيبًا على حادثة الإفك ﴿ **وتحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم** ﴾

[١٦١] قال أبو هريرة ﷺ «كُنَّا نمشي مع رسول الله ﷺ فمررنا على قبرين:فقام، فقمنا معه، فجعل لونه يتغيَّر حتى رُعِدَ كُمُّ قميصه، فقلنا: ما لك

---

(١) عون المعبود :١٣/ ١٨١ـ١٨٢ ،طـ/ دار الفكر

(٢) أحمد :٥/ ٣٥،ـ ٥/ ٣٩،وابن ماجة ح/ ٣٤٩،وهذا لفظ ابن ماجة

(٣) ذكره الألباني في صحيح ابن ماجة ، وقال: حسن صحيح والتعليق الرغيب :١/ ٨٧،وفي صحيح الترغيب ١٥٤،وانظر مسند أبو يعلى ١٦٧٥،والبيهقي في الدلائل :٦/ ٢٥٦

يا رسول الله؟ فقال: ألا تسمعون ما أسمع؟ فقلنا: وما ذاك يا نبي الله؟ قال: هذان رجلان يعذبان في قبورهما عذابًا شديدًا في ذنبٍ هين: قلنا:فيم ذلك؟ قال: «كان أحدهما لا يَسْتَنْزه من البول، وكان الآخر يؤذي الناس بلسانه، ويمشي بينهم بالنميمة، فدعا بجريدتين من جرائد النخل، فجعل في كل قبر واحدة فقلنا: وهل ينفعهم ذلك؟ قال: نعم، يخفف عنهما ما دامتا رطبتين». (١)

[١٦٢] عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا، قال: غير مُسَّدد (٢): تعني قصيرة، فقال: «**لقد قلتِ كلمة لو مُزِجتْ بماء البحر لمزجته، قالت: وحكيتُ له إنسانًا فقال: ما أحب أني حكيتُ إنسانًا وأن لي كذا وكذا**» (٣).

قوله (**حسبك من صفية**) أي: تعني بذلك القِصَر الذي أشارت إليه، (**لو مزجت**) أي خلطت بماء البحر وأضيفت إليه، (**مزجته**) أي غلبته (**وحكيت له إنسانًا**) أي فعلت مثل فعله محاكاة بفعل فعله .(**ما أحبُ أني حكيتُ إنسانًا**) أي ما يسرني أن أحاكيه بأن أفعل مثل فعله أو أقول مثل قوله على وجه التنقيص (**وإن لي كذا وكذا**) أي: ولو أعطيتُ كذا وكذا من الدنيا أي: شيئًا كثيرًا على ذلك (٤).

[١٦٣] عن سعيد بن زيد، عن النبي ﷺ قال: «**إن من أربى الربا: الاسْتِطَالةُ في عِرْضِ المسلم بغير حق**». (٥)

---

(١) صحيح الترغيب للألباني ح/ ١٥٥

(٢) مسدد: أحد رواة الحديث

(٣) صحيح انظر: سنن أبي داود :٤/ ٢٠٧٩،ك/ الأدب ،بـ/ في الغيبة ،ح/ ٤٨٧٥،وأخرجه الترمذي ك/ صفة القيامة ،بـ/ منه :٤/ ٥٧٠، وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح

(٤) انظر عون المعبود :١٣/ ١٨٢

(٥) أبو داود في السنن :٤/ ٢٠٨٠ ،ك/الأدب ،ب/ في الغيبة ،ح/ ٤٨٧٦ ،وأخرجه أحمد وصححه الشيخ / أحمد شاكر ح/ ١٦٥١

ومعنى (**إن من أربى الربا**) أي: أكثره وبالًا وأشده تحريمًا، (**الاستطالة**) أي: إطالة اللسان (**في عرض المسلم**) أي: احتقاره، والترفع عليه، والوقيعة فيه بنحو قذف أو سبّ، وإنما يكون هذا أشدها تحريمًا، لأن العرض أعز على النفس من المال (**بغير حق**) فيه تنبيه على أن العرض ربما تجوز استباحته في بعض الأحوال، وذلك مثل قوله ﷺ (**ليُّ الواجد يحل عرضه**) فيجوز لصاحب الحق أن يقول فيه: إنه ظالم، وإنه متعدٍّ ونحو ذلك، ومثله ذكر مساوئ الخاطب والمبتدع والفسقة على قصد التحذير ...اهـ

وقال الطيبي: أدخل العِرْضُ في جنس المال على الزيادة على ماله من المديون ... وهو استطالة الرجل اللسان في عرض صاحبه ثم فضل أحد النوعين على الآخر ...[1]اهـ

*** ومن عقوبات الغيبة ما يوقف المعتدي عند حده لو كان عاقلًا :**

[١٦٤] عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما عَرَج بي (عرج بي ربي) مررتُ بقوم لهم أظافر من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم**».[2] .

(**لمّا عرج بي**) أي الإسراء وليلة المعراج (**يخمشون**) أي: يخدشون «**يأكلون لحوم الناس**». أي يغتابون المسلمين . قال الطيبي: لمّا كان خمش الوجه والصدر من صفات النساء النائحات جعلهما جزاء من يغتاب، ويفري في أعراض المسلمين، إشعارًا بأنهما ليستا من صفات الرجال، بل هما من صفات

---

(١) انظر عون المعبود :١٣/ ١٨٢، ١٨٣

(٢) أبو داود في السنن :٤/ ٢٨٠ ك/ الأدب ب/ في الغيبة ،ح/ ٤٨٧٨ ،والحديث عند احمد في المسند من طريق المغيرة ،بـه وأورده الألباني في الصحيحة ،ح/ ٥٣٣

النساء، في أقبح حالة وأشوه صورة... [١]اهـ

[١٦٥] عن جابر بن عبد الله قال: «**كُنَّا مع رسول الله ﷺ وارتفعت ريح خبيثة منتنة ـ فقال: أتدرون ما هذه؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين، وفي رواية «...إن ناسًا من المنافقين اغتابوا أناسًا من المسلمين فبعثت هذه الريح لذلك»**.[٢]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: فمن الناس من يغتاب موافقة لجلسائه وأصحابه وعشائره، مع علمه أن المغتاب برئ مما يقولون، أو فيه بعض ما يقولون، لكن يرى أنه لو أنكر عليهم قطع المجلس واستثقله أهل المجلس ونفروا عنه، فيرى موافقتهم من حسن المعاشرة، وطيب المصاحبة، وقد يغضبون فيغضب لغضبهم، فيخوض معهم .

ومنهم من يخرج الغيبة من قوالب شتى تارة في قالب ديانة وصلاح فيقول: ليس لي عادة أن أذكر أحدًا إلا بخير، و لا أحب الغيبة ولا الكذب، وإنما أخبركم بأحواله ويقول: إنه مسكين، أو رجل جيد، ولكن فيه كيت وكيت وربما يقول: دعونا منه، الله يغفر لنا وله، وإنما قصده استنقاصه، وهضم لجنابه، ويخرجون الغيبة في قوالب صلاح وديانة، يخادعون الله بذلك كما يخادعون مخلوقًا.

وقد رأينا منهم ألوانًا كثيرًا من هذا وأشباهه، ومنهم من يرفع نفسه ويضع غيره رياء فيرفع نفسه، فيقول: لو دعوت البارحة في صلاتي لفلان ما بلغني عنه كيت وكيت، ليرفع نفسه ويضعه عند من يعتقده، أو يقول: فلان بليد الذهن قليل الفهم، وقصده مدح نفسه وإثبات معرفته، وإنه أفضل منه، ومنهم من يحمله

---

(١) عون المعبود :١٣/ ١٨٤ بتصرف

(٢) صحيح الأدب المفرد :٥٦٦ وقال: الألباني حسن ،وأورده في غاية المرام ٤٢٩ وقال : ليس في شئ من الكتب الستة

الحسد على الغيبة فيجمع بين أمرين قبيحين: الغيبة والحسد، وإذا أثنى على شخص أزال ذلك عنه بما استطاع من تنقصه في قالب دين وصلاح أو في قالب حسد وفجور وقدح، ليسقط ذلك عنه ومنهم من يخرج الغيبة في قالب، تمسخر ولعب ليضحك غيره باستهزائه ومحاكاته واستصغار المستهزئ به ...، ومنهم من يخرج الغيبة في قالب التعجب فيقول: تعجبت من فلان، كيف لا يفعل كيت وكيت؟ ومن فلان كيف وقع منه كيت وكيت، وكيف فعل كيت وكيت؟ فيخرج اسمه في معرض تعجبه . ومنهم من يخرج الغيبة مخرج الاهتمام فيقول: مسكين فلان . غمني ما جرى له . وما تمّ له فيظن من يسمعه أنه يغتم له ويتأسف وقلبه منطو على التشفي به، ولو قدر لزاد على ما به وربما يذكره عند أعدائه ليتشفوا به وهذا وغيره من أعظم أمراض القلوب والمخادعات لله ولخلقه، ومنهم من يظهر الغيبة في قالب غضب وإنكار منكر، ويظهر في هذا الباب أشياء من زخارف القول، وقصده غير ما أظهر والله المستعان[1].

ما ينبغي لمن سمع غيبة في أخيه

قال النووي: اعلم أن الغيبة كما يحرم على المغتاب ذكرها، يحرم على السامع استماعها وإقرارها، فيجب على من سمع إنسانًا يبتدأ بغيبة محرّمة أن ينهاه إن لم يخف ضرره، ظاهرًا فإن خافه وجب عليه الإنكار بقلبه، ومفارقة ذلك المجلس، إن تمكن من مفارقته، فإن قدر على الإنكار بلسانه أو على قطع الغيبة بكلام آخر لزمه ذلك فإن لم يفعل عصى، فإن قال بلسانه: أسكت وهو يشتهي بقلبه استمراره . قال أبو حامد الغزالي: ذلك نفاق لا يخرجه عن الإثم، ولا بد من كراهته بقلبه، ومتى اضطر إلى المقام في ذلك المجلس، الذي فيه الغيبة، وعجز عن الإنكار، أو أنكر فلم يقبل منه، ولم يمكنه المفارقة بطرق

(١) انظر مجموع الفتاوى :٢٨/ ٢٣٧ـ٢٣٨

حرم عليه الاستماع والإصغاء للغيبة، بل طريقه أن يذكر الله تعالى بلسانه وقلبه، أو بقلبه أو يفكر في شيء آخر ليشتغل عن استماعها، ولا يضر بعد ذلك السماع، من غير استماع وإصغاء في هذه الحالة المذكورة، فإن تمكن بعد ذلك من المفارقة وهم مستمرون في الغيبة، ونحوها وجب عليه المفارقة فإن الله ﷻ يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام:٦٨ ...[١] اهـ

[١٦٦] عن أسماء بنت يزيد، عن النبي ﷺ قال: «**من ذبَّ عن عرض أخيه بالغيبة كان حقًا على الله أن يعتقه من النار**».[٢]

[١٦٧] عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ردّ عن عرض أخيه كان له حجابًا من النار**».[٣]

وعنه مرفوعًا «**من ردّ عن عرض أخيه ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة**».[٤]

[١٦٨] عن أبي صالح، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لا يستر عبدٌ عبدًا في الدنيا، إلا ستره الله يوم القيامة**».

وفي رواية روح عن ابن القاسم «**لا يستر الله على عبد في الدنيا..**».

وعن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «....**ومَنْ ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة...**».[٥] الحديث

---

(١) الأذكار للنووي : ٣٣٣ـ٣٣٤

(٢) انظر صحيح الجامع :٦٢٤١،وغاية المرام :٤٣١

(٣) صحيح الجامع :٦٢٦٣،والبيهقي ،وغاية المرام ٤٣١

(٤) صحيح الجامع :٦٢٦٢،وغاية المرام ٤٣١

(٥) أحمد :٢/ ٢٥٢،؛٢/ ٣٢٥،ومسلم :٨/ ٧١

[١٦٩] عن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: « **من حمى مؤمنًا من منافق**» أُراه قال: « **بَعَثَ الله ملكًا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلمًا بشئ يريد شينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال** »[١].

[١٧٠] عن ابن أم عبد (عبد الله بن مسعود) قال: «**من اغتيب عنده مؤمن فنصره جزاه الله بها خيرًا في الدنيا والآخرة، ومن اغتيب عنده مؤمن فلم ينصره جزاه الله بها في الدنيا والآخرة شرًا، وما التقم أحدٌ لقمة شرًا من اغتياب مؤمن، إن قال فيه ما يعلم فقد اغتابه، وإن قال فيه بما لا يعلم فقد بهته**».[٢]

السبيل إلى التخلص من الغيبة:

أولًا: إن الأخلاق الطيبة من منن الله وفضله، ونواصي الخلق بيد الله تعالى، وقلوب عباده بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ـ والهدى هداه سبحانه لا يملكه ولا يمتن به غيره جل اسمه: ﴿ **قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى الله**﴾ آل عمران:٣٧ ﴿**قُلْ إِنَّ هُدَى الله هُوَ الْهُدَىَ**﴾ الأنعام:٧١ ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا للهدَى**﴾ الليل:١٢ وقوله: ﴿**وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ القَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الحَمِيدِ** ﴾ الحج:٢٤ وأهل الجنة بمجرد أن رزقوها هتفوا ذلك الهتاف الحبيب: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الحَمْدُ لله الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا الله لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ الأعراف:٤٣ .

---

(١) الحديث حسن: انظر سنن أبي داود :٤/ ٢٠٨٢،ح/ ٨٣،٨٤ وأصله في المسند من طريق بن المبارك

(٢) صحيح الإسناد انظر: صحيح الأدب المفرد ح/ ٥٦٧

ومن ثم فليسأل المسلم ربه أن يحسن أخلاقه، ويهديه إلى أقرب وأقوم الطرق إليه تأسيًا بالنبي ﷺ.

ثانيًا: الاستعاذة من شر السمع والبصر:

[١٧١] عن شكل بن حميد، قال: أتيت النبي ﷺ فقلت يا نبي الله! علمني تعوذًا أتعوذ به، فأخذ بيدي ثم قال: «**قل أعوذ بك من شر سمعي وشرِّ بصري، وشرِّ لساني، وشرِّ قلبي، وشرِّ منيي**». قال حتى حفظها، قال سعد (راويه): والمني ماؤه.[١]

[١٧٢] عن أم سلمة، أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: «**بسم الله، ربِّ أعوذ بك من أن أزل أو أضل، أو أظلم، أو أُظلم، أو أجهل أو يجهل عليَّ**».[٢]

[١٧٣] عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم إنِّي أعوذ بك من شر ما عملت، ومن شر ما أعمل**».[٣]

[١٧٤] وفي الطبراني من حديث قطْبة بن مالك ﷺ، أن النبي ﷺ كان يدعو بهذه الدعوات: «**اللهم جنبني منكرات الأخلاق، والأعمال، والأهواء، والأدواء**».[٤]

ثانيًا:ـ تذكر أن الله معك:

* تذكر أن الله ناظر إليك، ومطلع عليك، يسمع كلامك ويرى مكانك، ويعلم سرك وعلانيتك، ولا يخفى عليه شيء من أمرك، وكل شيء مكتوب،

---

(١) صحيح الترمذي للألباني ح/ ٣٧٣٨، وصحيح النسائي ٥٤٠٩

(٢) صحيح النسائي ٥٦٦١، وصحيح ابن ماجة: ٣٨٨٤.

(٣) صحيح النسائي ٥٥٤١، وأصله في مسلم.

(٤) ك/ الدعاء في الطبراني ح/ ١٣٨٤

لا يضل منه شيء، لا زيادة ولا نقصان .

قال تعالى: ﴿إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء:١ وقال: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ۞ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ۞ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ الشعراء:٢١٨، ٢٢٠ وقوله ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ الله يَرَى﴾ العلق:١٤ وقال تعالى: ﴿وَالله يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ النساء:٨١ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ الله يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ الله عَلاَّمُ الغُيُوبِ۞الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ الله مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ التوبة:٧٨، ٧٩ ﴿لَّقَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ الله فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الحَرِيقِ﴾ آل عمران: ١٨١ ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ق: ١٨ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ۞كِرَامًا كَاتِبِينَ۞ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ الانفطار:١٢.

* وليتذكر المسلم أن من دلائل الإيمان إمساك اللسان عما لا يرضي الرحمن، وإلا فالويل لمن أطلق للسانه العنان، ينهش في الخلق بلا توقف .

[١٧٥][١١٩]عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**».(١)

[١٧٦][١٢٩]عن أبي هريرة ﷺ قال: «**سُئل النبي ﷺ: ما أكثر ما يدخل الجنة؟ قال: التقوى وحسن الخلق، وسئل ما أكثر ما يدخل الناس النار؟ قال الأجوفان: الفم والفرج**».(٢)

* وليتذكر المسلم الوقوف لآداء الحقوق هناك فعن سعيد المقبري.

---

(١) أحمد :٢/ ٤٦٣، والبخاري :٨/ ١٣،ط/ الشعب ،ومسلم :١/ ٤٩

(٢) احمد :٢/ ٢، ٢٩١ / ٣٩٢وابن ماجة ٤٢٤٦

[١٧٧]عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء، فليتحلله منه اليوم قبل، أن لا يكون دينارٌ ولا درهم، وإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**».(١)

[١٧٨] عن عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أتدرون من المفلس قالوا:المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى عنه ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**».(٢)

[١٧٩][١١٥] وعن أبي هريرة، سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق**». وفي رواية: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا يهوي بها سبعين خريفًا في النار**».(٣)

ثالثًا: إن صفات المؤمنين التي هي خصائص لهم تميزهم عن غيرهم من المنافقين تقتضي أن يجتنب المسلم عثرات اللسان .

قال الله تعالى في شأن المؤمنين: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**﴾ المؤمنون:٣ وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا**﴾ الفرقان:٧٢ وقال تعالى:﴿**وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ**﴾ القصص:٥٥ وقال تعالى:﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ**

---

(١) أحمد :٢/ ٢،٤٣٥/ ٥٠٦، والبخاري :٣/ ١٧٠

(٢) أحمد :٢/ ٢،٣٠٣/ ٣٣٤،ومسلم :٨/ ١٨

(٣) أحمد :٢/ ٢٣٦، والبخاري :٨/ ١٢٥،ومسلم :٨/ ٢٢٣ ، ٢٢٤ وهذا لفظ البخاري .

﴿يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ الفرقان: ٦٣.

(اعلم أن مساوئ الأخلاق كلها إنما تعالج بمعجون العلم والعمل، وإنما علاج كل علة بمضادة سببها ...) [١]

وعلاج كف اللسان عن الغيبة من وجهين **أحدهما**: على الجملة والآخر على التفصيل، أما ما على الجملة فهو أن يعلم أن تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته .....وأن يعلم أنها محبطة لحسناته يوم القيامة، فإنها تنقل حسناته إلى من اغتابه يوم القيامة بدلا عما استباحه من عرضه، فإن لم تكن له حسنات، نقل إليه من سيئات خصمه، وهو مع ذلك متعرض لمقت الله ﷻ، ومشبه عنده بأكل الميتة، بل العبد يدخل النار بأن ترجح كفة سيئاته على حسناته وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه، فيحصل بها الرجحان، ويدخل بها النار، وإنما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله، وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال، والجواب، والحساب ...اهـ [٢]

وقال رحمه الله (اعلم أن الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب، ويتأسف على ما فعله، ليخرج به من حق الله سبحانه وتعالى، ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته، وينبغي أن يستحله وهو حزين متأسف، نادم على فعله إذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع، وفي الباطن لا يكون نادمًا، فيكون قد قارف معصية أخرى، وقال الحسن: يكفيه الاستغفار دون الاستحلال ...) اهـ

فحق الإنسان أن يتحرى بغاية جهده مصاحبة الأخيار، ومجالستهم، وأن يتجنب مجالسة الأشرار؛ لأنه لا يأمن غائلتهم، والطبع يسرق من الطبع وهو لا يدري، فصحبة الأخيار تورث الخير، وصحبة الأشرار تورث الشر، كالريح إذا مرت على النتن حملت نتنا، وإذا مرت على الطيب حملت طيبًا، وقد

---

(١) إحياء علوم الدين :٣/ ١٦٠٧، ١٦٠٨، ط/ الشعب

(٢) الإحياء:٣/ ١٦١٠

قيل: لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله، وقيل: لا تصحب الفاجر، فإنه يزين لك فعله، ويود لك أنك مثله.

ولمّا كان الدفع أسهل من الرفع والوقاية خير من العلاج، أشار النبي ﷺ إلى فضيلة لزوم الإنسان بيته اتقاء الغيبة، فقال فيما رواه عنه معاذ بن جبل رضي الله عنه: «.....**ومن جلس في بيته لم يغتب إنسانًا كان ضامنًا على الله**».[1]

ومعنى ضامن على الله: أي مضمون على حد ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾أي مرضية أو ذو ضمان .....والضمان: الرعاية للشيء[2]

قال النووي في الأذكار (صـ٣٤٠): اعلم أن من ارتكب معصية لزمه المبادرة إلى التوبة منها، والتوبة من حقوق الله تعالى يشترط فيها ثلاث أشياء :ـ

١ـ أن يقلع عن المعصية في الحال

٢ـ وأن يندم على فعلها .

٣ـ وأن يعزم أن لا يعود إليها .

والتوبة من حقوق الآدميين يشترط فيها هذه الثلاثة، ورابع وهو .

٤ـ ردُّ المظلمة إلى صاحبها، أو طلب العفو عنها، والإبراء منها

فيجب على المغتاب التوبة بهذه الأمور الأربعة؛ لأن الغيبة حق آدمي، ولا بد من استحلاله من اغتابه، وهل يكفيه أن يقول: قد اغتبتك فاجعلني في حلّ، أم لابد أن يبين ما اغتابه به؟ فيه وجهان لأصحاب الشافعي رحمهم الله:

أحدهما: يشترط بيانه، فإن أبرأه من غير بيانه لم يصح كما لو أبرأه عن مال مجهول .

---

(١) جزء حديث رواه ابن حبان في صحيحه ٣٧٢ والطبراني في الكبير :٢٠/ ٥٤،والحاكم :٢/ ٩٠،وصححه ووافقه الذهبي

(٢) انظر فيض القدير للمناوي :٣/ ٣١٩،والنهاية لابن الأثير :٣/ ١٠٢ ؛؛وانظر ك/ حرمة أهل العلم د/ محمد إسماعيل المقدم صـ٧٥،ط/ دار القمة

والثاني: لا يشترط، لأن هذا مما يتسامح فيه، فلا يشترط علمه بخلاف المال، والأول أظهر؛ لأن الإنسان قد يسمح بالعفو عن غيبة دون غيبة، فإن كان صاحب الغيبة ميتًا أو غائبًا فقد تعذر تحصيل البراءة منها، لكن قال العلماء: ينبغي أن يكثر الاستغفار له والدعاء ويكثر من الحسنات .

واعلم أنه يستحب لصاحب الغيبة أن يبرئه منها ولا يجب عليه ذلك؛ لأنه تبرع وإسقاط حق، ...ولكن يستحب له استحبابًا متأكدًا الإبراء، ليخلص أخاه المسلم من وبال هذه المعصية، ويفوز هو بعظيم ثواب الله تعالى في العفو ومحبة الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾ آل عمران:١٣٤ وطريقه في تطييب نفسه بالعفو أن يذكِّر نفسه أن هذا الأمر قد وقع ولا سبيل إلى رفعه فلا ينبغي أن أفوِّت ثوابه وخلاص أخي المسلم، وقد قال الله تعالى: ﴿خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾ الأعراف:١٩٩ ... اهـ[1]

إن الواقع قد يكون له تأثير في الفتيا وتغيرها، فقد يكون ثمة شخص غاية في السماحة سريع الرضا، شيمته العفو عن أخطاء الناس وزلاتهم، فمثل هذا إذا أردت منه العفو والمسامحة فسوف يكون معك هينا لينًا خلوقًا، لكن يوجد شخص آخر لو أطلعته على ما كان من غيبته سوف يغضب عليك ويزداد حنقه وربما وصل الأمر إلى التهاجر والكراهة الشديدة أو قطيعة رحم ونحو ذلك فمثل هذا إن استطعت أن تأخذ منه عفوًا عامًا بمعني أن تقول له: سامحني إن كنت أخطأت فيك ثم تكثر له من الاستغفار، والدعاء مع كثرة الحسنات .

(١) الأذكار للنووي صـ٣٤٠،٣٤١

غيبة الموتى

إن هذا الدين فصل ليس بالهزل ﴿ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الأنعام:١٦١ ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ يوسف:٤٠، ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ البقرة:١٣٢ .

وكما جعل الله تعالى للأحياء حقوقًا حسب درجة القرابة والعلم ونحو ذلك، فقد جعل للأموات أيضًا حقوقا . وكل سوف يقف في القيامة من أجل عرضه على الله وحسابه

ولذا قال الخليل عليه السلام: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ إبراهيم:٤١، وفي سورة الحشر قصَّ الله علينا دعاء الصالحين قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ الحشر: ١٠ .

[١٨٠]وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: ذكر عند النبي ﷺ هالك بسوء فقال: «**لا تذكروا هلكاكم إلا بخير**». (١)

[١٨١]وعنها أنها قالت: أيضًا قال رسول الله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، وإذا مات صاحبكم فدعوه**». (٢)

[١٨٢] وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَسُبنَّ أحدًا ....**». (٣)

---

(١) النسائي :٢/ ٥٢،وصحيح الجامع ٧٢٧١

(٢) الترمذي في التحفة :١٠/ ٣٩٤،وقال: هذا حديث حسن صحيح وروى هذا عن هشام بن عروة عن أبيه عن النبي ﷺ مرسلًا

(٣) صحيح الجامع ٧٣٠٩،وصححه الألباني في الصحيحة :١٣٥٢،١١٠٩

[١٨٣]عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا**». (١)

[١٨٤] وعن المغيرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء**». (٢)

النهي عن السبّ والشتم بعموم

إن هذا الدين دين وصال ورحمة وتيسير وألفة وحب، ولا يجوز سب أحد ولا لعنه إلا ما فيه نص صريح كلعن الظالمين والذين يكتمون ما أنزل الله والفاسقين وما نص على لعنهم، أما غير ذلك فلا يجوز، والمسلم ليس كذلك .

[١٨٥][١٥١]عن عبد الله [**هو ابن مسعود**] عن النبي ﷺ: قال: «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذئ**». (٣)

[١٨٦] وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللعانين لا يكونون يوم القيامة شهداء ولا شفعاء**»(٤)، **بل نهي النبي ﷺ عن سب أشياء أخرى غير بني آدم:ـ**

[١٨٧] عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تسبّوا الدهر فإن الله هو الدهر**». (٥)

---

(١) أحمد :٦/ ١٨٠،والبخاري :٢/ ١٩٢،والنسائي :٤/ ٥٣

(٢) حديث صحيح انظر صحيح الجامع :٢/ ٧٣١،والروض ٣٥٧،وذكره الألباني أيضًا في الصحيحة ٢٣٧٩،والترغيب :٤/ ١٧٥

(٣) ح / صحيح انظر الأدب المفرد ٢٣٧،والصحيحة ٣٢٠،والحديث في سنن الترمذي ك/ البر والصلة بـ/ ما جاء في اللعنة

(٤) صحيح انظر الأدب المفرد ٢٤٠،والتعليق الرغيب :٣/ ٢٨٧،وأصله في مسلم ك/ البر والصلة والآداب ح/ ٨٥،٨٦

(٥) مختصر مسلم ١٨١٤

[١٨٨]عن يزيد بن خالد عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة**».(١)

[١٨٩] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ قال: «**لا تسبوا الريح فإنها روح الله تعالى، تأتي بالرحمة والعذاب، ولكن سلوا الله من خيرها، وتعوّذوا بالله من شرها**».(٢)

[١٩٠] عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تسبوا الحُمَّى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يُذهب الكير خبث الحديد**».(٣)

هذا هو الدين يدعوك لتكون عفَّ اللسان دائمًا، يقظًا مراقبًا للسان، حافظًا لما تقول من الفحش، بعيدًا عن الفسق واللغو، هينًا لينًا غير طعان ولا لعان ولا عياب، ولا بذئ، كريم الشيم عظيم الخلال حميد الخصال.

ما يباح من الغيبة

الأصل في الغيبة الحرمة لعموم قوله تعالى: ﴿**وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا**﴾ ولما مرَّ من قول النبي ﷺ لما سئل عن الغيبة فقال «**ذكرك أخاك بما يكره...**». الحديث وقد تقدم، فهي محرمة بالكتاب والسنة والإجماع ومن ثم فشأن الغيبة شأن الكبائر التي لا يحبها الله بل ويمقت صاحبها ويقصيه، إلا أن يتوب لعموم التحريم الوارد في الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿ **وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ**﴾ [الأنعام:١١٩] ولعموم قوله تعالى: ﴿**لاَّ يُحِبُّ الله الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ الله سَمِيعًا عَلِيمًا**﴾ [سورة النساء:١٤٨]

---

(١) حديث صحيح انظر المشكاة ٤١٣٦،وصحيح الجامع ٧٣١٤

(٢) صحيح الجامع ٧٣١٦،والكلم الطيب ١٥٣،والمشكاة ١٥١٦

(٣) مختصر مسلم للألباني ١٤٦٩،والصحيحة ١٢١٥،وصحيح الجامع ٧٣٢١

حتى هذه الآية المقيدة جاء بعدها الحث على العفو والصفح إذ قال سبحانه و تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوَءٍ فَإِنَّ الله كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [سورة النساء:١٤٩] وقال تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى الله إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى:٤٠]

والغيبة إن أبيحت في بعض الصور النادرة بشروط شرعية دقيقة فليس هذا يعني أن يتعود الإنسان على ذلك ويتساهل فيه لتكون له شيمة وديدنًا .

ـ وقد تكلم النووي في هذه المسألة بشكل جميل ومجمل في (كتاب الأذكار صـ٣٣٥، ٣٣٦) فقال رحمه الله: اعلم أن الغيبة وإن كانت محرمة، فإنها تباح في أحوال للمضلحة والمجوّز لهذا غرض صحيح شريع[1]، لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو أحد ستة أسباب:ـ

الأول: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو له قدرة على إنصافه من ظالمه فيذكر أن فلانا ظلمني وفعل بي كذا، وأخذ لي كذا، ونحو ذلك.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر، وردّ العاصي إلى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا، فاجزه عنه، ونحو ذلك، ويكون مقصوده التوسل إلى إزالة المنكر فإن لم يقصد ذلك كان حرامًا .

الثالث: الاستفتاء، بأن يقول للمفتي: ظلمني أبي أو أخي أو فلان بكذا، فهل له ذلك أم لا؟ وما طريقي في الخلاص منه وتحصيل حقي، ودفع الظلم عني ونحو ذلك؟ وكذلك قوله: زوجتي تفعل معي كذا، أو زوجي يفعل معي كذا ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، ولكن الأحوط أن يقول: ما تقول في رجل كان من أمره كذا وكذا أو في زوج أو زوجة تفعل كذا، ونحو ذلك، فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومع ذلك فالتعيين جائز لحديث هند الذي

(١) هكذا في الأصل ولعله (شرعي)

سنذكره إن شاء الله تعالى وقولها: يا رسول الله، إن أبا سفيان ـ رجل شحيح ـ الحديث ولم ينهها رسول الله ﷺ.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم وذلك من وجوه: منها جرح المجروحين من الرواة للحديث والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجب عليك أن تذكر له ما تعلمه منه على جهة النصيحة فإن حصل الغرض بمجرد قولك لا تصلح لك معاملته أو مصاهرته، أو لا تفعل هذا، أو نحو ذلك لم تجزئه الزيادة بذكر المساوىء، وإن لم يحصل الغرض إلا بالتصريح بعينه فاذكره بصريحه، ومنها إذا رأيت من يشتري عبدًا معروفًا بالسرقة أو الزنا أو شرب الخمر أو غيرهما فعليك أن تبين ذلك للمشتري إن لم يكن عالمًا به،... ومنها: إذا رأيت متفقهًا يتردد إلى مبتدع أو فاسق يأخذ عنه العلم خفت أن يتضرر المتفقه بذلك، فعليك نصيحته ببيان حاله، ويشترط أن يقصد النصيحة، وهذا مما يغلط فيه، وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد أو يلبس الشيطان عليه ذلك، ويخيل إليه أنها نصيحة وشفقة، فليتفطن لذلك، ومنها أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهه اسما بأن لا يكون صالحًا لها، وإمَّا أن يكون فاسقًا أو مغفلًا، ونحو ذلك، فيجب ذكر ذلك لمن عليه ولاية عامة، ليزيله ويولي من يصلح أو يعلم ذلك منه لتعامله بمقتضى حاله ولا يغتر به وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر أو مصادرة الناس وأخذ المكس وجباية الأموال ظلمًا وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجهر به ويحرم ذكره بغيره، من العيوب إلا أن يكون لجوازه سبب آخر غما ذكرناه.

السادس: التعريف فإذا كان الإنسان معروفًا بلقب كالأعمش والأعرج، والأصم، والأعمى، والأحول، والأفطس، وغير ذلك جاز تعريفه بذلك بنية

التعريف، ويحرم إطلاقه على وجه النقص، ولو أمكن التعرف بغيره كان أولى، فهذه ستة أسباب أباحها العلماء مما تباح به الغيبة على ما ذكرنا ...[١] اهـ.

تفصيل هذه المسائل الست لهذه الصور

١ـ **التظلم**: فللإنسان أن يشكو ظالمه لينتصر منه ويأخذ حقه، وقد شرّع الله تعالى القصاص إذ قال تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة:١٧٩] كما قال تعالى: ﴿**وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ**﴾ [الشورى:٤١] وقال تعالى: ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ الله إِنَّ الله لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**﴾ [الحـج:٦٠]

[١٩١] وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**المُسْتبّان ما قالا، فعلى الباديء ما لم يعتد المظلوم**».[٢]

قال النووي: معناه أن إثم السباب الواقع من اثنين مختص بالباديء منهما كله إلا أن يتجاوز الثاني قدر الانتصار ولا خلاف في جوازه، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة قال الله تعالى: ﴿**وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ**﴾ [الشورى:٤١] وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ البَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ**﴾ [الشورى:٣٩] ومع هذا فالصبر والعفو أفضل، قال الله تعالى: ﴿**وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ [الشورى:٤٣] وللحديث المذكور (**وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا**) واعلم أن سباب المسلم بغير حق حرام كما قال ﷺ: « **سباب المسلم فسوق** » ولا يجوز للمسبوب أن ينتصر إلا بمثل ما سبَّه ما لم يكن كذبًا أو قذفًا أو سبًا لأسلافه، فمن صور المباح أن ينتصر بيا ظالم يا أحمق يا

---

(١) انظر الأذكار للنووي صـ٣٣٥، ٣٣٦ ط / دار الحديث .

(٢) مسلم نووي :١٦/ ١٤٠، ١٤١ ك/ البر والصلة ،بـ/ النهي عن السباب

جافي ....قال:وإذا انتصر المسبوب استوفى ظلامته، وبرئ الأول من حقه، وبقى عليه إثم الابتداء، أو الإثم المستحق لله تعالى ...اهـ[١]

ومما يدل على جواز الاغتياب عند القضاء والخصومات ونحو ذلك ما قال تعالى: ﴿لاَّ يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ القَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٨] فلا حرج أن يخبر الرجل عن من أساء إليه وليس في هذا مانع شرعًا ولا عقلًا .

[١٩٢] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مطل الغني ظلم**».[٢]

والمقصود بالغني هنا: من استطاع أن يؤدي ما عليه فتأخر عن صاحب المال قصدًا وعمدًا، أو كان مالكًا لما يقضي به هذا الدين من ضياع أو أملاك ونحو ذلك فإن لم يفعل كان ظالمًا.

قال ابن قدامة: إذا امتنع الموسر من قضاء الدين فلغريمه ملازمته ومطالبته والإغلاظ له بالقول فيقول: يا ظالم يا متعدي، ونحو ذلك ...[٣] اهـ

٢ـ الاستفتاء: قد يتعرض الرجل إلى أمر لابد من القضاء فيه أو الاستفتاء وقد تتعرض المرأة لذلك أيضًا وهنا أباح الشرع ذلك لتوضع النقط على الحروف.

[١٩٣] ففي الصحيحين من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «**أن هندًا بنت عتبة قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجلٌ شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم . فقال: خذي ما يكفيكِ وولدكِ بالمعروف**».[٤]

---

(١) مسلم نووي :١٦/ ١٤٠، ١٤١ ك/ البر والصلة ،بـ/ النهي عن السباب.

(٢) البخاري في الفتح :٥/ ٧٥ ك الاستقراض ب/ مطل الغني ظلم ح ٢٤٠٠ والبخاري فتح ٤:/ ٥٤٢ ك الحوالة ب/ الحوالة ،وهل يرجع في الحوالة ح ٢٢٨٧، ٢٢٨٨ .

(٣) المغني :٤/ ٥٠٥

(٤) البخاري فتح :٩/ ٤١٨ بمعناه ك/ النفقات ،بـ/ إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير

قال القرطبي نقلًا عن الفتح: لم ترد هند وصف أبي سفيان بالشح في جميع أحواله، وإنما وصفت حالها معه، وأنه كان يقتر عليها وعلى أولادها، وهذا لا يستلزم البخل مطلقًا، فإن كثيرًا من الرؤساء يفعل ذلك مع أهله ويؤثر الأجانب استئلافًا لهم ...قال: واستدل بهذا الحديث على جواز ذكر الإنسان بما لا يعجبه إذا كان على وجه الاستفتاء والإشتكاء ونحو ذلك، وهو أحد المواضع التي تباح فيها الغيبة ... وفيه جواز استماع أحد الخصمين في غيبة الآخر ... اهـ

[١٩٤]عن عروة عن عائشة قالت: «**جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي، فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير وما معه إلا مثل هدبة الثوب فقال: أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا؛ حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك**».[1].

ومعلوم أن هذا الكلام لا يريح عبد الرحمن بن الزبير ومع هذا جاز للحاجة من استفتاء وقضاء ونحوهما .

وقد وضَّحَ النووي رحمه الله قبل ذلك أن المسلم ما دام يستطيع أن يعرف ما يريد من غير ذكر أسماء فهو المعول عليه ما لم تدعو إليه حاجة ملحة، فيقول مثلًا: (رجل حدث معه كذا أو له ومنه كذا وكذا فما حكمه؟ وأما إذا كانت الحاجة ماسة لذكر الأشخاص فهذا لا مناص منه .

٣ـ **الاستشارات**: ومما يدل على جواز الإفصاح في المشورات لكون المستشار أمينًا على الشورى .

[١٩٤] [١٩٥] ما رواه مسلم من حديث عائشة قالت: «**جاءت امرأة رفاعة إلى النبي ﷺ فقالت: كنت عند رفاعة فطلقني فَبَتَّ طلاقي، فتزوجت عبدالرحمن بن الزبير، وإن ما مَعه مثل هدبة الثوب فَتَبَسَّمَ رسول الله ﷺ فقال:**

علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف ح ٢٦٣٩

(١) البخاري فتح :٥/ ٢٩٦،٢٩٥ ك/ الشهادات بـ/ شهادة المختبئ

أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك ...».[١]

قال النووي في شرح هذا الحديث: فيه جواز ذكر الغائب بما فيه من العيوب التي يكرهها، إذا كان للنصيحة، ولا يكون حينئذ غيبة محرمة...[٢].انتهى

٤ـ التحذير والبيان:

وقد مرّ حديث « **بئس أخو العشيرة** » قبل ذلك انظر الفتح: ١٠/ ٤٦٧، ورواه مسلم وقال النووي: عند هذا الحديث قال القاضي عياض: هذا الرجل عيينة بن حصن، ولم يكن أسلم حينئذ، وإن كان قد أظهر الإسلام، فأراد النبي ﷺ أن يبين حاله ليعرفه الناس، ولا يغترّ به من لم يعرف حاله قال: وكان منه في حياة النبي ﷺ وبعد حياته ما يدل على ضعف إيمانه وارتد مع المرتدين وجيء به أسيرًا إلى أبي بكر ﷺ ...اهـ

فدل هذا أن المسلم إذا احتاج ـ بأمانة وتقوى ـ إلى التحذير من شخص فيه ريب وفساد لو لم يحذر لاغتر به من لم يعرفه، فعليه أن يقوم بالنصيحة حسبة لله تعالى مع الضوابط الشرعية ـ والله اعلم ـ.

❁❁❁

(١) مسلم نووي: ١٠/ ٢، ٣، ٤ ك/ الطلاق بـ/ لا تحل المطلقة ثلاثة لمطلقها حتى تنكح زوجًا غيره.
(٢) نفس المصدر السابق من مسلم بشرح النووي.

المبحث العاشر

النميمة

النميمة حدّها وخطرها والتحذير منها

١ـ تعريفها:

لغة: اسم من نَمَّ الحديث ينُمّه نمًّا، وتدل مادته على أصل صحيح له معنيان .

أحدهما: إظهاره شيء وإبرازه . **والآخر:** لونٌ من الألوان . فالأول: ما حكاه الفرّاء، يقال: إبل نمّة، لم يبق في أجوافها الماء. والنَّمام منه، لأنه لا يبقي الكلام في جوفه،...اهـ[١]

وفي الصحاح: نمَّ الحديث إذا أظهره، وقيل: نقله ....والاسم النميمة، والنميمة أيضًا: الهمس والحركة، ومنه قوله:أسكت الله نامَّته، أي ما ينم عليه من حركته ...[٢]اهـ

وقال ابن منظور: النمَّ: التحريش والإغراء، ورفع الحديث على وجه الإشاعة والإفساد، وقيل: تزيين الكلام بالكذب، والفعلُ:نمَّ يَنُمُ ويَنِّمُ، ؛ والأصل: الضم، ونمَّ به وعليه نمًّا ونميمةً ونميمًا، وقيل:النميم جمع نميمة، ورجل نموم أو نمَّام، ومِنَمٌّ من قومٍ نَمّينَ وأنمَّاءَ، وامرأة نَمَّةٌ، وقيل: النمام معناه في كلام العرب:الذي لا يمسك الأحاديث، ولا يحفظها من قولهم: جلود نَمّة إذا كانت لا تمسك الماء ... ويقال للنمام القتات، ويقال: قَتَّ إذا مشى بالنميمة[٣].

٢ـ اصطلاحًا[٤]: نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد، وقيل:إفشاء السر، وهتك الستر عما يكره كشفه .

وقال الجاحظ: النميمة: هو أن يُبلّغَ إنسان عن آخر قولًا مكروهًا، استسِرّ بذلك أو لم يُستَسَر ... اهـ[٥]

---

(١) انظر المقاييس نقلًا عن نضرة النعيم صـ٥٦٦٥

(٢) الصحاح :٥/ ٢٠٤٥

(٣) انظر المصباح المنير ٢٣٩،ولسان العرب :٥/ ٢٠٤٥،ونضرة النعيم صـ٥٦٦٥

(٤) الأذكار للنووي :٢٩٩

(٥) تهذيب الأخلاق للجاحظ نقلًا عن موسوعة نضرة النعيم صـ٥٦٦٥ بتصرف

٣ـ اعلم أن اسم النميمة إنما يطلق في الأكثر على مَنْ ينم قول الغير إلى المقول منه كما تقول: فلان كان يتكلم فيك كذا وكذا، وليست النميمة مختصة به، بل حدُّها: كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه، أو كرهه ثالث، سواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالإيماء، وسواء كان المنقول من الأعمال، أو من الأقوال وسواء كان ذلك عيبًا أو نقصًا في المنقول عنه أو لم يكن بل حقيقة النميمة:إفشاء السِرِّ، وهتك الستر عمّا يكره كشفه، بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره فينبغي أن يسكت عنه، إلا ما في حكايته فائدة لمسلم، أو دفع المعصية، كما إذا رأى من يتناول مال غيره، فعليه أن يشهر به مراعاة لحق المشهود له، فأما إذا رآه يُخفِي مالًا لنفسه فذكره فهو نميمة، وإفشاء للسر، فإن كان ما ينم به نقصًا أو عيبًا في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة ... اهـ[1]

٤ـ الأدلـــة:

قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الهمزة:١ قيل الهمزة: النمام وقال تعالى: ﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَّهِينٍ۞هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ۞ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ القلم:١٠ـ ١٢

[١٩٦] روى مسلم في صحيحة من حديث أبي وائل عن حذيفة أنه بلغه أن رجلًا يَنُمُّ الحديث فقال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة نمام**».[2]

[١٩٧] [٦٠] وعن همام بن الحارث قال: كان رجل ينقل الحديث إلى الأمير، فكنا جلوسًا في المسجد فقال القوم: هذا ممن ينقل الحديث إلى الأمير، قال: فجاء حتى جلس إلينا فقال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة قتات**».[3]

---

(١) انظر إحياء علوم الدين ١٦٢٠،١٦٢١

(٢) مسلم ك/ الإيمان بـ/ بيان غلظ تحريم النميمة ؛ فتح المنعم :١/ ٣٤٠،ح/ ١٧٧

(٣) مسلم فتح المنعم :١/ ٣٤٠ك/ الإيمان الباب السابق ح/ ١٧٨

المعنى العام

كان حذيفة بن اليمان وأصحابه جالسين في مسجد الكوفة يتذاكرون ويتدارسون أمورهم في زمن تذمُّر الناس من ولاة عثمان بن عفان ﷺ فدخل من باب المسجد رجل عُرِف بين القوم بالتجسس للحاكم ونقل أخبار الناس وأحوالهم إليه، فنظر بعضهم إلى بعض ثم نظروا إلى حذيفة الذي لم يكن يعلم حقيقة الرجل، فأسروا إليه: إنَّ هذا الرجل الداخل جاسوس، يرفع ما يروى وما يسمع إلى السلطان على طريق الوشاية والإيقاع، وجاء الرجل وجلس إليهم لعله يسمع أو يرى ما ينقله عنهم، ورفع حذيفة صوته بحديث سمعه عن رسول الله ﷺ يقصد به الرجل، ويقصد عظته ونهيه عن هذا المنكر بأسلوب لطيف غير جارح دون مجابهة ولا اتهام، وقد تُبَلِّغُ السلطان مما يسئ القوم ... (**لا يدخل الجنة نمام**) ولا يتمتع بنعيمها من ينقل الحديث بقصد الإفساد والإضرار، وهكذا أدى حذيفة وأصحابه واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﷺ وأرضاهم أجمعين ... اهـ[1]

وقال حفظه الله: ومع أن النميمة كبيرة من الكبائر إلا أنها قد يكون المقول فيه كافرًا فلا تحرم، كما أنه يجوز التجسس في بلاد الكفار ونقل أخبارهم التي تفيد المسلمين، أما أنها كبيرة فلما رواه البخاري

[١٩٨]عن ابن عباس قال: «**خرج النبي ﷺ من بعض حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال: يعذبان وما يعذبان في كبير، وإنه لكبير، كان أحدهما لا يستتر من البول، وكان الآخر يمشي بالنميمة**». ولقوله تعالى في الصفات الذميمة ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ﴾ قال الراغب: همز الإنسان اغتيابه، والنم إظهار الحديث بالوشاية .

واختلفا في الغيبة والنميمة: هل هما متغايرتان أم متحدتان؟ قال الحافظ ابن حجر: والراجح التغاير، وأن بينهما عمومًا وخصوصًا وجهيًا وذلك، لأن النميمة نقل حال الشخص لغيره على جهة الإفساد بغير رضاه سواء كان بعلمه أو بغير

---

(١) انظر فتح المنعم شرح صحيح مسلم :١/ ٣٤٠،٣٤١

علمه، والغيبة ذكره في غيبته بما لا يرضيه، فامتازت النميمة بقصد الإفساد ولا يشترط ذلك في الغيبة وامتازت الغيبة بكونها في غيبة المقول فيه، واشتركتا فيما عدا ذلك وأما قوله ﷺ «**لا يدخل الجنة نمام**». ففيه التأويلان المتقدمان في نظائره.

أحدهما: أنَّ ذلك في المُسْتَحلّ، ومستحل الكبيرة التي علم حرمتها من الدين بالضرورة كافر، فلا يدخل الجنة أبدًا.... اهـ[1]

ثانيا:أن لا يدخل الجنة ابتداءً عند دخول الفائزين وأهل السلامة، ثم إنه قد يجازي فيمنعها عند دخولهم ثم يدخلها بعد ذلك، وقد لا يجازي بل يعفو الله عنه اهـ.

قال يحيى بن أبي كثير: يفسد النمام في ساعة ما لا يفسده الساحر في شهر.

فالنميمة عظيم خطرها، كبير ضررها، مستطير شرها فكم من أواصر قطعتها، وكم من جماعات فرقتها، وكم من قوة شتَّتها ومزَّقتها وكم من أمم أفسدتها وأهلكتها، وما ظهرت في مجتمع إلا شتت شمله وفرقت جمعه وجعلته عبرة للمعتبرين.

[١٩٩][١٥٠]عن أسماء بنت يزيد، قالت: قال النبي ﷺ: «**ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا بلى .قال الذين إذا رءوا ذُكر اللهُ .أفلا أخبركم بشراركم؟ قالوا بلى .قال:المشَّاءون بالنميمة، والمفسدون بين الأحبة الباغون البرآء العنت**».[2]

قال النووي في حديث النبي ﷺ: « **لا يدخل الجنة قتّات** » فالقتات: هو النمام وهو بفتح القاف وتشديد التاء المثناه من فوق، قال الجوهري وغيره: يقال: نمَّ الحديث ينمه وينِمهُ بكسر النون وضمها نُمًا، والرجل نَمام ...وقتَّهُ يقتُّهُ بضم القاف قتًا، قال العلماء: نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد ...اهـ

[٢٠٠] وروى البخاري في صحيحه من حديث طاوُس عن ابن عباس

---

(١) فتح المنعم في شرح صحيح مسلم :١/ ٣٤٣،٣٤٢ بتصرف

(٢) حديث حسن انظر صحيح الأدب المفرد صـ ٩٧، بـ/ النمام ح/ ٢٤٦،وتخريج الترغيب :٣/ ٢٩٥،وللشطر الأول منه شاهد صحيح مخرج في السلسلة الصحيحة ١٦٤٦ وقد حسن الألباني رحمه الله تمامه في التعليق الرغيب :٣/ ٢٦٠؛٢٩٥

قال: مرّ النبي ﷺ بقبرين فقال: **إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بين الناس بالنميمة** ... الحديث [١].

قال الحافظ في الفتح: وقيل أن الضمير في قوله (وأنه يعود على العذاب لما ورد في صحيح ابن ماجة من حديث أبي هريرة.

(**يعذبان عذابًا شديدًا في ذنبٍ هين**) وقيل الضمير يعود على أحد الذنبين وهو النميمة، لأنها من الكبائر بخلاف كشف العورة وهذا مع ضعفه غير مستقيم، لأن الاستتار المنفي ليس المراد به كشف العورة فقط ....وقيل: ليس بكبير في اعتقادهما أو في اعتقاد المخاطبين وهو عند الله كبير كقوله تعالى: (**وتحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم**) ...اهـ بتصرف

[٢٠١] [١٧٩] [١١٥] وروى البخاري في صحيحه من حديث طلحة ابن عبيد الله التيمي عن أبي هريرة سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق**». [٢]

وأورد مسلم والترمذي في الزهد وأحمد في باقي مسند المكثرين ومالك في الجامع ١٥٦٣، ولفظ مسلم «....**ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**».

وهذا يعني أن الأصل في الكلام عرضه على الفكر والعقل قبل أن يخرج من الفم، فإن كان له تكلم وإلا تأمل فأمسك، قال ابن عبد البر: الكلمة التي يهوي صاحبها بسببها في النار هي التي يقولها عند السلطان الجائر، وزاد ابن بطال: بالبغي أو بالسعي على المسلم فتكون سببًا في هلاكه وإن لم يرد القائل ذلك لكنها ربما أدت إلى ذلك فيكتب على القائل إثمها، ...وقال غيره: هي الكلمة عند ذي السلطان يرضيه بها فيما يسخط الله، وقال ابن التين:هذا هو الغالب، وربما كانت عند غير ذي السلطان ممن يأتي منه ذلك...بتصرف اهـ [٣]

[٢٠٢] وعن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «**إن محمدًا**

---

(١) صحيح البخاري ك/ الوضوء بـ/ ما جاء في غسل البول

(٢) البخاري ك/ الرقاق بـ/ حفظ اللسان وقول النبي ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر .وقد سبق تخريجه .

(٣) الفتح ك/ الرقاق بـ/ حفظ اللسان وقد سبق تخريجه .

ﷺ قال: **ألا أنبئكم ما العضْهُ . هي النميمة القالة بين الناس، وإن محمدًا** ﷺ قال: **«إنَّ الرجل يصدق حتى يكتب صديقًا، ويكذب حتى يكتب كذابًا»**. (١)

وضبط كلمة (**العِضَه**) تأتي بتحريك الضاد بالفتح وإسكانها فتأتي على وزن (وجه) وعلى وزن (عِدْة وزنة) بكسر العين وفتح الضاد، ومعنا هذه الكلمة أي: شدة الفحش ولذلك اشتد تحريمها والتغليظ فيها .

٥ ـ أقوال مفيدة للأعلام الكرام .

أ ـ قال الحسن من نمَّ إليك نمَّ عليك ؛ وهذا إشارة إلى أنَّ النمام ينبغي أن يبغض، ولا يوثق بقوله، ولا بصداقته، وكيف لا ينبغي وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة، والغدر والخيانة، والغل والحسد، والنفاق والإفساد بين الناس والخديعة؟ وهو ممن يسعى في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض .

ب ـ ورفع بعض السعاة إلى الصاحب ابن عُبّاد رقعة، نبه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه، لكثرته، فَوَقّعَ على ظهرها السعاية قبيحة وإن كانت صحيحة، فإن كنت أجريتها مجرى النصح فخسرانك فيها أفضل من الربح، ومعاذ الله أن نقبل مهتوكًا في مستور، ولولا أنك في خفارة شيبتك لقابلناك بما يقتضيه فعلك في مثلك فتوقف يا ملعون العيب فإن الله أعلم بالغيب، الميت رحمه الله، واليتيم جبره الله، والمال ثمرة الله، والساعي لعنه الله .

جـ ـ وقال لقمان لابنه يا بني، أوصيك بخلال، إن تمسكت بهن لم تزل سيدًا، أبسط خلقك للقريب والبعيد، وأمسك وجهك عن الكريم واللئيم، واحفظ إخوانك، وصل أقاربك، وآمنهم من قبول قول ساع

أو سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك، وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك ...اهـ(٢)

---

(١) مسلم ك/ البر والصلة والآداب بـ/ تحريم النميمة .

(٢) إحياء علوم الدين :٣/ ١٦٢٤ ط/ الشعب

٦ـ ماذا على من وصله ذم في أخيه أو سعي بالإفساد؟

الأول: أن لا يصدقه؛ لأن النمام فاسق، وهو مردود الشهادة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات:٦].

الثاني: أن ينهاه عن ذلك، وينصح له، ويقبح عليه فعله قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [لقمان:١٧] .

الثالث: أن يبغضه في الله تعالى؛ لأنه بغيض عند الله تعالى، ويجب بغض من يبغضه الله تعالى .

الرابع: أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقوله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات:١٢] .

الخامس: أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس، والبحث للتحقق اتباعا لقوله تعالى: ﴿وَلا تَجَسَّسُوا ﴾ .

السادس: أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النَّمام عنه، ولا تحكي نميمته فتقول: فلان قال: كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابًا وقد تكون أتيت ما أنت عنه نهيت ...[1].

تنحَّ عن النميمة واجتنبها ... فإن النمَّ يُحْبط كل أجر

يثير أخو النميمة كل شر ... ويكشف للخلائق كل سرٍّ

ويقتل نفسه وسواه ظن ... وليس النمُّ من أفعال حرٍّ

٧ـ من مضار النميمة:

أ ـ طريق موصل إلى النار .

ب ـ يذكي نار العداوة بين المتآلفين .

ج ـ تؤذي وتضر وتؤلم وتجلب الخصام والنفور .

د ـ تدلّ على سوء الخاتمة، وتمسخ حسن الصورة .

---

(١) الإحياء :٣/ ١٦٢١

ر ـ عنوان الدناءة والجبن والضعف والدس والكيد والملق والنفاق .

ز ـ مزيلة كل محبة، ومُبْعِدة كل مودة وتأليف وتآخي..[1] اهـ

٨ ـ شعر في ذم النفس :

قومي ولا تتهربي ... واستغفري وتقربي
وقفي بمحراب الص ... لاة ذليلة وتأدبي
واسترجعي ولتندمي من ... خطو ضليل مذنب
وتوضئي بدموع ... نادمة وقلب متعب
فلكم شربت مع الغواة ... ويا لسوء المشرب
ولكم خطوتِ إلى الضلال ... بدون أي تحسب
ولكم خدعت الآخرين ... ببسمة وبمخلب
وأكلت لحم أخيك ... ميتًا ما رضيت بطيبٍ
ماذا إذا حَمَّ القضاء ... وبان كل محجبِ
ودنا الحساب وما به ... إلا ضلال المأربِ
يا نفس هل من عودة ... من صحوة وتقربِ
عتودي فقد طال العناد ... على الطريق المحدبِ
عودي إلى النبع الطهور ... إلى الرحيق الأعذب
وخذي بآيات الكتاب ... وهدى وأنوار النبي
فالله يدعوا الغافلين ... عن الهدى في غيهب
والله يدعوا الفاقهين ... إلى صباح أرحب
وإليه نرجع في الختام ... وما لنا من مهرب

شعر للأستاذ/ **رشاد محمد يوسف**

❁❁❁

(١) موسوعة نضرة النعيم :١١/ ٥٦٧١

المبحث الحادي عشر

النهي عن تكفير المسلمين

عدم التعرض لتكفير المسلمين والنفرة من ذلك

أولًا الأدلـــة:

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى الله الكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى الله الكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ النحل:١١٦.

[٢٠٣] عن أبي سلمة، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما .....**».(١)

[٢٠٤] وعن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أيما رجل قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما**».(٢)

[٢٠٥]عن أبي ذر ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا يرمي رجل رجلًا بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك**».(٣)

[٢٠٦]وعند مسلم من طريق أبي ذر أيضًا أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر، ومن ادعى ما ليس له فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار، ومن دعا رجلًا بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه**»، وأخرجه أحمد بلفظ مقارب «**...لا يرم رجل رجلًا بالفسق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك**».(٤)

ومعنى حار عليه:هي من الحور أي: رجعت عليه وفي رواية «**إلا ارتدت عليه**».

---

(١) البخاري الفتح: ١٠/ ٥٣١ في الأدب ،بـ/ من كفّر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ح ٦١٠٣

(٢) البخاري الفتح :١٠ / ٥٣١ في الأدب ،بـ/ من كفّر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ح ٦١٠٤

(٣) البخاري ك/ الأدب بـ/ ما ينهي عن السباب واللعن

(٤) أحمد :٥/ ١٦٦ ،١٨١ والبخاري :٤/ ٢١٩ ، ٨/ ١٨ ،ومسلم :١/ ٥٧ واللفظ لمسلم .

وهذا يعني أن الرجل إذا قال لآخر: أنت فاسق أو كافر فإن كان ذلك القول ادعاءًا وظلمًا وكان الرجل بريئًا من ذلك، كان المعتدي مستحقًا للوصف الذي رمي صاحبه، ولا ريب أن هذا الحديث إنذار للمسلم الذي تسول له نفسه أن يتهم أخاه بذلك، وهو من أعظم الزجر .

قال القرطبي: حيث جاء الكفر في لسان الشرع بمعنى جحد النعم وترك شكر المنعم والقيام بحقه ...

.وقوله باء بها أحدهما: أي رجع بإثمها ولازم ذلك وأصل البوء: اللزوم ومنه «**أبوء بنعمتك**». أي: ألزمها نفسي وأقر بها .. قال: والهاء في قوله (بها) راجع إلى التكفيرة الواحدة التي هي أقل ما يدل عليها لفظ كافر، ويحتمل أن يعود إلى الكلمة والحاصل أن المقول له إن كان كافرًا كفرًا شرعيًا فقد صدق القائل وذهب المقول له، وإن لم يكن رجعت للقائل معرةُ ذلك القول وإثمه، ...اهـ

وفي صحيح الجامع من حديث هشام بن عامر وهو في الطبراني أيضًا وأصله في البخاري وأحمد .

[٢٠٧]من حديث ثابت بن الضحاك أن رسول الله ﷺ قال: «**من رمى مؤمنًا بكفر فهو كقتله**».[١]

[٢٠٨] وعن أبي أمامة، يقول: «**شر قتلى قتلوا تحت أديم السماء، وخير قتيل من قتلوه، كلاب أهل النار ...**». [٢]

وروى الترمذي من حديث الربيع بن صَبيح، وحماد بن سلمة، عن أبي غالب، قال: رأى أبو أمامة رُءوُسًا منصوبة على درج مسجد دمشق، فقال:

---

(١) صحيح الجامع :٦٢٢٩

(٢) ابن ماجة في المقدمة ب/ذكر الخوارج وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة :١/ ٣٥،ح/ ١٤٦ وفي المشكاة :٣٥٥٤

أبو أمامة: كلاب النار، شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه ثم قرأ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [سورة آل عمران:١٠٦]

قلت لأبي أمامة: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثة .أو أربعًا حتى عدّ سبعًا ما حدثتكموه) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، وأبو غالب يقال اسمه:حَذَوّرٌ وأبو أمامة الباهلي اسمه صُدَيٌّ بن عجلان وهو سيد باهلة .

[٢٠٩] وعند ابن ماجة في السنن بلفظ «**شر قتلى قتلوا تحت أديم السماء خير قتيل من قتلوه، كلاب أهل النار، قد كان هؤلاء مسلمين فصاروا كفارًا، قلت: يا أبا أمامة: هذا شيء تقوله؟قال: بل سمعته من رسول الله ﷺ**».[1] لما رأى أبو أمامة تلك الرءوس المعلقة وهي لأناس من الخوارج رفعت على درج دمشق (**كلاب النار**) أي أصحاب هذه الرءوس كلاب النار . وقد روى الحديث أحمد (...لما أتي برءوس الأزارقة فنصبت على درج، دمشق جاء أبو أمامة فلما رآهم دمعت عيناه، فقال: (**كلاب النار**) ثلاث مرات هؤلاء شر قتلى تحت أديم السماء، وخير قتلى قَتَلوا تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء، قال: فقلت فما شأنك دمعت عيناك، فقال: رحمة لهم إنهم كانوا من أهل الإسلام ...) الحديث، وقد مرّ الحديث عنهم قبل ذلك وقصتهم في مبحث سابق .

ثانيًا: من المؤمن ـ بإيجاز ـ؟

المؤمن الحق الذي آمن بالله ورسوله محمد ﷺ وصدق الله ورسوله عليه الصلاة والسلام في كل ما أخبر به، ووطن نفسه لطاعتهما في كل ما أُمر به، وانتهى عن كل ما نُهي عنه، وأعرب عن ذلك باللسان فشهد شهادة الحق، وانعقدت نيته على لوازم لا إله إلا الله، وحقق ذلك ترجمة لمعني لا إله إلا الله في دنيا الواقع عقيدة وشريعة وسلوكًا وعملًا وآدابًا وتحاكمًا، فالمؤمن الذي

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة :١/ ٣٥ والمشكاة ٣٥٥٤ وقال الألباني : حسن .

تجب ولايته ومحبته هو ما بينه الله في كتابه على لسان رسوله ﷺ حيث قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٧١].

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۞ وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [سورة المائدة: ٥٥ـ٥٦].

هذا هو المؤمن الذي تجب له الموالاة وتحرم في حقه المعاداة، وهو أخوك الذي له عليك حقوق واجبة، يحرم ماله وعرضه ودمه، ولا يخرجه من الإيمان والإسلام إلا تكذيبه لما آمن به أو لبعضه أو إنكار ما أمر الله به؛ إنكارًا بينًا مقصودًا غير متأول ولا ناسٍ ولا مخطئ ولا مكره.

وليس المؤمن معصومًا من الخطايا ولا عصمة إلا لمن عصم الله من الأنبياء والمرسلين فليس المسلم معصومًا من الخطايا والذنوب، فقد يترك واجبًا وقد يغفل محرمًا وهو غير مستحل لذلك، ولا مستخف به، ولم يخرجه ذلك عن إيمانه أو صحة إسلامه، ومتى تاب من ذنبه تاب الله عليه ولا يهلك إلا المصر.

ـ والمؤمن بالتصديق الجازم مع العمل المتواصل والسعي الدؤوب يزداد إيمانه ويرتفع رصيده ويرفع قدره ويعظم أجره، وقد يضعف إيمانه بالتخلي عن بعض الأعمال تقصيرًا، كتغيره بمؤثرات النفس وقرناء السوء ونحو ذلك: لأن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، فإن أتى بشئ من القاذورات ـ المعاصي ـ وهو باقٍ على أصل توحيده ولم يشرك ولم يفعل ما يسلخه من دينه ثم تاب قبل الموت تاب الله عليه ويرجى له الخير ويطمع له في دخول الجنة، فإن لم يدخل من أول وهلة مع الداخلين، دخل بعد ذلك وإن عذب في النار بعض الوقت. نسأل الله العفو والعافية وقد بين ذلك، من حديث عبادة بن الصامت المروي في البخاري وقد سبق الكلام على هذا

من قبل فليراجع .

ثالثًا: ما هو الكفر؟ ومن الكافر؟

أ ـ الكفر لغة: ـ الستر والتغطية، ومنه كَفَرَ الزارع البذر في الأرض: أي غطاه بالتراب لينبت ولئلا يأكله الطير، وفي القرآن العظيم قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ [الحديد: ٢٠]

يقال: كفر الشيء يكفره كَفرًا بفتح الكاف ؛ وكُفرًا بضمها إذا غطَّاه وستره، وكفر النعمة أي: جحدها، وكفر الحق: أي: أنكره وكذبه وكذب به .

ب ـ الكفر شرعًا: ـ كفران: الكفر الأكبر: وهو ما يناقض الإيمان ويبطل الإسلام وله صور هي التالية:

١ ـ جحود الله تعالى: يعني إنكار وجوده سبحانه وتعالى وهذا مثل كفر الشيوعيين والدهريين ونحوهم ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:٢٤] وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية:٣٢]

٢ـ جحود أسماء الله تعالى وصفاته أو الإلحاد فيها سواء كان إنكارها أو إخراجها عن المعاني التي وضعت لها عن قصد وعمد، أما من أخطأ وتأوَّل ولم يقصد من الجحود شيئًا فليس بداخل في دائرة الكفر .

٣ـ تكذيب الله تعالى فيما أخبر به من الغيوب كالملائكة والجن وأمور الآخرة من البعث والنشور والجزاء والحساب والجنة والنار، ونحو ذلك مما أخفى الله عنا رؤيته في الدنيا .

٤ـ تكذيب الله تعالى فيما شرعه من الشرائع، كالعبادات والأحكام والآداب والأخلاق .

٥ـ جحود نبوة نبينا محمدﷺ أو رسالته عليه السلام أو جحود نبوة الأنبياء

والمرسلين وسائر ما أخبر به عليهم السلام .

٦ـ **التكذيب بالقرآن أو بآية أو كلمة** من كلمات القرآن أو التكذيب بأي كتاب من الكتب التي أخبر عنها الله تعالى ورسوله ﷺ كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى ـ عليهما السلام ـ .

٧ـ **إنكار البعث الآخر ومعاد الأجسام** ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة التغابن:٧].

٨ـ **إنكار القضاء والقدر** قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [سورة القمر:٤٨]

وذلك أن الله تعالى قدر مقادير الأشياء وأثبتها في كتاب عنده قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، صغرت الأشياء أو كبرت قلّت أو كثرت، عظمت أو حقرت، فقد سبق علم الله بذلك وتوجد هذه الأشياء المقدرة أزلًا في الكون حسب علمه وإرادته فلا زيادة في ذلك ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير ولا تبديل بما في ذلك الآجال والأرزاق والسعادة والشقاوة وكل شيء ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [سورة يس:١٢] .

٩ـ **إنكار أو جحود معلوم** من الدين بالضرورة مثل: حرمة الزنا والربا والسرقة ونحو ذلك أو جحد الصلاة والصيام والزكاة ونحو ذلك .

١٠ـ **الإشراك بالله في ربوبيته** باعتقاد خالق أو رازق أو مدبر للكون والحياة مع الله تعالى، أو في أسمائه وصفاته تعالى كأن يسمي إنسانًا (الرحمن) أو (الرب) كما قالوا عن مسيلمة الكذاب ـ لعنه الله ـ رحمن اليمامة، وكأن يعتقد أن فلانًا من الناس يعلم الغيب .

١١ـ **الاستهزاء بآيات الله أو رسل الله الكرام وشرعه** سبحانه وتعالى وهناك أمور أخرى تحتاج إلى استقراء طويل فيرجع إليها في مظانها مثل كتب مجموعة التوحيد لشيخ الإسلام / ابن تيمية ؛ والشيخ / محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهما الله ـ وقد نبهت على بعض ذلك في مبحث مظاهر الشرك .

وهذا هو الكفر الأكبر وتلك بعض مظاهره ولا يحكم لصاحبه بالخلود في النار إلا أن يموت على ذلك قبل أن يتوب من كفره فإن تاب قبل أن تحضره الوفاة فهو في المشيئة ونرجو له ولمثله النجاة .

والكافر ـ عياذًا بالله ـ هو الذي تجب معاداته وتحرم موالاته، ولا نزوجه مسلمة وهو مردود الشهادة لا يرث ولا يورث، لا يغسل ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا يدعى له بالرحمة والمغفرة ما دام مات على ذلك . قال تعالى:﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣]

ملاحظة هامة:

لا ينسب مؤمن إلى الكفر إلا إذا اعتقده وفعله عالمًا بحكمه مختارًا غير مكره عليه ولا جاهلًا بحكمه وقد عَذّبَ الكفار عمّار بن ياسر ـ **رضي الله عنهما** ـ واضطروه إلى التلفظ بهذه الكلمة لكن لم يحكم النبي ﷺ بكفره بل سأله عن حال قلبه، فلما علم أنه مطمئن بالإيمان قال له: إن عادوا فعد .

وفي صحيح البخاري ك/ الإكراه وقوله تعالى:﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ الله وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:١٠٦]، وقال تعالى: ﴿إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَهُ وَإِلَى الله الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:٢٨].

قال الحافظ ابن حجر(١): وهو وعيد شديد لمن ارتد مختارًا، وأما من أكره على ذلك فهو معذور بالآية؛ لأن الاستثناء من الإثبات نفي فيقتضي أن لا يدخل الذي أكره على الكفر تحت الوعيد .والمشهور أن الآية المذكورة نزلت في عمّار بن ياسر كما جاء من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر قال:

---

(١) البخاري في الفتح :١٢/ ٣٣٠ ك الإكراه ح ٦٩٤١ بتصرف .

(أخذ المشركون عمارًا فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا فشكى ذلك إلى النبي ﷺ فقال له: **كيف تجد قلبك؟** قال: مطمئنًا بالإيمان قال: **فإن عادوا فعد)** قال: وهو مرسل ورجاله ثقات أخرجه الطبري وقبله عبد الرزاق وعنه عبد بن حميد وأخرجه البيهقي من هذا الوجه في السند .

[٢١٠] وأخرج عبد بن حميد من طريق ابن سيرين أن رسول الله ﷺ لقي عمّار بن ياسر، وهو يبكي فجعل يمسح الدموع عنه و يقول: **أخذك المشركون فغطوك في الماء حتى قلت: لهم كذا وإن عادوا فعد»**.

قال الحافظ: ورجاله ثقات مع إرساله أيضًا وهذه المراسيل تقوّي بعضها بعضًا ....وأما من أكره بلسانه وخالفه قلبه بالإيمان؛ لينجو بذلك من عدوه فلا حرج عليه إن شاء الله إنما يؤاخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم ...اهـ بتصرف .

وللأمانة فإن البخاري بوَّب أيضًا في كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، ثم ساق

[٢١١] حديث أبي قلابة عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**». وعليه فلا يجوز أن تتعجل في إخراج الناس من دائرة الإسلام .

رابعًا ـ التحذير من تكفير المسلمين وبيان العلماء أصل المسألة:

اعلم ـ رحمني الله وإياك ـ أن باب التكفير وعدمه، باب عظمت فيه الفتنة والمحنة، وكثر فيه الافتراق، وتشتت فيه الأهواء والآراء، وتعارضت فيه دلائلهم، والأمر جدَّ خطير، فهو كما يقول الشوكاني رحمه الله: إنَّ الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام، ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار، فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة أن من قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما . هكذا في الصحيح ...

ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر، وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير وقد قال الله ﷻ ﴿ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ فلابد من شرح الصدر بالكفر، وطمأنينة القلب به، وسكون النفس إليه، فلا اعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشر، ولا سيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام .ولا اعتبار بصدور فعل كفري لم يرد به فاعله الخروج عن الإسلام إلى ملة الكفر وهو لا يعتقد معناه ...اهـ[1]

* وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ قال القرطبي ـ يرحمه الله ـ وليس قوله تعالى: ﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ بموجب أن يكفر الإنسان وهو لا يعلم، فكما أنَّ الكافر لا يكون مؤمنًا إلا باختياره الإيمان على الكفر، كذلك لا يكون المؤمن كافرًا من حيث لا يقصد الكفر ولا يختاره بالإجماع [2].

وقال ابن القيم:لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد أن يسمى مؤمنًا وإن كان ما قام به إيمانًا، ولا من قيام شعبة من شعب الكفر به أن يُسمى كافرًا وإن كان ما قام به كفرًا، كما أنه لا يلزم من قيام جزء من أجزاء العلم به أن يُسمى عالمًا، ولا من معرفة بعض مسائل الفقه والطب أن يسمى فقيهًا، ولا يمنع ذلك أن تسمى شعبة الإيمان إيمانًا وشعبة النفاق نفاقًا وشعبة الكفر كفرًا، وقد يطلق على الفعل كقوله (**فمن تركها فقد كفر**)، (**ومن حلف بغير الله فقد كفر**) رواه الحاكم في صحيحه بهذا اللفظ، فمن صدر منه خلة من خلال الكفر فلا يستحق اسم كافر على الإطلاق، وكذا يقال لمن ارتكب محرمًا أنه فعل فسوقًا .لا أنه فسق بذلك المحرم، ولا يلزمه اسم فاسق إلا بغلبة ذلك عليه .

وهكذا الزاني والسارق والمنتهب لا يسمى مؤمنًا وإن كان معه إيمان، كما

---

(١) انظر ك/ العذر بالجهل الأستاذ / محمد شريف هزاع صـ١١؛؛والسيل الجرار للشوكاني :٤/ ٥٧٨،والروضة الندية :٢/ ٢٩١،٢٩٢

(٢) تفسير القرطبي : ٧/ ٦١٢٨ ط/ الشعب .

أنه لا يسمى كافرًا وإن كان ما أتى به من خصال الكفر، إذ المعاصي من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان ... اهـ[١]

وقال ـ رحمه الله ـ الرجل قد اجتمع فيه كفر وإيمان وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان، وهذا من أعظم أصول أهل السنة، وخالفهم فيه أهل البدع كالخوارج، المعتزلة، والقدرية، ،ومسألة خروج أهل الكبائر من النار وعدم تخليدهم فيها مبني على هذا الأصل، وقد دلّ عليه القرآن والسنة والفطرة وإجماع الصحابة ، قال تعالى:﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦] فأثبت لهم إيمانًا به سبحانه مع الشرك .وقال تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٤] فأثبت لهم إسلامًا وطاعة لله ورسوله مع نفي الإيمان عنهم، وهو الإيمان المطلق الذي يستحق اسمه بمطلقه قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥]

هؤلاء ليسوا منافقين في أصح القولين، بل هم مسلمون بما معهم من طاعة الله ورسوله، وليسوا مؤمنين وإن كان معهم جزء من الإيمان أخرجهم من الكفار .... اهـ[٢]

وقال رحمه الله: وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الأمة بكتاب الله، وبالإسلام والكفر ولوازمهما، فلا تتلقى هذه المسائل إلا عنهم، فإن المتأخرين لم يفهموا مرادهم فانقسموا إلى فريقين، فريق أخرجوا من الملة بالكبائر، وقضوا على أصحابها بالخلود في النار، وفريق جعلوهم مؤمنين

---

(١) ك/ الصلاة لابن القيم صـ ١٩

(٢) ك/ الصلاة لابن القيم صـ ٢٥

كاملي الإيمان، فهؤلاء غلو وهؤلاء جفوا، وهدى الله أهل السنة إلى الطريقة المثلى والقول الوسط الذي هو في المذاهب كالإسلام في الملل .فهاهنا كفر دون كفر، ونفاق دون نفاق، وشرك دون شرك، وفسوق دون فسوق، وظلم دون ظلم... اهـ[1]

وقال أبو بكر بن العربي: مراد المصنف (أي البخاري) لقوله: باب كفران العشير وكفر دون كفر . أي يبين أن الطاعات كما تسمى إيمانًا، فكذلك المعاصي تسمى كفرًا، لكن حيث يطلق عليها الكفر لا يراد الكفر المخرج من الملة، قال: وخصَّ كفران العشير من بين أنواع الذنوب لدقيقة بديعة وهي قوله ﷺ: «**لو أمرت أحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»، فقرن حق الزوج على الزوجة بحق الله، فلذلك يطلق عليها الكفر لكنه كفر لا يخرج عن الملة ... اهـ[2]

وسئل الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ فيمن يجعل صرف شيء من الدعاء لغير الله شرك؟

فأجاب ـ يرحمه الله ـ الجهل بالحكم فيما يكفر كالجهل بالحكم فيما يفسق .كما أن الجاهل بما يفسق يعذر بجهله، فكذلك الجاهل بما يكفر يعذر بجهله، ولا فرق، لأن الله ﷻ يقول: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ**﴾ [القصص:٥٩] ويقول: تعالى:﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾ [الإسراء:١٥] وهذا يشمل كل ما يعذب عليه الإنسان، ويقول: الله ﷻ ﴿**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [التوبة:١١٥].

---

(١) ك/ الصلاة لابن القيم صـ ٢٦ وانظر ك/ العذر بالجهل د/ أحمد فريد :٢٤ـ٢٦ ط/ مكتبة منارة العلماء

(٢) فتح الباري :١/ ٨٣ ك/ الإيمان

لكن إذا كان هذا الجاهل مفرطًا في التعليم ولم يسأل ولم يبحث فهذا محل نظر، فالجهال بما يكفِّر وبما يفسق إما أن لا يكون منهم تفريط وليس على بالهم إلا أن هذا العمل مباح فهؤلاء يعذرون، ولكن يدعون للحق فإن أصروا حكم عليهم بما يقتضيه هذا الإصرار، وأما إذا كان الإنسان يسمع أن هذا محرم، أو أن هذا مؤدي للشرك ولكنه تهاون أو استكبر فهذا لا يعذر بجهله ... اهـ[١]

إن الجاهل غير مؤاخذ بجهله في أصول العقائد أو في الفروع في عصر العلم أو غيره في دار السلام أو غيرها حتى تقام عليه الحجة التي يكفر مخالفها، وبما أن الأحكام الشرعية إنما تؤخذ من الكتاب والسنة، وإجماع الأمة أو الأصحاب ـ على خلاف في الأصول ـ فنقول وبالله التوفيق:

يقول الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ : وبرهان ضروري لا خلاف فيه وهو أن الأمة مجمعة كلها بلا خلاف من أحد منهم وهو أن كل من بدّل آية من القرآن عامدًا وهو يدري أنها في المصاحف بخلاف ذلك أو أسقط كلمة عمدًا كذلك .أو زاد فيها كلمة عامدًا، فإنه كافر بإجماع الأمة كلها، ثم إن المرء يخطئ في التلاوة فيزيد كلمة وينقص أخرى، ويبدل كلامه جاهلًا مقدرًا أنه مصيب ويكابر في ذلك ويناظر قبل أن يتبين له الحق، ولا يكون بذلك عند أحد من الأمة كافرًا ولا فاسقًا ولا آثمًا فإذا وقف على المصاحف أو أخبره بذلك من القرّاء من تقوم الحجة بخبره، فإن تمادى على خطئه فهو عند الأمة كلها كافر بذلك لا محالة وهذا هو الحكم الجاري في جميع الديانة ....اهـ[٢]

---

(١) مجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين فتاوى العقيدة جـ١ دار الوطن للنشر بالرياض جمع وترتيب فهد بن ناصر السليمان

(٢) انظر ك/ العذر بالجهل للشيخ / شريف محمد فؤاد هزاع نقلًا عن كتاب الفصل لابن حزم :٣/ ٢٥٣ ودعاة لا قضاه للشيخ / الهضيبي صـ١٠٣ [ك/ العذر بالجهل طـ/ دار ابن تيمية للطباعة والنشر]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: إن القول قد يكون كفرًا فيطلق القول بتكفير صاحبه، ويقال: من قال كذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها، وهذا كما في نصوص الوعيد، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [سورة النساء: ١٠]

فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حق لكن الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد، فلا يشهد لمعين من أهل القبلة بالنار لجواز أن لا يلحقه الوعيد، لفوات شرط أو ثبوت مانع، فقد لا يكون التحريم بلغه، وقد يتوب من فعل المحرم وقد تكون له حسنات عظيمة تمحو عقوبة ذلك المحرم، وقد يبتلى بمصائب تكفر، وقد يشفع فيه شفيع مطاع، وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائنًا ما كان سواء كان في المسائل النظرية أو العملية، وهذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ وجماهير أئمة الإسلام ....اهـ[1]

خامسًا: متى نشأت بدعة التكفير في العصر الحديث ؟

ظهرت هذه البدعة في مصر في الستينات في السجن الحربي، وكان من أهم أسبابها قسوة التعذيب التي تعرض لها الإخوان المسلمون في هذه المعتقلات تحت ظروف نفسية غاية في التعقيد.

فقد خرجت مجموعة منهم تعمل على بث هذه الفكرة الجديدة أن جلاديهم وآسريهم ومعذبيهم لا يكونوا مسلمين، ومن قادهم لذلك فهو مثلهم ومنهم ومن رضي بفعلهم وأقرهم على ذلك فهو معهم وشريكهم ويأخذ حكمهم، وأصبحت هذه الجماعات بهذا الفكر الجديد أشبه بالقنبلة الهيدروجينية والذرية

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية :٣/ ٣٤٥

التي تنشطر وأخذت تنقل الفكرة حتى صار مجرد المعصية عندهم مكفرة وحتى الخلافات في الفروع أخذت عندهم نفس الأسلوب والحكم وإن كانت فقهية والأمر فيها واسع حتى كفّر بعضهم بعضًا وفارق بعضهم بعضًا، وقد انتشرت هذه الأفكار داخل الأسوار ثم خرجت من أبواب المعتقلات لتأتي على الأخضر واليابس وتشتت المجتمعات فكثرت الويلات وعظمت الحسرات وشاع القتل لأتفه الأسباب وبدون هدوء أو رؤية حتى جرت الشباب أصحاب الأظفار الناعمة إلى أرق شديد وقلق طويل ونكد لا حدود له .

سادسًا: مظاهر التكفير:

أولًا: الغلو في الدين: والغلو هو مجاوزة الحد المطلوب شرعًا من العبد إلى ما هو أبعد منه فلا يكتفي بما طلب منه شرعًا .

والغلو منفر ولا تحتمله طبيعة البشر العادية ولا تطيقه فتصبر عليه قال الله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ**﴾

[سورة المائدة:٧٧]

[٢١٢] وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين**».

[صحيح الجامع:٢٦٨٠ والصحيحة:١٢٨٣]

وفي هذا الحديث النهي عن التشدد، وذلك بالزيادة عن المشروع ولأن المرء إذا شدد على نفسه والله تعالى خفف عنه فلا يستحق بعد أن غيّر التخفيف إلا العنت والمشقة، وهذا جزاء التكلف والتشدد والتنطع .

[٢١٣] عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا هلك المتنطعون**».[1]

---

(١) مسلم نووي :١٦/ ٢٢٠ ك/ العلم بـ/ هلك المتنطعون ولفظ مسلم (هلك)

والمتنطعون: المتشددون

[٢١٤] وعن سعيد بن المسيب، عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: «لمّا كان من أمر عثمان بن مظعون ﷺ الذي كان من ترك النساء، بعث إليه الرسول ﷺ فقال: «**يا عثمان إني لم آمر بالرهبانية، أرغبت عن سنتي؟! قال: لا يا رسول الله .قال ﷺ: «إن من سنتي أن أصلي وأنام، وأصوم وأطعم، وأنكح وأطلق، فمن رغب عن سنتي فليس مني، يا عثمان إن لأهلك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا** » قال سعد ﷺ: فوالله لقد أجمع رجال من المسلمين على أن رسول الله ﷺ إن هو أقر عثمان ﷺ ما هو عليه أن نختصي فنتبتّل.(١)

وصدق الله إذ قال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [سورة المائدة:٨٧]

[٢١٥] وعن عبد الله بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**صمْ من الشهر ثلاثة أيام**) قال: **أطيق أكثر من ذلك، فما زال حتى قال: صمْ يوما وأفطر يومًا. فقال اقرأ القرآن في كل شهر، فقال إني أطيق أكثر من ذلك قال: في ثلاث**» ...اهـ(٢)

[٢١٦] وعن أبي العباس المكي، قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال لي النبي ﷺ «**إنك لتصوم الدهر، وتقوم الليل . فقلت: نعم .قال ﷺ: إنك إن فعلت ذلك هجمت له العين، ونفهت له النفس .لا صام من صام الدهر، صوم ثلاثة أيام صوم الدهر كله . قلت: فإني أطيق أكثر من ذلك، فقال ﷺ: فصُمْ صوم داود عليه السلام كان يصوم يومًا، ويفطر يومًا، ولا يفر إذا لاقى**».

ومعنى نفهت: أي كلّت وأعيت .

---

(١) أحمد :١/ ١٨٣،والبخاري :٧/ ٥ ومسلم :٤/ ١٢٩وابن ماجة ح/ ١٨٤٨.

(٢) البخاري فتح الباري:٤/ ٢٥٦ في الصوم ب/ حق الجسم في الصوم ،ومسلم نووي:٨/ ٤٠، ٤١ بمعناه ب/ النهي عن صوم الدهر .

[٢١٧] وفي رواية أخرى من حديث سعيد بن ميناء قال: قال عبد الله بن عمرو قال لي رسول الله ﷺ: «**يا عبد الله بن عمرو بلغني أنك تصوم النهار وتقوم الليل فلا تفعل، فإن لجسدك عليك حظًا ولعينك عليك حظًا وإن لزوجك عليك حظًا صم وافطر . صم من كل شهر ثلاث أيام، فذلك صوم الدهر قلت: يا رسول الله إن بي قوة قال: فصم صَوْم داود عليه السلام صم يوما وافطر يومًا فكان يقول: يا ليتني أخذت بالرخصة**». (١)

فشددت فشدد عليّ، قلت: يا رسول الله: إني أجد قوة **قال «فصم صيام نبي الله داود عليه السلام ولا تزد عليه، قلت:وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام** قال: «**نصف الدهر** » **فكان عبد الله رضي الله عنه يقول بعدما كبر: يا ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ**». (٢)

ومعنى إن (لزورك) أي:الضيف، والزور مصدر و وضع موضع الاسم ويستعمل في الواحد والجمع والذكر والأنثى، ومعنى قوله: إن بحسبك أي: يكفيك، وقوله (وإذن ذلك صيام الدهر كله) إذن هنا بمعنى إن وكان عبد الله يكره أن يترك أمرًا فارق النبي ﷺ عليه، والأحاديث في هذا الباب كثيرة يرجع إليها في مظانها من كتب أهل العلم .

[٢١٨] من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت بحنيفية سمحة**». (٣)

ثانيًا: من مظاهره ـ التكفير ـ التعصب للرأي .وعدم الاعتراف بالرأي الآخر في الأمور الاجتهادية والأمور المحتملة، وكثيرا ما يجعل الأمور الاجتهادية أمور مقطوعة يقينية ليس فيها إلا قولًا واحدًا هو قوله، ولا رأي إلا رأيه، فإنه يسمع للآخرين وكأنه لم يسمع شيئًا وما مرّ بأذنيه دليلٌ واحد

---

(١) مسلم :٣/ ١٦٦ والبخاري ك الصوم ب / حق الأهل في الصوم ح/ ١٩٧٧ واللفظ لمسلم

(٢) البخاري في الفتح :٤/ ٢٥٦ ح ١٩٧٥

(٣) من حديث عائشة كما في السلسلة الصحيحة :١٥١٦ وصحيح الجامع :٢٣٥١ .

قط، ولو فرض أن سلّم لك ـ في بعض الأحيان ـ فإنه لابد أن يصرف الدليل عن باله ووجهه، أو يضعفه من غير وجه صحيح للتضعيف، وقد يصرف الدلالة عن وجهها بشكل فيه التواء بيّن وتحريف واضح وقد يتهمك بالإرجاء والعمالة ومن تلك القواميس الظالمة ومن أعجب العجب أنك تجد أحدهم يخالف الجمهور ثم يدعي أنه من المجتهدين مع أنه لا يحسن قراءة القرآن فضلًا عن معرفته لعلم الحديث ولا علاقة له لعلم الأدوات البتة، فهو بعيد عن اللغة وقواعدها في الغالب، وإن كان دارسًا لعلم الأدوات فإنه يزعم لنفسه أنه قد بلغ في العلم شأنًا عظيمًا، ومنزلة سامقة قد لا يتحقق لواحد غيره من أهل زمانه، وهذا مع الانغلاق الكامل لفكره واتهام العلماء قاطبة إلا من ظنّ أنه بنصره ويوافقه في بعض ما قال.

ثالثًا: ومن المظاهر: إلزام الناس بما لم يتعبدهم الله به: ـ

إن الذي اعتنق هذا الفكر يتشدد على طول الخط، ولا يختار لنفسه من الرخص التي حباه الله إياها رحمة بضعفه وشفقة عليها ومراعاة لأحواله سفرًا وإقامة وصحة، ومرضًا فيأبى كل ذلك، ويا ليته يلزم نفسه به و فقط لكن يريد ـ ولابد ـ أن يعمم الفكرة لتسري في كيان الجميع بحيث تكون قانونًا عامًا يتعاملون به بدون إبداء للرأي الآخر أو محاورة فقهية راشدة، أو مقارنة شرعية وجيهة وهكذا يكون.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧]

وقد كان رسول الله ﷺ يخفف على الناس وينهى عن إجهادهم والمشقة عليهم.

[٢١٩] عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك ﷺ قال: «**كان رسول الله ﷺ: يوجز في الصلاة ويكملها**».(١)

ومعناه التخفيف في الصلاة من غير إخلال بها فهو يخفف الصلاة ويكملها.

[٢٢٠] عن قتادة، عن أنس ﷺ «**أن رسول الله ﷺ كان مِنْ أخف الناس صلاة في تمام**».(٢)

[٢٢١] وعن شريك بن عبد الله، قال: سمعت أنس بن مالك يقول:«ما صليت وراء إمام قط أخف صلاةً ولا أتم من النبي ﷺ وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه». (٣)

[٢٢٢] يشهد له حديث قتادة عن أنس بن مالك ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه**».(٤)

* **وكان النبي ﷺ يعتب على من شق على صحبه.**

[٢٢٣] عن أنس بن مالك ﷺ قال: «**كان معاذ بن جبل ﷺ يؤم قومه فدخل حِرام وهو يريد أن يسقي نخلهُ، فدخل المسجد ليصلي مع القوم فلما رأى معاذًا طولَّ، تجوز في صلاته، ولحق بنخله يسقيه فلما قضى معاذ الصلاة، قيل له: إن حرامًا دخل المسجد، فلمّا رآك طولت تجوز في صلاته، ولحق بنخله**

---

(١) أحمد :٣/ ١٠١، ٢٨١، والبخاري :١/ ١٨١، ومسلم ٢/ ٤٢، وابن ماجة ٩٨٥

(٢) أحمد :٣/ ١٧٣، والدارمي ١٢٦٣، ومسلم :٢/ ٤٤، والنسائي :٢/ ٩٤

(٣) أحمد :٣/ ٢٣٣، والبخاري :١/ ١٨١

(٤) أحمد :٣/ ١٠٩، والبخاري :١/ ١٨١، ومسلم :٢/ ٤٤ طـ/ استانبول

يسقيه، قال: إنه لمنافق، أيعجل عن الصلاة من أجل سقي نخله، ؟ قال: فجاء حرام إلى رسول الله ﷺ ومعاذ عنده فقال: يا نبي الله إني أردت أن أسقي نخلًا لي، فدخلت المسجد لأصلي مع القوم، فلمّا طول تجوزت في صلاتي، ولحقت بنخلي لأسقيه، فزعم أني منافق، فأقبل النبي ﷺ على معاذ فقال: «أفتان أنت؟ أفتان أنت؟ لا تطول بهم، اقرأ بسبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها، ونحوهما». (١)

ولذا قال ابن قدامة رحمه الله: ويستحب للإمام أن يرتل القرآن والتسبيح والتشهد بقدر ما يرى أن من خلفه ممن لا يثقل عليه، ولا يستحب له التطويل كثيرًا، فيشق على من خلفه، لقول النبي ﷺ: «**من أمّ الناس فليخفف**». وأما المنفرد فله الإطالة في ذلك كله ما لم يخرجه إلى حال يخاف السهو فتكره الزيادة عليه، ويستحب للإمام إذا عرض في الصلاة عارض لبعض المأمومين يقتضي خروجه أن يخفف ... اهـ (٢)

هكذا كان النبي ﷺ رحمة ومودة لم يخير بين أمرين إلا كان في جانب التيسير على الأمة، يرحم الضعيف ويخفف الحمل على الناس، ويدعوا إلى ساحة الحنيفية السمحة .

رابعًا: ومن هذه المظاهر الخشونة والغلظة:

وهذا ليس للإسلام والمسلمين بخلق بل كان النبي ﷺ غاية في الرحمة و لين الجانب.والتواضع وإقامة الحق في غاية من الشفافية، واللين ، وقد أمره الله تعالى بذلك .

قال تعالى: **﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ سورة النحل: ١٢٥.**

---

(١) أحمد :٣/ ١٠١، ١٢٤

(٢) المغنى لابن قدامة :١/ ٣٢٣

وقد وصف الله نبيه بهذه الأوصاف المباركة. إذ قال ﷻ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ الله لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظاً غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لهم﴾ [آل عمران:١٥٩]

وقال رسول الله ﷺ ـ : «**إن الرفق لا يوجد في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شأنه**»(١)

ومن ثم لابد من التسلل في الدعوة إلى القلب برفق حبيب ليرجع عن شدته وجموده ويتخلى عن جهله، وللأسف الشديد تجد أن بعض فضائل العمل لهذا الدين قصرت جدًا من حيث الأسلوب والتعامل، فلتوضع المسائل في نصابها

أسباب هذا الغلو

١ـ ضعف البصيرة عن حقيقة الدين:

من الأسباب الأساسية لهذا الغلو ضعف البصيرة بحقيقة هذا الدين، وقلة البضاعة في فقهه، والتعمق في معرفة أسراره والوصول إلى فهم مقاصده واستشفاف روحه، وليس المقصود الجهل المطلق بالدين، فهذا في العادة لا يفضي إلى غلو وتشدد، بل إلى نقيضه وهو الانحلال والتسيب، إنما المقصود به نصف العلم الذي يظن صاحبه أنه دخل به في زمرة العلماء وهو يجهل الكثير والكثير، فهو يعرف نتفًا من العلم من هنا وهناك، غير متماسكة ولا مترابطة، يهتم بما يطفو على السطح ولا يهتم بما يرسب في الأعماق، وهو لا يربط الجزئيات بالكليات، ولا يرد المتشابهات إلى المحكمات، ولا يعرف من فنون

(١) سبق تخريجه من حديث عائشة قبل ذلك

التعارض والترجيح ما يستطيع أن يجمع به بين المختلفات وقد قال الإمام أبو إسحاق الشاطبي: إن أول أسباب الابتداع والاختلاف المذموم المؤدي إلى تفرق الأمم شيعًا، وجعل بأسها بينها شديد، أن يعتقد الإنسان في نفسه أو يعتقد في أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين وهو لم يبلغ تلك الدرجة، وعليه نبّه.

[٢٢٤] الحديث الصحيح حيث قال ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رءُوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»[(١)]

وفي الحقيقة أن نصف العلم مع العجب والغرور، والاعتقاد أنه عالم يضر أكثر من الجهل الكلي مع الاعتراف به؛ لأن هذا جهل بسيط وذلك جهل مركب، وهو جهل من لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، ولهذا مظاهر كثيرة .

٢ـ الإسراف في التحريم بغير دليل:

قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللهِ الكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ**﴾ [النحل:١١٦] وقد جعل الله القول عليه بغير علم قرينًا للشرك به سبحانه فقال جل اسمه: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف: ٣٣] كما نهى الله تعالى عن القول بغير علم في أي مسألة من المسائل فقال ﷻ: ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا**﴾ [للإسراء:٣٦] وقد مَرَّ بك في مبحث خطورة الكذب على النبي ﷺ.

---

(١)رواه البخاري في الفتح ك/ العلم ب/ كيف يقبض العلم ح ١٠٠ وطرفه ٧٣٠٧

ومنه اتباع المتشبهات.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ۞ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الوَهَّابُ﴾ آل عمران:٧،٨

وللعلماء أقوال كثيرة في ذلك:

أن المحكم هنا ما تحدث عن العقائد والأخلاق والأحكام والعبادات والفضائل وما إلى ذلك، وهو أم الكتاب لأن التكليف به لا يحتمل آراءً شتى، وأما ما تحدث فيه الله عن ذاته سبحانه وتعالى: المتشابه هنا، والعقل الإنساني، قاصر بطبيعته عن إدراك أبعاد ما وراء المادة وكما قيل: العقل يدري الكثير ولكنه لا يدري نفسه ما هو ومن ثمَّ وجب على المسلم أن لا يتعرض إلا لما تعبده الله تعالى به، وإلا جعل نفسه هدفًا وعرضًاللهوى والشيطان

[٢٢٥] وفي حديث عبد الله بن عمر، قال: (**هَجَّرتُ إلى رسول الله ﷺ يومًا قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب، فقال «إنما هلك من كان قبلكم لاختلافهم في الكتاب»**. [1]

[٢٢٦] وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «تلا رسول الله هذه الآية ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ قالت: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «فإذا رأيت

(١) مسلم نووي :١٦/ ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨ك/ العلم ب/ النهي عن إتباع متشابه القرآن .

الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم »[١]

قال الحافظ في الفتح: والمراد التحذير من الإصغاء إلى الذين يتبعون المتشابه من القرآن، وأول ما ظهر ذلك من اليهود كما ذكره ابن إسحاق، في تأويلهم الحروف المقطعة وأن عددها بالجُمل مقدار مدة هذه الأمة، ثم أوّل ما ظهر في الإسلام من الخوارج حتى جاء ابن عباس أنه فسّر[٢] بهم الآية وقصة عمر في إنكاره على صبيغ لما بلغه لأنه يتبع المتشابه فضربه على رأسه حتى أدماه.

وقال الخطابي: والمتشابه على ضربين ....والآخر: ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته، وهو الذي يتبعه أهل الزيغ، فيطلبون تأويله ولا يبلغون كنهه، فيرتابون فيه فيفتنون ..والله أعلم اهـ

٣ ـ عدم التعلم على أيدي العلماء .

إن الله تعالى أنزل الروح الأمين ليأخذ عنه النبي ﷺ، وقد تلقى منه الوحي آية آية، وكان يأتيه في رمضان فيعارضه القرآن، قال تعالى:

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ الشعراء:١٩٣ـ١٩٥، وقال تعالى: **﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾** القيامة:١٧ـ ١٩. وهكذا علّم الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ، قال تعالى: **﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾** النحل: ٨٩ وقال تعالى: **﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾** النساء:١١٣

---

(١) البخاري فتح: ٨/ ٥٧ك / التفسير ب / منه آيات محكمات ح ٤٥٤٧

(٢) أي هم المقصودون بهذه الآية وأشباههم .

وقد أمر الله نبيه ﷺ بذلك التعلم فقال تعالى: ﴿ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ النساء:٦٣، وقال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاء وَالمُنكَرِ وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ العنكبوت:٤٥ وقال ﷻ: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ القُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ المُنذِرِينَ﴾ النمل:٩٢.

وجاء ذلك في معرض الامتنان، وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ الجمعة:٢. وأمرنا أن نتلوا القرآن ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ﴾ المزمل:٢٠ وقال ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ المزمل:٢٠.

هكذا يكون التلقي وكان الصحابة يجلسون فيلقنهم النبي ﷺ ويعلمهم فتعلموا القرآن والعمل جميعًا وبلغوا هذا العلم عن النبي ﷺ حتى قيّض الله لعلم الحديث رجالا جهابذة ألفوه وعلمونا ـ بفضل الله تعالى ـ أن الإسناد من الدين ولولا ذلك لقال من شاء ما شاء . كما قال ابن سيرين في مقدمة صحيح مسلم وقد مضى هذا في أول الكتاب .

فيأتي طالب العلم وهو يكسل عن التعلم على يدي شيخ وربما استنكف من ذلك فترك المختصين في الفنون في شتى الميادين العلمية لا يجلس إليهم ولا يأخذ عنهم ولا يتربى بين أيديهم، فإذا هو قد تلقى العلم من بطون الكتب والصحف مباشرة دون أن تتاح له فرصة المراجعة والمناقشة والأخذ والرد والمحاورات العلمية الهادية الهادفة ووضع المعلومات على طاولة المناقشة، وبساط البحث العلمي حتى يتسنى له معرفة الرأي والقول الآخر، وعلة الترجيح بأمانة ودون التحيز إلى جماعة أو فكر أو نحو ذلك.

وقد غفل هؤلاء أن علم الشريعة وفقهها لابد أن يرجعوا فيه إلى أهله الثقات، وأنهم لا يستطيعون أن يخوضوا هذا الخضم الزاخر وحدهم دون عالم يأخذ بأيديهم ويفسر لهم الغامض، ويرد الأصول إلى فروعها والنظائر إلى أشباهها، ومن ثم نهى السلف الصالح أن يتلقى العلم عن صُحَفي أو القرآن عن مصحفي، وهم يعنون بالمصحفي الذي أخذ العلم من الكتب وحدها من غير أن يتتلمذ على أهل العلم، ويعنون بالمصحفي الذي حفظ القرآن من المصحف فحسب، دون أن يتلقاه بالرواية والمشافهة من القراء المتقنين[1].

٤ـ ومن ذلك ضعف البصيرة بالواقع والحياة والتاريخ وسنن الله في الكون.

فنجد أحدهم يريد ما لا يكون، ويطلب ما لا يوجد، ويتخيل ما لا يقع، ويفهم الوقائع على غير حقيقتها، ويفسرها وفقًا لأوهام رسخت في رأسه لا أساس لها من سنن الله في خلقه، ولا من أحكامه في شرعه، وهو يريد أن يغير المجتمع كله، أفكاره ومشاعره وتقاليده وأخلاقه وأنظمته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بوسائل وهمية وأساليب خيالية وإمكانيات بدائية مع شجاعة وجرأة وفدائية لا تستكثر تضحية وإن غلت، ولا تعبأ بالموت، ولا تهتم بالنتائج أيًا كانت مادامت نيتها الله وهدفها إعلاء كلمة الله، ومن ثم لا يستغرب أن تندفع إلى أعمال وتصرفات يسميها البعض انتحارية ويسميها آخرون جنونية، ويسقط كثير منهم ضحاياها دون أن يبالوا بذلك شيئًا وبعض هؤلاء الشباب لم يقرءوا التاريخ ببصيرة ونفاذ وعي، فليس المهم قراءة الأحداث مسرودة متتابعة، بل المهم «معرفة العبرة منها، والوصول إلى سنن الله فيها»

---

(١) راجع كتاب حرمة الغلو في الدين فقد أفدت منه واقتبست. مكتبة التراث الإسلامي تأليف الشيخ / على محمد الشريف ومجموعة من الطلبة :٥٦ـ٦٤ بتصرف

قال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى القُلُوبُ الَتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحج:٤٦.

فإن التاريخ هو مصدر العبر ومعلم الأمم فكما أن الفرد يتعلم من أحداث أمسه بغده، فإن الأمة أيضًا تأخذ من ماضيها لحاضرها، وتستفيد من صوابها وخطئها ومن انتصارتها وهزائمها، والتاريخ إنما هو في الواقع ذاكرة الأمة الحافظة الواعية ... اهـ.[1]

(١) كتاب حرمة الغلو في الدين وتكفير المسلمين ص ٦٥، ٦٦ مكتبة التراث الإسلامي.

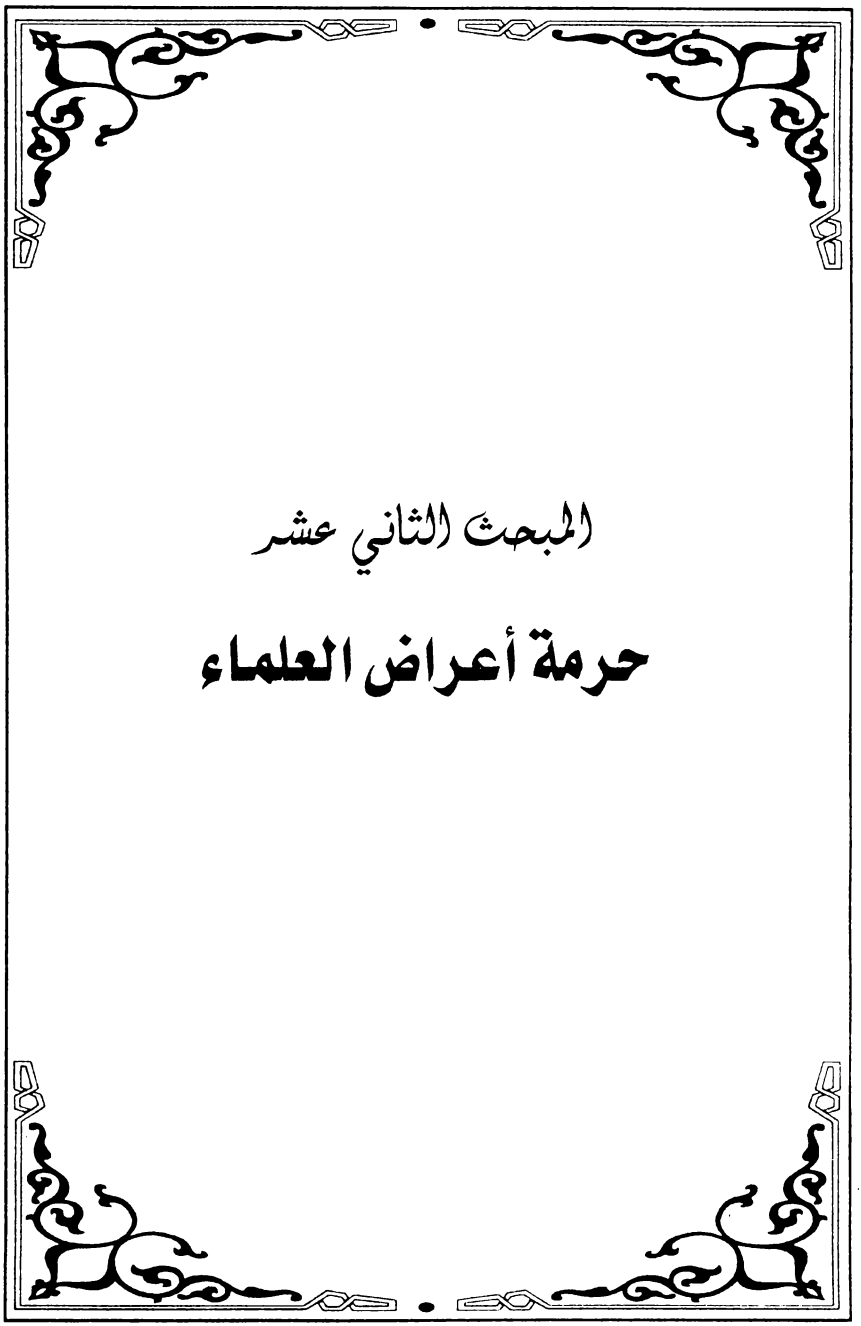

المبحث الثاني عشر

حرمة أعراض العلماء

المبحث الثاني عشر

حرمة أعراض العلماء

إن المسيء إلى العلماء الطاعن عليهم بغيا وعَدوانًا قد ركب متن الشطط، ووقع في أقبح الغلط؛ لأن حرمة العلماء مضاعفة، وحقوقهم متعددة، فلهم كل ما ثبت من حقوق المسلم على أخيه المسلم، ولهم حقوق العلماء العاملين، والأولياء الصالحين ... اهـ[1]

ـ إن الميدان الدعوي اليوم يموج بحالة من الخلل الناشئ عن التضخم الكمِّي الذي فرض نفسه على حساب التربية النوعية الأمر الذي أفرز كثيرًا من الظواهر المَرَضية، ومن أخطرها تطاول الصغار على الكبار، والجهال على العلماء، وطلبة العلم بعضهم على بعض، حتى إن الواحد منهم ينسى قاموس التآخي، وما أسرع ما يخرج إلى العدوان على إخوانه، ويجردهم من كل فضل، فلا يحلم ولا يعفو، ولا يصبر، ولكن يجهل فوق جهل الجاهلين، بل إن من طلاب آخر الزمان من غاص في أوحال السب والشتم والتجريح، وانتدب نفسه للوقيعة في أئمة كبار كرام اتفقت الأمة على إمامتهم، وهو لا يدري أن الشيطان يستدرجه إلى وحل العدوان وهو يحسب أنه يحسن صنعًا، ويتوهم أنه يؤدي ما وجب عليه شرعًا، فرحم الله من جعل عقله على لسانه رقيبًا وعمله على قوله حسيبًا ... اهـ[2]

إن الناظر في هذا الواقع اليوم يحزن جدًا لما يرى ويسمع من كثرة الأغلوطات والطعن على الأكابر من أهل العلم قدامى ومحدثين لا لشيء إلا

---

(١) مغني المحتاج: ٤/ ٤٢٧

(٢) حرمة أهل العلم د/ محمد بن إسماعيل المقدم صـ٣

لشهوة خاسرة، وظلمة منكرة وقلب شحن بالإحن والضغائن، فما ذاق للعلم طعمًا، ولا راعى حدود الله تعالى فتعداها، ولا هو وقرَّ السنة فراعاها حقّ رعايتها، وللأسف الشديد فإن هذا الأسلوب اللاشرعي قد انتشر انتشار النار في الهشيم فلا يُبقي ولا يذر، والدافع لذلك هو مطلق الجهل والكبر، والغرور، وعدم الأدب قبل الطلب .

إن التأدب مع العلماء الموقعين عن رب العالمين هو تأدب مع الله تعالى، وتعظيم العلماء تعظيم لشعائر الله، وقد قال تعالى ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى القُلُوبِ﴾ [سورة الحج:٢٣].

والشعيرةهي كل ما أشعر الله بتعظيمه من أعلام الدين، وتوقير حملة الشرع وحماته من توقير السارع نفسه عزوجل قال تعالى﴿مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ للهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣] قال سعيد بن جبير: ما لكم ى تعظمون الله حق التعظيم، وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: لا تقولوا: مصيحف ولا مسيجد، ما كان لله فهو عظيم حسن جميل. اهـ [١]

إن مكانة العلماء سامقة رفيعة القدر، حسنة الذكر، فكم بيَّن الله الحق من خلالهم، وكم نشر الخير وذاع البر بفضل الله ثم بجدهم وكدهم، وسعيهم فهم مصابيح الدجى وأعلام الهدى، قطر الندى وبفضل الله ثم بهم ينقمع الردى، ويزول العمى ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾الرعد: ١٩

لقد رفع الله قدر العلماء العاملين والقدوة المصطفين من ورثة الكتاب أيما رفعة قال تعالى ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ آل عمران: ١٨.

فقد بدأ الله تعالى بشهادته ﴿ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ ثم ثنَّى بالملائكة وثلث

---

[١] انظر سير أعلام النبلاء: ٤ / ٢٣٨

بأهل العلم فأعظم بها من رفعة ومكانة قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾المجادلة:١١، والمقصود بالعلماء هنا أي: المخلصين العاملين.

أحاديث في الباب

[٢٢٧] عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ (من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين)[١]

(يفقه في الدين) الفقه في الدين هو العلم الذي يورث الخشية في القلب ويظهر أثره على الجوارح، ويترتب عليه الإنذار، كما يشير إليه قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢]

* وعند الدارمي، عن عمران قال: قلت للحسن يومًا في شيء:يا أبا سعيد ليس هكذا يقول الفقهاء، فقال: ويحك، هل رأيت فقيهًا قط؟! إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بأمر دينه المداوم على عبادة ربه .....[٢] اهـ

* وعن كثير بن قيس، قال: كنت جالسًا عند أبي الدرداء، في مسجد

---

(١) ابن ماجه في السنن: ١ / ٨٠، المقدمة ح / ٢٢٠ وأصله في الصحيحين من حديث معاوية بن أبي سفيان ﷺ ومن هذا الوجه لأبي هريرة، صححه الألباني رحمه الله في الصحيح ابن ماجة والصحيحة ١١٦٤ / ١١٩٥، والروض ١١٦٠؛ وقال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي: في الزوائد قلت رواه الترمذي من حديث ابن عباس وقال: حسن صحيح وفي الباب عن أبي هريرة، ومعاوية، وقال السندي: وإسناد أبي هريرة ظاهره الصحة ولكن اختلف فيه الزهري، فرواه النسائي من حديث شعيب عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وقال الصواب رواية الزهري عن حميد بن عبدالرحمن عن معاوية كما في الصحيحين.

(٢) انظر هامش ابن ماجة تعليق الشيخ / محمد فؤاد عبدالباقي ١/ ٨٠ حاشية: ٢٢٠

دمشق، فأتاه رجل فقال: يا أبا الدرداء أتيتك من المدينة، مدينة رسول الله ﷺ لحديث بلغني أنك تحدث به عن النبي ﷺ قال، فما جاء بك تجارةٌ؟ قال: لا قال: ولا جاء بك غيره؟ قال: لا قال

[٢٢٨] فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء [وفي رواية والنمل في جحورها] وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر ولا درهمًا: إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[١]

[٢٢٩] وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله يقول: «**من جاء مسجدي هذا، لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه، فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك، فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره**».[٢]

[٢٣٠] عن عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن أبي الدرّداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنه ليستغفر للعالم من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر**».[٣]

[٢٣١] **عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علمًا علمه، ونشره وولد صالحًا تركه، ومصحفًا**

---

(١) ابن ماجة: ١ / ٨١ في المقدمة ح / ٢٢٣، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة في المقدمة وصحيح الترغيب: ١ / ٣٣؛ ٦٨ والحديث ورد من طريق أبي هريرة وغيره ﷺ باختلاف في الألفاظ عند أحمد في المسند ٢ / ٢٥٢، ٢/ ٣٢٥ ومسلم: ٨ / ٧١ ، ٨ / ٧٢ ورواية أبو داود مختصرًا ٢/ ٤٦٣١ ك / الصلاة ب / ثواب القرآن ح / ١٤٥٥.

(٢) في الزوائد:إسناده صحيح على شرط مسلم انظر سنن ابن ماجة :١/ ٨٣،ح/ ٢٢٧،وصحيح ابن ماجة وصحيح الترغيب ٨٣

(٣) سنن ابن ماجة :١/ ٨٧،ح/ ٢٣٩وهو صحيح صححه الألباني في صحيح ابن ماجة والتعليق الرغيب :١/ ٦٠٥٩،تخريج العلم ٦

ورَّثه، أو مسجدًا بناه أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، يلحقه من بعد موته».[١]

الوصية بطلبة العلم وإكرامهم

[٢٣٢]عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري: عن رسول الله ﷺ قال: «سيأتيكم أقوام يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم مرحبًا بوصية رسول الله ﷺ وأقنوهم». قلت للحكم: ما أقنوهم؟ قال علموهم».[٢]

إجلال العلماء في الدنيا وبعد الموت

[٢٣٣] عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: « إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن، غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»[٣]

[٢٣٤]وعن عبادة بن الصامت، أن رسول الله ﷺ قال « ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه»[٤]

[٢٣٥] وفي رواية عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا».

[٢٣٦]عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد يعني: في القبر، ثم يقول: «أيهما أكثر أخذًا للقرآن؟؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد».[٥]

---

(١) ابن ماجة :١/ ٨٩، المقدمة حـ/ ٢٤٢

(٢) ابن ماجة :١/ ٩١ح/ ٢٤٧،وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة والصحيحة ٢٨٠،

(٣) حسنه الألباني في صحيح الترغيب: ١ / ١١٦ ك / العلم بـ/ الترغيب في إكرام العلماء وإجلالهم وتوقيرهم ح/ ٩٢

(٤) صحيح الترغيب ح/ ٩٥، ك / العلم ب / الترغيب في إكرام العلماء وإجلالهم وتوقيرهم

(٥) صحيح الترغيب ح ٩١ وصححه الألباني :١/ ١١٦ الترغيب في إكرام الغرماء.

النهي عن المماراة والجدال المنهي عنه

[٢٣٧] عن كعب بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري السفهاء،ويصرف وجوه الناس إليه، أدخله الله النار» [١]

[٢٣٨] وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ«لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا تماروا به السفهاء ولا تخيروا به المجالس فمن فعل ذلك النار النار».

[٢٣٩] وفي رواية لأبي هريرة «**من طلب العلم ليباهي به العلماء ويماري به السفهاء، أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار**».[٢]

آثار في الباب للكبار من السلف الصالح

[٢٤٠] قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب ﷺ «**من حق العالم عليك إذا أتيته أن تسلم عليه خاصة، وعلى القوم عامة، وتجلس قدامه ولا تشر بيدك ولا تغمز بعينيك، ولا تقل قال فلان خلاف قولك، ولا تأخذ بثوبه ولا تلح عليه في السؤال، فإنه بمنزلة النخلة المرطبة التي لا يزال يسقط عليك منها شيء**».[٣]

[٢٤١] وعن سعيد بن المسيب، عن علي بن أبي طالب ﷺ قال:«إن من حق العالم ألا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعنته في الجواب وأن لا تلح عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفضين له سرًا ولا تغتابنَّ عنده أحدًا،ولا تطلبن عثرته، وإن ذلّ قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أوامر الله ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته».[٤]

---

(١) الترمذي واللفظ له وابن الدنيا في ك/ الصمت وغيره؛ والحاكم شاهدًا والبيهقي وقال الترمذي: حديث غريب وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٠٠

(٢) صححه الألباني في صحيح الترغيب :١/ ١١٩،ح/ ١٠٣

(٣) جامع بيان العلم وفضله :١/ ٥٨٠،والجامع للخطيب :١/ ١٩٩

(٤) إرشاد الطالب صـ٧٨،٧٩وانظر الكتاب الماتع د/ محمد إسماعيل المقدم صـ٢٠١

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى: يجب على طالب الحديث أن يتجنب اللعب والعبث والتبذل في المجالس بالسخف أو الضحك والقهقهة وإدمان المزاح والإكثار منه فإنما يستجار من المزاح بيسيره ونادره وطريفه الذي لا يخرج عن حدّ الأدب وطريقة العلم، فأما متصله وفاحشه وسخيفه وما أوغر الصدر وجلب الشر، فإنه مذموم وكثرة المزاح والضحك يضع من القدر ويزيل المروءة .[1]اهـ إياك أن تكون من الصيادين هواة حضور مجالس العلم لتتبع سقط الكلام وتصيد الأخطاء والتشنيع بها، ونشرها في الآفاق .

* قال ابن حزم ـ رحمه الله ـ: إذا حضرت مجلس علم، فلا يكن حضورك إلا حضور مستفيد، مستزيد علمًا، وأجرًا، لا حضور مستغن بما عندك طالبًا عثرة تشنعها أو غريبة تشيعها، فهذه فعال الأراذل الذين لا يفلحون أبدًا ...[2]اهـ

* وقال د/ بكر بن عبد الله أبو زيد:إذا ظفرت بوهم لعالم فلا تفرح به للحطِّ منه، ولكن افرح به لتصحح المسألة فقط، فإن المنصف يكاد يجزم بأنه ما من إمام إلا وله أغلاط وأوهام لاسيما المكثرين منهم، وما يشغب بهذا ويفرح به للتنقيص إلا متعالم يريد أن يُطبَّ زكاما، فيحدث به جُذاما . نعم ينبه على خطأ، أو وهم وقع لإمام غمر في بحر علمه وفضله...اهـ [**حلية طالب العلم** صـ٥٨]

إن الناصح لابد أن يكون على الأثر القرآني والنهج النبوي في ذلك البلاغ الذي يرجو به وجه الله تعالى أما إشاعة العيوب والفواحش ليتساهل الناس بها وليزكم بها الأنوف ويَصُدَّ المسلمين عن إخوانهم في الله فليس هذا برشد، و النصيحة على مجمع من القوم فضيحة.

---

(١) الجامع للخطيب البغدادي :١/ ١٥٦ وحرمة العلماء صـ٢٠٢

(٢) مجموع رسائل ابن حزم صـ٤١١

* **عن سفيان قلت لمسعر**: تحب أن يخبرك رجل بعيوبك؟ قال: أما أن يجئ إنسان فيوبخني بها: فلا . وأما أن يجئ ناصح: فنعم .

* وعن ابن المبارك قال: كان الرجل إذا رأى من أخيه ما يكره، أمره في ستر، ونهاه في ستر فيؤجر في ستره، ويؤجر في نهيه، فأما اليوم، فإذا رأى من أحد ما يكره استغضب أخاه وهتك ستره . وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي ـ يرحمه الله ـ: وإذا كان المراد مراد الراد على العالم إظهار عيبه، وتنقصه، وإظهار قصوره في العلم، ونحو ذلك، كان محرمًا، سواء كان رده ذلك في وجهه من ردّ عليه، أو في غيبته، وسواء كان في حياته أو موته، وهذا داخل فيما ذمَّهُ الله تعالى في كتابه، وتوعدّ عليه من الهمز واللمز، وداخل أيضًا في قول النبي ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه، ولم يؤمن بقلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتَّبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته**»[1]. وهذا كله في حق العلماء المقتدى بهم في الدين، فأما أهل البدع والضلال، ومن تشبه بالعلماء وليس منهم، فيجوز بيان جهلهم وإظهار عيوبهم تحذيرًا من الإقتداء بهم، والله أعلم .. اهـ[2]

قال القاضي عبد الوهاب:

متى يصل العطاش إلى ارتواء ... إذا استقت البحار من الركايا
ومن يثني الأصاغر عن مراد ... وقد جلس الأكابر في الزوايا
وإن ترفع الوضعاء يوما ... على الرفعاء من إحدى الرزايا
إذا استوت الأسافل والأعالي ... فقد طابت منادمة المنايا[3]

---

(١) أحمد في المسند :٤/ ٤٢٠ وأبو داود في سننه :٤/ ٢٠٨١ ك/ الأدب ب/ في الغيبة ح ٤٨٨٠ وهو حديث صحيح وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود ح ٤٠٨٣ والمشكاة ٥٠٤٤ والتعليق الرغيب :٣/ ١٧٧ .

(٢) انظر حرمة أهل العلم د/ محمد بن إسماعيل المقدم ،صـ٢٣٤،٢٣٥

(٣) وفيات الأعيان :٣/ ٢٢١

قال أبو حازم: عن سلمة بن دينار، السيئ الخلق أشقي الناس به نفسه التي بين جنبيه هي منه في بلاء ثم زوجته، ثم ولده، حتى إنه ليدخل بيته وإنه لفي سرور فيسمعون صوته فينفرون عنه، فرقًا منه، حتى إن دابته، تحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه يراه فينزو على الجدار، حتى إن قطه ليفرَّ منه .[1]

قال تعالى ﴿ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾

قال شيخ الإسلام: ابن تيمية: وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار، وهو بغض مأمور به، فإذا كان البغض الذي قد نهي صاحبه أن يظلم من أبغضه، فكيف في بغض مسلم بتأويل أو شبهة أو بهوى نفس ؟ فهو أحق أن لا يظلم، بل يعدل عليه)...اهـ[2]

قال الدكتور/ محمد بن إسماعيل المقدم حفظه الله: تتناول هذه التذكرة مطلبين رئيسين

أحدهما: حسن الخلق مع المسلم، ورعاية حرمته، وصيانة عرضه من كل ما يشينه وبخاصة الغيبة التي شاعت، وذاعت، وتساهل الناس فيها.

والثاني: الأدب مع العلماء الذين هم ورثة الأنبياء حفظ حرمتهم، ومعرفة قدرهم والتنزه عن الوقيعة فيهم والنيل من مراتبهم الرفيعة، وهذا هو المقصود بعينه من هذه التذكرة، فإن المطلب الأول تمهيد لهذا الثاني باعتبار أن العالم له حقوق المسلم عامة، ثم له حقوق أخرى خاصة فإن الله سبحانه وتعالى رفع المؤمنين على من سواهم، ثم رفع أهل العلم على سائر المؤمنين فقال﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ وقال تعالى﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾

---

(١) سير أعلام النبلاء :٦/ ٩٩

(٢) منهاج السنة:٥/ ١٢٦

لقط الدرر

لقد ألّفّ الشيخ الحبيب د/ محمد بن إسماعيل المقدم كتاب حرمة أهل العلم وهو كتاب ماتع بحق، وحريٌّ بأهل الإنصاف أن يقرءوه ليصل إلى الأنام نفعه خاصة أنه قد خرج فئام من طويلي الألسن شغلهم الغرور والعجب .وعبادتهم لأنفسهم والكبر البين شغلهم هذا عن الأدب الشرعي والعلم النافع والعمل الصالح ويواليتهم قبل أن يظلموا أنفسهم فيعرضوها لمقت الله وسيف انتقامه ليتهم يفكرون فيما يقدمون عليه من ظلم بيّن وإجحاف وستر الحق وتلبس له بالباطل والوقيعة في الأعلام الأكارم من العلماء والفقهاء قدامى ومحدثين، ولذا أردت أن أتحفك ببعض ما كتب الشيخ الفاضل لعلّ الله يقر به عينك وينفعك به في الدنيا والآخرة .

قال حفظه الله: العلم أثمن درة في تاج الشرع المطهر، ولا يصل إليه إلا المتحلِّي بآدابه، المتخلي عن آفاته: فإذا أطللنا إطلالة على واقع بعض طلبة العلم في زماننا تمثلنا قول الإمام بن المبارك رحمه الله:

لا تعرضن بـذكرهم مـع ذكرنـا ليس الصحيح إذا مشـي كالمقعـد

إذ نرى أناسًا انسلخوا من أخلاق السلف كما تنسلخ الحية من جلدها، لا يراعون الشيخ حرمة، ولا يوجبون لطالب ذمة، يتوجع أحد الدعاة من هؤلاء فيصفهم بأنهم:فضوليون، يكثر لغطهم، ويقل عملهم، وتنصبغ مجالسهم بصبغة الغيبة وخشونة الألفاظ، حتى تكون تهورات اللسان أمرًا مستساغًا، وتغتالُ فضائل المجالس الإيمانية اغتيالًا ويصبح الداعية المشارك فيها قليل الاحترام لعناصر الرعيل الأول كثير الجرأة عليها ...وليس ذلك عرف المؤمنين أبدًا، ولا سمتهم الذي ورثناه، إنما ورثنا الحياء وعفاف اللسان، واحترام الكبير، وتبجيل السابق، والتأول الحسن، وترجيحَ العذر، وجمال اللفظ، والاستغفار للذين سبقونا بالإيمان، وتكرار الدعاء للمربِّي

والحادي ...[1] اهـ

وقال حفظه الله: وهاك صورًا من عدوانهم وتطاولهم :

* **فهذا:** أحدهم يعيّر العلماء بأنهم فقهاء الحيض والنفاس .

* **وآخر:** يخاطبهم قائلًا: متى تخرجون من فقه المراحيض ودورات المياه؟

* **وثالث:** يصف لجنة الفتوى في السعودية بأنها فاتيكان المسلمين .

* **ورابع:** ينكر في أحد المؤتمرات على من يصفهم بأنهم العلماء من عيّنة المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة، وما أكل السبع .

* **وخامس:** يصف نفسه في صف الحافظ بن حجر العسقلاني، ويقول متهكمًا: هو ابن حجر وأنا ابن زلط .

* **وسادس:** يمارس التكفير المُقَنّعَ، باتهام هذا العالم بأنه ماسوني، وذاك الداعية بأنه عميل لكذا، أو جاسوسًا لكذا مما يرجفون وقال الشيخ الدكتور محمد بن إسماعيل حفظه الله: أجل إنهم يصنعون بفتنتهم توابيت تقبر فيها أنفاس الدعاة، و تُؤد نفائس دعوتهم، ويرجف المرجفون بالشائعات المغرِضَة، وهم يعلمون أن أئمة الهدى منها برآء، والمرجفون في قرارة أنفسهم على أنفسهم شهداء ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ الزخرف:٩١، وقال ﷻ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ الأحزاب:٥٨. وقال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ المطففين:٤-٦، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ العلق:١٤ ....وما بالقوم غيرة على الحق، وإنما هو الجهل العريض الذي يبدوا لهم علمًا واسعًا، وإنما هو الكبر، والتيه، وبطر الحق، وغمط الناس منازلهم .

أضـــاع الفريضـــة والســـنّة فتـــاه علـــى الإنـــس والجنّـــة

---

(١) ك/ فضائح الفتن صـ١٧ نقلًا عن كتاب حرمة أهل العلم .

كأن لنا النار من دونه وأفرده الله بالجنة

إن منهج هلك الناس الذي يسلكه الطغام ما هو إلا نَفَسٌ خارجي حروري وعيدي، وإن تَدَثَّر بدثار الغيرة على الحق والانتصار له ...[1] اهـ

الطعن على العلماء من أعظم البلاء:

* وليعلم أنه يخشى على من تلذذ بغيبة العلماء والقدح فيهم أنه يبتلى بسوء الخاتمة ـ عياذًا بالله ـ ....اهـ

* ثم الخائض في أعراض العلماء ظلمًا وعدْونًا إن حمل عنه ذلك، واقتُديَ به فيه، فقد سنَّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، والدال على الشر كفاعله والسعيد من، إذا مات ماتت معه سيئاته قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢]

وما من كاتب إلا سيلقي غداة الحشر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء يَسرك في القيامة أن تراه

.....وقال الحافظ ابن عساكر ـ رحمه الله ـ

«واعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حقَّ تقاته أن لحوم العلماء ـ رحمة الله عليهم ـ مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة؛ لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمر عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاف على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم»...اهـ [ك/ تبين كذب المفترى صـ٢٨ نقلًا عن حرمة أهل العلم صـ٣٢٢،٣٢٣]

قال حكيم شاعر :

وترى الكريم إذا تصرّم وصله يخفي القبيح ويظهر الإحسانا
وترى اللئيم إذا تقضى وصله يخفي الجميل ويظهر البهتانا

(١) حرمة أعراض أهل العلم صـ٣١٣ـ٣١٤

وقال آخر:

الناس شتى إذا مـا أنـت ذقتـهموا لا يستوون كما لا يستوي الشـجرُ
هـذا لـه ثمـر حلـو مذاقتـه وذاك لـيس لـه طعـم ولا ثمـرُ

أعذار العلماء

إذا كان الله ـ تبارك وتعالى ـ نهى عن سوء الظن بعموم المسلمين، فإن من رزقه الله تعالى ميراث هذا الكتاب وجعله بين جوانحه ورزقه تلك الكلمات الهادية وجعله سراجًا بالعلم يضئ من خلاله للناس، ويذكرهم بأيام الله فإن مثل هذا حقوقه على المسلمين أكيدة لا يجوز أن يُساء به الظن، فضلًا عن هجره من الناس ولمزهم له، فذلك منزلق خطر قد يجلب على الرجل فتنة في دينه ربَّما أطاحت به أو كانت قاصمة الظهر، والمسلم الفاقه لا يقدم على مثل هذا؛ لأن الله تعالى يغار على الحرمات وعلى الأولياء والأصفياء أن يكونوا عرضة لقالة السوء ومن لا يرجون لله وقارًا، فالله الله في أهل العلم قدامى ومحدثين، فإن كنت نهيت عن تتبع العورات والزّلات بعامة فعليك أن تبعد نفسك عن الخوض في أعراض من جعلهم الله محلًا لكتابه وسنة نبيه ونقلة لأخبار الصحابة الكرام ومن بعدهم من الأخيار الأطهار ...

وللعلماء أعذار كثيرة نذكر منها ما تيسر جمعه تذكرة للمؤمنين وإعذارًا ونصحًا.

* **قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:** فيجب على المسلم بعد موالاة الله تعالى ورسوله ﷺ مولاة المؤمنين كما نطق القرآن خصوصًا العلماء، الذين هم ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم؛ إذ كل أمة قبل مبعث نبينا محمدﷺ فعلماؤها شرارها، إلا المسلمين، فإنَّ علماءهم خيارهم، فإنهم خلفاء الرسولﷺ في أمته، والمحيون لما مات من سنته، وبهم قام الكتاب، وبه

قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا .

وليعلم أنه ليس لأحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولًا عامًا يتعمد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سنته، دقيق ولا جليل، فإنهم متفقون اتفاقًا يقينيًا على وجوب اتباع النبي ﷺ، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلابد أن يكون له عذرٌ في تركه .وجميع الأعذار ثلاثة أصناف:

أحدهما: عدم اعتقاده أنَّ النبي ﷺ قاله .

الثاني: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول .

الثالث: اعتقاده:أن ذلك الحكم منسوخ .

وهذه الأصناف الثلاثة تتفرع إلى أسباب متعددة :

السبب الأول: أن لا يكون الحديث قد بلغه، ومن لم يبلغه الحديث لم يكلّف أن يكون عالمًا بموجبه، وإذا لم يكن قد بلغه وقد قال في تلك القضية بموجب ظاهر آية أو حديث آخر أو بموجب قياس، أو موجب استصحاب فقد يوافق ذلك الحديث مرة ويخالفه أخرى، وهذا السبب هو الغالب على أكثر ما يوجد من أقوال السلف مخالفًا لبعض الأحاديث، فإن الإحاطة بحديث رسول الله ﷺ لم تكن لأحد من الأمة، وقد كان النبيﷺ يحدّث أو يفتي أو يقضي أو يفعل الشئ، فيسمعه أو يراه من يكون حاضرًا ويبلغه أولئك ـ أو بعضهم ـ لمن يبلغونه فينتهي علم ذلك إلى ما شاء الله من العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ثم في مجلس آخر قد يحدث أو يفتي أو يقضي أو يفعل شيئًا، ويشهده بعض من كان غائبًا عن ذلك المجلس، ويبلغونه لمن أمكنهم، فيكون عند هؤلاء من العلم ما ليس عند هؤلاء، وعند هؤلاء ما ليس عند هؤلاء، وإنما يتفاضل العلماء من الصحابة ومن بعدهم بكثرة العلم أو جودته ....

السبب الثاني: أن يكون الحديث قد بلغه ولكن لم يثبت عنده .

إما لأن محدثه أو محدث محدثه أو غيره من رجال الإسناد مجهول عنده، أو متهم أو سيء الحفظ، وإما لأنه لم يبلغه مسندًا بل منقطعًا، أو لم يضبط لفظ الحديث مع أن ذلك الحديث قد رواه الثقات لغيره بإسناد متصل ....فإن الأحاديث كانت قد انتشرت واشتهرت، ولكن كانت تبلغ كثيرًا من العلماء من طرق ضعيفة، وقد بلغت غيرهم من طرق صحيحة، غير تلك الطرق، فتكون الحجة من هذا الوجه، مع أنها لم تبلغ من خالفها من الوجه الآخر، ولهذا وجد في كلام غير واحد من الأئمة تعليق القول بموجب الحديث على صحته، فيقول: «**قولي في المسألة كذا، وقد روي فيها حديث كذا فإن كان صحيحًا فهو قولي**».

السبب الثالث: اعتقاد ضعف الحديث باجتهاد قد خالفه فيه غيره، مع قطع النظر عن طريق آخر، سواء كان الصواب معه أو مع غيره أو معهما، عند مَنْ يقول: (**كل مجتهد مصيب**) .

ولذلك أسباب منها:

* أن يكون المحدث بالحديث يعتقده أحدهما ضعيفًا ويعتقده الآخر ثقة، ومعرفة الرجال علم واسع، ثم قد يكون المصيب: من يعتقد ضعفه لاطلاعه على سبب جارح، وقد يكون الصواب: مع الآخر لمعرفته أن ذلك السبب غير جارح؛ إما لأن جنسه غير جارح أو؛ لأنه كان له فيه عذر يمنع الجرح .وهذا باب واسع...

السبب الرابع: اشتراطه في خبر الواحد العدل الحافظ: شروطًا يخالفه فيها غيره، مثل اشتراط بعضهم عرض الحديث على الكتاب والسُنّة، واشتراط بعضهم: أن يكون المحدث فقيهًا إذا خالف قياس الأصول، واشترط بعضهم: انتشار الحديث وظهوره إذا كان فيما تعُمُّ به البلوى...

السبب الخامس: أن يكون الحديث بلغه، وثبت عنده لكن نسيه ...

[٢٤٢] مثل الحديث المشهور«**عن عمر ﷺ أنه سُئل عن الرجل يجنب في السفر فلا يجد الماء؟ فقال: لا يصلي حتى يجد الماء .فقال له عمّار بن ياسر ﷺ: يا أمير المؤمنين أما تذكر إذ كنت أنا وأنت في الإبل، فأجنبنا فأما أنا فتمرغت كما تمرَّغُ الدابة وأما أنت فلم تُصَلِّ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال (إنما كان يكفيك هكذا ـ وضرب بيديه الأرض فمسح بهما وجهه وكفيه) فقال عمر: اتق الله يا عمّار . فقال: إن شئت لم أحدِّث به .فقال بل نُولّكَ ما توليت**»

[البخاري ومسلم بألفاظ متقاربة] .

فهذه سنة شهدها عمر ﷺ ثم نسيها، حتى أفتى بخلافها وذكّره عمّار ﷺ فلم يذكر، وهو لم يُكذب عمارًا، بل أمره أن يحدث به ...».

السبب السادس: عدم معرفته بدلالة الحديث: تارة لكون اللفظ الذي في الحديث غريبًا عنده، مثل لفظ (المزابنة) و(المخابرة) و(المحاقلة) و(الملامسة) و(المنابذة) و(الغرر) إلى غير ذلك من الكلمات الغريبة التي قد يختلف العلماء في تفسيرها ....فإن جهات دلالات الكلام بحسب منح الحق سبحانه ومواهبه ،ثم قد يتفطن له تارة وينساه بعد ذلك .وهذا باب واسع جدًا لا يحيط به إلا الله ....

السبب السابع: اعتقاد أن لا دلالة في الحديث ...والفرق بين هذا وبين الذي قبله: أن الأول لم يعرف جهة الدلالة، والثاني عرف جهة الدلالة لكن اعتقد أنها ليست صحيحة بأن يكون له من الأصول ما يردُّ تلك الدلالة، سواء كانت في نفس الأمر صوابًا أو خطًا مثل أن يعتقد أن العام المخصوص ليس بحجة، أو أن المفهوم ليس بحجة...

السبب الثامن: اعتقاده أن تلك الدلالة عارضها ما دلَّ على أنها ليست مراده مثل معارضة العام بالخاص، أو المطلق بمقيد ..إلى أنواع المعارضات وهى كثيرة جدًا ..فإن تعارض دلالة الأقوال، وترجيح بعضها على بعض:

بحر خضم.

السبب التاسع: اعتقاد أن الحديث معارض بما يدل على ضعفه، أو نسخه أو تأويله، إن كان قابلًا للتأويل بما يصلح أن يكون معارضًا بالاتفاق، مثل آية أو حديث آخر .... انتهي [١]

وقبل أن نغادر هذا المبحث

١ـ لمّا تغافل الناس عن الاهتمام بالآداب الشرعية ظهر الالتزام الهش وصار الإقبال على المفضول وترك الفاضل، وظهرت الانحرافات الفكرية والسلوكية والأخلاقية؛ لأن تلك الآداب ـ في حقيقة الأمر ـ حصن الالتزام والإيمان الأول فإذا تُركت، تركت السنن والفرائض، ونقضت عُرى الإيمان الواحدة تلو الأخرى ....فكذلك الإيمان في خمس حصون: اليقين، ثم الإخلاص، ثم أداء الفرائض، ثم السنن، ثم حفظ الآداب، فما دام يحفظ الآداب ويتعاهدها، فالشيطان لا يطمع فيه، وإذا ترك الآداب طمع الشيطان في السنن ثم في الفرائض، ثم في الأخلاق ثم في اليقين .... اهـ [٢]

[٢٤٣] عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الهدي الصالح والسمت والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة**». [٣]

٢ـ وكان الأدب هو المقياس الذي يقاس به الناس عند سلفنا الصالح، فإذا لم يوافق هدي الرجل علمه تركوه ونبذوه، فليس العلم عن كثرة المعارف وشحن الذهن بالفنون واللطائف، وإنما العلم ما توصل به لخشية الله تعالى .

---

(١) كتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام ابن تيمية صـ٩ـ١٠ بتصرف كبير وقد أطلت النقل هنا للأهمية وانظر هذا الكتاب لعظيم الحاجة إليه

(٢) غذاء الألباب للسفاريني :١/ ٣٧ مؤسسة قرطبة .

(٣) أبو داود في سننه :٤/ ٢٠٤٢ ك/ الأدب ب/ الوقار ح ٤٧٧٦ وهو حديث صحيح وانظر مسند أحمد تحقيق الشيخ أحمد شاكر :٤/ ٢٤٤ ،٢٤٥ ح ٢٦٩٨، ٢٦٩٩ وقال إسناده صحيح ،وقال الشيخ شاكر وقد أعله المنذري بقابوس وقد سبق أن بينا في حديث ١٩٤٦ أنه ثقة . انظر المسند تحقيق الشيخ أحمد شاكر :٤/ ٢٤٤ .

قال إبراهيم النخعي: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته وصلاته وإلى حاله ثم يأخذوا عنه .

وقال النووي: ولا يُأخذ العلم إلا ممن كملت أهليته وظهرت ديانته وتحققت معرفته واشتهرت صيانته وسيادته ... اهـ[1]

وقال ابن المبارك: لا ينبل الرجل بنوع من العلم ما لم يزين علمه بالأدب، وينبغي ـ احترامًا للعلم ـ أن يكون الطالب: كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول حرًا، وصولًا، وقورًا، صبورًا، شكورًا، راضيًا حليمًا، رفيقًا، عفيفًا، شفيقًا لا لعانًا ولا سبابًا، ولا نمامًا، ولا مغتابًا، ولا عجولًا، ولا حقودًا ولا بخيلًا، ولا حسودًا، بشاشًا، هشاشًا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله، ويغضب في الله، وهذا هو حسن الخلق ...[2]اهـ

❁❁❁

(١) المجموع للنووي :١/ ٣٦

(٢) انظر الإحياء للغزالي :٨/ ١٢٦ بتصرف كبير

المبحث الثالث عشر

من مظاهر الشرك

من مظاهر الشرك

أولاً: دعوة الأنبياء والمرسلين، ومصارع الغابرين المكذبين

إنك لن تجد في النفس من العيوب، والنقائص مثل الشرك في خفاء مساربه، وإسراعه، وتخليطه، وتزيين أهله له، واعتذارهم عنه محاولين التأويل، والدفاع عن أنفسهم بأنهم لم يقصدوا شركًا، ولا مضاهاة للكافرين من ثم كان لزامًا على من يهتم لساعدته في الدار الباقية أن يعترف بحاجته الشديدة إلى معرفة الشرك ومظاهره، والاعتناء بالحديث عن ذرائعه لأجل أن يتقيه بالحجب الكثيفة من كل وجه، وأن يسد الطرق الموصلة إليه، ولو من بعيد فلا يسري إلى جنانه ولا يتعلق بأركانه ولا يظهر منه شيء على لسانه، وليعلم الناصح الأمين المحدث الفذ الواعظ المؤثر أن أول شيء حذر منه الأنبياء والمرسلون والصالحون هو: الشرك، وقد واجههم السدنة، والمدافعون عن الشرك بحرب ساخنة، لا هوادة فيها، وصبروا على ذلك حتى أتاهم نصر الله تعالى، ونجا الموحدون المؤمنون مع الأنبياء والمرسلين، ودمر على المشركين، وجعلهم آية لمن خاف عذاب الآخرة، ونكالًا لكل من فرط في التوحيد، ومال إلى الشرك، وإن صغر هذا مع انتقالهم من عذاب، وخزي الدنيا، إلى نكال وعذاب الحريق المهين ـ عياذًا بالله.

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزخرف:٥١ ـ ٥٦].

هذا نكال في الدنيا، أما بعد الدنيا من عذابهم الذي التف حولهم فقد دلَّ عليه القرآن في مواضع أخرى.

قال تعالى: ﴿... وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ [غافر:٤٥ـ٤٨].

وكقوله تعالى حكاية عن قوم نوح: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود:٤٣]. وكقوله في سورة نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح:٢٥]. فلما أعرضوا، واستنكفوا وأبوا إلا العناد، والشرك حاق بهم ما كانوا به يستهزئون، وذهبوا إلى الجحيم غير مأسوف عليهم.

وقوم هود ناداهم عليه السلام بالعبادة، والتوحيد: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود:٥٠] فقالوا له عليه السلام: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:٥٣]، فأجابهم عليه السلام وقد أعلن البراءة من شركهم ومما يعبدون: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود:٥٤، ٥٥].

وكانت النتيجة التي ذكرها القرآن ناصعة البيان عظيمة الوضوح ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۞ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۞ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ هود :٥٨ـ٦٠.

هكذا دمَّر الله عليهم، ولاحقتهم اللعنة، وسار بهم الطرد من الرحمة في الأولى والآخرة ليستقروا في نار تلظى وما هم منها بمخرجين غير مأسوف عليهم ﴿فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ المائدة :٢٦.

وهذا نبي الله صالح يدعو قومه ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ هود :٦١، فيردون عليه باستكبار وجحود قائلين ﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ هود :٦٢.

ويحذرهم بطش ربهم، وأن لا يمسوا الناقة بسوء وإلا مسهم عذاب قريب فيجحدون، ويصرون إلا الشرك، ونبذ الإيمان، والعبادة خلفهم ظهريا، ويقدمون على المعصية، غير خائفين لا يبالون بوعد ولا بوعيد، ولا تهديد، وفي جرأة، وقسوة يجتمعون على الكفر، والإجرام، وتعدي الحدود، وتلحق بهم سنة الأولين من أمثالهم ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ هود :٦٥ .

وتأتي النهاية الحتمية والباقية، التي تنتظر كل كافر مشرك وكنود جاحد، ولو بعد حين ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ القَوِيُّ العَزِيزُ ۞ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۞ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾ هود :٦٦-٦٨

وقوم لوط كذبوا نبيهم وعصوا ربهم، وجحدوا، وفعلوا الفاحشة، وأتوا الرجال شهوة من دون النساء، و أسرفوا في ذلك، ولم يرجعوا عن غيّهم، وعتوّهم، وضاق بهم نبيهم ذرعًا قال لهم: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ هود : ٨٠. وجاءت الملائكة إلى نبي الله لوط لتوضح له اقتراب موعدهم ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ هود :٨١.

وجاء الصباح لكن معه ما لا يتوقعه كافر، حيث كان الجزاء من جنس العمل، والأخذ كان أليما شديدًا ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ۞ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ هود :٨٢-٨٣ .

وذهبوا غير مأسوف عليهم ليكونوا عبرة أبد الدهر وجاء شعيب عليه السلام ودعا قومه بنفس المنهج الإيماني التعبدي لإخوانه السابقين من الأنبياء، والمرسلين ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ هود : ٨٤.

وأجابوا بصلف وغرور، وعجب، وكفر، واستنكاف : ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ هود:٨٧.

وخوفهم عاقبة المكذبين قبلهم لعلهم يرجعون فيتذكرون : ﴿وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ هود:٨٩.

لكن وللأسف الشديد واجهت هذه النصيحة قلوب صخرية كالحجارة أو أشد قسوة، وهنا أعلن لهم عن اقتراب العذاب إن استمروا على ما هم فيه ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ هود :٩٣.

وجاء العذاب على حين بغتة﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ۞ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ هود :٩٤-٩٥ .

وهكذا كان قصص الشرك، والمشركين، وهكذا يكون مصارع المكذبين في كل العصور على حسب السنن الكونية .

ولا تظن أن هذا خاص بالعهود الماضية، وما دامت الرسالات قد ختمت برسالة نبينا محمد ﷺ وقد انتهت قضية الأخذ بالذنب في دار الدنيا إن الأمر ليس كذلك قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ

الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ الله مَنْ يَخَافُهُ بِالغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ المائدة :٩٤.

وهذه الآية محكمة ليست منسوخة فماذا يفيد قوله تعالى: ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾هل ذلك في الماضي أم أنه باق؟ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ الله مِنْهُ وَالله عَزِيزٌ ذُو انْتِقَام﴾ المائدة :٩٥.

قال الأستاذ/ سيد قطب في الظلال: إن طبيعة هذا الدين هي التي قضت بهذا ...فهو دين يقوم كله على قاعدة الألوهية ...كل تنظيماته، وكل تشريعاته، تنبثق من هذا الأصل الكبير ...وكما أن الشجرة الضخمة الباسقة الوارفة المديدة الظلال المتشابكة الأغصان الضاربة في الهواء لابد لها أن تضرب بجذورها في التربة على أعماق بعيدة وفي مساحات واسعة تتناسب ضخامتها، وامتدادها في الهواء ...وكذلك هذا الدين ...إن نظامه يتناول الحياة كلها ويتولى شئون البشرية كبيرها وصغيرها، وينظم حياة الإنسان لا في هذه الحياة الدنيا وحدها، ولكن كذلك في الدار الآخرة، ولا في عالم الشهادة وحده ولكن كذلك في عالم الغيب المكنون عنها، ولا في المعاملات الظاهرة المادية، ولكن في أعماق الضمير، ودنيا النوايا فهو مؤسسة ضخمة هائلة شاسعة مترامية .ولابد له إذن من جذور وأعماق بهذه السعة، والضخامة، والعمق، والانتشار أيضًا ....هذا جانب من سر هذا الدين وطبيعته، يحدد منهجه في بناء نفسه وفي امتداده، ويجعل بناء العقيدة وتمكينها، وشمول هذه العقيدة واستغراقها لشعاب النفس كلها ...ضرورة من ضروريات النشأة الصحية ...ومتى استقرت عقيدة لا إله إلا الله في أعماقها الغائرة البعيدة، ، واستقر معها في نفس الوقت النظام الذي تتمثل فيه لا إله إلا الله، وتعين أنه النظام الوحيد الذي ترتضيه النفوس التي استقرت فيها العقيدة ...واستسلمت هذه النفوس ابتداءً لهذا النظام الوحيد حتى قبل أن تعرض عليها تفصيلاته وقبل أن تعرض عليها تشريعاته، فالاستسلام

ابتداء هو مقتضى الإيمان ... اهـ [١] .

قال الهيثمي في (كتاب الزواجر) تحت عنوان بيان الشرك وذكر جملة من أنواعه: لكثرة وقوعها في الناس وعلى ألسنة العامة، من غير أن يعلموا أنها كذلك، فإذا بان لهم بعضها فلعلهم أن يجتنبوها، لئلا تحبط أعمالهم، ويخلدون في أعظم العذاب، وأشد العقاب، ومعرفة ذلك أمرٌ مهم جدًا، فإن من ارتكب مكفرًا تحبط جميع أعماله، ويجب عليه قضاء الواجب منها عند جماعة من الأئمة كأبي حنيفة، ....فتعين على كل ذي مسكة من دينه أن يعرف ما قالوه حتى يجتنبه، ولا يقع فيه فيحبط عمله ...

الشرك ظلم

إن الظلم له أقسام: وإن كان كله يعرض صاحبه لمقت الله وسخطه، ولكن بعضه في الإثم أكبر من بعض فكل مشرك كافر فهو ظالم، ولا نستطيع أن نعكس فليس كل ظالم مشركًا؛ لأن من أخذ من أخيه شيئًا يسيرًا من غير طيب نفس منه فقد ظلمه لكن ليس بمشرك لكونه تلبس بمعصية، ولم يتلبس بشرك قال تعالى: ﴿وَالكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ البقرة :٢٥٤ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان : ١٣

ـ وعن علقمة، عن عبد الله قال : (لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الأنعام : ٨٢، قال أصحاب رسول الله ﷺ : أيُّنا لم يظلم فأنزل الله ﷻ ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾)[٢]

قال الحافظ في الفتح :١/ ١٠٩ إنَّ الصحابة فهموا من قوله: (بظلم) عموم أنواع الظلم ولم ينكر عليهم النبي ﷺ ذلك وإنما بين لهم أن المراد أعظم أنواع الظلم، وهو الشرك ... فدلّ على أن للظلم مراتب متفاوتة، ومناسبة

---

(١) الظلال :٢/ ١٠٠٩

(٢) البخاري ك/ الإيمان ب/ ظلم دون ظلم الفتح ح/ ٣٢

إيراد هذا عقب ما تقدم من أن المعاصي غير الشرك لا ينسب صاحبها إلى الكفر المخرج عن الملة، على هذا التقرير ظاهرة ...قوله (**ولم يلبسوا**) أي لم يخلطوا، تقول : لبست الأمر بالتخفيف، ألبسه بالفتح في الماضي والكسر في المستقبل أي خلطته، وتقول....وقال محمد بن إسماعيل التيمي في شرحه : خلط، الإيمان بالشرك لا يتصور فالمراد أنهم لم تحصل لهم الصفتان كفر متأخر عن إيمان متقدم ، أي لم يرتدوا، ويحتمل أن يراد أنهم لم يجمعوا بينهما ظاهرًا وباطنًا : أي: لم ينافقوا وهذا أوجه: ولهذا عقبة المصنف باب علامات النفاق وهذا من بديع ترتيبه...اهـ [**الفتح** :١/ ١١١]

وقال الحافظ : وفي المتن من الفوائد : الحمل على العموم حتى يرد دليل الخصوص، وإن النكرة في سياق النفي تعم، وإن الخاص يقضي على العام، والمبين على المجمل، وأن اللفظ يُحْمَل على خلاف ظاهره لمصلحة، دفع التعارض، وإن درجات الظلم تتفاوت كما ترجم له، وإن المعاصي لا تسمى شركًا، وأن من لم يشرك بالله شيئًا، فله الأمن وهو مهتد، فإن قيل : فالعاصي قد يعذب فما هو الأمن والاهتداء الذي حصل له؟ الجواب أنه أمن من التخليد في النار مهتدٍ إلى طريق الجنة والله أعلم....اهـ .

وهكذا تكون عاقبة الشرك يحجب المغفرة والأمن عن صاحبه في الدنيا والآخرة، أما إن عصم من الشرك، وإلتزم التوحيد واستقام على الإخلاص فإن له شأنًا آخر.

[٢٤٤] فعن المعرور بن سويد، عن أبي ذر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: يقول الله ﷻ: «**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا، ومن آتاني يمشي آتيته هرولًا، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة ....**». [(١)] الحديث.

---

(١) مسلم ك/ الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بـ/ فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، وابن ماجه ٣٨٢١ وانظر حديث أبي ذر في مستدرك الحاكم :٤/ ٢٤٦ وصححه ووافقه الذهبي .

إن الحجب التي يضعها الناس لأنفسهم من الشرك تورد الموارد وتقربهم من المساخط، وتبعدهم عن الرحمات ذلك، لأن رحمة الله لا ينالها إلا موحد مسلم مخلص، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف:٥٦ وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف :١٥٦

[٢٤٥] وعن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر ﷺ قال : سمعت الصادق المصدوق ﷺ يقول «**الحسنة عَشرٌ وأزيد، والسيئة واحدة أو أغفرها، ومن لقيني لا يشرك بي شيئًا بقراب الأرض خطايا جعلت له مثلها مغفرة**».(١)

ثانيًا: اتخاذ العلماء أربابًا

قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ التوبة :٣١، والأحبار: هم علماء اليهود، والرهبان: هم عبادهم.

[٢٤٦] وقد فسر النبي ﷺ هذه الآية لعدي بن حاتم، وذلك أنه لما جاء مسلمًا دخل على رسول الله ﷺ فقرأ عليه هذه الآية قال :فقلت :إنهم لم يعبدوهم فقال: «**بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال، وحللوا لهم الحرام فاتبعوهم، فتلك عبادتهم إياهم**» (٢).

إن الحلال ما أحله الله تعالى، والحرام ما حرمه والدين ما شرعه، وهذا يرد على الذين يترخصون في الفتوى فيذهبون إلى أناس وهم يدركون أنهم يلوون ألسنتهم بالكتاب والسنة، فيحرفون الكلم عن مواضعه، ويغيرون، ويبدلون فمن صنع ذلك بحجة أنه يعلقها في عنق عالم ليخرج سالمًا فهذا هراء،

---

(١) الطبراني في الأوسط :٧/ ٣٣٦ ح/ ٧٣٧٥ .

(٢) رواه الترمذى وقال: حديث حسن، وعبد بن حميد، وانظر صحيح الترمذي للألباني :٣/ ٥٦ ح/ ٢٤٧١ وحسنه بمعناه .

وخبط، وسوف يحاسبه الله على هذا الترخص، وذلك التفريط، وعلى هذا فمن أطاع أحدًا من الناس كائنًا من كان وهو يعلم أنه مغاير لحكم الله وشرعته وسنة رسوله ﷺ فقد أشرك هذا الذي أفتاه في حكم الله، والله يقول عن نفسه سبحانه: ﴿وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الكهف :٢٦

كما قال سبحانه وتعالى:﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلا لله أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف :٤٠

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ الله الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ الله وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ۞ وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران :٨٠

قال القاسمي : «عند هذه الآية (مَا كَانَ لِبَشَرٍ) أي: ما صح ولا استقام، وفي التعبير بـ(بَشَر) إشعار بعلة الحكم، فإن البشرية منافية لما افتروه عليهم (أَنْ يُؤْتِيَهُ الله الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ) أي الفهم والعلم والحكمة (وَالنُّبُوَّةَ) وهي الخبر منه تعالى ليدعوا الناس إلى الله بترك الأنداد (ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ) أي: الذي بعثه الله إليهم ليدعوهم إلى عبادته وحده (كُونُوا عِبَادًا لِي)أي: اتخذوني ربًا (مِنْ دُونِ الله وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ) يقول لهم :كونوا ربانيين :أي منسوبين إلى الرب ..أي كونوا عابدين منقادين للعلم والعمل، والمواظبة على الطاعات، حتى تصيروا ربانيين بغلبة النور على الظلمة ـ أفاده القاشاني ـ ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ أي: بسبب مثابرتكم على تعليم الناس الكتاب، ودراسته أي: قراءته، فإنَّ ذلك يجركم إلى الله تعالى بالإخلاص في عبادته ....﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ﴾ أي: بالعود إليه وقد بُعِثَ لمحو الشرك (بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) أي : بعد استقراركم على الإسلام ثم قال (تنبيه):

* إذا كان ما ذكر في الآية لا يصلح أن يكون لنبي، ولا مرسل، فإنه لا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى والأحرى، ولهذا قال الحسن البصري :لا ينبغي هذا لمؤمن أن يأمر الناس بعبادته، قال : وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضًا ـ يعني أهل الكتاب ـ كانوا يعبدون أحبارهم، ورهبانهم)، كما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ التوبة :٣١

فالجهلة من الأحبار والرهبان وأئمة الضلال يدخلون في هذا الذم والتوبيخ بخلاف الرسل الكرام)[١]

ومن ثم فإن من أطاع غير الله ورسوله، وأعرض عن الأخذ بالكتاب والسنة في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله، وأطاعه في معصية الله، واتبعه فيما لم يأذن به الله، فقد اتخذه ربًا ومعبودًا، وجعله لله شريكًا .

قال الشيخ / عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد :

ثم ذلك المُحَرِّم للحلال، والمُحِلُّ للحرام، إن كان مجتهدًا قصده إتباع الرسول ﷺ لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر، وقد اتقى الله ما استطاع فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه، بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه، ولكن من علم أن هذا أخطأ فيما جاء به ثم اتبعه على خطئه وعدل عن قول الرسول ﷺ: فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله، لاسيما إن اتبع في ذلك هواه، ونصره باليد واللسان، مع علمه أنه مخالف للرسول، فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه . اهـ[٢].

---

(١) تفسير القاسمي :٢/ ٨٧٣:٨٧٤ بتصرف

(٢) فتح المجيد :١/ ١٢٩

ثالثًا: لبس الحلقة والخيط

ومن مظاهر الشرك أيضًا لبس الحلقة والخيط، ونحو ذلك مع اعتقاد أن ذلك يرفع بلاء أو يدفعه .

فإن من بقايا الوثنية المقيتة التي لا يزال لها تأثيرات واضحة على بعض ضعاف النفوس، وهي عندهم من الأهمية بمكان مسألة تعلق القلب ببعض الأشياء، وذلك لأن هذا الدين جاء من أجل إرساء معالم الإيمان، وأصول التوكل علي الله بسويداء القلب، وساعتها لا يلتفت القلب إلا إلى الخالق العظيم، والمدبر الحكيم؛ تعلقًا، وحبًا، وتوكلًا، وإنابة؛ إذ إنه الذي يملك النفع، والضر لا غيره سبحانه وتعالى

قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ۞ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۞ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ النحل : ٥٥ وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ الفرقان :٥٨ وقال سبحانه و تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ الأنعام :١٧-١٨ وقال جل اسمه: ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فاطر :٢

وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ الزمر :٣٨

قال الحافظ ابن كثير : في تفسير هذه الآية أي: لا تستطيع شيئًا من الأمر «قُلْ حَسْبِيَ اللهُ». أي كافي من توكل عليه كما قال سبحانه:﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يوسف :٦٧

كما قال نبي الله هود عليه السلام حين قال له قومه ﴿إِنْ نَقُولُ إِلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۝ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ ۝ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هود: ٥٤-٥٦

قال مقاتل في معنى الآية: ... وإنما كانوا يدعونها على معنى أنها وسائط، وشفعاء عند الله، لا على أنهم يكشفون الضر، ويجيبون دعاء المضطر، فهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ۝ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ النحل: ٥٤

ومن ثم كان تعلق القلب بغير الله فاطره من الشرك المنهي عنه خاصة إن اعتقد مع تعلقه فيه جلب نفع أو دفع ضر فهذا شرك بَيِّنٌ، والتوحيد ضد ذلك فلا يدعوا إلا الله، ولا يرغب إلا إليه، ولا يتوكل إلا عليه كما دلَّ على ذلك الكتاب والسنة.

[٢٤٧] وعن عقبة بن عامر الجهني، أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط، فبايع تسعة، وأمسك عن واحدٍ فقالوا: يا رسول الله. بايعت تسعة، وأمسكت عن هذا؟ فقال «**إن عليه تميمة، فأدخل يده فقطعها، فبايعه، وقال: من علق تميمة فقد أشرك**».(١)

وقال الألباني رحمه الله: التميمة هي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتّقون بها العين في زعمهم فأبطلها الإسلام، ولا تزال هذه الضلالة فاشية بين البدو والفلاحين، وبعض المدنيين، ومثل الخرزات التي يضعها بعض السائقين أمامهم في السيارة أو في مؤخرتها !وغيرهم يعلقون نعل أو حدوة حصان في واجهة المنزل أو المحلات كل ذلك لدفع العين زعموا .وغير ذلك مما عَمَّ و طمَّ بسبب الجهل بالتوحيد، وما ينافيه من الشركيات، والوثنيات، التي ما

(١) أحمد ٤/ ١٥٦ ورواة أحمد ثقات ؛والحاكم ٤/ ١٢٩ ؛والمنذري في الترغيب ٤/ ٣٠٧؛و الهيثمي في المجمع ٥/ ١٠٣ ؛وقد صححه الألباني في الصحيحة٤٩٢

بُعِثتْ الرسل، ولا أُنزلت الكتب إلا من أجل إبطالها والقضاء عليها، فإلى الله المشتكى من جهل المسلمين اليوم وبُعْدَهم عن الدين . اهـ[١] .

وقال ابن عبد البر: إذا اعتقد الذي علق التميمة أنها ترد القدر، واعتقاد ذلك شرك .

وقال أبو السعادات :إنما جعلها شركًا؛ لأنهم أرادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم، وطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه .اهـ[٢].

قال الحكمي رحمه الله :

ومن يثق بودعة أو ناب ... أو حلقة أو أعين الذئاب
أو خيط عضو من النسور ... أو وتر أو تربة القبور
لأي أمر كائن تعلقه ... وكله الله إلى ما علقه

[٢٤٨] وعن ابن بشير الأنصاري «**أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولًا أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة إلا قطعت**»[٣].

قال الحافظ نقلًا عن بن التين: كانوا يُقْلِدُون الإبل أوتار الأقواس لئلا تصيبها العين بزعمهم فأُمروا بقطعها؛ إعلامًا بأن الأوتار، والقلائد، لا ترد من أمر الله شيئًا، وهذا قول مالك ...اهـ بتصرف.

[٢٤٩] وعن رويفع ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: «**يا رويفع، لعلَّ الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تَقَلَّدَ وَتَرًا أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمدًا بريء منه**» [٤].

---

(١) الصحيحة :١/ ٢٦٦

(٢) تيسير العزيز الحميد صـ١٣١

(٣) البخاري بمعناه وتغاير في الألفاظ ك/ الجهاد والسير؛ بـ/ ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل؛ ح/ ٢٧٨٣

(٤) صحيح الجامع :ح/ ٧٩١٠

رابعًا :الطيرة

قال في المصباح المنير: (تطير و اطيَّر) والاسم منه الطيرة .وهي التشاؤم. وكانت العرب إذا أرادت المضيَّ لِمُهِمٍّ مرت بمجاثم الطير وأثارتها لتستفيد أتمضي أو ترجع فنهى الشارع عن ذلك وقال: لا هام ولا طيرة ..[1]اهـ

إن الإيمان بالقضاء والقدر في منهج أهل السنة يعني أن ما حدث للفرد من خير أو شر أو نفع أو ضر أو أمن أو خوف أو غنى أو فقر أو عسر أو يسر في أي ساعة من ليل أو نهار إنما هو بتقدير العزيز المقتدر رافع السماء، ومكور الليل على النهار، وليست الحوادث متعلقة بالأسباب من أدنى وجه: وإنما الأمر كله لله سبحانه و تعالى وهذا المعتقد ليس يعني أن التوكل يكون في طرح الأخذ بالأسباب جملة وتفصيلًا ليس الأمر كذلك، ولكن الأخذ بالأسباب دين تعبدنا به الله تعالى، فالله تعالى بين أن رزقه الذي قدره أزلًا للعباد بل لعموم المخلوقات من جميع الأجناس والعوالم بحيث يستحيل أن يفارق الرزق صاحبه أنَّى كان هو بل إنه يلاحقه كما يلاحقه أجله ولن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها، ومع هذا أمر الله بالأخذ بالأسباب فرضًا حتمًا، ومن يقصر في ذلك كان مقصرًا في جانب الشرع ظالمًا لنفسه معرضًا للمسائلة، قال تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ فصلت :١٠

كما قال سبحانه و تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إلا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إلا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ الحجر :٢١

كما بيّن أن الرزق عام شامل لكل مخلوق، إذ قال سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إلا عَلَى الله رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هود :٦

ومع هذا الضمان العجيب للرزق أمر الله بالأخذ بالأسباب والحركة من أجل تحصيله قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا

---

(١) المصباح المنير ص٣٨٢ دار المعارف

فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ الملك :١٥

ومن ثم لم يعد للتطير، والتشاؤم، وإلصاق ما يحدث في الكون للحوادث والأيام والأشخاص من وجود؛ إذ إنه محض وهم وخبط ودجل وكذب، وقبل ذلك افتراء على الله، وطعن في عقيدة القدر ثم إن هذا لم يُنَزل الله به من سلطان، ومن ثم جاء الشرع ليحذر من الطيرة بكل أنواعها؛ لأنها من الشرك، وهى طعن في جِذر التوحيد، وأصل الاخلاص .

قال الشيخ/ حافظ الحكمي في معارج القبول :وأما الطيرة فهي ترك الإنسان حاجته واعتقاده عدم نجاحها، وتشاؤمه بسماع بعض الكلمات القبيحة كيا هالك أو يا ممحوق، ونحوها، وكذا التشاؤم ببعض الطيور كالبومة، وما شاكلها إذا صاحت قالوا: إنها ناعية أو مخبرة بشدة، وكذا التشاؤم بملاقات الأعور أو الأعرج أو المهزول أو الشيخ الهرم أو العجوز الشمطاء، وكثير من الناس إذا لقيه وهو ذاهب لحاجته صَدّه ذلك عنها ورجع معتقدًا عدم نجاحها، وكثير من أهل البيع لا يبيعون مِمّن هذا صفته إذا جاءه أول النهار، حتى يبيع من غيره، تشاؤمًا به، وكراهية له، وكثير منهم يعتقد أنه لا ينال في ذلك اليوم خيرًا قط، وكثير من الناس يتشاءم بما يُعرض له في نفسه حال خروجه كما إذا عثر أو شيك، يرى أنه لا يجد خيرًا، ومن ذلك التشاؤم ببعض الأيام أو ببعض الساعات ...وكذلك صوت الثعلب عندهم، ومن الاستقسام بالأزلام الذي أمر الله تعالى باجتنابه، وأخبر أنه رجس من عمل الشيطان، وهذا وما شاكلة كثير منه، كان في الجاهلية قبل النبوة، وقد أبطله الإسلام فأعاده الشيطان في هذا الزمان أكثر مما كان عليه في الجاهلية ...اهـ

القرآن يصف المشركين بالتطير:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف :١٣٠-١٣١

قال القاسمي في التفسير: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ أي: بالجدب والقحط ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي: يتعظون فيرجعوا عما هم فيه من الكفر إلى أمر موسى، وذلك لأن الشدة ترقق القلوب، وترغِّبُ في الضراعة إلى الله.

تدل الآية على أن الشدة، والبؤس قد يكونا لطفًا، وصلاحًا في الدين لذلك قال ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ..اهـ

ثم يبين تعالى أنهم مع تلك المحن التي عليهم والشدائد، لم يزدادوا إلا تمردًا وكفرًا، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾

﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ أي: الصحة، والخصب ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ أي: لأجلنا واستحقاقنا، ولم يروا ذلك من فضل الله عليه، فيشكروه على إنعامه ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي: شدة ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ أي: يتشاءموا، وأصله يتطيروا يعني أنهم يقولون :هذه بشؤمهم ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ﴾ أي شدتهم، وما طار إليهم من القضاء والقدر، من عند الله، لا من عند غيره، أي من قِبَلِهِ تعالى ...[1]اهـ

فانظر إلى محاسن الظن بأنفسهم الخبيثة، وسوء الظن بالأنبياء، والصالحين، ، والطيرة شرك: لأنهم ينسبون ما كتب قديمًا في اللوح المحفوظ إلى البشر، وهذا أيضًا سوء ظن بالله ﷻ إذ إنه العليم بالحوادث قبل إيجادها وهو الذي أرسل الرسل، ومع هذا ما قدروهم حق قدرهم وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ بَلْ أَنْتُمْ

(١) محاسن التأويل للقاسمي :٧/ ٢٨٤٠ :٢٨٤١

قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ النمل :٤٥ـ٤٧.

فالذي حدث من كفرة فرعون مع كليم الله، ومن معه من الصالحين هو ذاته الذي حصل لنبي الله صالح، فالكفر لغته واحدة في كل عصر ومِصْر، في كل زمان ومكان، ونفس اللهجة تحدث في كل حوار لهم لما أرسل الله رسلًا ثلاثة إلى القرية الظالم أهلها، ودعوهم إلى التوحيد، والإيمان وجابههم الخسرة بنفس اللغة﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ يس:١٨ـ١٩

لله أدعـــوك والله أرجـــوك ... لتكون أواهًـا فتزيـد في العلـمِ
لا تغدو سـبّابًا، لا تمضـي عيّابًـا ... أنسيت وهابًا أم أنـت في سـأمِ
إني أناديـك أرضـيت ماضـيك ... كم فيك يكويك اذهب إلى الحَرَمِ
الحـي لا يغفـل والـبر لا يزبـل ... والحق لا يبطل والشرك في نـدمِ
الكل مكتوب والحشـر مرهـوب ... والذنب محسوب اسمع إلى كلـمِ
الجسر ممـدود والـوزن مرصـود ... والحوض مورود أطعم ذوي اليـتمِ
يا ويلـه عبـد لا يسـتحي أبـدًا ... من هام في لعب من لاذ بالصـنمِ
يـارب رحمـاك فلقـد سـألناك ... يارب لـولاك علمـت بـالقلمِ

أحاديث في النهي عن التطير، وذم ذلك

[٢٥٠]عن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح، والكلمة الحسنة**».(١)

ولفظ مسلم في كتاب السلام أن نبي الله ﷺ قال: «**لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل، والكلمة الطيبة**». وفي رواية البخاري في الفتح،

(١) البخاري ك/ الطب :١٠/ ٢٥٤ ح/ ٧٥٧٦ بـ/ لا عدوى.

«قالوا : وما الفأل؟ قال : كلمة طيبة».

وقد تكلم الحافظ في الفتح عن إيراد هذا الحديث كلامًا وافيًا قال :

[٢٥١] وفي حديث عروة بن عامر الذي أخرجه أبو داود وقال :ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «**خيرها الفأل، ولا ترد مسلمًا، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله**».(١)

[٢٥٢] وقد احتج ابن ماجة بسند حسن عن أبي هريرة رفعه «**كان يعجبه الفأل، ويكره الطيرة ...**».(٢)

وقد أخرج الطبري عن عكرمة قال :كنت عند ابن عباس، فمرّ طائر فصاح، فقال رجل :خيرٌ خير، فقال ابن عباس ما عند هذا لا خير ولا شر، وقال أيضًا :الفرق بين الفأل والطيرة، أن الفأل من طريق حسن الظن بالله، والطيرة، لا تكون إلا في السوء، فلذلك كُرِهَتْ .

وقال النووي :الفأل يستعمل فيما يسوء، وفيما يَسرُ، وأكثره السرور، والطيرة لا تكون إلا في الشؤم، وقد تستعمل مجازًا في السرور ..اهـ(٣).

قال الحافظ : **وكأن ذلك بحسب الواقع، وأما الشرع فخص الطيرة بما يسوء، والفأل بما يَسُرّ ...؛ قال بن بطال: جعل الله في فطر الناس محبة الكلمة الطيبة، والأنس بها كما جعل فيهم الارتياح بالمنظر الأنيق، والماء الصافي، وإن كان لا يملكه ولا يشربه... قال الحليمي: وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن بالله تعالى على كل حال...**(٤) اهـ

---

(١) الفتح ؛أخرجه أبو داود

(٢) الفتح :١٠/ ٢٢٥

(٣) البخاري في الفتح :١٠ / ٢٢٤ في الطب بـ/ الفأل ح/ ٥٧٥٥ .

(٤) الفتح : ١٠/ ٢٢٦، ٢٢٥ وانظره ففيه تفصيل مليح .

[٢٥٣] وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، عن معاوية بن الحكم السلمي قال: «**قلت : يا رسول الله ﷺ أمورًا كنا نصنعها في الجاهلية، كنا نأتي الكهان، قال: فلا تأتوا الكهان، قال: قلت : كنا نتطيّر، قال : ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم**». (١)

في هذا الحديث بيان عظم حرص الصحابة على التخلص من شوائب الجاهلية، والتنزه عن أدرانها، وأيضًا تحري الحق، والبحث عنه خاصة في الأصول الكبرى، والشوائب، والقاذورات .

[٢٥٤] وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول اللهﷺ: «**الطيرة من الشرك، وما منا ولكن الله يذهبه بالتوكل**». الترمذي، وقال : وفي الباب عن أبي هريرة ،و حابس التميمي، وعائشة، وابن عمر، وسعد، وقال الترمذى : وهذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث سلمة بن كهيل، وروى شعبة أيضًا عن سلمة هذا الحديث قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول : كان سليمان بن حرب يقول في هذا الحديث : وما منا ولكن الله يذهبه بالتوكل.

قال : سليمان : هذا عندي من كلام ابن مسعود «**وما منا**».

ـ وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي في قوله «**الطيرة من الشرك**».

أي: لاعتقاده أن الطيرة تجلب لهم نفعًا، أو تدفع عنهم ضرًا، فإذا عملوا بموجبها، فكأنهم أشركوا بالله في ذلك، ويسمى شركًا خفيًا، وقال بعضهم : يعني من اعتقد شيئًا سوى الله ينفع أو يضر بالاستقلال فقد أشرك أي: شركًا جليًا.

وقال القاضي : إنما سماها شركاً؛ قال لأنهم كانوا يرون ما يتشاءمون به سببًا مؤثرًا في حصول المكروه، وملاحظة الأسباب في الجملة شرك خفي

(١) صحيح مسلم ك/ السلام؛ب/ تحريم الكهانة، وإتيان الكهان

فكيف إذا انضم إليها جهل، وسوء اعتقاد ....اهـ

إن ملاحظة تقلب القلب، وتأثره أمر حَتْم، ويوم يتناسى المرء قلبه يدور في أي وادٍ شاء، وعلى أي وضع أحب فهذا منزلق عسر، ذلك لأن عواطف القلوب لها ضوابط شرعية، وتعلق القلوب له دلائله ومساراته التي لا ينبغي أن يتجاوزها، وإلا تلبّس بما يمقت عليه خاصة أن الذي بَرَأَ وَذَرَأَ تلك القلوب هو الله تعالى ولذا وجب أن تكون منقادة له منبسطة على شرعه توكلًا، وإنابة، وحبًا، وضراعةً، وخوفًا، ويوم يكون العبد مقبلًا على ربه مستأنسًا بذكره، مراعيًا مرضاته متجنبًا سخطه فإن الله سيلم شعثه، ويشرح صدره، ويجمع عليه أمره، ويقدر له الخير حيث كان[1]

خامسًا: النذر لغير الله شرك

إن الناس لما طال عليهم الأمد تناسوا صفاء التوحيد وجماله، وبهاءه، وتغيرت كثير من المعالم عندهم ـ إلا من رحم الله ـ فإذا هم يصرفون حقوق الله الخالصة إلى غيره من البشر، وسائر الخلق، فأين التوحيد إذًا؟ وأين ولاء الله، وحبه؟ وأين الانتماء إلى شرعه مع هذه الأفعال المخالفة لصريح دينه؟ إن هذا لشيء عجيب، إن المشركين الأقدمين كانوا يصنعون ذلك مع آلهتهم مع الفوارق قال الله تعالى: ﴿ **وَجَعَلُوا لله مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ وَالأَنْعَام نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لله بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى الله وَمَا كَانَ لله فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ الأنعام:١٣٦

فانظر الآن إلى النذور للأعتاب، والأخشاب، والأقطاب، والقباب، والموتى، لجلب المنافع ودفع المضار التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى فالقوم

---

(١) انظر جامع الترمذي ك/ السير عن رسول الله ﷺ ب/ ما جاء في الطيرة :٣/ ٢٢٦ بـ/ ٤٧ ح/ ١٦٢٠ وانظر سنن أبي داود في الطيرة ح/ ٣٩١٠ في الطيرة، وابن ماجه في الطب ٣٥٣٨ بـ/ من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة، وانظر الترمذي أيضًا :٣/ ٢٢٨ ح/ ١٦٢١ .

يطلبون قضاء الحوائج من الموتى ، الذين قضوا نحبهم، وطويت صحفهم، وهم أحوج إلى الرحمة من غيرهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : فيمن نذر للقبور أو نحوها دهنًا لتنور به ويقول :إنها تقبل النذر كما يقول بعض الضالين، وهذا النذر معصية باتفاق المسلمين، لا يجوز الوفاء به، وكذلك، إذا نذر مالًا للسدنة أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة، فإن فيهم شبهًا من السدنة التي كانت عند اللاتِ والعُزى ومناة، يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله، والمجاورون هناك فيهم شبه من الذين قال فيهم الخليل عليه السلام: ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ الأنبياء :٥٢

والذين اجتاز بهم موسى عليه السلام وقومه، قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائيلَ البَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ﴾ الأعراف: ١٣٨

فالنذر لأولئك السدنة، والمجاورين عندها في هذه البقاع نذر معصية ...اهـ [1].

قال تعالى: ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ الحج :٢٩ وقال تعالى:﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ الإنسان :٧

ولنا أسوة طيبة في إخلاص "حنة"(بإهمال الحاء) بنت فاقود بن قنبل زوجة عمران عليه السلام إذ نذرت ما في بطنها محررًا لربها خالصًا لوجهه، وكانت تتمنى أن يكون المنذور ذكرًا ليقوم على طاعة الله قيام الصادقين الكبار فلما تم الوضع حزنت لكونها تريد أن تصل إلى قمة الطاعة حتى يرضى عنها الله تعالى:﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ آل عمران :٣٦

---

(١) فتح المجيد صـ١٩٧

ما هو المرتقب المنتظر من امرأة صالحة أخلصت في نذرها لربها، وحققت الطاعة على وجه كامل؟ إن الله قبل منها نذرها، وتولى أمرها، وأمر ابنتها والذي رزقت به من غير أب جعلها آية للعالمين، هذا بعد القبول الحسن، ومن تمام المنة أن يوسع الله على مريم الرزق ويجعل وليدها نبيًا من أولي العزم، ويجري على يديه معجزات خارقة، هذا بعد شهادة الملائكة لها بالخير، والبر والاصطفاء ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ۞ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ آل عمران : ٤٢-٤٣

والنذر في الشرع ليس بابًا مفتوحًا على مصراعيه بغير قيود شرعية معروفة، ولكن له ضوابط معروفة، ومدروسة وضرورية.

[٢٥٥] **فعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ** «رأى شيخًا يهادى بين ابنيه، قال : «**ما بال هذا؟!**» قالوا نذر أن يمشى، قال :«**إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني، وأمره أن يركب**» [١].

فهذا رجل نذر نذرًا، وهو نذر طاعة في حسه وضميره فهل تركه النبي ﷺ لتصوره يصنع ما يشاء، ويتصرف كما يريد؟! لا ولكن ضبط له هذا التصور فالله لا يحب جهد الناس لمجرد تصورهم، بل إنه نفى عن مثل هذا ، وأمره أن يريح نفسه من هذا العناء.

[٢٥٦] وعن زياد بن جبير، قال: «جاء رجل إلى ابن عمر ﷺ فقال: رجل نذر أن يصوم يوماً قال أظنه قال الاثنين فوافق ذلك يوم عيد فقال ابن عمر: أمر الله بوفاء النذر، ونهى النبي ﷺ عن صوم هذا اليوم»[٢]

[٢٥٧] وعن ابن عمر ﷺ أن عمر سأل النبي ﷺ :«**قال: كنت نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام قال : فأوف بنذرك**».[٣]

---

(١) البخاري في الفتح ك/ الحج بـ/ من نذر المشي إلى الكعبة :٤/ ٩٣ ح/ ١٨٦٥

(٢) البخاري في الفتح ك/ الصوم ؛بـ/ صوم يوم النحر :٤/ ٢٨٣ ح/ ١٩٩٤ .

(٣) البخاري في الفتح ك/ الاعتكاف؛بـ/ الاعتكاف ليلًا :٤/ ٣٢٢، ٣٢١ ح/ ٢٠٣٢

[٢٥٨] وعن أبي هريرة قال: «**ينهى عن صيامين ... الفطر والنحر ...**».[١]

[٢٥٩] وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن النبيﷺ قال:«**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**».[٢]

[٢٦٠] وعن سعد بن عبادة الأنصاري أنه استفتى النبي ﷺ ـ في نذر كان على أمه فتوفيت قبل أن تقضيه:«**فأفتاه أن يقضيه عنها فكانت سنة بَعْدُ**».[٣]

قال الحافظ في الفتح قضاء الحقوق الواجبة عن الميت، وقد ذهب الجمهور إلى أن من مات وعليه نذر مالي أنه يجب قضاؤه من رأس ماله، وإن لم يوصِ إلا إن وقع النذر في مرض الموت فيكون من الثلث ...وفيه استفتاء الأعلم، وفيه فضل بر الوالدين بعد الوفاة، والتوصل إلى براءة ما في ذمتهم ...اهـ بتصرف. وأيضًا رفع الإسلام الحرج عمن نذر شيئاً لا يملكه .

[٢٦١] فعن يحيى بن أبي كثير أن أبا قلابة أخبره، أن ثابت بن الضحاك أخبره، أنه بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، وأن رسول الله ﷺ قال: «**من حلف على يمين بملة غير الإسلام كاذبًا فهو كما قال، ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة، وليس على رجل نذر في شيء لا يملكه**».[٤]

وأخيرًا كفارة النذر كفارة يمين فانظر إلى الأحكام الشرعية، ويسرها، وسهولتها، ورفع الحرج فيها، وضوابطها تجد أن الله امتن عليك أعظم المنن بأن جعلك من المسلمين.

---

(١) البخاري في الفتح ح/ ١٩٩٣ .

(٢) البخاري في الفتح :١١/ ٥٨٩ ك/ الأيمان والنذور ح/ ٦٦٩٦

(٣) البخاري في الفتح :١١/ ٥٩٢ ك/ الأيمان والنذور، بـ/ من مات وعليه نذر ح/ ٦٦٩٨

(٤) البخاري :٨/ ٣٢، ، ٨/ ١٨، ومسلم :١/ ٧٣ ك/ الأيمان والنذور بـ/ غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وأن من قتل نفسه بشئ عذب به في النار وهذا لفظ مسلم .

[٢٦٢] عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال:«**كفارة النذر كفارة اليمين**».[١]

هكذا يكون اليسر بكل ما تحتويه هذه الكلمة ليس على بن آدم نذر فيما لا يملك، وكفارته كفارة يمين، والنذر من العبادات المتعلقة بالقلب وهى من صلب الاعتقاد فلا تصرف لسدنة، ولا كهنة، ولا لأضرحة، ولا نحو ذلك ليكون القلب في شتى توجهاته لله وحده لا شريك له فلا ند ولا نظير ولا ظهير، ولا شريك له فهو الله الأحد الصمد والفرد الذي لا ند له، ﴿**وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا**﴾. [الجن :٣]

سادسًا :الاستعاذة بغير الله

ومن مظاهر الشرك الاستعاذة بغير الله تعالى والاستعاذة مصدر استعاذ وهى من مادة (ع و ذ)التي تدل على الالتجاء إلى الشيء، قال الخليل :تقول أعوذ بالله جل ثناؤه أي ألجأ إليه تبارك وتعالى، عوذًا، وعياذًا، ومعاذًا، لاذ به، ولجأ إليه، واعتصم، ومعاذ الله أي :عياذًا بالله والاستعاذة الالتجاء، والاعتصام، والتحرز، و حقيقتها :الهرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه؛ ولهذا يسمى المستعاذ، معاذًا، وملجًا، ووزرًا، فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه، أو يهلكه إلى ربه، ومالكه، وفَرَّ إليه، وألقى نفسه بين يديه، واعتصم به، واستجار به، والتجأ إليه، وهذا تمثيل، وتفهيم، وإلا فمما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله، والاعتصام به، والاطراح بين يدي الرب، والافتقار إليه، والتذلل بين يديه، أمر لا تحيط به العبارة، هذا معنى كلام ابن القيم[٢]

---

(١) سنن النسائي :ك/ الإيمان والنذور، بـ/ كفارة النذور وهو صحيح وأخرجه الترمذيَ في الأيمان والنذور بـ/ كفارة النذر وقال حسن صحيح غريب، وأنظر صحيح سنن أبي داود ح/ ٢٨٤٣ وصححه الألباني وأصله عند مسلم.

(٢) تيسير العزيز الحميد صـ١٧٤، ١٧٥

ولذلك فإن الله تعالى أمرنا بالاستعاذة في كثير من مواطن القرآن الكريم ففي سورة النحل قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ النحل :٩٨

وفي سورة الأعراف قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الأعراف :٢٠٠ وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ فصلت :٣٦ وقال سبحانه: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۞ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ المؤمنون :٩٧- ٩٨ وفي سورة الفلق أمر الله بالاستعاذة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ الفلق :١

والآيات كثيرة، وأما في السنة فحدث ولا حرج فقد وردت الاستعاذة فيها بشكل واسع من شر السمع والبصر، واللسان، والقلب، والفرج، ومن الشر كله عاجله، وآجله، ومن عذاب القبر، ومن عذاب جهنم، ومن شر فتنة المحيا والممات، وفتنة المسيخ الدجال، ومن شر الرياح، وما أرسلت به، ومن جار السوء في دار المقام، ومن ضيق المقام يوم القيامة، ومن شر ما عمل الإنسان، ومن سخط الله، ومن عقوبته، ومن الهم، والحزن، والعجز والكسل، والجبن، والبخل، وغلبة الدين، وقهر الرجال، ومن زوال النعمة، وتحول العافية، وشر النفس، والشيطان، وانظر موسوعة نضرة النعيم ٢/ ٢٠٣

وقال ابن القيم:

لفظ عاذ وما تصرف منه يدل على التحرز، والتحصن، والنجاة، وفي أصله قولان: **أحدهما**: أنه مأخوذ من الستر، **والثاني** أنه مأخوذ من المجاورة والالتصاق، ومن الأول قولهم للبيت الذي في أصل الشجرة (عُوذ) لأنه عاذ بالشجرة، واستتر بأصلها، وكذلك العائذ قد استتر من عدوه بمن استعاذ به منه، ومن المعنى الثاني قولهم للَّحم إذا التصق بالعظم فلم يتخلص منه

(عُوُذ) لأنه استمسك به، واعتصم، وفي المثل :أطيب اللَّحم عُوذ (وهو ما التصق منه بالعظم)وكذلك العائذ قد استمسك بالمستعاذ به، واعتصم به، ولزمه، والقولان حق ...اهـ[١].

فإذا كان الله تعالى هو ربنا، وملكنا، وإلهنا، فلا مفزع لنا في الشدائد سواه، ولا ملجأ لنا منه إلاَّ إليه، ولا معبود لنا غيره، فلا ينبغي أن يدعى، ولا يخاف، ولا يرجى، ولا يحب غيره، ولا يذل، ولا يخضع لغيره، ولا يتوكل إلا عليه؛ لأن من تخافه، وترجوه، وتدعوه، وتتوكل عليه، إما أن يكون مربيك والقائم بأمورك، ومتولي شأنك، فهو ربك، فلا ربَّ لك سواه، وتكون مملوكه، وعبده الحق، فهو مالك الناس حقًا، وكلهم عبيده، ومماليكه، أو يكون معبودك، وإلهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين، بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك إلى حياتك، وروحك، فهو الإله الحق إله الناس، فمن كان ربهم، ومليكهم، وإلههم فهم جديرون أن لا يستعيذوا بغيره، ولا يستنصروا بسواه، ولا يلجئون إلى غير حماه، فهو كافيهم، وحسبهم، وناصرهم، ووليهم، ومتولي أمورهم جميعًا بربوبيته وملكه وإلهيته لهم ...[٢]اهـ

وقد أجمع العلماء على أنه لا تجوز الاستعاذة بغير الله؛ ولهذا نهوا عن الرقى التي لا يعرف معناها خشية أن يكون فيها شيء من ذلك .

ومما ظهر لنا أن الاستعاذة هي الاستجارة، والتحزر إلي الشيء، على معنى الامتناع به من المكروه، يقال عذت بفلان، واستعذت به، أي : لجأت إليه، وهو عياذي أي : ملجئي، وأعذت غيري، وعوذته بمعنًى .

---

(١) التفسير القيم :٥٣٨، ٥٣٩

(٢) تيسير العزيز الحميد صـ١٧٦

أحاديث في الاستعاذة

[٢٦٣]عن كريب مولى ابن عباس، قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا هذا الدعاء كما يعلمنا السورة من القرآن: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**» (١).

[٢٦٤] عن أبي عبد الرحمن الحلبي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ كان يدعوا بهذه الكلمات: «**اللهم إني أعوذ من غلبة الدين، وغلبة العدو، وشماتة الأعداء**» (٢).

الاستعاذة من قلب لا يخشع ودعاء لا يسمع:

[٢٦٥] عن ابن أبي الهذيل، عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أربع: «**من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ودعاء لا يُسمع، ونفس لا تشبع**» (٣).

[٢٦٦]عن عمرو بن ميمون ، عن ابن مسعود قال :كان النبيﷺ يتعوذ من خمس: «**من البخل، و الجبن، وسوء العمر، وفتنة الصدر، وعذاب القبر**»(٤).

---

(١) البخاري في الأدب المفرد ح/ ٦٩٤ وفي صحيح البخاري من حديث عائشة :١/ ٢١١ بـ/ الدعاء قبل السلام .

(٢) أحمد ١٠/ ١١٣وقال الشيخ / أحمد شاكر صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي وانظر صحيح الجامع ح/ ١٢٩٦ والصحيحة :١٥٤١ .

(٣) أحمد ١/ ٦٥ ح٦٥٥٧ وإسناده صحيح، وأخرجه النسائي في الاستعاذة :٢٥٤, ٢٥٥ وحسنه الألباني وانظر صحيح الجامع ١٢٩٥ وصححه .

(٤) النسائي ٨/ ٢٦٥في الاستعاذة، والترمذي من طريق عمرو بن ميمون، وقال حديث صحيح من هذا الوجه وانظر صحيح النسائي ح/ ٥٠٥٦ وقال الألباني صحيح .

[٢٦٧] عن أبي هريرة، كان رسول الله ﷺ «**يتعوذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، و سوء القضاء، وشماتة الأعداء ...**» الحديث [١].

قال الحافظ ابن بطال، وغيره (جهد البلاء) كل ما أصاب المرء من شدة، ومشقة، وما لا طاقة له بحمله، ولا يقدر على دفعه، ...ودرك الشقاء يكون في أمور الدنيا، وفي أمور الآخرة وكذلك (سوء القضاء) عام في النفس، والمال، والأهل والولد، والخاتمة، والمعاد، قال : والمراد بالقضاء هنا :المقضي؛ لأن حكم الله كله حسن لا سوء فيه ...قال ابن بطال : و(شماتة الأعداء) ما ينكأ القلب، ويبلغ النفس أشد مبلغ، وإنما تعوذ منه النبي ﷺ تعليمًا لأمته... اهـ [٢] .

* وفي سنن النسائي كتاب الاستعاذة كلام جيد، ونسق عظيم فراجعه .

سابعًا : الرِّياء

ومن مظاهر الشرك أيضًا الرِّياء فإن الله تعالى أمر المسلمين أن يخلصوا له الأعمال، والأقوال، والحركات، والسكنات، والفلتات، واللفتات، فمن عمل من أعمال الآخرة شيئًا، وأشرك فيه مع الله غيره فهو للذي أشرك، والله ﷻ منه بريء، ولن ينتفع صاحبه من هذا العمل بمثقال ذرة، قال الله ﷻ: ﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۞ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۞ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ الزمر :١١-١٣ .

والمعنى : قل يا محمد ـ يا أيها الرسول للناس ـ مخاطبةً: إني مأمور من قبل ربي أن أقيم هذا الدين لله وحده لا إله غيره كما قال في أول سورة الزمر: ﴿**فاعبدِ الله مخلصًا له الدينَ**﴾ الزمر:٢ أي: أخلص لله تعالى جميع دينك من الشرائع الظاهرة والباطنة، من حيث الإسلام والإيمان، والإحسان، بأن تفرد الله وحده

(١) فتح الباري ١١/ ١٥٢، ح/ ٦٦١٦ .
(٢) الفتح :١١/ ١٥٢ .

قاصدًا بها وجهه لا غير ذلك من المقاصد: ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ الزمر:٣ تقرير بالإخلاص، فكما أن الله تعالى له الكمال من كل وجه، والتفضل على عباده من جميع الوجوه، فكذلك له الدين الخالص الصافي من جميع الشوائب.

قال السعدي[1]: فهو الدين الذي ارتضاه الله لنفسه، وارتضاه لصفوة خلقه، وأمرهم به، لأنه متضمن للتأله لله في حبه، وخوفه، ورجائه، والإنابة إليه في تحصيل مطالب العبادة، وذلك الذي يصلح القلوب، ويزكيها، ويطهرها دون الشرك به في شيء من العبادة فإن الله بريء منه وليس لله فيه شيء فهو أغنى الشركاء عن الشرك،

والشرك: مفسد للقلوب، والأرواح، والدنيا، والآخرة، يشقِي النفوس غاية الشقاء فلذلك أمر الله بالتوحيد، والإخلاص، ونهى عن الشرك به ...اهـ

وبين الله سبحانه أن الخسران المبين هو لمن لم يخلص لله تبارك و تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ﴾ الزمر :١٥

﴿فَلا تَجْعَلُوا لله أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة :٢٢ فالله ﷻ له الكمال المطلق من كل وجه، وله خصائص الألوهية كاملة فله الإجلال، والتعظيم، والتقديس، والخشية، والإنابة، والدعاء، والتوكل، والتوبة، والاستعانة، وغاية الحب مع غاية الذل، عقلًا وشرعًا فمن صرف من ذلك شيئًا يسيرًا فقد أشرك مع الله غيره، ولا يجني إلا على نفسه، وهكذا عرَّض أعماله للضياع وهو أحوج ما يكون إليها قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ الفرقان :٢٣ من ثم وجب على المسلم أن يكون غاية في الخوف من هذا المرض العضال لكونه أقبح القبح، وأظلم الظلم، وفيه جحودٌ للخالق

(١) في التفسير :٤/ ٣٢٠ .

العظيم سبحانه، وصرف خالص حقه للمساكين المهازيل .

قال الشيخ / عبد الرحمن آل الشيخ : واعلم أن اتخاذ الند على قسمين:

الأول :أن يجعله شريكًا في أنواع العبادة، أو بعضها، وهو شرك أكبر

الثاني : ما كان من أنواع الشرك كقول الرجل ما شاء الله، وشئت، ولو لا الله وأنت، كيسير الرياء فقد ثبت أن النبي ﷺ لمَّا قال له رجلٌ ما شاء الله وشئت، قال: «**أجعلتني لله ندًا بل ما شاء الله وحده**».(١)

وفي هذا الحديث بيان أن دعوة غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك جلي كطلب الشفاعة من الأموات فإنها ملك لله تعالى وبيده ليس بيد غيره، وهو الذي يأذن للشفيع أن يشفع فيمن لاقى الله بالإخلاص، والتوحيد من أهل الكبائر ...اهـ.

[٢٦٨] عن جابر بن عبد الله ﷺقال أتى النبيﷺ رجل فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال: «**من مات يشرك بالله شيئًا دخل النار**».(٢)

قال الله تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ هود :١٥-١٦

قال ابن جرير في تفسيره(٣):هي ما يعطيهم الله في الدنيا بحسناتهم، وذلك أنهم لا يظلمون نقيرًا يقول :من عمل صالحًا التماس الدنيا صومًا أو صلاةً أو تهجدًا بالليل لا يعمله إلا لالتماس الدنيا يقول الله ﷻ: أو فيه الذي التمس للدنيا من عبادته، وحبط عمله الذي كان يعمل التماس لدنيا، وهو

---

(١) رواه أحمد، وابن أبي شيبة، والبخاري في الأدب المفرد، وابن ماجه

(٢) رواه أحمد :٣/ ٣٩١ ومسلم :١/ ٦٦، ٦٥، وابن ماجه :١٤٢١ .

(٣) تفسير ابن جرير ٧/ ١٨، ١٩، ٢٠ قريبًا منه في الألفاظ

في الآخرة من الخاسرين .

وقال مجاهد: هم أهل الرياء ثم أورد بن جرير بسنده :أن عقبة بن مسلم حدثه، أن شَفيَّ بن ماتع الأصبحي حدثه أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس فقال من هذا؟ فقالوا أبو هريرة، فدنوت منه حتى قعدت بين يديه، وهو يحدث الناس، فلما سكت وخلا قلت :أنشدك بحق وبحق لَمَا حدثتني حديثًا سمعته من رسول اللهﷺ عقلته، وعلمته، قال فقال أبو هريرة: أفعل، لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول الله ﷺ ثم نشغ[1] نشغة، ثم أفاق فقال: لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول الله ﷺ في هذا البيت ما فيه أحدٌ غيري، وغيره، ثم نشغ أخرى، ثم أفاق، ومسح عن وجهه، فقال :أفعل، لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول الله ﷺ أنا وهو في هذا البيت ما معنا أحدٌ غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة، ثم مال خارًا على وجهه، فأسندته طويلًا ثم أفاق.

[٢٦٩] فقال :حدثني رسول الله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل على العباد ليقضي بينهم، وكلُّ أمةٍ جاثية، فأول مَنْ يدعى به رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله ﷻ للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ فقال : بلى يارب ، قال فما عملت فيما عُلِّمت؟ قال : كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار .فيقول الله ﷻ كذبت، وتقول له الملائكة كذبت، ويقول الله تبارك وتعالى :بل أردت أن يقال قارئ، وقد قيل ذلك، ويؤتى بصاحب المال، فيقول الله ﷻ ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يارب قال: ماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم، وأتصدق، فيقول الله له كذبت، وتقول الملائكة كذبت، فيقول الله تبارك وتعالى :بل أردت أن يقال : فلانٌ جواد، وقد قيل ذلك، ويؤتى بالذي قُتل في سبيل الله فيقول الله له: فيماذا قُتلت؟ فيقول أي**

---

(١) نشغ : النشغ هو الشهيق حتى يكاد يبلغ به الغشي .

ربِّ أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة كذبت، ويقول الله ﷻ بل أردت أن يقال فلانٌ جريء فقد قيل ذلك، ثم ضَرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال :يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسَّعر بهم النار يوم القيامة». [١]

قال: الوليد أبو عثمان المديني، وأخبرني عقبة أن شفيا هو الذي دخل على معاوية فأخبره بهذا، وقال أبو عثمان : وحدثني العلاء بن أبي الحاكم أنه كان سيَّافًا لمعاوية : فدخل عليه رجل فأخبره بهذا عن أبى هريرة .فقال معاوية : قد فُعِلَ بهؤلاء هذا فكيف بمن بقى من الناس، ثم بكى معاوية بكاءً شديدًا حتى ظننا أنه هالك، فقلنا : قد جاءنا هذا الرجل بِشَرٍّ ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه، وقال :صدق الله ورسوله :﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ هود :١٥ـ١٦ ...». [٢]

آثار الرياء المقيتة

١ـ الرياء شؤم، وصاحبُ يهتك ستره في الآخرة والأولى :

[٢٧٠] عن أبي هند الداري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من قام مقام رياء وسمعة راءى الله به يوم القيامة وسمّع». [٣]

[٢٧١] وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سمَّع الناس بعمله سمَّع الله به مسامع خلقه، وصغره، وحقره». [٤]

---

(١) الترمذي في الزهد وقال هذا حديث حسن غريب والبخاري في خلق أفعال العباد ٤٢، والنسائي في الكبرى تحفة الأشراف :١٠/ ١٣٤٩ وابن خزيمة :٢٤٤٢ .

(٢) صحيح الترغيب والترهيب :١/ ٨٥ـ٨٧ رقم ٢٠، وعند ابن خزيمة في صحيحه ولم يختلف إلا في حرف أو حرفين.

(٣) صحيح الترغيب ١/ ٨٨ ح/ ٢٣، وصححه الألباني.

(٤) صحيح الترغيب ١/ ٨٨ ح/ ٢٣ وصححه الألباني.

فهذا عبد أراد الله منه من خلال الشرع أن يستقيم بأعماله لربه لكنه بدَّل، وغير فكان الجزاء من جنس عمله أراد من الناس التعظيم فحقره الله وصغره وسمع به مسامع خلقه .

[٢٧٢] وعن جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**من سمَّع سمّعَ الله به، ومن يراء يراء الله به**».(١)

ومعنى سمَّع أي أظهر أعماله للناس من قبيل الرياء، والسمعة، فحيل بينه وبين ما يشتهي.

[٢٧٣] وعن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من قام مقام رياء راءى الله به، ومن قام مقام سُمْعَةٌ سمَّع الله به**».(٢)

[٢٧٤] وعن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه، عن جده قال :خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال، فقال: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ فقلنا بلى يا رسول الله فقال :الشرك الخفي أن يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لمَّا يرى من نظر رجل**».(٣)

[٢٧٥] وعن محمود بن لبيد أنَّ رسول الله ﷺ خرج فقال: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فقالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ فقال :الرياء، فيقول الله ﷻ إذا جزى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً**».(٤)

---

(١) أحمد :٤/ ٣١٣ والبخاري :٨/ ١٣٠ ومسلم :٨/ ٢٢٣ .

(٢) صحيح الترغيب :١/ ٨٨، ح/ ٢٥

(٣) صحيح الترغيب :١/ ٨٩ وحسن الألباني إسناده ح/ ٢٧ .

(٤) صحيح الترغيب :١/ ٨٩؛ح/ ٢٩، وصححه الألباني، وأخرجه أحمد في المسند :٥/ ٤٢٨، وهو صحيح.

ومن خلال ما تقدم فيتحتم على من كان راجيًا لقاء ربِّه أن يَتَّقِي الرياء ذلكم المرض الخبيث المحبط للأعمال والمضيع للثواب فكم من عامل يعمل، وكم من تال للقرآن يتلو، وكم من قائم يقوم، وكم وكم!!! وأعمالهم كسراب بقيعة؛ ذلك لأنهم أرادوا بهذه الأعمال وتلكم الأفعال غير وجه الله .

ـ إن المرائي يظن أن الناس يحمدونه على ريائه، ونَسِي أن الله تعالى يظهر مكنون القلوب على الجوارح .

والخلاصة أن المرائي إذا أراد الأجر فليأخذه ممن عمل لهم، كما ذكر في الحديث السابق .

ثامنًا :الاستغاثة بغير الله تعالى

ومن مظاهر الشرك الاستغاثة بغير الله.

«والاستغاثة مصدر استغاث، وهو مأخوذ من الغوث، بمعنى الإغاثة، والنصرة عند الشدة، ويقال: الغيث في المطر، واستغثته: طلبت منه الغوث أو الغيث، فأغاثني من الغوث، وغاثني من الغيث...»[1].

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: الاستغاثة: طلب الغوث، وهو لإزالة الشدة، كالإستنصار طلب النصر، والاستعانة طلب العون .. وقال رحمه الله: أما فيما لا يقدر عليه إلا الله فلا يطلب إلا منه ﷻ، ولهذا كان المسلمون لا يستغيثون بالنبي ﷺ، ولا يستسقون به، ولا يتوسلون به بعد وفاته كما في صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب ﷺ استسقى بالعباس، وقال: اللهم إنّا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون.

---

(١) لسان العرب :٦/ ٣٣١٢

الأدلة من القرآن

١ـ قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الأنفال :٩ـ ١٠.

إن رسول الله ﷺ استغاث ربه يوم بدر ومن معه من المؤمنين، فاستجاب لهم الله تعالى، وأغاثهم، وأمددهم بالملائكة الذين شاركوا بالفعل في المعركة، وحق النصر، واندحر الكفر، واندثر، وسقط سبعون من الصناديد، وأسر سبعون وارتفعت راية الحق على ربوع الدنيا، وبشر الله أهل الإيمان، وخذل أهل الكفر والأوثان، وطمئن قلوب الكرام، وأُرعب اللئام.

وقال تعالى:﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ الأحقاف :١٧

ـ وعن جابر بن عبد الله أنه قال: أتت النبي ﷺ بواكي فقال: «**اللهم اسقنا غيثًا مُغيثًا مريئًا مريعًا نافعًا غير ضار عاجلًا غير آجل**». قال : فأطبقت عليهم السماء. (١)

ومعني بواكي: جمع بائك، وهو الباحث عن الماء، ومعنى المريع المخصب الناجع .

وقال أهل العلم: الفرق بين الاستغاثة والدعاء :أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب، والدعاء أعم من الاستغاثة، لأنه يكون من المكروب وغيره .

والدعاء نوعان : دعاء عبادة، ودعاء مسألة، ويراد به في القرآن هذا تارة،

---

(١) أبو داود :ح١١٦٩؛وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١٠٣٦، وابن خزيمة :٢/ ٣٣٦، ٣٣٥، ح/ ١٤١٦ .

وهذا تارة، ويراد به مجموعهما

فدعاء المسألة: هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ المائدة :٧٦

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ الأنعام :٧١

وقال سبحانه: ﴿وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يونس :١٠٦

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : فإذا كان على عهد النبي ﷺ فمن انتسب إلى الإسلام مَنْ مرقٍ منه مع عبادته العظيمة، فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضًا من الإسلام لأسباب ..منها:

الغلو في بعض المشايخ، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح ....فكل من غلا في نبيٍّ، أو رجلٍ صالح، وجعل فيه نوعًا من الألوهية، مثل أن يقول : يا سيدي فلان انصرني، أو أغثني، أو ارزقني، أو أنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال .فكل هذا شرك، وضلال... فإن الله سبحانه وتعالى إنما أرسل الرسل، وأنزل الكتب لِيُعْبَد وحده لا شريك له، ولا يُدْعَي معه إلهٌ آخر ...فبعث الله رسله تنهى أن يُدْعَى أحد من دونه دعاء مسألة، ولا دعاء استغاثة ...اهـ[1] .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن أنواعه ـ يعني الشرك ـ طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم،

(١) الوصية الكبرى لابن تيمية :٢١/ ٢٢

فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا فضلًا عمن استغاث به وسأله قضاء حاجته أو سأله أن يشفع له إلى الله، وهذا من جهله بالشافع، والمشفوع عنده ..[1] اهـ

وأما الاستغاثة فيما يقدر عليه الإنسان، وليس من خالص حقوق الديان فجائز أن يتعاون معه أخوه إن احتاج إلى ذلك مع أن ذلك خلاف الأولى لعموم أخذ البيعة من النبي ﷺ على أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئًا فكان أحدهم يسقط سوطه، ولا يطلب من أحد أن يرفعه إليه، فكانوا لا يسألون الناس شيئًا، وهذا لعموم قوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ النساء : ٣٢

يارب رحماك فلقد سألناك ... والله لولاك علمت بالقلمِ
أنزلت قرآنا يسرت فرقانا ... أرسلت عدنانًا نورًا على علمِ
اغفر خطايانا واستر خبايانا ... بارك قضايانا في الحل والحرمِ
الذنب أرقنا والعيب فرّقنا ... والجهل مزقنا رحماك من حكمِ
قلّت عطايانا كثرت سبايانا ... كسرت سرايانا والغيث لم يهمِ
رباه أنقذنا من شر أنفسنا ... وارفع منازلنا واحفظ من اللؤمِ
أيامنا حبلى طاعتنا خجلى ... آلامنا تترى شبنا بلا هرمِ
لا شيء يمنحنا إلا أمر يفرحنا ... لا نبتغي بدلا من منزل الكلمِ
من واهب الكتب من مرسل الحب ... ومفرج الكرب من بارئ النسمِ
من باعث الرسل من مذهب العلل ... يعفو عن الزلل ينجي من الغممِ
كثرت عطاياه عظمت هداياه ... وغدًا سنلقاه لا تغش في الظلمِ
رب يعلمنا ونبيت يسترنا ... نرجوه يرحمنا من سائر النظمِ
كم يسر اليسرى كم بين الذكرى ... وأحاط بالبشرى من فاز بالسلمِ

(١) مدارج السالكين :١/ ٣٤٥، وفتح المجيد :صـ٢١٠

من كان ذا أدب من بات في نصب ... من عاش أوابًا من كان ذا حزمِ
هل يستوي عبد لا يرعوي أبدًا ... مع مخبت دومًا يسعى إلى الغنمِ
من كان قوامًا من عاش بسامًا ... من كان لوامًا الصبر في الصومِ
أرجوك فلتنصح أدعوك فلتسمح ... أقدم ولا تجمح لله فاحتكمِ
هذي تحياتي في سرد أبياتي ... حبي أقدمه ودي لمحترمِ
قد كنت أهواه والآن ذكراه ... في مهجتي سكنت تسري مع الدمِ
قد كان توديعي من غير ترويع ... يارب فاحميني حفظا من اللممِ
وغدًا سألقاك إنشاء مولاك ... عذرًا شغلناك مع سائر القومِ
والحمد لله الآمر الناهي ... فاذكره يا ساهي ينجيك من نقمِ
ثم الصلاة على خير البريات ... من كان وهاجًا يمشي على قدمِ

المبحث الرابع عشر

اللبـــاس والزيـنـــة

تمهيد

إن المسلم الفقيه الواعي له هـوية، وشخصية إسلامية، لا يدور مـع الهوى، ولا يعيش مقلدًا كأنه هباءة في جو السماء، أو قشة، فـي مهب الريح، أو إسفنجة خفيفة على سطح الماء، أو ريشة أطاح بها الهـواء، ليس كذلك، وما هكذا ينبغي أن يكون، وذلك لأنه يستمد عزته، وهويته مـن معين صافي، ومنهل عـذب، لا كدر فيه فليس عبدًا للأهـواء، والأمزجة، ولا يفرق بين آي الكتاب بعضها البعض لكـونه يعلم أن الكتاب أجمع مـن عند الله ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ**﴾، وهـذه الشريعة المباركة، رسمت له الطريق السوي من قبل ولادته، وحتى بعد موته بل بعد ذلك إلـى أن يستقر فـي مثواه الأخير، وإذا كان الأمر بهذا الإحكام، وتلك الدقة، وهذا التفصيل العجيب، فلماذا يكون المسلم إمعة، مستوردًا شرعته من الشرق الملحد، أو الغرب الكافر، وعنده الكتاب العزيز العظيم، ولذلك فإن المسلم لا يجوز له بحال أن يقلد خَسَرَة، أو يميع دينه، ويتنازل عـن شرعته الغراء، ويقسِّم الدين إلى قشر ولب، صانعًا بذلك شيئًا لم يصنعه الكبار الكـرام الذين آمنـوا بالكتاب كله، ولم يبدلوا تبديلا، ولذا فقد نهانا الله تعالى عـن مشابهة المشـركين، وأمرنا بمخالفتهم، فاقتضاء الصـراط المستقيم يلزم مخالفة أصحاب الجحيم، على طول الخط .

قال شيخ **الإسلام** :**ابن تيمية** : وهـذه الأمور الباطنة، والظاهرة بينهما ولابد ارتباط، ومناسبة، فإن ما يقوم بالقلب مـن الشعـور والحال :يوجـب أمورًا ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال :يوجب للقلب شعورًا، وأحوالًا، وقد بعث الله عبده ورسـوله محمدًا ﷺ بالحكمة التي هي سنته، وهي الشرعة، والمنهاج الذي شرعه له، فكان من هذه الحكمة :أن شرع له مـن الأعمال، والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم، والضالين، وأمر

بمخالفتهم في الهدْي الظاهر، وإن لم يظهر لكثير من الخلق، في ذلك مفسدة، لأمور ومنها :

ـ **أن المشاركة في الهدي الظاهر** : تورث تناسبًا، وتشاكلًا بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق، والأعمال، وهذا أمر محسوس، فإن اللابس لثياب أهل العلم ـ مثلًا ـ يجد في نفسه نوعَ انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة ـ مثلًا ـ يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه مقتضيًا لذلك، إلا أن يمنعه من ذلك مانع .

ـ **ومنها أن المخالفة في الهدي الظاهر**: توجب مباينة، ومفارقة، وتوجب الانقطاع عن موجبات الغضب، وأسباب الضلال، والانعطاف إلى أهل الهدى، والرضوان، وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين، وأعدائه الخاسرين، وكلما كان القلب أتم حياة، وأعرف بالإسلام الذي هو الإسلام لست أعني مجرد التوسم به ظاهرًا، أو باطنًا لمجرد الاعتقادات التقليدية من حيث الجملة ـ كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطنًا أو ظاهرًا أَتَمَّ وَبُعْدُه عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد .

ـ **ومنها أن مشاركتهم في الهدي الظاهر** : توجب الاختلاط الظاهر، حتى يرتفع التمييز ظاهرًا بين المهديين المرضيين، وبين المغضوب عليهم والضالين، إلى غير ذلك من الأسباب الحكمية، هذا إذا لم يكن ذلك الهدي الظاهر إلا مباحًا محضًا، لو تجرد عن مشابهتهم، فأما إن كان من موجبات كفرهم، فإنه يكون شعبة من شعب الكفر، فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع ضلالهم، ومعاصيهم، فهذا أصل ينبغي أن يُتفطن له.[1].اهـ .

أولًا: الأصل في المأكل، والملبس: فالأصل في المأكل والملبس الحل إلا ما فصل الشارع تحريمه لذاته أو لسبب خارجي طرأ عليه يقول تعالى: ﴿يَا بَنِي

(١) اقتضاء الصراط المستقيم :١٤ـ١٦

آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۞ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ٣٢.

وهنا إشارة إلى أن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عباده، وأن الزينة ما دامت من حلال وفي ضوابطها الشرعية فلا حرج أبدًا من الاستمتاع بنعم الله تعالى شريطة شكره عليها، وعدم الإسراف والخيلاء، بل قد نَعَى الشارع على من حرَّم على الناس ما أحله عليهم ربهم سبحانه وتعالى فهو وليِّ النعمة ومليكهم، وأعلم بمصالحهم.

[٢٧٦] وقد أورد البخاري في صحيحه بصيغة التعليق قال: وقال النبيﷺ: «**كلوا، واشربوا، والبسوا، وتصدقوا، في غير إسراف، ولا مخيلة**».

[٢٧٧] وقال ابن عباس: «**كُلْ ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك خصلتان سِرفٌ أو مخيلة**»[١].

قال الحافظ في الفتح: وقد أخرج الطبري من طريق جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «كانت قريش تطوف بالبيت عراة يصفرون، ويصفقون، فأنزل الله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾» وسنده صحيح، وأخرج الطبري، وابن حبان بأسانيد جياد عن أصحاب ابن عباس كمجاهد، وعطاء، وغيرهما نحوه، وكذا عن إبراهيم النخعي، والسدي، والزهري وقتادة، وغيرهم أنها نزلت في طواف المشركين بالبيت، وهم عراة[٢].

---

(١) البخاري في الفتح: (١٠/ ٢٦٤).

(٢) البخاري في الفتح (١٠/ ٢٦٤).

إن الناظر إلى كثير من المسلمين اليوم يجد أنهم تشبهوا وقلدوا الغرب لا في ابتكاره، وإنتاجه العلمي، ولكن في كل ما هو هابط، وماجن، وما هكذا يكون المسلم الغيور على شرعه، ودينه، فلبسوا الحظاظات، وعلقوا التمائم، وحلقوا رؤسهم على هيئة أعداء الله عاصين لله، ومحادين لسنة رسول الله ﷺ لبسوا السلاسل في أعناقهم، ولبسوا الذهب، وهو حرام على ذكور المسلمين، وحل لنساءهم فقط، وتركوا شعورهم لكن على غير الهدى والسبيل، والسنة، قلدوا ما يسمون بالفنانين والفنانات.

ثانيًا: حسن القصد في اللباس:

وذلك لأن النية تجارة العلماء، والإنسان إن حُققت نيته في لباسه من حيث ظهور آثار نعمة ربه عليه، وتحديثه بذلك بضوابطه الشرعية ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ **الضحى** :١١ وقوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ**﴾ **المائدة** :٧ وقوله ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوهَا**﴾ **النحل** :١٨، وليس كالذين يعرفون النعم التي تنزل عليهم من الله تعالى ليل نهار في كل ميدان، ومع هذا فهم ينكرونها ﴿**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا**﴾ **النحل**:٨٣ فإذا لبس المسلم لباسه، وأراد بذلك التزين لله تعالى أُجِرْ فإن أحق من تتزين له هو الله ﴿**خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾ **الأعراف** :٣١ وستر العورة أمر واجب، وحتم لازم، وإنما الهتك، وكشف السوءات من طرق إضلال الشيطان المريد﴿**يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ **الأعراف** :٢٧ ومن ذلك التجمل والتطيب إسعادًا لنفسه بفضل الله عليه، واهتمامًا للمسلمين، واحتفاء لملائكة الله، لأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنوا آدم، وعليه أن يتزين لأهله كما يحب أن تتزين له، فهذا مما يدخل عليهم البهجة، والفرح، والسرور، وانشراح الصدر، وقرة العين ذاكرًا بذلك فضل الله عليه إذ رزقه ما يتجمل به أمام الخلق.

[٢٧٨] فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: دخلت على رسول الله ﷺ فرآني سيئ الهيئة، فقال النبي ﷺ «**هل لك من شيء؟**» قال: نعم، من كل المال قد آتاني الله، فقال: «**إذا كان لك ما لك، فَلْيُرَ عليك**»(١).

والإسلام دين عملي، ومنهج تعبدي تربوي، فإنه يستخرج من الأصل الأصيل، فروعًا كلها عبادة لله وارتباط، وفيها من الأجور الكثير، فمن ذلك .

١ ـ حمد الله وشكره على نعمة الثياب :

[٢٧٩] فعن أبي سعيد قال :كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبًا سماه باسمه (عمامة، أو قميصًا، أو رداءً)، ثم يقول «**اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره، وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره، وشر ما صنع له**».(٢).

[٢٨٠]وعن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**من أكل طعامًا ثم قال :الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام، ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه [وما تأخر] قال: ومن لبس ثوبًا فقال :الحمد لله الذي كساني هذا [الثوب] و رزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر**».(٣).

٢ـ الدعاء لمن لبس ثوبًا :

[٢٨١] فعن أم خالد بنت خالد قالت أتى النبي ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة، فقال «**من ترون أن نكسوه هذه؟**». فسكت القوم، قال: «**ائتوني بأم خالد**». فأتي بها تُحمل، فأخذ الخميصة بيده فألبسها، وقال: (**أَبْلِي،**

---

(١) النسائي كتاب الزينة، بـ/ ذكر ما يقول من لبس الثياب، وما يكره منها ٨ / ١٩٦، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي:٣/ ١٠٧٣

(٢) الترمذي في ك/ اللباس، بـ/ ما يقال إذا لبس ثوبًا جديدًا، وقال وفي الباب عن عمرو بن عمر ...وهذا الحديث حسن غريب صحيح :٤/ ٣١٠، وقال الألباني :صحيح في صحيح سنن الترمذي :٢/ ١٥٢ ح ١٩٤٦ والمشكاة :٤٣٤٢ .

(٣) أبو داود في اللباس :٤/ ٣١٠ ح٤٠٢٣، وقال الألباني حسن دون قوله [وما تأخر]في الموضعين، وانظر صحيح سنن أبي داود :٢/ ٧٦٠ وصحيح الجامع ح٦٠٨٦ والإرواء :١٩٨٩ وحسنه الألباني كما ذكرت .

وأَخْلِقِي) وكان فيها علم أخضر، أو أصفر، فقال : «**يا أم خالد هذا سناه**». (١).

وقال الحافظ ابن حجر : كونها تحمل دلالة على صغرها ..

والسناه :بلغة الحبشة :الحسن .

هذا والمقصود بقوله ﷺ «**أَبلِي، وأَخْلِقِي**». الدعاء لها بالبركة في العمر .

[٢٨٢]وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ رأي على عمر قميصًا أبيض، فقال :ثوبك هذا غسيل أو جديد؟ قال :لا بل غسيل قال: «**البس جديدا، وعش حميدًا، ومت شهيدًا**». (٢).

٣ـ اللبس باليمين :

وهو أدبٌ رفيع علمه النبي ﷺ أصحابه.

[٢٨٣] فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : «**كان النبي ﷺ يحب التيمن في تنعله، وترجله، و طهوره، وفي شأنه كله**». (٣) .

وقد ثبت أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا لبستم ،وإذا توضأتم فابدءوا بأيمانكم**». (٤).

[٢٨٤] ولقد نهى النبي ﷺ عن المشي في النعل الواحدة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يمشي أحدكم في نعل واحدة، لينعلهما جميعًا، أو ليخلعهما جميعًا**». (٥).

---

(١) البخاري :ك/ اللباس، بـ/ الخميصة السوداء :١٠/ ٢٩١

(٢) ابن ماجه :٢/ ١١٧٨، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ح ٢٨٦٣ والصحيحة ٣٥٤ وصحيح الجامع ١٢٣٤ وحسنه الألباني .

(٣) البخاري ك: الوضوء بـ/ التيمن في الوضوء، والغسل :١/ ٥٠

(٤) أبو داود ك:اللباس، بـ/ ما جاء في الانتعال :٤/ ٣٧٩، وصححه الألباني، انظر صحيح سنن أبي داود :٢/ ٧٨٠ ح ٣٤٨٨ وصحيح ابن ماجه ٤٠٢

(٥) مسلم ك: اللباس، والزينة، بـ/ استحباب لبس النعل في اليمنى أولًا، والخلع من اليسرى أولًا، وكراهة المشي في نعل واحدة :٦/ ١٥٣، ١٥٤ والبخاري :٧/ ١٩٩ وأبو داود ح ٤١٣٦ وابن ماجه ٣٦١٧ .

ثياب المسلم لا تجاوز الكعبين :

إن الإسلام يضع حجبًا لتحول بين المرء، وهوى نفسه كي لا يعان عليه الشيطان، وكل باب قد يتسرب منه إليه ضر أو ذنب يؤثر فيه فإن الله تعالى سدَّه عليه لعلمه بخلقه، وما يصلحهم في المعاش والمعاد، ولذا أمر بالمشي على الأرض هونًا كي لا يفضي ذلك إلى مشية المغضوب عليهم والجبارين الذين لا يحبهم الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ الفرقان :٦٣ وقال سبحانه: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولًا﴾ الإسراء :٣٧.

حتى المرأة ضبط لها مشيتها إذ قال جل اسمه: ﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ النور :٣١.

ومن ثم جاء التشريع في أوامره، ونواهيه، وزواجره مراعيًا حاجات الناس سادًا عليهم أبواب الشهوات، والشبهات، حتى لا تتلاعب بهم محن، ولاتَفُتْ في ظهورهم إحن فانظر إلى سنة النبي ﷺ في اللباس، وتحذيره من مغبته.

[٢٨٥] فعن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار**».

[٢٨٦] هذا وقال الحافظ في الفتح، وأخرج أبو داود، والنسائي، وصححه الحاكم من حديث حذيفة بلفظ «**الإزار إلى أنصاف الساقين، فإن أبيت فأسفل، فإن أبيت فمن وراء الساقين، ولا حق للكعبين في الإزار**»[1].

وقال الحافظ في شرح الحديث الماضي حديث أبي هريرة: قال الخطابي: يريد أن الموضع الذي يناله الإزار من أسفل الكعبين في النار فكنَّى بالثوب عن بدن لابسه، ومعناه أن الذي دون الكعبين من القدم يعذب عقوبة، وحاصله أنه تسمية الشيء باسم ما جاوزه أو حلَّ فيه، وتكون (من) بيانيه، ويحتمل أن

(١) البخاري في الفتح :١٠/ ٢٦٨، ح/ ٥٧٨٧، ك/ اللباس، بـ/ ما أسفل من الكعبين فهو في النار

تكون سببية، ويكون المراد الشخص نفسه ... أو التقدير أن فعل ذلك محسوب في أفعال أهل النار.

[٢٨٧] قال الحافظ: لكن أخرج الطبراني من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل، عن ابن عمر قال: رآني النبي ﷺ أسبلت إزاري فقال: «**يا بن عمر كل ما لمس الأرض من الثياب في النار**».

وأخرج الطبراني بسند حسن عن ابن مسعود أنه رأى أعرابيًا يصلي قد أسبل فقال :المسبل في الصلاة ليس من الله في حل، ولا حرام قال : ومثل هذا لا يقال بالرأي، فعلى هذا لا مانع من حمل الحديث على ظاهره ....قوله «في النار».أي ما دون الكعبين من قدم صاحب الإزار فهو في النار، قال وهذا الإطلاق محمول على ما ورد من قيد الخيلاء، فهو الذي ورد فيه الوعيد بالاتفاق ...، ويستثني من إسبال الإزار مطلقًا ما أسبله لضرورة كمن يكون بكعبيه جرح مثلًا يؤذيه الذباب مثلًا إن لم يستره بإزاره حيث لا يجد غيره، نبه على ذلك شيخنا في شرح الترمذي، واستدل على ذلك بإذنه ﷺ لعبد الرحمن بن عوف في لبس القميص الحرير الحكة، والجامع بينهما جواز تعاطي ما نهي عنه من أجل الضرورة، كما يجوز كشف العورة للتداوي، ويستثنى أيضًا من الوعيد في ذلك النساء ...[1] اهـ بتصرف .

٢ـ حرمان المختال في لباسه من نظر الله إليه يوم القيامة :

إن الحرمان كل الحرمان، والمقت، والضياع أن يحجب المرء عن ربه يوم القيامة فلا يسعد بنوره، والنظر إليه، وذلك حقيقة الشقاء، ولذلك قال الله تعالى واصفًا المجرمين في عرصات القيامة: ﴿**كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**﴾ [المطففين:١٥].

[٢٨٨] عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**الإسبال في الإزار والقميص والعمامة، مَنْ جَرَّ منها شيئًا خيلاء، لم ينظر الله إليه**

(١) الفتح :١٠/ ٢٦٨، ٢٦٩.

يوم القيامة». [صحيح مشكاة المصابيح :٤٥٥٢] والإسبال إرخاء الثوب .

[٢٨٩] وعن ابن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلوا، واشربوا، والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة**» [حسنه الألباني في صحيح الجامع ح/ ٤٣٨١].

قال النووي: الإسبال تحت الكعبين للخيلاء حرام، فإن كان لغيرها فهو مكروه، وهكذا نص الشافعي على الفرق بين الجر للخيلاء، ولغير الخيلاء، وما نزل عن الكعبين ممنوع منع التحريم إن كان للخيلاء، وإلا فمنع تنزيه... وقال ابن العربي :لا يجوز للرجل أن يتجاوز بثوبه كعبه .

وحاصله أن الإسبال يستلزم جرَّ الثوب، وجر الثوب يستلزم الخيلاء، ولو لم يقصد اللابس الخيلاء .

العجب والخيلاء يوردان الموارد :

[٢٩٠] عن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ أو قال أبو القاسم ﷺ: «**بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**».(١).

قوله يمشي في حلة :الحلة ثوبان أحدهما فوق الآخر، وقيل إزار، ورداء، وهو الأشهر قال الحافظ : ووقع في رواية الأعرج، وهمَّام جميعًا عن أبي هريرة عند مسلم «**بينما رجل يتبختر في برديه**». قوله (**تعجبه نفسه**) وفي رواية مسلم «**فأعجبته جُمَّتُه وبرداه**». وإنما خص الإزار بالذكر لأنه هو الذي يظهر به الخيلاء غالبًا... قال القرطبي :إعجاب المرء بنفسه هو ملاحقته لها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله عليه، فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكبر المذموم، قوله: (**مُرَجِّلٌ**) بتشديد الجيم (**جمته**) .. وهي مجتمع الشعر إذا تدلى من الرأس إلى المنكبين، وإلى أكثر من ذلك وأما الذي لا يتجاوز الأذنين فهو الوفرة، وترجيل الشعر :هو تسريحه ودهنه...اهـ .

---

(١) البخاري مع الفتح :١٠/ ٢٦٩، ح/ ٥٧٨٩

وبالطبع لا يوجد نهي عن مجرد الدهن والترجيل بل هذا من شعائر الإسلام، ومن آداب الأعياد، والجمعات، والتجمل شعار المؤمنين لكن النهي منصب على الكبر، والفخر، والعجب، والبغي عياذًا بالله .

قوله: «**فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**». التجلجل: التحرك وقيل الجلجلة: الحركة مع صوت، وقال ابن دريد : كل شيء خلطت بعضه ببعض فقد جلجلته، وقال ابن فارس: التجلجل: أن يسوخ في الأرض مع اضطراب شديد ويندفع من شق إلى شق، فالمعنى يتجلجل في الأرض أي ينزل فيها مضطربًا متدافعًا... اهـ[1] .

صورة مفزعة مرعبة منذرة لمن تسول له نفسه بهذا الحمق أن يزجرها ألف مرة، وأن يعرفها حقيقتها التي لا ينبغي أن تغيب عنها طرفة عين، وإلا فالأمر شديد شديد.

قال العلامة الألباني رحمه الله : يجب على المسلم أن لا يطيل إزاره إلى ما دون الكعبين، بل يرفعه إلى ما فوقهما، ولو كان لا يقصد الخيلاء، ففيه رَدٌّ واضح على بعض المشايخ الذين أطالوا ذيول جببهم حتى تكاد أن تمس الأرض، ويزعمون أنهم لا يفعلون ذلك خيلاء، فهلاَّ تركوه اتباعًا لأمر الرسول ﷺ بذلك لابن عمر، أم هم أصفى قلبًا من ابن عمر .. اهـ؟! [2] .

---

(١) الفتح بتصرف :١٠/ ٢٧١، ٢٧٢

(٢) تعليق الألباني على حديث ١٥٦٨ في السلسلة الصحيحة

النهي عن التشبه بالكفار

[٢٩١] عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تشبه بقوم فهو منهم**».[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :وأقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم . وقال الصنعاني في كتاب سبل السلام صـ١٥٥٥: والحديث دال على أن من تشبه بالفسَّاق كان منهم أو بالكفَّار أو بالمبتدعة في أي بشيء مما يختصون به من ملبوس، أو مركوب أو هيئة، قالوا: فإذا تشبه بالكافر في زِيٍّ، واعتقد أن يكون بذلك مثله كفر، فإن لم يعتقد ففيه الخلاف بين الفقهاء .منهم من قال يكفر، وهو ظاهر الحديث، ومنهم من قال لا يكفر، ولكن يؤدب ..[(٢)]اهـ .

وقال المودودي ـ رحمه الله تعالى ـ : تشبهُ أفراد من أمة بأفراد من أمة أخرى دليل على ضعف السلوك الفردي، والأفراد الذين يسلكون هذا المسلك في حياتهم يشهدون على أنفسهم بأنهم مصابون بداء التلون، والتمرغ، وأن سيرتهم متخلخلة لا قرار لها كمادة سائلة مستعدة للانصهار في كل قالب وفي كل حين، وفوق هذا فإن هذا النوع من التشبه فعله شنيع مثلها كمثل الرجل ينسب نفسه إلى غير أبيه .

فكما أن ناسِبَ نفسه إلى غير أبيه ملوم لأنه يرى نسبته إلى أبيه الحقيقي عار لنفسه، كذلك فإن من يولد في أمة، ويتشبه بأمة أخرى ابتغاء العزة، والافتخار يستحق اللوم لأنه بذلك يشهد أنه يرى من العار أن ينتسب إلى

---

(١) رواه أبو داود، وأحمد، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح ٤٣٤٧، وانظر المسند تحقيق الشيخ أحمد شاكر ٥٦٦٧

(٢) انظر رسالة تنبيهات هامة على ملابس المسلمين اليوم للشيخ/ عبد الحق عبد اللطيف مكتبة التوعية الإسلامية صـ٣٠, ٣١

الأمة التي قد أنجبته، وإنه ليست الكرامة، والشرف في نظره إلاَّ أن يعد من أمة أخرى .

والذين يسلكون هذا السبيل لا هم من الأمة التي ولدوا فيها، ولا من الأمة التي يحبون أن يعدوا منها: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ ولهذه الأسباب كان الصحابة، وخاصة عمر، وعليَّ منهم، رضوان الله عليه أجمعين قد وبَّخوا الأفراد الذين تركوا لباس العرب بعد استيطانهم البلاد المفتوحة، واختاروا لباس الروم، والفرس افتتانًا بمدنيتهم .وهذا هو المقصود من قوله ﷺ: (**ومن تشبه بقوم فهو منهم**)..اهـ [**مسند أحمد** ؛ ح/ ٦٥١٣].

[٢٩٢] عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ رأي عليه ثوبين معصفرين قال «**ثياب الكفار لا تلبسها**».

وفي الحديث الصحيح الذي أخرجه أحمد، وصححه وهو الحديث الماضي، ورواه أيضًا مسلم والنسائي من طريق يحيى بن أبي كثير قال رسول الله ﷺ: «**ومن تشبه بقوم فهو منهم**».

قال الشيخ / أحمد شاكر، وهذا الحديث يدل بالنص الصريح على حرمة التشبه بالكفار في اللبس، والهيئة، وفي المنظر...ولم يختلف أهل العلم منذ الصدر الأول في هذا (**أعني في تحريم التشبه بالكفار**) حتى جئنا في هذه العصور المتأخرة فَثَبَتَتْ في المسلمين ثابتة ذليلة مستعبدة، هجيرا ها، ودَيدَنُها التشبه بالكفار في كل شئ، والإستحذاء لهم ، والاستعباد، ثم وجدوا من الملتصقين بالعلم المنتسبين له من يزين لهم أمرهم ويهون أمر التشبه بالكفار في اللباس، والهيئة، والمظهر، والخلق، وكل شيء حتى صرنا في أمة ليس لها من مظهر الإسلام إلا الصلاة والصيام والحج على ما أدخلوا فيها من بدع بل من ألوان التشبه بالكفار أيضًا، وأظهر مظهر يريدون أن يضربوه على المسلمين هو غطاء الرأس الذي يسمونه قبعة (البرنيطة) وتعللوا لها بالأعاليل والأباطيل،

وأفتاهم بعض الكبراء المنتسبين إلى العلم أن لا بأس بها إذ أريد بها الوقاية من الشمس، وهم يأبون إلا أن يُظْهِروا أنهم لا يريدون بها إلا الوقاية من الإسلام فيصرح كتابهم ومفكروهم بأن هذا اللباس له أكبر الأثر في تغيير الرأس الذي تحته لينقله من تفكير عربي ضيق إلى تفكير إفرنجي واسع ثم أبى الله لهم ألا الخذلان فتناقضوا ونقضوا ما قالوا من حجة الشمس إذ وجدوا أنهم لم يستطيعوا ضرب هذه الذلة على الأمة فنزعوا غطاء الرأس بمرة، وتركوا الطربوش وغيره، ونسوا أن الشمس ستضرب رؤوسهم مباشرة دون واسطة الطربوش ونسوا أنهم دعوا إلى القبعة، وإنه لا وقاية لرؤوسهم من الشمس إلا بها ...[1].اهـ.

وقال الألباني في الصحيحة تحت عنوان النهي عن لباس الكفار في شرح هذا الحديث من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ رأى عليه ثوبين معصفرين فقال (**إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها**).

[٢٩٣] وأورد حديثًا آخر ونسبه للحاكم وغيره من طريق طاووس عن ابن عمرو قال: «رآني النبي ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين فقال :«أأمك أمرتك بهذا؟! قلت أغسلهما؟ قال : بل احرقهما». [2] قال وأخرجه الحاكم أيضًا عن ابن عمرو نحوه، وزاد في آخره «ففعلت». وقال صحيح، قال الألباني قلت وإنما هو حسن فقط وقد علق الألباني رحمه الله على هذا الحديث وفي الحديث دليل على أنه لا يجوز للمسلم أن يلبس لباس الكفار، وأن يتزين بزيهم، والأحاديث في ذلك كثيرة، ...خاصة وأنه قد شاع في كثير من بلاد المسلمين التشبه بالكفار في ألبستهم وعاداتهم حتى فُرِضَ شيء من ذلك على الجنود في كل أو جُلْ البلاد الإسلامية فألبسوهم القبعة حتى لم

(١) مسند أحمد تحقيق الشيخ/ أحمد شاكر :١٠/ ١٨، ح/ ٦٥١٣ دار المعارف، وقال إسناده صحيح ونسبه لمسلم والنسائي

(٢) الصحيحة:ح/ ١٧٠٤

يعد أكثر الناس يشعرون بأن في ذلك أدنى مخالفة للشريعة الإسلامية فإنا لله، وإنا إليه راجعون .اهـ[١].

النهي عن لبس الحرير للرجال إلا من ضرورة .

[٢٩٤] عن ثابت قال: سمعت ابن الزبير يخطب يقول قال: محمد ﷺ: «**من لبس الحرير في الدنيا لن يلبسه في الآخرة**». [٢].

إن الله تعالى يعلم مصالح العباد في المعاش والمعاد، ويعلم ما تصلح به القلوب والنفوس، وتتهذب به وليس التشريع عبثًا، أو مصادفة، أو مجازفة ولكنه المنهج الأصيل الشامل لكل نواحي الحياة بل شامل لما قبل وجود الإنسان وما بعد موته وحتى يستقر في إحدى الدارين حسب ما قدمت يداه ولذا فإن الله تعالى ابتلى الناس ليرى من يخافه بالغيب وليعلم أيهم أحسن عملًا وهو العليم بهم، أزلًا لكنه القانون العادل فلا تتعجب من أدلة التحريم لبعض الملابس لأن الله يعلم فيها من الحِكم الربانية التي تتأثر بها القلوب إيجابًا لا سلبًا الشيء الكثير ذلك لأن هذا المنهج مبارك عظيم البركة وعلة الحكم إذا لم تكن ظاهرة في ثنايا النص فالمشرع حكيم عليم يضع الشيء في مكانه ومجاله **﴿هو أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ النجم :٣٢.**

قال الحافظ في الفتح : قال القاضي عياض إن الإجماع انعقد بعد ابن الزبير، ومن وافقه على تحريم الحرير على الرجال، وإباحته للنساء، ذكر ذلك في الكلام على قول ابن الزبير في الطريق الذي أخرجه مسلم .

قال الحافظ، واختلف في علة تحريم الحرير على رأيين مشهورين **أحدهما:** الفخر، والخيلاء، **والثاني** لكونه ثوب رفاهية، وزينة فيليق بزي النساء دون

---

(١) انظر الصحيحة :٤/ ٢٨٠ـ٢٨١

(٢) البخاري الفتح :١٠/ ٢٩٦، ح/ ٥٨٣٣، ك/ اللباس، والزينة

شهامة الرجال، ويحتمل علة ثالثة وهي التشبه بالمشركين قال ابن دقيق العبد: وهذا قد يرجع إلى الأول لأنه من سمة المشركين... اهـ[١].

والحرير من ملابس أهل الجنة، لكنه حرير الجنة لأن الجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فمن لبس الحرير من الرجال من غير ضرورة شرعية مثل مرض الحكة في الجلد ونحوها فقد حرم نفسه من حرير الجنة، قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ الحج :٢٣، وقال سبحانه: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ الإنسان:١٢.

[٢٩٥] وفي صحيح البخاري من حديث البراء ﷺ قال: «**أُهدي للنبي ﷺ ثوب حرير فجعلنا نلمسه ونتعجب منه فقال النبي ﷺ أتعجبون من هذا؟. قلنا :نعم، قال : مناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا**». [٢].

***النهي عن افتراش الحرير وعن الشرب في آنية الذهب والفضة .**

[٢٩٦] عن حذيفة ﷺ قال: «**نهانا النبي ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير، والديباج، وأن نجلس عليه**». [٣].

لبس الحرير للنساء مباح ولمن به حكة من الرجال .

[٢٩٧] عن قتادة، عن أنس قال: «**رخَّص النبي ﷺ للزبير، وعبد الرحمن في لبس الحرير لحكة بهما**». [٤].

والحكة نوع من الجرب عياذًا بالله تعالى وذكر الحكة مثالًا لا قيدًا .

[٢٩٨] وعن على بن أبي طالب قال: «**كسانى النبي ﷺ حلة سِيَرَاء، فخرجت فيها فرأيت الغضب في وجهه، فشققتها بين نسائي**». [٥].

---

(١) الفتح :١٠/ ٢٩٧ بتصرف
(٢) البخاري في الفتح :١٠/ ٣٠٣، ح/ ٥٨٣٦، ك/ اللباس، بـ/ مس الحرير من غير لبس
(٣) البخاري في الفتح :١٠/ ٣٠٤،ك/ اللباس، ح/ ٥٨٣٧
(٤) البخاري في الفتح :١٠/ ٣٠٨، ح/ ٥٨٣٩
(٥) البخاري في الفتح :١٠/ ٣٠٨، ح/ ٥٨٤٠

[٢٩٩] قال الحافظ في الفتح، وأخرج أحمد الطحاوي، وصححه من حديث مسلمة بن مخلد أنه قال لعقبة بن عامر قم فحدث بما سمعت من رسول الله ﷺ فقال سمعته يقول «**الذهب والحرير حرام على ذكور أمتي حِلٌ لإناثهم**».

قال الشيخ / محمد بن أبي جمرة : إن قلنا إن تخصيص النهي للرجال لحكمة فالذي يظهر إنه ﷺ علم قلة صبرهن على التزين فلطف بهن في إباحته، ولأن تزيينهن غالبًا إنما هو للزوج، وقد ورد أن «**حسن التبعل من الإيمان**». قال : ويستنبط من هذا أن الفحل لا يصلح له استعمال الملذوذات لكون ذلك من صفات الإناث ..[1] اهـ .

***النهي عن خواتم الذهب للرجال .**

[٣٠٠] عن البراء بن عازب ﷺ يقول «**نهانا النبي ﷺ عن سبع : نهى عن خاتم الذهب، أو قال حلقة الذهب، وعن الحرير، والإستبرق، والديباج، والميثرة الحمراء، والقسِّيِّ، وآنية الفضة ...**».الحديث [2].

❁❁❁

(١) الفتح :١٠/ ٣٠٩

(٢) البخاري في الفتح :١٠/ ٣٢٧ ح ٥٨٦٣

المبحث الخامس عشر

الحجاب والفرار من النار

حجاب المرأة المسلمة فرارٌ من النار

[٣٠١] عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما، قومٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساءٌ كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا.وكذا**».[1] .

قال الدكتور موسى شاهين في فتح المنعم شرحه لصحيح مسلم ٨/ ٤١٦ ط/ الشروق قوله«صنفان من أهل النار لم أراهما». أي لم أرهم فيمن أريت من أهل النار ولكنهم من أهل النار فالرؤية بصرية ...) والأظهر لم أرهما في حياتي لعدم وجودهما لكنهما سيظهران في آخر الزمان، وسيراهما الناس، وقد كان ما أخبره النبي ﷺ: «**نساء كاسيات عاريات**». قيل معناها كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها، وفيه نظر فليس ذلك خاص بالنساء، وقيل معناه تستر بعض بدنها، وتكشف بعضه أو تلبس ثوبًا شفافًا رقيقًا يبين عن مفاتنها وهو المناسب هنا، ومفعول كاسيات محذوف أي كاسيات بعض أجسامهن «مائلات مميلات».أي مائلات عن طاعة الله، مميلات أي يعلمن غيرهن الفساد أي ضالات مضلات ...وقيل مائلات في مشيهن متبخترات تهز أكتافهن ذات اليمين وذات الشمال، ومميلات أي غيرن من مشيتهن أو مميلات مفاتنهن يحركنها هنا، وهناك .

«**رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة**». البختُ بضم الباء، وسكون الخاء :ضَربٌ من الإبل، عظام الأسنمة، والأسنمة جمع سنام، وهى أعلى ما في ظهر البعير، ووصفها بالميل لأنها إذا عظمت أخذت تميل، وتتحرك بحركة البعير

---

(١) أحمد :٢/ ٣٥٥، ، ٢/ ٤٤٠ ومسلم :٦/ ١٦٨، ، ٨/ ١٥٥ ك/ اللباس والزينة، ب / الكاسيات العاريات المائلات المميلات .

شبه رؤوسهن بعد أن يكبرنها.

بضفائر مستعارة، ويعظمنها بالباروكة، ونحوها تزينًا، وتعظمًا بالأسنمة بجامع العلو والكبر، «**وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**». كذا وكذا كناية عن المسافة البعيدة، وفي الموطأ «**وريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما**». وربما يختلف ريحها باختلاف الأعمال الصالحة اهـ وهذا تهديد كبير، ووعيد شديد لمن تهتك ستر الشرع، وتعرض نفسها للمقت، وتخرج من بيتها فتنة صارخة لكل من لقيها وكأنها تنشر الفاحشة بأسلوبها الرخيص، ويا للأسف لقد قطع كثير من الآباء حبال الشرع، وأغضبوا ربهم، وشاقوا نبيهم، وخرجت بناتهم هائمات على وجوههن فتنة للشباب الذي لم يتحصن ضد الرذيلة باسم المدنية تارة، وباسم التقدم ومواكبة العصر أخرى، وباسم حرية الرأي، بلباس لا ينبغي أن يَكون إلا لزوج فقط هذا ما اقترفته من مشابهة الكافرات وهذا مع مشابهة الرجال، فانتشر الفساد في البر والبحر، وكثر ما يُعرف بالزنا العرفي ـ الزواج العرفي ـ وسمعنا عن زنا المحارم وإنا لله وإنا إليه راجعون فهل يا ترى سيرجع البقايا الرزايا إلى الحق والشرع والستر عسى الله أن يتوب عليهن، وعلى آبائهن إن تحمل الآباء المسئولية وقاموا بالتربية الشرعية على النحو الذي يرضى به وعنه الله تعالى أرجوا أن يكون هذا وعسى أن يكون قريبًا وإلا فإن العذاب البعيد المهين ينتظر كل فاسقة عن أمر ربها لتصلى نارًا حامية ولتحرم من عيشة راضية في جنة عالية فتحرم عليها كما نص الحديث الماضي.

شروط الحجاب الشرعي :.

١ـ أن يستوعب جميع البدن.

٢ـ ألا يكون زينة في نفسه.

٣ـ أن يكون صفيقًا لا يشف.

٤ـ أن يكون فضفاضًا غير ضيقًا.

٥ـ أن لا يكون مبخرًا مطيبًا.

٦ـ أن لا يشبه لباس الرجال.

٧ـ أن لا يشبه لباس الكافرات.

٨ـ أن لا يكـون لباس شهـرة.

[انظر حجاب المرأة المسلمة للألباني صـ١٥].

وقال الألباني رحمه الله : واعلم أن بعض هذه الشروط ليست خاصة بالنساء، بل يشترك فيها الرجال والنساء معًا كما لا يخفى .

الشرط الأول: استيعاب جميع البدن :

يقول الله سبحانه: **﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** النور :٣١.

وقوله سبحانه : **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾** الأحزاب :٥٩.

والآية توضح أن المرأة زينة وعورة، وينبغي أن تستر نفسها عن كل أجنبي وليس هذا النداء خاصًا بأمهات المؤمنين كما ترى ولكنه عام شامل لكل مسلمة آمنت بالله وشرعه وليس للمسلمة أن تظهر شيئًا من زينتها إلا ما ظهر عن غير قصد وعمد فهذا معفو عنه لأن الله تعالى لا يؤاخذ الناس بالخطأ والسهو لقوله تعالى: **﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ**

قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ الأحزاب :٥.

وقال تعالى:﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ الأحزاب :٥٣.

قال الشنقيطي في أضواء البيان: فإن تعليله تعالى لهذا الحكم الذي هو إيجاب الحجاب لكونه أطهر لقلوب الرجال والنساء من الريبة في قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ قرينة واضحة على إرادة تعميم الحكم، إذ لم يقل أحد من جميع المسلمين إن غير أزواج النبي ﷺ لا حاجة إلى أطهرية قلوبهم، وقلوب الرجال من الريبة منهن، وقد تقرر في الأصول أن العلة قد تعمم معلولها ...وبما ذكرنا تعلم أن في هذه الآية الكريمة الدليل الواضح على أن وجوب الحجاب حكم عام في جميع النساء، لا خاص بأزواجه ﷺ، وإن كان أصل اللفظ خاصًا بهن لأن عموم علته دليل على عموم الحكم فيه، ومسلك العلة الذي دلَّ على أن قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ هو علة قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ هو المسلك المعروف في الأصول بمسلك الإيماء والتنبيه، وضابط هذا المسلك المنطبق على جزيئاته :هو أن يقترن وصف بحكم شرعي على وجه لو لم يكن فيه ذلك الوصف علة لذلك الحكم لكان الكلام معيبًا عند العارفين ...إلى أن قال :فاعلم أن الحجاب واجب بدلالة القرآن على جميع النساء .اهـ.

وقال رحمه الله ومن الأدلة القرآنية على احتجاب المرأة وسترها جميع بدنها حتى وجهها قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ فقد قال غير واحد من أهل العلم :إن معنى يدنين عليهن من جلابيبهن أنهن يسترن بها جميع وجوههن، ولا يظهر منهن شيء إلا عين واحدة تبصر بها، وممن قال به ابن مسعود وابن عباس وعبيدة السلماني وغيرهم[1].

---

(١) أضواء البيان :٦/ ٥٨٤

فإن قيل : لفظ الآية الكريمة وهو قوله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ﴾ لا يستلزم معناه ستر الوجه لغة، ولم يرد نص من كتاب، ولا سنة، ولا إجماع على استلزام ذلك، وقول بعض المفسرين إنه يستلزمه معارض بقول بعضهم إنه لا يستلزمه وبهذا يسقط الاستدلال على وجوب ستر الوجه .

فالجواب :أن في الآية الكريمة قرينة واضحة على أن قوله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ﴾ يدخل في معناه ستر وجوههن بإدناء جلابيبهن عليها، والقرينة المذكورة هي قوله تعالى: ﴿ قُلْ لأَزْوَاجِكَ ﴾ ووجوب احتجاب أزواجه وسترهن وجوههن لا نزاع فيه بين المسلمين، فذكر الأزواج مع البنات ونساء المؤمنين يدل على وجوب ستر الوجوه بإدناء الجلابيب كما ترى .

*ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ على أن استقراء القرآن يدل على أن معني:إلا ما ظهر منها الملاءة فوق الثياب، وأنه لا يصح تفسير ﴿إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ بالوجه والكفين ... ومن الأدلة على أن حكم آية الحجاب عام هو ما تقرر في علم الأصول، من أن خطاب الواحد يعم حكمه جميع الأمة، ولا يختص الحكم بذلك الواحد المخاطب ....لأنَّ خطاب النبي ﷺ لواحد من أمته يعم حكمه جميع الأمة، لاستوائهم في أحكام التكليف، إلا بدليل خاص يجب الرجوع إليه ..اهـ[1].

قال: ومن الأدلة القرآنية الدالة على وجوب الحجاب قوله تعالى:

﴿وَالقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ النور :٦٠ لأن الله تعالى بين في هذه الآية الكريمة، أن القواعد أي العجائز اللاتي لا يرجون نكاحًا، أي: لا يطمعن في النكاح لكبر السن، وعدم حاجة الرجال إليهن، يرخص لهن برفع الحجاب عنهن في وضع ثيابهن غير متبرجات

(١) أضواء البيان :٦/ ٥٩٠

بزينة، ثم إنه جل وعلا مع هذا كله قال: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ أي يستعففن عن وضع ثيابهن مع كبر سنهن وانقطاع طمعهن في التزويج، وكونهن غير متبرجات بزينة خير لهن ... فقوله جل وعلا في هذه الآية الكريمة: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ دليل واضح على أن المرأة التي فيها جمال ولها طمع في النكاح، لا يرخص لها في وضع شيء من ثيابها ولا الإخلال بشيء من التستر بحضرة الأجانب وإذا علمت بما ذكرنا أن حكم آية الحجاب عام، وأن ما ذكرنا معها من الآيات فيه الدلالة على احتجاب جميع بدن المرأة عن الرجال الأجانب، علمت أن القرآن دلَّ على الحجاب، ولو فرضنا أن آية الحجاب خاصة، بأزواجه ﷺ فلا شك أنهن خير أسوة لنساء المسلمين في الآداب الكريمة المقتضية للطهارة التامة، وعدم التدنس بأنجاس الريبة، فمن يحاول منع نساء المسلمين ـ كالدعاة للسفور والتبرج والاختلاط اليوم ـ من الإقتداء بهن في هذا الأدب السماوي الكريم المتضمن سلامة العرض، والطهارة من دنس الريبة غاش لأمة محمد ﷺ مريض القلب كما ترى ...اهـ[1].

الأدلة من السنة :

[٣٠٢] عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال:«**استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نساءٌ من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عاليةً أصواتهن، فلما استأذن عمر قمْن يبتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك، فقال أضحك الله سنك يا رسول الله، قال عجبت من هؤلاء اللائى كُنَّ عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب ، قال عمر : فأنت يا رسول الله كُنتَ أحق أن يهبن، ثم قال :أي عدوات أنفسهن، أتهبنني، ولا تهبن رسول الله ﷺ ؟!قلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ، قال: رسول الله ﷺ :إيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قط**

(١) أضواء البيان :٦/ ٥٩٢

سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجِّك».[١].

قوله :**أضحك الله سنك** :أي أزال همك وحزنك، ، وقوله «**أتهبنني**»: أي توقرنني، قوله «**أنت أفظ وأغلظ**».لأن عمر ﷺ كان يبالغ في الزجر عن المكروهات فلهذا قال النسوة ذلك، وقوله «**إيها يا بن الخطاب**». أي حدثنا بما شئت، «**فجًا**».أي طريقًا واسعًا .

٢ـ إن الأدلة في الحجاب كثيرة متنوعة، ومختلفة الدلالات، ومستفيضة ذات وجوه متعددة، وأحاديث متكاثرة، فتارة تصرح بتغطية الوجه، وتارة بستر القدمين، وأخرى بإسدال الثياب ليغطي القدمين والكعبين والعقبين وبالرخصة للخاطب في النظر للمخطوبة وبتحريم الخلوة، والتخويف من الدخول على الأجانب حتى لقريب الزوج «**الحمو**».

[٣٠٣] عن عائشة أم المؤمنين ـ **رضي الله عنها** ـ قالت: «**كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرماتٍ، فإذا حاذوا بنا سدلت إحدانا جلبابها مِنْ رأسها على وجهها فإذا جاوزونا كشفناه**»[٢].

وفي سنده زيد بن أبي زياد القرشي الهاشمي الكوفي، وهو ضعيف ولكن يشهد له حديث أسماء وهو ما روته فاطمة بنت المنذر قالت كنَّا نخمر وجوهنا ونحن محرمات مع أسماء بنت أبي بكر، و إسناده صحيح .

قال الدكتور بكر أبو زيد :هذا بيان من عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن نساء الصحابيات المحرمات مع رسول الله ﷺ عن واجبين تعارضا، واجب تغطية الوجه على المؤمنة، وواجب كشفه على المحرمة، فإذا كانت المحرمة بحضرة رجال أجانب، أعملت الأصل، وهو فرض الحجاب، فتغطي وجهها، وإذا لم يكن بحضرتها أجنبي عنها كشفته وجوبًا حال إحرامها، وهذا واضح

---

(١) البخاري في الفتح :٧/ ٥١، ح/ ٣٦٨٣، ك/ فضائل الصحابة، بـ/ مناقب عمر بن الخطاب

(٢) أبو داود :١٨٣٣، وانظر جامع الأصول ٣/ ٣١ وتعليقه على الحديث .

الدلالة ـ بحمد الله ـ على وجوب الحجاب على جميع النساء المؤمنين ...[١].اهـ.

[٣٠٤] عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ كانت تقول«**يرحم الله نساء المهاجرات الأُوَل لمَّا أنزل الله ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ النور :٣١ شققن مروطهنَّ فاختمرن بها**».[٢].

(**يضربن**) :أي يلقين، (**يرحم الله نساء المهاجرات الأول**) أي: النساء المهاجرات السابقات هن اللائى فعلن ذلك فتسترن (مروطهن)أي: أزرهن جمع أزر قوله (فاختمرن): أي غطين وجوههن .

قال الحافظ في الفتح: «وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها، وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر، وهو التقنع ..»اهـ .

[٣٠٥] ولابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن صفية ما يوضح ذلك ولفظه ذكرنا عند عائشة نساء قريش وفضلهن، فقالت: (**إن نساء قريش لفضلاء ـ ولكني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقًا بكتاب الله ولا إيمانًا بالتنزيل لقد أنزلت سورة النور﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾، فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن، ما أنزل فيها ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها فأصبحن يصلين الصبح معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان**».[٣] .

ومعلوم أن التخمر هو التغطية، وقد دل على ذلك اللغة والاصطلاح، ففي اللغة سميت الخمر خمرًا لكونها تخمر العقل أو تستره تمامًا، وقد أمر النبي ﷺ بتخمير الإناء أي تغطيته، وهذا من حرصه ﷺ على أمته، وفي حادثة الإفك في كتاب التفسير (سورة النور) قالت أمنا عائشة: «**فخمرت وجهي بجلبابي**».

---

(١) ك/ حراسة الفضيلة صـ٥٧

(٢) البخاري في الفتح :٨/ ٣٤٧، ح/ ٤٧٥٨، ك/ التفسير، بـ/ وليضربن بخمرهن على جيوبهن .

(٣) أورده الحافظ في الفتح :٨/ ٣٤٨، ط/ دار التراث:٨/ ٣٧٢ في شرح حديث :٤٧٧٩ في البخاري في فتح الباري .

أي غطيته تمامًا أي أن الخمار هو غطاء للوجه خاصة أنه من أعظم مواقع الفتنة في المرأة.

وفي هذا الحديث بيان الأمانة الثقيلة التي على كاهل الأزواج والآباء، وكان الصحابة أهلًا لحملها، وآدائها على أكمل وجه، فإذا سمعوا الآيات بلَّغوها إلى الأُسر والأزواج، فكانوا يسارعون في السمع والطاعة بلا تلكأ أو تراجع ـ فرحم الله نساء المهاجرات والأنصار ـ.

وقال الشنقيطي محمد الأمين رحمه الله في أضواء البيان :وهذا الحديث صريح في أن النساء الصحابيات المذكورات فيه فَهِمنَ أن معنى قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ يقتضي ستر وجوههن، وأنهن شققن أزرهن، فاختمرن بها، أي سترن وجوههن بها امتثالًا لأمر الله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ المقتضى ستر وجوههن وبهذا يتحقق المنصف أن احتجاب المرأة عن الرجال وسترها وجهها عنهم ثابت في السنة الصحيحة المفسرة لكتاب الله تعالى.

[٣٠٦] عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من جَرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة، فقالت أم سلمة: فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ قال يرخين شبرًا فقالت: إذًا تنكشف أقدامهن، قال فيرخينه ذراعًا لا يزدن عليه**»[(١)].

وإذا كان الله أمر المرأة أن تغطي أسفل القدمين على لسان النبي ﷺ هذا مع تعرض الثياب للاتساخ فيطهره ما بعده من تراب طاهر فكيف ستكشف الوجه؟! وهو موضع الفتنة منها وتغطي القدمين وعلى هذا فيدل الحديث على ستر جميع البدن، فستر الوجه أوجب من ستر القدمين، وعليه فالمرأة كلها عورة في حق الأجنبي عنها.

---

(١) الترمذي :١١٧٣، وهذا لفظه، وقال الألباني :٢/ ٧٧٦ صحيح وهو في سنن ابن ماجه أيضًا ح/ ٣٥٨١ والصحيحة ١٨٦٤ والثمر المستطاب.

[٣٠٧]عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان**».(١).

ومعنى استشرفها :أي تطلع إليها وتعرض لها فإذا كانت المرأة سهمًا للعين فكيف لا يتحصن الناس بالشرع سادين الذرائع، محتاطين لدينهم نابذين الشبهات، والشهوات ليجتازوا تلك العثرات والعقبات؟!!.

[٣٠٨] عن عبد الله بن مسعودﷺ قال :قال النبي ﷺ: «**صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها**».(٢).

وهذا الحديث عجيب إذ إن صلاة الجماعة في المسجد لها من الأجر والذخر في الذهاب والإياب ما لا يخفى، منزلة في الجنة، ورفع للدرجات، وبركة في الحسنات، وتكفير للسيئات، وغسل للخطايا غسلًا مع أجر كأجر الرباط إلى غير ذلك من الأجور فإذا كان الأمر كذلك، وقد جعل صلاة المرأة في بيتها خيرًا لها، وأبقى فلماذا إذًا تكشف المرأة عن مكنون الفتنة خاصة إذا كان في وجهها جمال؟!!

[٣٠٩] وعن أسماء بنت أبي بكر ﷺ قالت: «**كنا نغطي وجوهنا من الرجال، وكنا نمتشط في الإحرام**».(٣).

وهذا يرد على من جعل النقاب خاصًا بأمهات المؤمنين فهذه أسماء بنت أبي بكر تعلن أن هذا ليس خاصًا ولكنه عام شامل، وهذا له حكم المرفوع إذ

---

(١) الترمذي :١١٧٣، وقال حسن غريب، وقال محقق جامع الأصول :٦/ ٦٦٥ إسناده حسن، وانظر صحيح الجامع ح ٦٦٩٠ والمشكاة ٣١٠٩ والإرواء ٢٧٣

(٢) صححه الألباني، في صحيح سنن أبي داود :١/ ١١٤، وحسن إسناده محقق جامع الأصول في :١٠/ ٢٠٠ وانظر صحيح الجامع ٣٨٣٣ وصححه الألباني وأورده في المشكاة ١٠٦٣ .

(٣) الموطأ:١/ ٣٢٨، ورواه الحاكم :١/ ٤٥٤، وصححه ووافقه الذهبي، واللفظ له وانظر صحيح ابن خزيمة ح ٢٦٩٠ وقال الأعظمي : إسناده صحيح .

إنه ما كان لأسماء ـ رضي الله عنها ـ أن تقول ذلك من قبل نفسها بدون توقيف، والله أعلم .

[٣١٠] حديث عروة بن الزبير أن عائشة أخبرته قالت: «**كن نساء المؤمنات يشهدن مع رسول الله ﷺ صلاة الفجر متلفعات بمروطهن، ثم ينقلبن إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة لا يعرفهن أحد من الغلس**».(١).

وقال الحافظ في الفتح «**نساء المؤمنات**». تقديره :نساء الأنفس المؤمنات أو نحوها .ذلك حتى لا يكون من إضافة الشيء إلى نفسه، وقيل إن «**نساء**».هنا بمعنى الفاضلات المؤمنات، ، وقوله (**يشهدن**) أي : يحضرن، ، وقوله(**لا يعرفهن أحد**) قال الداوردي: معناه لا يعرفن أنساء أم رجال أي لا يظهر للرائي إلا الأشباح خاصة ....وقال: واستدل به بعضهم على جواز صلاة المرأة مختمرة الأنف والفم فكأنه جعل التلفع صفة لشهود الصلاة، وتعقبه عياض بأنها أخبرت عن هيئة الانصراف ...(٢).اهـ بتصرف .

قال الدكتور بكر في كتاب حراسة الفضيلة: ووجه الدلالة من هذا الحديث ظاهر، وهو أن المرأة لا يجوز لها الخروج من بيتها إلا متحجبة بحجابها الساتر لجميع بدنها، وأن هذا هو عمل نساء المؤمنين في عصر النبي ﷺ.

ولفظ أحمد في المسند باقي مسند الأنصار من حديث عروة عن عائشة قالت: «**كنَّ النساء يصلين مع النبي ﷺ ثم يخرجن متلفعات بمروطهن لا يعرفن**». (٣).

وفي لفظ لأحمد (...**لا يعرف بعضهن بعضًا**) **قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله** : والدلالة في هذا الحديث من وجهين :

---

(١) البخاري في الفتح :٢/ ٦٥ ك/ مواقيت الصلاة، بـ/ وقت الفجر ح ٥٧٨، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، والنسائى في المواقيت، وأبو داود في الصلاة ٣٥٩

(٢) حراسة الفضيلة صـ٦١

(٣) مسند أحمد ح/ ٢٢٩٢٢

أحدهما:أن الحجاب والتستر كان من عادة نساء الصحابة الذين هم خير القرون، وأكرمها على الله ﷻ وأعلاها أخلاقًا وأدبًا وأكملها إيمانًا، وأصلحها عملًا فهم القدوة الذين ـ رضي الله عنهم وعن من اتبعوهم بإحسان ـ .

ثانيها:أن عائشة أم المؤمنين، وعبد الله بن مسعود ﷺ وناهيك بهما علمًا وفقهًا ... أخبرا أن رسول الله ﷺ لو رأى من النساء ما رأياه لمنعهن، وهذا في زمان القرون المفضلة ....اهـ[1].

[٣١١] عن عقبة بن عامر، أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار يا رسول الله :أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت**»[2] .

قال الحافظ: ووقع في رواية ابن وهب بلفظ «**لا تدخلوا على النساء**». قال: وتضمن منع الدخول منع الخلوة بها بطريق الأولى .وقوله (**أفرأيت الحمو**) قال الحافظ: زاد بن وهب في رواية عند مسلم (**سمعت الليث يقول:الحمو**) أخو الزوج وما أشبه من أقارب الزوج ابن العم ونحوه، ووقع عند الترمذي يقال :هذا هو أخو الزوج كره له أن يخلو بها قال ومعنى الحديث على نحو ما روى :لا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان ..اهـ .

قال وهذا الحديث الذي أشار إليه أخرجه أحمد من حديث عامر بن ربيعة وقال النووي : وجرت العادة بالتساهل فيه فيخلو الأخ بامرأة أخيه، فشبهه بالموت، وهو أولى بالمنع من الأجنبي ....قوله (**الحمو الموت**) قيل: المراد أن الخلوة بالحمو قد تؤدي إلى هلاك الدين إن وقعت المعصية، أو إلى الموت إن وقعت المعصية ووجب الرجم، أو إلى هلاك المرأة بفراق زوجها، إذا حملته الغيرة على تطليقها، أشار إلى ذلك القرطبي، والطبري :المعنى أن خلوة

---

(١) حراسة الفضيلة .نفس المصدر السابق .

(٢) البخاري فتح:٩/ ٢٤٢ ك/ النكاح، بـ/ لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، والدخول على النساء، ح/ ٥٢٣٢ وانظر أيضًا ح ٥٢٣٣ الذي بعده .

الرجل بامرأة أخيه : تنزل منزلة الموت، والعرب تصف الشيء المكروه بالموت، قال ابن الأعرابي هي كلمة تقولها العرب مثلًا كما تقول الأسد الموت أي لقاؤه فيه الموت، والمعنى :احذروه كما تحذرون الموت ...[١].اهـ بتصرف.

والحديث على هذا النحو يدل على فرض الحجاب، وذلك لتحذير النبيﷺ من الدخول على النساء، وإذا كان الرجال ممنوعين من الدخول على النساء، ومن دخل فقد خرق الحجاب، وعصى رب العباد فيبين أن الأمر عام للجميع، ولا يخص به أحد دون أحد.

بعض الآثار في الباب

١ـ عن ابن مسعود ﷺ قال :«إنما النساء عورة، وإن المرأة لتخرج من بيتها فيستشرفها الشيطان فيقول :إنك لا تمرين بأحد إلا أعجبته، وإن المرأة لتلبس ثيابًا فيقال :أين تريدين؟ فتقول: أعود مريضًا أو أشهد جنازة، أو أصلي في مسجد، وما عبدت امرأة ربها، مثل أن تعبده في بيتها»[٢] .

٢ـ عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت :لما نزلت هذه الآية ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ﴾ خرج نساء الأنصار كأنَّ على رؤوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسية سود يلبسنه»[٣].

٣ـ عن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنها ـ قالت«**كُنا نغطي وجوهنا من الرجال، وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام .**».(**سبق تخريجه**).

قال الدكتور/ بكر بن عبد الله : دلت الآيات والسنن على فرض الحجاب على نساء المؤمنين، شاملًا ستر الوجه والكفين كسائر البدن والزينة، وتحريم إبداء

---

(١) فتح الباري :٩/ ٢٤٢؛٢٤٣؛٢٤٤ .

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي :٢/ ٣٥، ونسبه للطبراني في الكبير وقال رجاله ثقات

(٣) تفسير ابن كثير :٣/ ٥٢٦ وانظر سنن أبي داود في اللباس ح ٤١٠١ بلفظ «كأن رؤوسهن الغربان من الأكسية». وهو حديث صحيح وقريبًا منه في الدلالة صراحة في البخاري :٦/ ١٣٦ .

شيء من ذلك بالسفور أو الحسور، فقد دلت هذه النصوص ـ أيضًا ـ بدليل القياس المطرد على ستر الوجه والكفين، كسائر جميع البدن والزينة، وإعمالًا لقواعد الشرع المطهر، والرامية إلى سد باب الفتنة عن النساء أن يُفْتَنَّ أو يُفْتَن بهن، والرامية كذلك إلى تحقيق المقاصد العالية، وحفظ الأخلاق الفاضلة: مثل العفة والطهارة والحياء والغيرة والاحتشام وصرف الأخلاق السافلة من عدم الحياء، وموت الغيرة والتبذل والتعري والسفور والاختلاط كما في قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد، وقاعدة ارتكاب أدنى المفسدتين لدفع أعلاهما وقاعدة ترك المباح إذا أفضى إلى مفسدة في الدين ومن هذه القياسات المطردة :

* الأمر بغض البصر، وحفظ الفرج، وكشف الوجه أعظم داعية في البدن للنظر وعدم حفظ الفرج .

* النهي عن عدم الضرب بالأرجل، وكشف الوجه أعظم داعية للفتنة من ذلك .

* النهي عن الخضوع بالقول، وكشف الوجه أعظم داعية للفتنة من ذلك.

* الأمر بستر القدمين، والذراعين، والعنق، وشعر الرأس بالنص، والإجماع، وكشف الوجه أعظم داعية للفتنة، والفساد من ذلك وغير ذلك من هذه القياسات كثير يعلم مما تقدم فيكون ستر الوجه، واليدين، وعدم السفور عنهما من باب الأولى و الأقيس، وهو المسمى بالقياس الجلي، وهذا ظاهر لا يعتريه قادح والحمد لله رب العالمين ..... لهذا فيجب على المؤمنين الذين مَسَّ نساؤهم طائف من السفور، والتكشف أن يتقوا الله، فيحجبوا نساءهم بما أمر الله به بالجلباب ـ العباءة ـ الخمار، وأن يأخذوا بالأسباب اللازمة لأَطْرِهِنَّ، ، وتثبيتهن عليه، لما أوجبه الله تعالى على أوليائهن من القيام الذي أساسه الغيرة الإسلامية، والحمية الدينية، ويجب على نساء المؤمنين الاستجابة للحجاب ـ العباءة ـ والخمار، طواعية لله ولرسوله ﷺ وتأسيًا بأمهات المؤمنين..اهـ [**حراسة الفضيلة صـ ٦٥، ٦٧**].

خطر التبرج

إن الغرب حاول محاولات قديمة جادة لضرب المسلمين ضربات عسكرية موجهة من خلال سيطرته في جولة الاستعمار التي قام بها في الزمن الماضي ولكنه لم يفلح أبدًا ولمَّا علم عظيم اعتصام عوام المسلمين فضلًا عن خواصهم اعتصامهم بإيمانهم، وشرعتهم، وان كان فيهم عصاه ـ فقرر أن يغير الخطة من الألف إلى الياء، وأدرك أنه لابد من اهتزاز وزلزلة هذا التصور الإسلامي من القلب، والفكر أولًا وساعتها يسهل كل أمر يريدونه، وبالفعل أحكموا خططًا جديدة لتربية نمازج في أحضانهم على موائدهم ومن صنع أيديهم، من أجل أن يتأسى بهم الباقون فيتغير ذلك المفهوم المتين، والغيرة على دين الله تعالى والعرض، وتابعوا كيدهم هذا على نحو حيك بليل، ومكر له مكر الليل والنهار، ونسوا أن حارس القلوب والشرعة الغراء هو الحفيظ العليم سبحانه وتعالى.

قال الأستاذ / محمد قطب: والدافع إلى استخدام الغزو الفكري في الحرب الصليبية الأولى مع المسلمين في القرنين الخامس والسادس الهجريين ،الحادي عشر والثاني عشر الميلادي والتي انتهت بالهزيمة الساحقة وعدم تحقيق شيء مما خرج الصليبيون لتحقيقه، وبذلوا فيه الأموال والدماء، والنفوس، في تلك الحروب الأولى، وقع لويس التاسع ملك فرنسا في الأسر بعد هزيمة حملته الصليبية، وظل سجينًا في المنصورة فترة من الوقت حتى افتداه قومه، وفك أسره، وفي اثناء سجنه أخذ يفكر فيما حل به وبقومه ثم عاد يقول لقومه إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده فقد هزمتم أمامهم في معركة السلاح ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكمن القوة فيهم ووعى قومه نصيحته...وحين دخل الإنجليز مصر عام ١٨٢٢ قام جلاد ستون رئيس الوزراء البريطاني يومئذ في مجلس العموم البريطاني يقول مشيرًا إلى المصحف طالما كان هذا الكتاب في أيدي المصريين فلن يقر لنا قرارٌ في تلك البلاد... وفي مؤتمر

المبشرين الذي عقد في القاهرة عام ١٩٠٦ قام الأب زويمر وقال ولكن مهمتنا هي صرف المسلمين عن التمسك بالإسلام .[١]اهـ .

ومن ثم عمل القوم على خلع الحجاب من على رأس المرأة ومعه الحياء، ليغطي به وجه القرآن وقصدوا ذلك عن عمد وللأسف أخذ المسلمون في السير خلفهم حتى تعرت المرأة لتكون فريسة للذئاب الجائعة، ولتدمرَ الأسرُ، ولتضيع معالم الأخلاق .

تحذير العلماء من التبرج

قال الشيخ/ ابن باز رحمه الله تعالى : فلا يخفى على كل من له معرفة بما عمت به البلوى في كثير من البلدان من تبرج الكثير من النساء وسفورهن وعدم تحجبهن من الرجال، وإبداء الكثير من زينتهن التي حرم الله عليهن إبدائها ولا شك أن ذلك من المنكرات العظيمة، والمعاصي الظاهرة، ومن أعظم أسباب حلول العقوبات، ونزول النقمات، لما يترتب على التبرج والسفور من ظهور الفواحش، وإرتكاب الجرائم وقلة الحياء، وعموم الفساد فاتقوا الله أيها المسلمون، وخذوا على أيدي سفهائكم، وامنعوا نسائكم مما حرم الله عليهن وألزموهن التحجب والتستر، واحذروا غضب الله .

[٣١٢] سبحانه وعظيم عقوبته فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه**».[٢] ...وقد أمر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بتحجيب النساء ولزومهن البيوت، وحذر من التبرج والخضوع بالقول للرجال، صيانة لهن من الفساد، وتحذير لهن من أسباب الفتنة ...اهـ .

---

(١) من كتاب واقعنا المعاصر صـ١٩٦ ، ١٩٧

(٢) أحمد :١/ ٢ وانظر تحقيق الشيخ أحمد شاكر . حديث رقم (١) وقال : إسناده صحيح .وأبو داود ح ٤٣٣٨ وابن ماجه ٤٠٠٥ ك الفتن ب/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

مفاسد خلع الحجاب أمام الأجانب

قال ابن عثيمين : في رسالة الحجاب فمن مفاسده :.

* **الفتنة** : فإن المرأة إذا كشفت وجهها حصلت به فتنة للرجال لا سيما إذا كانت الشابة جميلة أو فعلت ما يجمل وجهها ويبهيه ويظهر بالمظهر الفاتن وهذا من أكبر دواعي الشر والفساد.

* **زوال الحياء** عن المرأة الذي هو من الإيمان ومن مقتضيات فطرتها فقد كانت المرأة مضرب المثل في الحياء فيقال أحيا من العذراء في خدرها، وزوال الحياء عن المرأة نقص في إيمانها، **وخروج عن الفطرة** التي فطرت عليها .

* **شدة تعلق الرجال ومتابعتهم** لها لا سيما إذا كانت جميلة وحصل منها ضحك وتملق وملاعبة كما في كثير من السافرات، وقد قيل :نظرة فسلام فموعد فلقاء، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق فكم من كلام وضحك أوجب من تعلق قلب الرجل بالمرأة وقلب المرأة بالرجل فحصل بذلك من الشر ما لم يمكن دفعه نسأل الله السلامة.

* **اختلاط الرجال بالنساء** فإن المرأة إذا رأت نفسها مساوية للرجال في كشف الوجه والتجول سافرة لم يحصل منها حياء ولا خجل من مزاحمتهم وفي ذلك فتنة كبيرة، وفساد عريض ...إلى أن قال رحمه الله فيا أيها المسلم هل ترضى أن تكون ابنتك وثمرة فؤادك من أهل النار؟ هل ترضى أن تلبسها لباسًا تتعرى به من الحياء مع أن الحياء من الإيمان؟! هل ترضي أن تعرضها كما تعرض السلع مجملة فاتنة تتعلق بها نظر كل سافر رذيل؟ هل تخرج من عادات أسلافك التي من آداب القرآن والسنة إلى عادات قوم أخذوها من اليهود، والنصارى، والوثنيين، وعابدي الطبيعة؟...بتصرف. [**رسالة الحجاب ص ٧٠، ٧٣**].

أدلة المبيحين لكشف الوجه ورد أهل العلم عليهم:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ سورة النور:٣١ حيث قال ابن عباس ﷺ هي وجهها، وكفاها والخاتم، وقال الأعمش، عن سعيد بن جبير عنه :وتفسير الصحابة حجة .

٢ ـ [٣١٣] ما رواه أبو داود في سننه، عن عائشة ـ **رضي الله عنها** ـ أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال: «**يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض، لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى وجهه وكفيه**».

٣ـ ما رواه البخاري، وغيره عن ابن عباس ﷺ أن أخاه الفضل كان رديفًا للنبي ﷺ في حجة الوداع فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها، وتنظر إليه فجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر ،قالوا ففي هذا دليل على أن هذه المرأة كانت كاشفة عن وجهها .

[٣١٤] ما أخرجه البخاري وغيره من حديث جابر بن عبد الله ﷺ في صلاة النبي ﷺ بالناس صلاة العيد، ثم وعظ الناس، وذكرهم، ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن، وذكرهن، وقال: «**يا معشر النساء تصدقن فإنكن أكثر حطب جهنم، فقامت امرأة من سطة النساء سعفاء الخدين ...**» الحديث .

قالوا : ولولا أن وجهها كان مكشوفًا ما عرف أنها سفعاء الخدين.

وهذه هي أهم الأدلة التي ذكرت في هذا الباب كما قال الشيخ ابن عثيمين التي استدلوا بها على جواز كشف الوجه للأجانب من المرأة .

الرد على هذه الأدلة :

١ـ قال الشيخ / ابن عثيمين رحمه الله : ولكن هذه الأدلة لا تعارض ما سبق من أدلة وجوب ستر الوجه واليدين:

أحدهما أن أدلة وجوب ستره ناقلة عن الأصل، وأدلة جواز كشفه مبقية على الأصل، والناقل عن الأصل مقدم كما هو معروف عند الأصوليين، وذلك وجد الدليل الناقل عن الأصل، ودلَّ ذلك على طروء الحكم على الأصل وتغييره له، ولذلك نقول : إن مع الناقل زيادة علم، وهو إثبات تغيير الحكم الأصلي، والمثبت مقدم على النافي، وهذا الوجه إجمالي ثابت حتى على تقدير تكافؤ الأدلة ثبوتًا ودلالة .

١ـ أننا إذا تأملنا أدلة جواز كشفه وجدناها لا تكافئ أدلة المنع، ويتضح ذلك بالجواب عن كل واحد منها بما يلي:

٢ ـ عن تفسير ابن عباس ثلاثة أوجه:

أحدهما : محتمل أن مراده :أول الأمرين قبل نزول آية الحجاب، كما ذكره شيخ الإسلام .

٣ـ يحتمل أنّ مراده الزينة التي نهي عن إبدائها كما ذكره ابن كثير في تفسيره، ، ويؤيد هذين الاحتمالين تفسيره ﷺ لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ كما سبق في الأدلة .

وعلى هذا فالحديث ضعيف لا يقاوم ما تقدم من الأحاديث الصحيحة الدالة على وجوب الحجاب، وأيضًا فإن أسماء بنت أبي بكر ـ **رضي الله عنها** ـ كان لها حين هجرة النبي ﷺ ـ سبع وعشرون سنة، فهي كبيرة في السن فيبعد أن تدخل على النبي ﷺ في ثياب رقاق تصف منها ما سوى الوجه والكفين والله أعلم .

ثم على تقدير الصحة : يحمل على ما قبل الحجاب، لأن نصوص الحجاب ناقلة عن الأصل فتقدم عليه.

٤ ـ **وعن حديث ابن عباس** : بأنه لا دليل على جواز النظر إلى الأجنبية، لأن النبي ﷺ لم يقر الفضل على ذلك، بل حرّف وجهه إلى الشق الآخر، ولذلك ذكر النووي في شرح مسلم بأن من فوائد هذا الحديث تحريم النظر إلى الأجنبية، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح في فوائد هذا الحديث، وفيه منع النظر إلى الأجنبيات، وغض البصر.

قال القاضي عياض: وزعم بعضهم أنه غير واجب، إلاَّ عند خشية الفتنة، قال : وعندي أن فعله ﷺ إذ غطى وجه الفضل كما في الرواية الأخرى.

فإن قيل : فلماذا لم يأمر النبي ـ ﷺ ـ المرأة بأن تغطي وجهها؟ فالجواب أن الظاهر أنها كانت محرمة، والمشروع في حقها ألاَ تغطي وجهها إذا لم يكن أحد ينظر إليها من الأجانب ...

٥ـ **وعن حديث جابر**: بأن لم يذكر متى كان ذلك، فإما أن تكون هذه المرأة من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحًا، فكشف وجهها مباح، ولا يمنع وجوب الحجاب على غيرها، أو يكون قبل نزول آية الحجاب فإنها كانت في سورة الأحزاب سنة خمس أو ست من الهجرة، وصلاة العيد شرعت في السنة الثانية من الهجرة ....[1] اهـ.

فانتبه أيها الأخ الحبيب، وإياك ودعاة التغريب، وتحريف الشرع من أجل مذاهبهم أو تلك الأهواء التي تحركهم إلى ما لا تحمد عقباه، وعليك بالأصلح الأنفع لك في المعاش والمعاد .

---

(١) انظر الحجاب وأدلته لابن عثيمين صـ٤٤ـ ٤٥

قال أبو بكر بن عبد الله: فيجب على كل مؤمن، ومؤمنة بهذا الدين، والحذر الشديد من دعوات أعدائه من داخل الصف أو خارجه الرامية إلى التغريب، وإخراج نساء المؤمنين من حجابهن تاج العفة، والحصانة إلى السفور والتكشف والحسور، ورميهن في أحضان الرجال الأجانب عنهن، وأن لا يغتروا ببعض الأقوال الشاذة، التي تخترق النصوص، وتهدم الأصول، وتنابذ المقاصد الشرعية، من طلب العفة والحصانة، وحفظهما، وصد دعايات التبرج والسفور، والاختلاط، الذي حلَّ بديار القائلين بهذا الشذوذ، ونقول لكل مؤمن، ومؤمنة :فيما هو معلوم من الشرع المطهر، وعليه المحققون، وأنه ليس لدعاة السفور دليل صحيح صريح، ولا عمل مستمر من عصر النبي ﷺ إلى أن حدث في المسلمين حادث السفور في بدايات القرن الرابع عشر ...اهـ (حراسة الفضيلة صـ٦٨).

من فوائد الحجاب

١ـ في الحجاب طهارة لقلب المؤمن والمؤمنة.

٢ـ في الحجاب ما يمنع إيذاء المؤمنات بقصد أو بغير قصد. .

٣ـ الحجاب أمام الرجل دليل الهيبة والتوقير.

٤ـ الحجاب يمنع المرأة من أن يستشرفها الشيطان. .

٥ـ الحجاب سمع وطاعة لله تعالى ووقوف عند حدوده. .

٦ـ الحجاب ستر للحرائر وصيانة لأعراضهن .

٧ـ الحجاب سمة الكبار الأحرار على عكس السفور، والتبرج .

٨ـ رضي الله في العفة، والطهارة، والنقاء لأنه تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين .

٩ـ التزام الحجاب سد لفجاج الشيطان، وكبت لنزغاته، وهمزه ونفثه، ونفخه، وشركه.

١٠ـ التزام الحجاب تأسي بأمهات المؤمنين الأطهار. .

١١ـ الحجاب فيه نشر للبر، والستر، والخير، وإقصاء للذئاب الجائعة .

١٢ـ الحجاب تمييز للمسلمات عن غيرهن.

١٣ـ دحض، ودحر الفتن في حجاب المرأة .

❁❁❁

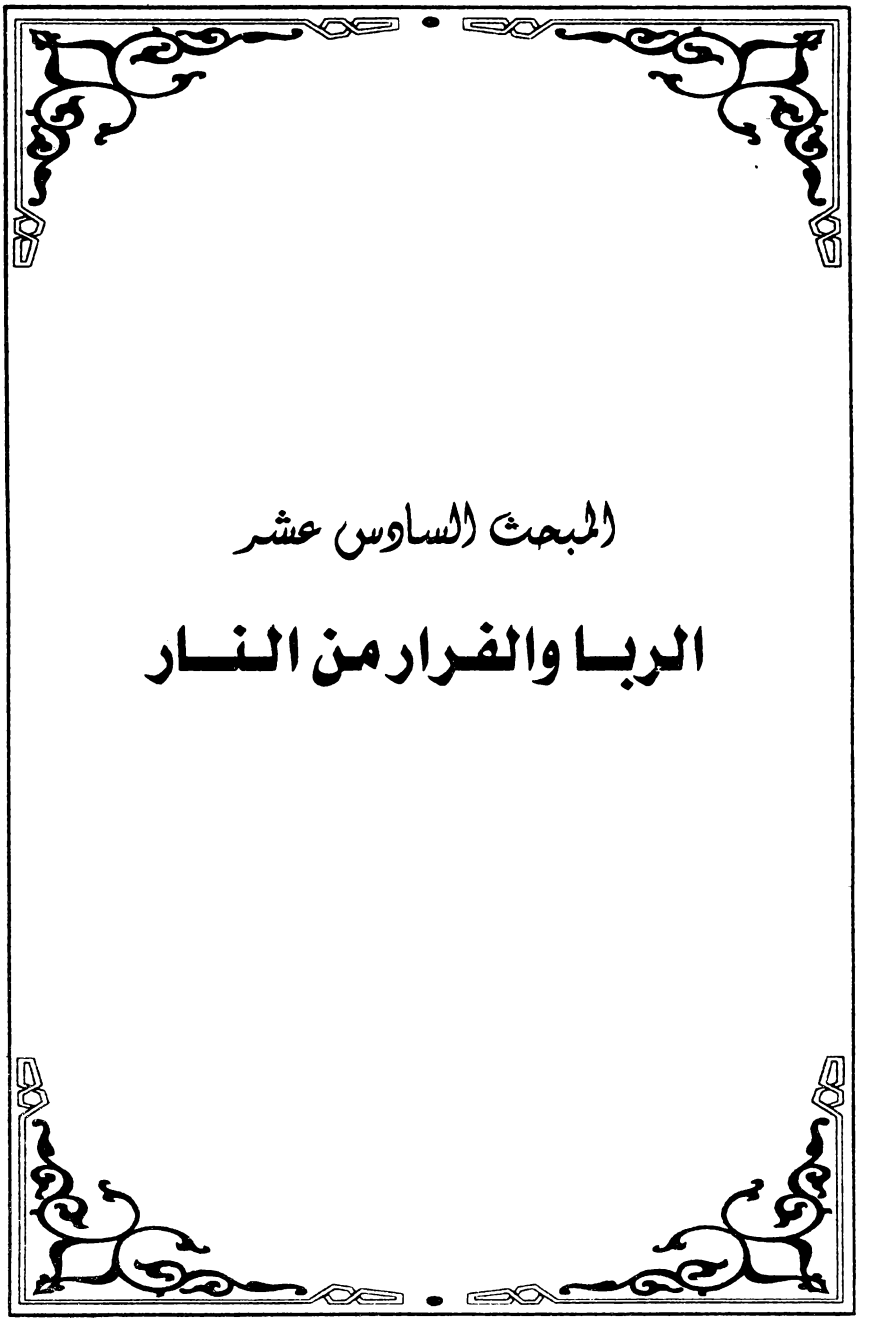

المبحث السادس عشر

الربـا والفـرار من النـار

خطورة الربا والتحذير منه

قال الله تبارك و تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾ البقرة :٢٧٨ـ٢٧٩.

فسبحانه وصفهم بالإيمان وذكرهم بالتقوى ثم انتقل إلى الأمر بترك ما بقي من الربا لمن كانوا يرابون منهم عند غرمائهم، ثم وصل ذلك بقوله:﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي :إن كان إيمانكم تامًا شاملًا لجميع ما جاء به محمد ﷺ ـ من الأحكام فذروا بقايا الربا، وقد عهد في الأسلوب العربي أن يقال :إن كنت متصفًا بهذا الشيء فافعل كذا ....ويؤخذ من هذا أن من لم يترك ما بقى من الربا بعد نهي الله تعالى عنه، وتوعده عليه فلا يعد من أهل هذا الإيمان التام الشامل الذي له السلطان الأعلى على إرادة العامل ...[1]اهـ.

تعريف الربا:

الربا لغة :الزيادة، قال في القاموس ٤/ ٣٣٢: رَبَا رُبوًا كعلوًا ورباءً أي زاد ونما، وقال صاحب المصباح المنير :الربا :الفضل والزيادة، وهو مقصور على الأشهر ...وربا الشيء يربوا إذا زاد، وأربى الرجل :أي دخل في الربا .اهـ ١/ ١٨٣.

الربا شرعًا : قال الكاساني في بدائع الصنائع ٥/ ١٨٣ الربا في عرف الشرع نوعان ربا الفضل، وربا النسيئة .

أما ربا الفضل: فهو زيادة عين مال شرطت في عقد البيع على المعيار الشرعي.

وأما ربا النسيئة : فهو فضل الحلول على الأجل، وفضل العين على الدين في المكيلين أو الموزونين، عند اختلاف الجنس أو في غير المكيلين أو الموزونين عند اتحاد الجنس ـ عند الأحناف .

---

(١) تفسير المنار: ٢/ ٨٦

خلط بشع

قد يقول ذاهل جاهل صاحب باطل، لا يوصف بأنه عاقل إن المسلمين قد مُنُوا بالفقر، وحدث لهم من التأخر بسبب تحريم الربا، وتلك أوهام قالها مقلدة نسجوا على هذا المسخ ليكونوا أبواقًا للمردة، والمخسرة من أعداء الإسلام، وديننا الحنيف يدعونا أن نسبق كل الأمم في إتقان، وإبداع كل نافع، ولكن للأسف الشديد، فإن كثيرًا من المسلمين اليوم نبذوا هذه التعاليم الربانية ليكونوا في ذيل الأمم، ومن تدبر آي القرآن العزيز علم، ولا ريب أن تحريم الربا هو عين الحكمة، والرحمة الموافقة لمصلحة البشر، وإباحته عين المقت، والغبن، والفساد، وقد كان هذا في الدول المتقدمة نذير شؤم إذ جعلتهم ماديين فحسب، لا يهمهم إلا هذا الذي يجمعون من الأموال المشكوك في طهارتها، وكان ذلك سببًا في انهيار اقتصاد كثير من الدول من آخرهم أمريكا بإذن الله تعالى، ، وصدق الله العظيم إذ قال ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا وَأَحَلَّ الله الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا﴾ البقرة :٢٧٥.

إن الله تعالى لا ينهى عباده عن شيء إلا إن كان فيه مصلحتهم في المقام الأول، وذلك لأنه عالم بما يضرهم وينفعهم وما تصلح به معايشهم ومعادهم لذا أمرهم أن يجعلوا بينه وبين غضبه وقاية لتدرأ عنهم النار، ولكون أكل الربا هو أكل لأموال الناس بالباطل فإن هذا من أخلاق اليهود وبسببه يضيق الواسع، ويكدر الحلال الطيب فيصير عكرًا مشقيًا، قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ الله كَثِيرًا ۞ وَأَخْذِهِمُ الرِّبا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ النساء :١٦٠-١٦١ وقد حذر الله تعالى عباده من النار بسبب الربا وأخذه إذ قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۞ وَأَطِيعُوا الله وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ آل عمران :١٣١-١٣٢ .

فهذا تهديد ووعيد بالنار على أكل الربا لمن كان له قلب و حظي

بأذنين، واعيتين . .

﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ ق :٤٥ والرحمة الواسعة التي هي صفة قائمة بالله تبارك وتعالى لا ينالها العبد بالأماني الواهية، ولا بالأحلام الوردية، وإنما تنال بفعل أوامر الله تعالى، و اجتناب نواهيه، وعدم التعدي على حدوده، وهذه هي دائرة التقوى، التي هي سبب للفلاح والنجاح، ﴿لا تَأْكُلُوا الرِّبا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۞ وَأَطِيعُوا الله وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ نداء يحوي في طياتة الحيثية، التي أوجبت عليهم تلقي التكاليف من الله ﷻ ...إذًا فهو يثير عندهم الشعور الإيماني، ويحرك عندهم مواجيد العقيدة ليتفاعلوا مع أحكام الله تعالى ـ فيطبقونها، وبخاصة إذا كان الأمر يتعلق بالمال الذي هو أحد أمرين يحرص عليهما الإنسان، كل الحرص، وهما :الحياة والمال فحب الحيلة فطرة، وغريزة في الإنسان، وكذلك حُبّ المال، ومنهج الإسلام لم يأت لكبت الغرائز داخل الإنسان، إنما جاء ليهذبها، وليسلك الطريق الذي يسعد فيه الإنسان في الدنيا والآخرة ... فالإنسان فيه غريزة حب المال، فهل كبتَ المنهج الرباني هذه الغريزة؟ بالطبع لا، ولكنه هذبها فقط، فاجمع المال كما شئت، وأنفق المال كما تحب ولكن بين قوسين «من أين ستكسب المال؟ وفيما ستنفق المال؟». ومن هنا يأتي النداء المبارك لينشئ الأمة المسلمة على أن المال وسيلة وليس غاية، ولأن الربا من أكبر الكبائر لأنه يفسد الحياة كلها سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية، والإسلام وهو ينشيء الأمة المسلمة يريد لها سلامة الحياة الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية[1].اهـ . .

قال الشيخ المحمدي صالح في كتاب نداء الرحمن ونقول فما علاقة النهي عن أكل الربا بترك رماة الجبل؟ العلاقة ظاهرة جلية، ولكن لا يراها إلا ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾، فكما أن المسلمين لم يكتب لهم النصر في أحد بسبب تخليهم عن المنهج، وكذلك أنتم يا أهل الإيمان لا تنتصرون إلا

(١) كتاب: نداء الرحمن لأهل الإيمان :١/ ٢٣٩

إذا التزمتم بمنهج الرحمن، فالمنهج هو السياج الذي يحيط بكم، ويحميكم من أنفسكم أولًا، ومن ثم يحميكم من أعدائكم، فعورات المجتمع الإسلامي لن تنكشف إلا إذا عطل حكم الله ...اهـ هذا وقد رهَّب التشريع جدًا من الربا لبشاعته، ولخسة فاعله، وتعديه على حقوق العباد، وللشَّره الذي أصيب به فمن ذلك.

١ـ **أن آكل الربا إذا قام من قبره** يوم القيامة كالذي يتخبطه الشيطان من المس، وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾ [١] أي لا يقومون من قبورهم إلا كما يقوم المصروع حال صرعه، وتخبط الشيطان له. صورة مخيفة ومفزعة، وتلك الصورة هي أن الذين يتعاملون بالربا أخذًا، وإعطاءً أو شهادة لا يقومون من قبورهم يوم البعث إلا في حال الصرع، والفزع يقومون، فيسقطون، وينهضون فيقعون...ويهمسون ويصرخون، ويضحكون ويبكون، كمثل شخص يتخبطه الشيطان في كل جزء من جسمه، فيصيبه بمس، وصرع وهذيان وجنون، فيتحرك في غير اتزان أو استواء، ويهتف بما لا يعرف ....ويقول ما لا يعي ...

وقد جعل الله تلك الحال للمرابين يوم القيامة لا لاختلال عقولهم ...أو لخبل أصابهم، ولكنها سمة ليعرفون بها بين أهل الحشر يوم القيامة تحقيرًا لهم، وسخرية منهم [٢] اهـ.

٢ـ **آكل الربا إن لم يتب فهو من أصحاب النار** وذلك لقوله تعالى: ﴿**فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى الله وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ البقرة: ٢٧٥ وهذا يعني أن التوبة من الربا لابد أن تكون نصوحا بحيث يندم صاحبها على ما قدمت يداه، واقترف قلبه،

---

(١) البقرة: ٢٧٥

(٢) نداء الرحمن لأهل الإيمان: ١/ ١٦٤

ولا يعود إلى المعصية أبدًا بعد أن تاب، وأناب إلى الله تعالى، وأمَّا إن عاد كالمستهزئ بالشرع فهو مهدد بنار تلظى ـ عياذًا بالله ـ.

٣ـ **آكل الربا ينتظر حربًا** هو فيها من المدمرين الخاسرين قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ البقرة :٢٧٨ ـ ٢٧٩.

٤ـ **الربا سبب في العداوات** والمشاحنات بين الأمم والشعوب، والأفراد حيث إنها تحول بين الجماعة المسلمة وروح التعاون الوثابة بينهم فتحول بينهم وبين ما يشتهون من الائتلاف.

٥ـ **الربا سبب في خلق جيل أكول** بطين شحيح يأكل الحوب والإثم في بطنه ويلتهم أموال الناس، ويأخذ جهدهم فيضمه إليه غير مكترث بما يفعل مخلفًا ورائه أُناسًا كادين كادحين مجتهدين، ويكون المجتمع بذلك طبقتين، طبقة كادحة جادة، وأخرى لترأس وتتربع وتتوسع على حساب الآخرين فتكثر البطالة ويعظم الهرج، وتتضخم الأموال في أيدي المترفين دون بذلٍ يذكر، فتصير كالنباتات الطفيلية التي تنمو على حساب الغير.

٦ـ **الربا ضد القرض** الحسن الذي مآله السعة، والخُلْف في الدنيا مع الأجر الكبير في الآخرة.

* إن القرض الحسن دليلٌ على محبة الله تعالى والإحساس بالآخرين ودليل على نفس مطمئنةٍ وروحٍ وثابةٍ، وجودٍ نادرٍ وقلبٍ فاقهٍ وإيثارٍ لما يبقى على ما يفنى.

والقرض الحسن خلق نبيل وعمل صالح وبِرٌّ باقٍ وخلفٌ عاجل وظنٌّ في الآخرة قال تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة :٢٤٥] قوله ﴿مَّن ذَا الَّذِي

يُقْرِضُ الله قَرْضًا حَسَنًا﴾.

قال الشيخ / محمد رشيد رضا في المنار :٢/ ٣٦٧ : حسبك أنه تعالى جعل هذا البذل بمثابة الإقراض له، وهو الغني عن العالمين الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما، وإنما يقترض المحتاج وأنه عبَّر عن طلبه بهذا الضرب من الاستفهام، المستعمل للإكبار والاستعظام، ... ذلك ان الإقراض هو أن تعطى إنسانًا شيئًا من المال على ان يَرُدَّ إليك مثله فالتعبير بالإقراض يقتضي أن القرض لا يضيع، وليس هذا يكافي في الترغيب الذي تقتضيه الحال هنا، فصرّح بأنه لا يرد مثله بل أضعاف أضعافه من غير تحديد ...اهـ.

وقال رحمه الله : أما كون القرض حسنًا فالمراد به ....ما دافعة المصلحة لا ما وضع موضع الفخفخة وقُصد به الرياء والسمعة ...وأما هذه المضاعفة إلى أضعاف كثيرة ....فهي تكون في الدنيا والآخرة ...اهـ [تفسير المنار :٢/ ٣٧٠].

[٣١٥] وفي حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ: «**من أقرض وَرِقًا مرتين كان كعدل صدقة مرة**». (١).

[٣١٦] وعن أبي اليَسَرِ قال : قال رسول الله ﷺ: «**من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**». (٢).

[٣١٧] وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: «**من أنظر معسرًا أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله**». (٣).

[٣١٨] وعن بُريد بن الحصين أن رسول الله ﷺ قال: «**من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدَّينُ فإذا حل الدَّين فأنظره فله بكل يوم**

---

(١) صحيح الجامع :٦٠٨٠ وصححه الألباني وأورده في الصحيحة :١٥٥٢ .

(٢) انظر مختصر صحيح مسلم للألباني ١٥٣٧ وأورده في الروض النضير ٨٤٤ وصحيح الترغيب ٩٠١.

(٣) صحيح الجامع حديث رقم :٦١٠٧ وصححه الألباني وأورده في الترغيب ح ٩٠٠

مثلاه صدقة». [صحيح الجامع ح ٦١٠٨ وفي الصحيحة ٨٦] .

[٣١٩] وفي حديث آخر عن خريم بن فاتك أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له سبعمائة ضعف». (١).

٧ـ الربا من أبرز أخلاق اليهود من أبد الدهـر ولذا لعنهم الله على لسان كل نبي من رسله، وضرب وجوه بعضهم ببعض. .

الربا من أكبر الكبائر

قال القرطبي، وابن حزم :إن الربا من أكبر الكبائر كما في جامع الأحكام القرآن ٣/ ٣٦٤، والمحلى٩/ ٥٠٣.

[٣٢٠] عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: «لعن رسول الله ـ ﷺ ـ آكل الربا و مؤكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال هم سواء».

وفي صحيح مسلم من حديث بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ «لعن رسول الله ـ ﷺ ـ آكل الربا ومؤكله». وزاد الترمذي (وشاهديه وكاتبه) وقال: صحيح.

[٣٢١] ولفظ النسائي : «آكل الربا، ومؤكله وشاهديه وكاتبه إذا علموا ذلك ملعونون على لسان محمد ـ ﷺ ـ إلى يوم القيامة». (٢).

وآكل الربا :آخذه، وإنما عبر بالأكل لأنه أعظم المنافع، ولأن الربا شائع في المطعومات، ومؤكله : معطيه .

واللعن :الإبعاد عن الرحمة، ولهذا حكى بعضهم الإجماع على أن الربا من الكبائر، ومن هؤلاء النووي كما في المجموع ٩/ ٣٩١ ذلك لأن الكبيرة ما ترتب عليها حد في الدنيا وتوعد عليها بالنار واللعن أو الغضب، وذلك مأثور عن كبار أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم كابن عباس، وهذا رأي بن

(١) انظر المشكاة للألباني :٣٨٢٦ والترغيب :٢/ ١٥٦ وصحيح الجامع ٦١١٠

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي :١١/ ٢٦، وتحفة الأحوذي :٤/ ٣٩٦ دار إحياء التراث العربي

عيينة، وأحمد بن حنبل . .

هذا وقد لعن النبي ـ ﷺ ـ «**كاتب الربا وشاهديه**». لإعانتهم على الربا إذ كانوا يعلمون ذلك[١] .

التدرج في تحريم الربا

لقد نقل القرآن الكريم الناس بالتدرج في تحريم الربا كما كان ذلك في الخمر، تلطفًا منه ورأفة بالعباد حتى يقوى الناس على التخلص من شتى الرواسب القديمة البغيضة إلى ساحة الإسلام، قالت أمنا عائشة ـ رضي الله عنها ـ:إنما نزل أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها، ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا ...اهـ[٢].

الآية الأولى: قال تعالى ﴿**وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ**﴾ الروم :٣٩.

الآية الثانية قال تعالى: ﴿**فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيرًا ۝ وَأَخْذِهِمُ الرِّبا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ النساء :١٦٠ـ١٦١.

والآية الثالثة﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ آل عمران :١٣٠ وهي تفيد النهي عن واقع المجتمع الجاهلي، ورواسبه .

والآية الرابعة قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا وَأَحَلَّ اللهُ**

---

(١) انظر شرح الطحاوية :٢/ ٥٢٥ طـ/ الرسالة بيروت

(٢) البخاري :٦/ ١٧٩ ؛ ٢٢٨ بمعناه .

البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى الله وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۞ يَمْحَقُ الله الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَالله لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ۞ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة:٢٧٥ـ٢٧٨.

وهذه الآيات صريحة في تحريم كل أنواع، وأقسام الربا.

التشديد في الربا

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا :يا رسول الله وما هن؟ قال :الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**». (١).

وأما المحصنات: أي العفائف، والغافلات أي :عن الفواحش، والإحصان يأتي في الشرع على أنحاء عدة كالعفة، والإسلام، والنكاح، والتزويج، والحرية، قاله النووي بتصرف كبير .اهـ.

وفي هذا الحديث، وعيد شديد لمن اقترب مما حذر منه النبي ـ ﷺ ـ ذلك لأنها سبب في المقت والهلاك في الدنيا حيث الخسران العظيم والبوار الكبير .

(١) البخاري : ٤/ ١٢ ؛٧/ ١٧٧ ؛٨/ ٢١٧ ومسلم :١/ ٦٤ وأبو داود ٢٨٧٤ والنسائي :٦/ ٢٥٧ وبعض الروايات مختصرة .

عقوبات الربا

[٣٢٢] الرجل المرابي يعذب بألوان شتى منها السباحة في نهر الدم فعن سمرة بن جندب قال: «كان النبي ﷺ - إذا صلَّى صلاة أقبل علينا بوجهه، فقال :من رأى منكم الليلة رؤيا؟، قال :فإن رأى أحد قصها، فيقول ما شاء الله، فسألناه يومًا فقال :هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا لا .قال لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي، فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجلٌ جالس، ورجلٌ قائم بيده كلوب من حديد . قال بعض أصحابه عن موسى :إنه يُدخل ذلك الكلوب في شدقه حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله ، قلت : ما هذا؟ قالا : انطلق . فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه، ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة، فيشدخ به رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجر فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إليه حتى يلتئم وعاد رأسه كما هو ، فعاد إليه فضربه، قلت : من هذا؟ قالا انطلق فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور، أعلاه ضيق، وأسفله واسع يتوقد تحته نارًا، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا فإذا خَمَدَت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراه، فقلت من هذا؟ قالا انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم، فيه رجل قائم على وسط النهر، قال يزيد ووهب بن جرير، عن جرير بن حازم : وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه، فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان، فقلت : ما هذا؟ قالا انطلق فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة، وفي أصلها شيخ، وصبيان وإذا رجل قريب من الشجرة، بين يديه نارٌ يوقدها : فصعدوا بي في الشجرة فأدخلاني دارًا هي أحسن منها فيها رجال شيوخ ونساء وصبيان، ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل فيها شيوخ، وشباب، قلت :طوفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت قالا نعم . أما الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق .فَيُصنَعُ به إلى يوم القيامة، والذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولا يعمل به في النهار، يفعل به إلى يوم القيامة، والذي رأيتهم في الثقب

فهم الزناة، والذي رأيته في النهر :آكلوا الربا، والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام، والصبيان حوله فأولاد الناس، والذي يوقد النار مالك خازن النار، والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل وهذا ميكائيل فارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا فوقي مثل السحاب قالا ذاك منزلك، قلت دعاني أدخل منزلي قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملت أتيت منزلك».[١].

وهذا الحديث لا يخفى ما فيه من إبراز العذاب الشديد الذي سلط عليهم بتلك الذنوب الموبقة في عذاب القبر، ولذا فقد أورده البخاري مرة في الجنائز لبيان أن هذا العذاب يكون في القبر، ومرة في الربا، ومرة في كتاب التعبير، وقد بين الحافظ في الفتح فيه بعض الفوائد قال رحمه الله وفيه أن بعض العصاة يعذبون في البرزخ، وفيه نوع من تلخيص العلم، وهو أن يجمع القضايا جملة ثم يفسرها على الولاء ليجتمع تصورها في الذهن، والتحذير من النوم عن الصلاة المكتوبة، وعن رفض القرآن لمن يحفظه، وعن الزنا وأكل الربا وتعمد الكذب، وأن الذي له قصر في الجنة لا يقم فيه وهو في الدنيا، بل إذا مات حتى النبي والشهيد، وفيه الحث على طلب العلم واتباع من يلتمس منه ذلك، وفيه فضل الشهداء، وأن منازلهم في الجنة أرفع المنازل، ولا يلزم من ذلك أن يكونوا أرفع درجة من إبراهيم ـ عليه السلام ـ ...اهـ.

[٣٢٣] وعن أبي هريرة مرفوعًا «**الربا سبعون حوبًا أيسرها أن ينكح الرجل أمه**»[٢].

[٣٢٤] وعن ابن مسعود أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**الربا وإن كثر فإن عاقبته إلى قلٍّ**»[٣].

---

(١) البخاري :ك/ الجنائز، بـ/ ما قيل في أولاد المشركين، فتح الباري :٣/ ٢٩٥ ؛٢٩٦ ح ١٣٨٦ وهذا لفظه.

(٢) صحيح الجامع ٣٥٤١، والمشكاة ٢٨٢٦، وفي لفظ « أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه ...». الحديث صحيح الجامع ٣٥٣٩

(٣) صحيح الجامع :٣٥٤٢، والمشكاة ٢٨٢٧

ربا الجاهلية

إن رسول الله ﷺ - جعل أمور الجاهلية موضوعة تحت قدميه تحقيرًا لها وتصغيرًا، حتى يعلم الناس أن الله كتب العزة لمن أطاعه وقضى بالذل والمهانة على من عصاه، وخاصة التحذير من كبائر الذنوب التي فيها إجحاف وظلم للعباد، فما تعامل أحد بالربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة، وذلة والله يعامل العبد من خلال ما انعقدت عليه نيته.

[٣٢٥] روى مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ - خطب في عرفة، ومن خطبته ﷺ - «**وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله**»[(١)].

[٣٢٦] ومن حديث سليمان بن عمرو بن الأحوص، عن أبيه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ - في حجة الوداع يقول«**ألا إنَّ كل ربا من ربا الجاهلية موضوع، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون و لا تظلمون**»[(٢)].

ومعنى قوله حوبًا :الحوب هو الإثم والمراد أنها سبعون نوعًا من الإثم والحديث يدل على أن الربا أشد من الزنا.

[٣٢٧] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ - أنه قال: «**ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة**»[(٣)].

ولذلك كان من الحكمة في تحريم الربا أنه أكل لأموال الناس بالباطل، وهذا سبب في قطع الأواصر والأرحام، وفيه سَدٌّ لباب القَرب والقرض الحسن المأمور به، وأيضًا هو مجال لفتح باب المعاصي من الربا الممقوت المغضوب على صاحبه في الدنيا والآخرة، وفيه تعطيل للتجارة، والحرف،

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ك/ الحج، بـ/ حجة النبي ﷺ -:٨/ ١٨٢؛١٨٣

(٢) عون المعبود :٩/ ١٨٣

(٣) صحيح ابن ماجه :٢/ ٢٨، ح/ ١٨٤٨، وصححه الألباني في التعليق الرغيب :٣/ ٥٢

والصناعات، التي لا تنتظم مصالح المسلمين إلا بها إن خطر الربا عظيم، ولا يمكن التحرز منه إلا بمعرفة أحكامه، ومن لم يستطع معرفتها بنفسه فليسأل أهل العلم عنها، ولا يجوز له أن يقدم على معاملة أو يسهم في شركة أو مؤسسة إلا بعد تأكده من سلامتها من الربا، ليسلم بذلك دينه، وينجو من عذاب الحريق والمعاملات الربوية كثيرة جدًا نشير إلى بعضها في عجالة :

١ـ **القرض بالفائدة** : بأن يقرض شيئًا بشرط أن يوفيه أكثر منه سواء كانت الفائدة بنسبة معينة كما في البنوك، أو مطلقة بدون نسبة وسواء كان هذا القرض على المستوى الفردي أو الدولي فكله لم يأذن به الله تعالى .

٢ـ **الإيداع بالفائدة**، وهي الودائع الثابتة إلى أجل يتصرف فيها البنك، ويدفع لصاحبها فائدة ثابتة بنسبة معلومة .

٣ـ **بيع العينة** : وهو أن يبيع السلعة بثمن مؤجل على شخص، ثم يعود ويشتريها منه بثمن حالٍ أقل من الثمن المؤجل، وهذه الصورة احتيال للتوصل إلى الربا .

[٣٢٨] **وقد نهى عن ذلك الرسول ﷺ ـ فقال** «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلَّط الله عليكم ذُلًا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»[(١)].

٤ـ **صرف العملات** بعضها ببعض من غير تقابض في المجلس، وسيأتي الحديث عليها بعدُ إن شاء الله .

٥ـ **بيع الذهب أو الفضة** بجنسه مع الزيادة في أحدهما، كأن يبيع الحلي من الذهب مع الزيادة بحلي من الذهب، وهذا كله منصوص على تحريمه والتحذير منه .

---

(١) صحيح الجامع ٤٢٣ من حديث ابن عمر وأصله في سنن أبي داود والصحيحة للألباني ح ١١ وانظر صحيح سنن أبي داود ح ٢٩٥٦ .

«إن الربا يذهب البركة من كل شيء، فلا سعادة، ولا طمأنينة، ولا راحة، ولا مأمن، وإنه ليذهب البركة من الصحة، ويذهب البركة من الحياة الزوجية، فترى الزوجين عدوين بدلًا من أن يكونا حبيبين، وتراهما مختلفين بدلًا من أن يكونا متفقين، فدائمًا ترى اختلافًا وشقاقًا، وثورة ومشاحنات فإذا تتبعت الأمر وجدت أن الربا هو سبب هذا البلاء»[١].

تحريم ربا الفضل وربا النساء في البيوع

[٣٢٩] حديث أبي قلابة قال :كنت في الشام في حلقة فيها مسلم بن يسار فجاء أبو الأشعث ... فقلت له :حدّث أخانا حديث عبادة بن الصامت قال: نعم غزونا غزاة وعلى الناس معاوية فغنمنا غنائم كثيرة، فكان فيما غنمنا آنيةٌ من فضة، فأمر معاويةُ رجلًا أن يبيعها في أعطيات الناس، فتسارع الناس في ذلك فبلغ عبادة بن الصامت فقام فقال إني سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ «**ينهى عن بيع الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبُرِّ بالبُرِّ، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح إلا سواءً بسواء عينًا بعين، فمن زاد أو أزاد فقد أَربى .فرد الناس مَا أخذوا ... الحديث**»[٢].

تلك هي سمات الشرع، وهذه ضوابطه، ما ترك الله تعالى شيئًا لأهواء الناس بل قد فصّل لهم كل شيء تفصيلًا، وأحكم آيات كتابه، وأنزل برهانًا وفرقانًا وهذا يعني أن من شروط صحة التعاقد في البيع أن يكون في هذه الأجناس المذكورة مثلًا بمثل يدًا بيد، هاء بهاء، متماثلًا منجزًا فمن زاد أو طلب الزيادة فذلك عين الربا المحرم المتوعد صاحبه بعذاب الحريق عياذًا بالله، وبمجرد أن سمع الناس حديث رسول الله ـ ﷺ ـ ردّوا ما أخذوا في سرعة اليرق بدون تلكؤ هذا مع أن الذي أمرهم ابتداءً هو معاوية ـ رضي الله عنه ـ لكنهم تربوا

---

(١) كتاب : نداء القرآن لأهل الإيمان ١/ ٢٤١

(٢) صحيح مسلم ك/ المساقاة، بـ/ الصرف وبيع الذهب بالورق نقدًا .

على أن لا يقدموا بين يدي الله ورسوله . .

[٣٣٠] حديث مالك بن أوس بن الحدثان سمع عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ يخبر عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال «**الذهب بالورق ربا إلا هاءً وهاءً، والبُرُّ بالبُرِّ رِبا إلا هاءً وهاءً والتمر بالتمر ربًا إلا هاءً وهاءً، والشعير بالشعير ربًا إلا هاءً وهاءً**» [(١)].

قال الحافظ في الفتح قوله: (**هاءً بهاء**) بالمد فيهما وفتح الهمزة وقيل بالكسر... والمعنى خُذْ وهات...يعني مقابضه في المجلس، وقيل معناه خُذْ وأعْطِ ... وقال الخليل: كلمة تستعمل عند المناولة .والمقصود من قوله (**هاءً وهاءً**)أن يقول لكل واحد من المتعاقدين لصاحبه: هاءً فيتقابضان في المجلس، قال بن مالك : فالتقدير: لا تبيعوا الذهب بالورق إلا مقولًا بين المتعاقدين (**هاءً وهاءً**) اسْتُدِلَّ به على اشتراط التقابض في الصرف في المجلس، وهو قول أبي حنيفة والشافعي، وعن مالك لا يجوز الصرف إلا عند الإيجاب بالكلام ولو انتقلا من الموضع إلى موضع آخر لم يصح تقابضهما، ومذهبه أنه لا يجوز تراخي القبض في الصرف سواء كان في المجلس أو تفرقًا .

قوله «**البُرّ بالبُرِّ**» بضم الموحدة ثم راء : من أسماء الحنطة والشعير معروف ...وقال ابن عبد البر... وفيه أن النسيئة لا تجوز في بيع الذهب بالورق، وإذا لم يجز فيهما مع تفاضلهما بالنسيئة فأحرى ألا يجوز في الذهب بالذهب، وهو جنس واحد، كذا الورق بالورق... اهـ[(٢)] بتصرف .

وروى البخاري من حديث مالك بن أوس بن الحدثان النصْريّ أنه التمس صرفا بمائة دينار، قال : فدعاني طلحة بن عبيد الله، فتراوضنا حتى اصطرف مِنِّي وأخذ الذهب يقلبها في يده ثم قال: حتّى يأتيني خازني من

---

(١) صحيح البخاري كتاب البيوع، بـ/ ما يذكر في الطعام والحكرة :٤/٤٠٨ ح ٢١٣٤ و ٢١٧٠ و٢١٧٤ .

(٢) فتح الباري :٤/ ٤٤٢، ٤٤٣ بتصرف .

الغابة، وعمر بن الخطاب يسمع فقال عمر : والله لا نفارقه حتى نأخذ منه ثم قال . قال رسول الله ﷺ - **«الذهب بالورق ربًا إلاّ هاءً وهاءً، والبُرّ بالبُرِّ إلاّ هاءً وهاءً، والتمر بالتمر ربًا إلاّ هاءً وهاءً»**.(١).

قوله فقال عمر حين سمع ذلك : والله لا نفارقه حتى تأخذ منه، يريد منه لا تفارقه وبينكما عقد حتى ينتجز ما بينكما من التقابض ثم احتج لذلك بقوله ﷺ - **«الذهب بالورق ربا إلا هاءً وهاء»**. وحمل ذلك على أن التقابض فيه يجب أن يكون مع الإيجاب والقبول، ولا يتأخر عنهما بل يقترن بهما، لأن عقد كل واحد منهما يقتضي الإشارة إلى ما بيده العوض بقوله (هاءً وهاءً) ولذلك فهم منه عمر وهو من أهل اللسان تعجيل التقابض، فأما التفرق قبل القبض فلا خلاف بين الفقهاء فعلي في أنه يفسد العقد والدليل على ذلك ما احتج به عمر ....اهـ.

وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم

التوبة مطلوبة وواجبة على العبد من كل ذنب في أسرع وقت ممكن، قبل فوات أوانها، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ النساء :١٧-١٨.

وقد عُلِمَ مما مَرَّ بك أن الربا من أعظم الذنوب بعد الشرك بالله تعالى، فهو أحد السبع الموبقات، فتجب المبادرة بالتوبة منه، على من كان يتعاطاه، فإذا مَنَّ الله على المُربي فوفقه إلى التوبة فتاب، وقد تعامل بالربا من قبل، فماذا يفعل للتخلص من أموال الربا؟ إنه لا يخلوا من إحدى حالتين :

الحالة الأولى : أن يكون الربا في ذِمَم الناس لم يقبضه بَعْدُ، ففي هذه الحالة قد أرشده الله تعالى إلى أن يسترجع رأس ماله، ويترك ما زاد عليه من

(١) صحيح البخاري كتاب البيوع، بـ/ ما يذكر في الطعام والحكرة، :٤/ ٤٤١ ح ٢١٧٤ .

الربا، فلا يستوفيه ممن هو في ذمته قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾ البقرة :٢٧٩.

قال القرطبي رحمه الله : روى أبو داود عن سليمان بن عمر عن أبيه قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول في حجة الوداع «**ألا إن كل ربا في الجاهلية موضوع .لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون**». فردهم تعالى مع التوبة إلى رؤوس أموالهم . وقال لهم لا تَظلمون في أخذ الربا، ولا تُظلمون في مطل، لأن مطل الغني ظلم، فالمعنى : أن يكون القضاء مع وضع الربا ..وقوله تعالى:﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾ تأكيد لإبطال ما لم يقبضه منه، وأخذ رأس المال الذي لا ربا فيه ....[1]اهـ .

وقال ابن القيم :﴿ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾ يعني إن تركتم الربا وتبتم إلى الله منه، وقد عاقدتم عليه، فإنما لكم رؤوس أموالكم، لا تزادون عليها فتَظلمون الآخذ ولا تنقصون منها فيظلمكم من أخذها .فإن كان هذا الآخذ معسرًا فالواجب إنظاره إلى ميسرة، وإن تصدقتم عليه، وأبرأتموه فهو أفضل لكم وخير لكم ..اهـ[**التفسير القيم : ١٧٢ـ١٧٣**].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : إن التراضي بين الطرفين على فعل محرم لا يبيحه قال :وهذا مثل الربا، فإنه وإن رضى به المرابي، وهو بالغ رشيد لم يبح ذلك، لما فيه من ظلمه.ولهذا له أن يطالبه بما قبض منه من الزيادة ولا يعطيه إلا رأس ماله، وإن كان قد بذله باختياره ....[2]اهـ.

وقال أيضًا : وهذا المرابي لا يستحق في ذمم الناس إلاَّ ما أعطاهم أو نظيره، فأما الزيادات فلا يستحق شيئًا منها، لكن ما قبضه قبل ذلك بتأويل يعفي عنه، وما بقي له في الذمم فهو ساقط لقوله تعالى: ﴿**وذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُم مُؤمِنِينَ...**﴾ [البقرة:٢٧٨] ... اهـ[3].

---

(١) تفسير القرطبي :٣/ ٣٦٥

(٢) انظر مجموع الفتاوى :٢٦/ ١٥١

(٣) الفتاوى: ٢٩/ ٤٣٧، وانظر ك/ الفرق بين البيع والربا للشيخ / صالح الفوزان.

المجمع الفقهي بمنظمة المؤتمر الإسلامي

قرار المجمع بشأن التعامل المصرفي

لقد اجتمع مجلس المجمع الفقهي من ١٠/ ١٦ ربيع الثاني ١٤٠٦هـ الموافق ٢٢/ ٢٨ديسمبر ١٩٨٥م بعد أن عرضت عليه بحوث مختلفة في التعامل المصرفي المعاصر، وبعد التأمل فيما قدم ومناقشته مناقشة مركزة، أبرزت الآثار السيئة لهذا التعامل على النظام الاقتصادي العالمي، وعلى استقراره، خاصة في دول العالم الثالث.

وبعد التأمل فيما جَرّه هذا النظام من خرا ب نتيجة إعراضه عما جاء في كتاب الله تعالى من تحريم الربا ـ جزئيًا وكليًا ـ تحريمًا واضحًا بدعوته إلى التسوية منه، وإلى الاقتصار على استعادة رؤوس الأموال المقروضة دون زيادة ولا نقصان، قَلَّ أو كثر، وما جاء من تهديد بحرب مدمرة من الله ورسوله على كل المرابين **قرر الآتي** : ـ.

أولًا : أن كل زيادة ـ أو فائدة ـ على الدَيْن الذي حَلَّ أجله، وعجز المدين على الوفاء به مقابل تأجيله، وكذلك الزيادة ـ أو الفائدة ـ على القرض منذ بداية العقد :هاتان الصورتان ربا محرم شرعًا .

ثانيًا : أن البديل الذي يضمن السيولة المالية والمساعدة على النشاط الاقتصادي حسب الصورة التي يرتضيها الإسلام : هي التعامل وفقًا للأحكام الشرعية، ولا سيما مَا صدر عن هيئات الفتوى المعنية بالنظر في جميع أحوال التعامل التي تمارسها المصارف الإسلامية في الواقع العملي.

ثالثًا : قرر المجمع التأكد على دعوة الحكومات الإسلامية إلى تشجيع المصارف الإسلامية القائمة، والتمكين لإقامتها في كل بلد إسلامي لتغطي حاجة المسلمين، كيلا يعيش المسلم في تناقض بين واقعه ومقتضيات عقيدته... اهـ[1] .

---

(١) انظر حكم ودائع البنوك د/ السالوس صـ١٧٧ـ١٧٨

فتوى مجمع الفقه برابطة العالم الإسلامي

القرار السادس بشأن تفشي المصارف الربوية فإنه قد اجتمع المجمع الفقهي الإسلامي في دورته التاسعة المنعقدة بمنتدى رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ١٢ رجب ١٤٠٦ هـ إلى يوم السبت ١٩ رجب ١٤٠٦ هـ، قد نظر في موضوع تفشي المصارف الربوية، وتعامل الناس معها، وعدم توافر البدائل عنها، وهو الذي أحاله إلى المجلس... وقد استمع المجلس إلى كلام السادة الأعضاء حول هذه القضية الخطيرة التي يُقترف فيها محرم بين، ثبت تحريمه بالكتاب والسنة والإجماع، وأصبح من المعلوم من الدين بالضرورة، واتفق المسلمون كافة على أنه من كبائر الإثم والموبقات السبع، وقد آذن القرآن الكريم مرتكبيه بحرب من الله ورسوله، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٢٧٨ ـ ٢٧٩].

وقد صحَّ عن النبي ـ ﷺ ـ أنَّه لعن آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه، وقال: «**هم سواء**»(١).

[٣٣١] كما روى ابن عباس عنه ـ ﷺ ـ : «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله عز وجل**» وروى نحوه ابن مسعود.

وقد أثبتت البحوث الاقتصادية الحديثة أن الربا خطر على اقتصاد العالم وسياسته، وأخلاقياته، وسلامته، وأنه وراء كثير من الأزمات التي يعانيها العالم، وأن لا نجاة من ذلك إلى باستئصال هذا الداء الخبيث الذي هو الربا من جسم العالم، وهو ما سبق به الإسلام منذ أربعة عشر قرنًا، ومن نعمة الله أن

(١) رواه مسلم وقد تقدم تخريجه.

المسلمين بدءوا يستعيدوا ثقتهم بأنفسهم ووعيهم لهويتهم، نتيجة وعيهم لدينهم، فتراجعت الأفكار التي كانت تمثل مرحلة الهزيمة النفسية أمام الحضارة الغربية، ونظامها الرأسمالي، والتي وجدت لها يومًا من ضعاف الأنفس من يريد أن يكسر النصوص الصريحة الثابتة قسرًا لتحليل ما حرم الله ورسوله، وقد رأينا المؤتمرات، والندوات الاقتصادية التي عقدت في أكثر من بلد إسلامي ـ وخارج العالم الإسلامي أيضًا ـ تقرر بالإجماع حرمة الفوائد الربوية، وتثبت للناس إمكان قيام بدائل شرعية عن البنوك والمؤسسات القائمة على الربا... اهـ[1].

لقد توعد الله تعالى عباده الذين يخالفون أمره، ويعرضون عن مراقبته ويتهاونون في شرعه ويتعدون حدوده، بالأخذ الشديد والوعيد الأكيد فهو ﴿عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ وهو سبحانه يغار على شرعته الغراء أن تتخذ ظهريًا، ولما هدد الله السابقين بعد أن أنذرهم وبين لهم واتخذوا آياته هزوا، وعصوا رسله دمر الله عليهم وانتزع البركة من أقواتهم وأرزاقهم فمزقهم كل ممزق وجعلهم سلفًا ومثلًا للآخرين.

المال يذهب حِلُّهُ وحرامه ... طُرًا وتبقى في غدٍ آثامهُ
ليس التقي بُمتق لإلهه ... حتى يطيب شرابه وطعامهُ
ويطيب ما يحوي ويكسب كَفُّه ... ويكون في حسن الحديث كلامهُ
نطق النبي لنا عن ربه ... فعلى النبي صلاته وسلامهُ

❁❁❁

(١) ك/ ودائع البنوك، د/ السالوسي: ١٨١ ـ ١٨٢

المبحث السابع عشر

التغليظ في تحريم الزنا

المبحث السابع عشر
التغليظ في تحريم الزنا

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢].

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

الزنا لغة : يطلق على عدة معان منها الفجور، ومنها :الضيق يقولون زني زناء أي دخل وضاق، ويطلق أيضًا على ما دون مباشرة الأجنبية.

[٣٣٢] كما قال ﷺ «**كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى لا محالة، العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش والرجل زناها الخطى، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه**»[(١)] .

ويطلق الزنا ويراد به : وطء المرأة بدون عقد شرعي، وهذا هو المراد في أكثر النصوص .

وفي الاصطلاح : هو الوطء في قُبُلٍ خال عن ملك أو شبهة .

والزنا من أعظم الذنوب، ، وآلمها فهو جريمة كبرى يضيع فيها الخلق الحميد، وتختلط الأنساب، وتشيع الفاحشة، وينزل المقت والغضب، وتعم الفوضى، وتنزل عقوبات عظيمة، ، والزنا من أعظم الجرائم، وهو يتفاوت في الشناعة والإثم والقبح، فالزنى بذات زوج، والزنا بذات المحرم، والزنا

---

(١) البخاري :٦٠٦٩، ك/التفسير سورة النور .، وانظر لسان العرب ومعجم مقاييس اللغة وفتح القدير ٤/ ١٣٩، وجواهر الإكليل ٢/ ٢٨٣

بحليلة الجار، من أعظم أنواعه.

ولما كان الزنا من أعظم الجرائم، وكبار المعاصي، لما فيه من اختلاط الأنساب الذي يبطل بسببه التعارف، والتناصر على الحق، وفيه هلاك الحرث، والنسل، ولما كان يشتمل على هذه الآثار القبيحة، رتب الله عليه الحدَّ الصارم، وهو رجم الزاني بالحجارة حتى الموت أو جلده، وتغريبه عن بلده، ليحصل بذلك الردع عن ارتكابه، إضافة إلى ما ينشأ عنه من الأمراض التي تفتك بالمجتمعات، ولذلك نهى عنه الشارع أشد النهي، فقال تعالى: ﴿**ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلًا**﴾ ورتب على ارتكابه تلك العقوبة المؤلمة... اهـ[1].

وقد ورد النص القرآني بلفظ: ﴿**ولا تقربوا الزنى**﴾ ولم يقل سبحانه، ولا تزنوا، لأنه أبلغ وأشمل، حيث أفاد النهي عن مقدماته كاللمس والقبلة، والنظرة، والخلوة، وسائر ما يدعو إلى اقتراف هذه الفاحشة، فالنهي عن القرب أبلغ من النهي عن الفعل، ورب نظرة ولدت حسرة، وجرت إلى ويلات وبلاء، ولهذا اسر قال تعالى: ﴿**ولا تقربوا الزنى**﴾ أي: اجتنبوا الزنا، وابتعدوا عن كل ما يؤدي إليه، أو يسبب فيه، أو يقرب منه أو يدعو إليه.

قال ابن القيم رحمه الله في كتاب «الداء والدواء» (ص٢٣): ومفسدة الزنا مناقضة لصلاح العالَم؛ فإن المرأة إذا زنت أدخلت العار على أهلها، وزوجها وأقاربها، ونكست رءوسهم بين الناس، إن حملت من الزنا ،فإن قتلت ولدها جمعت بين الزنا والقتل، وإن أبقته حملته على الزوج فأدخلت على أهلها وأهله أجنبيًّا ليس منهم، فورثهم وليس منهم، ورآهم وخلا بهم، وانتسب إليهم وليس منهم، إلى غير ذلك من مفاسد الزنا، وأما زنا الرجل فإنه يوجد اختلاط الأنساب أيضًا، وإفساد المصونة، وتعريضها للتلف والفساد،

(١) الملخص الفقهي للفوزان: ٢ / ٥٢٨.

ففي هذه الكبيرة خراب الدنيا والدين.

فكم في الزنا استحلال محرمات، وفوات حقوق، ووقوع مظالم، ومن خاصيته أنه يوجب الفقر، ويقصر العمر، ويكسو صاحبه سواد الوجه، وثوب المقت بين الناس، ومن خاصيته أيضًا أنه يشتت القلب ويمرضه إن لم يمته، ويجلب الهم والحزن، والخوف، ويباعد صاحبه من الملك ويقربه من الشيطان، فليس بعد مفسدة القتل أعظم من مفسدته، ولذلك شرع فيه القتل على أبشع الوجوه وأفحشها، وأبشعها، وأصعبها، ولو بلغ العبد أن زوجته أو حرمته قتلت كان أسهل عليه من أن يبلغه أنها زنت. اهـ[1].

وقال صاحب الظلال تعليقًا على آية النور: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدةولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ [النور:٢]:

والإسلام وهو يضع تلك العقوبات الصارمة الحاسمة لتلك الفعلة، المستنكرة الشائنة لم يكن يغفل الدوافع الفطرية، أو يحاربها .فالإسلام يقدر أنه لا حيلة للبشر في دفع هذه الميول، ولا خير لهم في كبتها أو قتلها، ولم يكن يحاول أن يوقف الوظائف الطبيعية التي ركبها الله في كيانهم، وجعلها جزءًا من ناموس الحياة الأكبر يؤدي إلى غايته من امتداد الحياة، وعمارة الأرض التي أستخلف فيها هذا الإنسان، إنما أراد الإسلام أن يحارب الحيوانية التي لا تفرق بين جسد وجسد، أو لا تهدف إلى إقامة بيت، وبناء عش، وإنشاء حياة مشتركة، لا تنتهي بانتهاء اللحظة الجسدية الغليظة ! وأن يقيم العلاقات الجنسية على أساس من المشاعر .

الإنسانية الراقية التي تجعل من التقاء جسدين نفسين وقلبين، و روحين، وبتعبير شامل التقاء إنسانيين، تربط بينهما حياة مشتركة، وآمال

(١) الداء والدواء لابن القيم ص ٢٣.

مشتركة، ومستقبل مشترك، يلتقي في الذرية المرتقبة، ويتقابل في الجيل الجديد الذي ينشأ في العش المشترك، الذي يقوم عليه الوالدان حارسين لا يفترقان، ومن هنا شدد الإسلام في عقوبة الزنا بوصفه نكسة حيوانية، تذهب بكل هذه المعاني، وتطيح بكل هذه الأهداف، وترد الكائن الإنساني مسخًا حيوانيًا، لا يفرق بين أنثى وأنثى، ولا بين ذكر وذكر مسخًا كُلُّ همِّة ارتواء جوعة اللحم والدم في لحظة عابرة، فإن فرق وميَّز فليس وراء اللذة بناء في الحياة، فأما الزنا ـ وبخاصة البِغَاء ـ فيجرد هذا الميل الفطري من كل الرفرفات الروحية والأشواق العلوية، ومن كل الآداب التي تجمعت حول الجنس في تاريخ البشرية الطويل ...[1].اهـ.

الأمراض الناجمة عن الفواحش

١ـ مرض الإيدز :

وهو فقدان الجسم للمناعة التي تقاوم الأمراض بإذن الله تعالى، وإذا حدث هذا صار الجسم معرضًا لاقتحام الميكروبات والفيروسات الفتاكة، بدون مقاومة تذكر، ولقد اتصف هذا المرض منذ ظهوره بالانتشار السريع، والإصابات والوفيات تتضاعف كل سنة تقريبًا وعندما ظهر هذا المرض لأول مرة عام ١٩٧٨م ، في بلجيكا كان عدد الحالات المصابة لا يتجاوز عدد اليد الواحدة ولم يعرف التشخيص إلا بعد عامين من ظهور المرض ثم ظهرت حالات في الولايات المتحدة ٥٨ حالة، لم تكن تعرف باسم «الإيدز». بل كحالات من نقص المناعة فقط، وفي عام ١٩٨٢ م . بلغ عدد الإصابات ٨٨٣، وفي نهاية ١٩٨٣م.كان هذا الرقم قد قفز إلى ٣٠٨٣ حالة، وفي العام التالي ١٩٨٤م. وصل هذا الرقم إلى ٦٦٢٠حالة إلى أن وصلت في ١٩٩٧ في العالم إلى ٣٠ مليون حالة .

---

(١) الظلال :٤/ ٢٤٨٩

٢ـ الزهري :

فكما قال الأطباء إنه المرض الثالث الذي تزهق معه النفوس، ولا تبقى مع وجوده على قيد الحياة إلا قليلًا مع المعاناة والآلام، والعجيب أنه سريع الانتشار جدًا في أوساط الزناة، والشاذين جنسيًا، والمخيف من ذلك المرض أنه يعدى بمجرد اللمس، أو التقبيل، والعجيب أنه يعطل أجزاء الجسم واحدًا تلو الآخر حتى تفسد جميع وظائف الأعضاء والأجهزة ويسبب قروحًا عميقة، وأورامًا صعبة حتى تتلف العضلات، وتقضي على العظام ليكون هَشًّا، وتغزوا الجراثيم المفاصل فتأتي عليها حتى إن الأطباء قالوا : إن ٤٠٪ من وفيات الأطفال في السنة الأولى من سني حياتهم راجعة إلى الزهري الوراثي، وما يقرب من ٦٠٪ من حالات الإجهاض المتكرر في العائلات المصابة به ترجع إلى هذا السبب، وتجد أن كل مائة طفل مولود بزهري وراثي يموت منهم تسعون، و٩٩٪ من أولاد المصابين به يموتون وقد أطلق بعض الظرفاء على هذا المرض المقلد الأعظم لأنه يقلد كافة الأمراض، ويتشبه بها، ويسمى أيضًا الدجال الأكبر أو المحتال، أو الخداع لكونه يخادع الأطباء .

٣ـ السيلان :

وهو مرض ينتشر في أوساط العاهرات والفجرة، وهو يعاود صاحبه حتى بعد العلاج، ويصاب به الجهاز البولي والتناسلي للرجل والمرأة، وتنتقل العدوى عن طريق البغاء، واللواط والشذوذ الجنسي، والطفل المصابة أمه بهذا المرض قد يصاب به عند مولده، ومع مرور الوقت يؤثر على العقم وليس مرض السيلان بالعلة الهينة السهلة، التي لا تستدعي الانتباه، بل هو من أكبر المعضلات الخطيرة التي حار في علاجها الأطباء .

٤ـ هربس التناسل لدى النساء :

إذ إن هربس النساء يصيب العضو التناسلي والفرج والمنطقة المحيطة به بتقرحات حتى يصبح التبول عملية في غاية الصعوبة، بسبب نزول البول على

التقرحات الموجودة في هذه الأماكن الحساسة، ومن ثم يحتبس البول لفترة طويلة، مما يضخم المثانة، ويضطر الجراح للتدخل عن طريق القسطرة لإنزال البول المحبوس ـ عياذًا بالله ـ .

٥ـ القرحة الرخوة :

وهي مرض خطير في عضو الرجل وفي عانته يتبعه تورم وتقرح وانتفاخ يحجز البول وهى عند النساء أيضًا في عضوها وبين شفريها، وفخذيها وقرب فتحة الشرج، وهى سريعة العدوى، و يوجد منها نوعان، .

القرحة الرخوة المرتفعة، والقرحة الرخوة الثعبانية، وتختلف هذه القرحة عن قرحة الزهري بكونها قابلة للتعدد في نفس المريض بمجرد العدوى الذاتية، أو الامتداد وهذا بالتالي قد يسبب للمريض غرغرينا وخراريج ونزيف دموي متتابع، وتقيح الغدد الليمفاوية، وقنواتها، وإتلافًا تامًا للعضو المصاب إلى جانب إصابات أخرى ناتجة عن القرحة الرخوة .

٦ـ القرحة الأكالة :

وهى شديدة وسريعة الإتلاف للأنسجة التي حولها ومن مشاكلها أنها لا ترضخ للعلاج، وقد تتسبب في تسمم في الدم، مع تهتك في العضو .

٧ـ الأمراض النفسية الناجمة عن فعل هذه الرذيلة، وتأثيرها على الأعصاب:

ومع مرور الوقت، وتكرار الذنب، وعدم التوبة يصبح المذنب إنسانًا غير طبيعي لا يستشعر بالأمن، ولا بالرجولة، ودائمًا يكون مضطربًا ويصير عليلًا نفسيًا وجنسيًا، وقد يبلغ بالشاذ أن يصبح من ممارسي اللواط، وللإفادة راجع كتاب «القرآن والطب» فقد اقتطفنا بعض هذه الفوائد مجملة مختصرة، وانظر الفقه الواضح د/ محمد بكر إسماعيل ٢/ ٢٢١ـ٢٢٤.

الترهيب من الزنا

لأن هذا المرض عضال، وليس يتأثر به مرتكبه وفقط لكنه الوبال الأعظم، والوباء الأكبر الذي تصاب به الأسر نفسيًا وبدنيًا معنويًا واجتماعيًا، وتبقى آثاره أزمنة عديدة، ويبقى عاره وشناره أعوامًا عديدة، حتى إن أممًا كاملة تهاوت وتلاشت، وسقطت بسبب انتشاره عندهم هذا مع أنهم يملكون من التقدم في العلوم التجريبية والتقنية الحديثة ما يبهر العقول ويدهش الأفئدة ومع هذا كانوا مرتعًا لأمراض فتاكة أكلت الأخضر واليابس، وجعلتهم حيارى، لا يعرفون من أين أتاهم هذا السرطان المدمر، فالبكتريا آكلة لحوم البشر، إلى الإيدز والسيلان إلى البكتريا التي تنخر في اليد لحمًا ودمًا، وعصبًا وعظامًا فلا تبقي ولا تذر إلى فقدان المناعة وفقدان القدرة على مواجهة هذه الأمراض الحديثة التي لم نسمع بها من قبل، وهكذا كل من حارب السنن الشرعية حاربتة السنن الكونية، وتحداه الكون بأسره الذي يغضب لغضب الجبار ويستجيب لله تعالى في إهلاك الشاذين الشاردين المعاندين الذين هم في ريبهم يترددون لذلك نهى الله تعالى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن ونهى عن الإثم بعموم ظاهره وباطنه ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الأِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ الأنعام: ١٢٠

كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَتِي حَرَّمَ الله إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ الله أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام: ١٥١-١٥٣.

قال الألوسي عند هذه الآية ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ﴾ أي الزنا والجمع- فواحش- إما للمبالغة أو باعتبار تعدد من يصدر عنه أو للقصد إلى النهي عن الأنواع ولذا أبدل منها قوله سبحانه ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ أي ما يفعل علانية في الحوانيت كما هو دأب أراذلهم، وما يفعل سراً باتخاذ الأخدان كما هو عادة أشرافهم، وروي ذلك عن ابن عباس والضحاك والسدي، وقيل المراد بها: المعاصي كلها ...اهـ[1]

وقال جل اسمه: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢] الملاحظ أن الله تعالى حرم الزنا في هذه الآية وكل ما يتسبب فيه أو يقرب منه، أو يفضي إليه أو نحو ذلك، وهذا من باب سد الذرائع، وحتى لا تختلط الأنساب، وتعم الأوبة وتكثر المشاحنات فإن الشرع سد كل سبيل قد يوصل إلى هذا أو يعين عليه وفي تأويل آية الإسراء قال القاسمي رحمه الله: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ أي فعلة قبيحة متناهية في القبح توجب النفرة عن صاحبها والتفرقة بينه وبين الناس ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أي: بئس طريقاً طريقه، فإن غصب الأبضاع المؤدي إلى اختلاف الأنساب، وهيجان الفتن غصباً من غير سبب، والسبب ممكن، وهو الطهر الذي شرعه الله تعالى... اهـ [تفسير القاسمي: ١٠/ ٣٩٢٥ وما بعدها]

وقال تعالى في سورة النور: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذه السورة من جوامع سور القرآن أنزلتها عليكم أيها المؤمنون لتطبقوا أحكامها، وتتأدبوا بما فيها من الآداب ولم

(١) تفسير القاسمي: ٥/ ٦٤٦

أنزلها عليكم لمجرد التلاوة، وإنما فرضتها عليكم وألزمتكم بها أن تعملوا بما فيها لتكون لكم قبساً ونبراساً، ولتعتبروا بما فيها من الآيات البينات، والدلائل المحكمات، والشواهد الكثيرة على حكمة الله -ﷻ- العادلة في تشريع هذه الأحكام التي بها سعادة المجتمع، وحياة الإنسانية ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ومن هذه الحدود والأحكام التي شرعتها لكم، أن تجلدوا كلاً من الزانيين مائة جلدة، تستوفونها منهما كاملة، دون رحمة أو شفقة، ودون تخفيف من العقاب، أو إنقاص من الحد، فإن جريمة الزنا أخطر وأعظم من أن تستدر العطف، أو تدفع إلى العفو عن مرتكب هذه الجريمة النكراء، فإن من عرف آثارها وأضرارها من تدنيس للعرض الشرف، وضياع للأنساب، واعتداء على كرامة الناس، وتلطيخ لهم بالعار والشنار، وتعريض الأولاد للضياع والتشريد حيث يولد (اللقيط) وهو لا يدري أباه ولا يعرف حسبه ونسبه، إلى غير ما هنالك من الأضرار، ومن عرف ذلك أدرك حكمة الله تعالى في تشريع العقاب الزاجر الصارم، وليس هذا فحسب، بل لابد أن تشهدوا على هذه العقوبة لتكون زاجرة له ولأفراد المجتمع من اقتراف مثل هذا المنكر الشنيع، فتحصل العظة والعبرة ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم بين تعالى أن الزاني لا يليق به أن ينكح المؤمنة العفيفة الشريفة، إنما ينكح مثله أو أخس منه، ينكح الزانية الفاجرة، أو المشركة الوثنية، ولا عجب فإن الفاسق الخبيث لا يرغب غالباً إلا في فاسقة من شكله أو مشركة، والزانية الخبيثة كذلك لا يرغب فيها إلا خبيث مثلها أو مشرك، فالنفوس الطاهرة، تأبى هذا الزواج بالفواجر الفاسقات وصدق الله ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ وقد حرم الله الزنا لما فيه من أضرار عظيمة...اهـ

إغلاق كل باب يفضي إلى هذه الرذيلة

لما كانت هذه الفاحشة من أكبر المعوقات للسعادة والأمن والتقدم والظفر في الآخرة والأولى فقد جاء الوعيد بشأنها عظيمًا رهيبًا، قال تعالى: ﴿والَّذينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلهًا آخَرَ ولا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التي حرَّمَ اللهُ إلا بالحَقِّ ولا يزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَومَ القِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إلا مَنْ تَابَ وآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالحًا فأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِم حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان:٦٨ـ٧٠].

فانظر إلى قوله: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ وقوله: ﴿يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ﴾، وقوله: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ زلازل من الوعيد مخيفة، تزجر من كان له قلب فعقل عن الله قوله، وكانت أذناه واعيتين ولم تنطمس بصيرته، ولم يرتكس في الرذيلة مصرًّا على الانغماس فيها.

وإذا كان القرآن قد أعلن النكير على أصحاب هذه الفعلة المقيتة فهدد وتوعد وبين تلك الخطورة هذه الأحكام الحاسمة المتعلقة بها فإن السنة المطهرة قد بينت ذلك خير بيان، فالموفق للسداد من وفقه الله، والمحروم من حرمه الله ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَن يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ﴾الزمر ٣٦-٣٧ ﴿وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾الحج: ١٨

أمثلة ونماذج من السنة:

١ـ أخذ البيعة على الصحابة مع الترهيب من الزنا.

لقد عاهد النبي ﷺ أصحابه وعاقدهم على السمع والطاعة في المنشط والمكروه والعسر واليسر، وفعل المأمور وترك المحظور والمنكرات على اختلاف دنسها وقذارتها لأنها تجلب المساخط، والمقت في الدنيا، وفي القبر، ويوم القيامة.

[٣٣٣] فعن أبي إدريس عائذ الله بن عبد الله أن عبادة بن الصامت ﷺ وكان قد شهد بدرًا وهو أحد النقباء ليلة العقبة، أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من الأنصار: «**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ، ولا تعصوا في معروف، فمن وَفَّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه فبايعناه على ذلك**». [(١)].

والملاحظ أنه خص ذنوبًا معينة، وإن كانت كل الذنوب مقيتة عنده تعالى لما يترتب عليها من القذر والخطر في الدنيا والآخرة، فذكر السرقة وهي ظلم الخلق وذكر الزنا لعظيم فحشه بعد الشرك .

(**ولا تأتوا ببهتان**) والبهتان هو الكذب يبهت سامعه، وخص الأيدي والأرجل بالافتراء لأن معظم الأفعال تقع بهما، وإن كانت هي العوامل والحوامل، فإن صاحبها هو الذي يقودها إلى ما تشتهي النفس وتتمنى وقد قال أحد الفضلاء : كنَّى بالأيدي والأرجل عن نسبة المرأة الولد الذي تزني به أو تلتقطه إلى زوجها، وكان هذا قبل ذلك في بيعة النساء ثم استعمل في بيعة الرجال للاشتراك في أصل التكليف.

(**ولا تعصوا في معروف**) والمعروف هو ما حصل من الشرع أمرًا ونهيًا، وقد نص على كثير من المنهيات دون المأمورات لأن الكف أيسر من إنشاء الفعل ذلك لكون اجتناب المفاسد مقدم عند الأصوليين على جلب المصالح، والتخلي عن الرذائل قبل التحلي بالفضائل .

---

(١) البخاري الفتح :١/ ٨١ ك/ الإيمان، ح/ ١٨، بـ/ علامة الإيمان حب الأنصار . وأطرافه: ٧٠٥٥، ٧١٩٩، ٧٢١٣ .

٢ـ جعل النبي ﷺ تفشي هذه الفاحشة من علامات الساعة .

[٣٣٤] فعن أنس بن مالك قال :لأحدثنكم حديثًا لا يحدثكم أحد بعدي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أشراط الساعة أن يقل العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء، ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد**». (١)

فظهور الزنا إيذانٌ لخراب الدنيا، ونهايتها، وهذا من أعلام النبوة بالطبع، وقلة العلم بموت أهله وفراغ الدنيا من الصادقين العالمين العاملين، وتلك بلية كبرى، ومع طول الأمد وقلة العلم يرفع العلم وهذا من علامات الساعة الكبرى إذ يرفع القرآن من السطور، والصدور ـ عياذًا بالله ـ ومع هذا يتسافد الناس في الطرقات، والشوارع حتى يكثر الزنا على قوارع الطريق كأنهم الحمير لدرجة أن زنا المحارم يبدوا عند الناس، وكأنه ليس بخطيئة مدمرة ـ عياذًا بالله ـ

[٣٣٥] فعن حذيفة ابن اليمان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: «**يدرس الإسلام كما يدرس وشى الثوب، حتى لا يدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة، ولَيَسْرِي على كتاب الله في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس :الشيخ الكبير والعجوز، يقولون أدركنا آبائنا على هذه الكلمة (لا إله إلا الله)**». (٢).

[٣٣٦] وفي حديث ابن مسعود قال :قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق**». (٣).

وفي حديث أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم السّاعة**

---

(١) صحيح البخاري:١/ ٢١٤ ك/ العلم، بـ/ رفع العلم وظهور الجهل، ح/ ٨١ و ٥٢٣١ و ٥٥٧٧و٦٨٠٨

(٢) السلسلة الصحيحة :ح/ ٨٧

(٣) مسلم، ك/ الفتن، بـ/ قرب الساعة :٨/ ٢٠٨

حتى لا يقال في الأرض الله، الله». [١].

[٣٣٧] وعن مرداس الأسلمي قال ﷺ: قال رسول الله ﷺ: .

«يذهب الصالحون الأول فالأول، وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر، لا يباليهم الله باله». [٢].

[٣٣٨] وعن أبي هريرة ـ مرفوعًا ـ **«والذي نفسي بيده لا تفنى هذه الأمة حتى يقوم الرجل إلى المرأة فيفترشها في الطريق، فيكون خيارهم يومئذ من يقول :هلاَّ واريتها وراء هذا الحائط».** [٣].

٣ـ الله تعالى يغار أن يزني عبده أو تزني أمته .

[٣٣٩] عن عائشة أنها قالت :«خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ فصلّى رسول الله ﷺ بالناس .....الحديث إلى قولها «ثم أنصرف وقد تجلت الشمس فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :**«إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يَخْسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا، ثم قال : يا أمة محمد والله ما من أحد أغيرُ من الله أَن يزني عبده أو تزني أمته، يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا»**. [٤].

ونقل الحافظ في الفتح في شرح هذا الحديث قال :لّما أمروا بإستدفاع البلاء بالذكر والدعاء والصلاة والصدقة ناسب ردعهم عن المعاصي التي هي من أسباب جلب البلاء، وخُص منها الزنا لأنها أعظمها في ذلك، وقيل :لّما كانت هذه المعصية من أقبح المعاصي وأشدها تأثيرًا في إثارة النفوس وغلبة الغضب ناسب ذلك تخويفهم في هذا المقام من مؤاخذة رب الغيرة وخالقها

---

(١) مشكاة المصابيح :٣/ ٥٠، ح/ ٥٥١٦، للألباني رحمه الله .

(٢) نسبه الحافظ ابن كثير في النهاية، للبخاري، النهاية :١/ ١٨٦

(٣) انظر السلسلة الصحيحة :١/ ٢٤٥ للألباني .

(٤) البخاري : ٢/ ٤٢، ، ٧/ ٤٥ ومسلم :٣/ ٢٧ وأبو داود ١١٩١

ﷺ ...قال : وصدر رسول الله ﷺ كلامه باليمين لإرادة التأكيد للخبر، وإن كان لا يرتاب في صدقه، ولعلَّ تخصيص العبد والأمة بالذكر رعاية لحسن الأدب مع الله تعالى ....ويؤخذ من قوله يا أمة محمد، أن الواعظ ينبغي له حال وعظه أن لا يأتي بكلام فيه تفخيم لنفسه، بل يبالغ في التواضع لأنه أقرب إلى انتفاع من يسمعه ...اهـ.

٤ـ وقد مقت الشارع الزناة :حتى أمر ببيع العبد أو الجارية إذا زنيا، .

[٣٤٠] فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ: «**إذا زنت الأمةُ فتبين زناها فليجلدها ولا يُثَرِّب، ثم إن زنت فليجلدها ولا يُثَرِّب، ثم إن زنت الثالثة فليبعها ولو بحبل من شعر**».(١).

٥ـ عقوبة الزاني الذي لم يتزوج الجلد مائة جلدة أمام المسلمين وهذا للنص القرآني في سورة النور وقد تقدم .

[٣٤١] والحديث عن عبد الله بن زيد بن خالد، عن رسول الله ﷺ: «**أنه أمر فيمن زنى ولم يُحصن بجلد مائة وتغريب عام**».(٢).

٦ـ أمر عجب وحَدَث جلل .

[٣٤٢] عن عمرو بن ميمون قال : «**رأيت في الجاهلية قِرْدة اجتمع عليها قِرَدة فرجموها فرجمتها معهم**».(٣).

وقد نقل الحافظ في الفتح القصة، عن عمرو بن ميمون قال«كنت في اليمن في غنم لأهلي، وأنا على شرف فجاء قرد من قردة فتوسد يدها، فجاء قرد أصغر منه فغمزها، فَسَّلت يدها من تحت رأس القرد الأول سلًا رفيقًا وتبعته،

---

(١) البخاري :٤/ ٤٣٢، ك/ البيوع، بـ/ بيع العبد الزاني، ح/ ٢١٥٢ .

(٢) البخاري، ك/ الشهادات، بـ/ شهادة القاذف والسارق والزاني، ح/ ٢٤٥٥

(٣) البخاري في الفتح : ٧/ ١٩٠، ك/ المناقب، بـ/ القسامة في الجاهلية ح ٣٨٤٥ .

فوقع عليها، وأنا أنظر، ثم رجعت فجعلت تدخل يدها تحت خَدِّ الأول برفق، فاستيقظ فزعًا، فشمَّها فصاح فاجتمعت القرود، فجعل يصيح ويومئ إليها بيده، فذهب القرود يمنة ويسرة فجاءوا بذلك القرد أعرفه، فحفروا لهما حفرة فرجموهما، فلقد رأيت الرجم في غير بني آدم». قال الحافظ واختص القرد بذلك لما فيه من الفطنة الزائدة على غيره من الحيوان ...ومن خصاله أنه يضحك ويطرب ويحكي ما يراه، ومنه من شدة الغيرة ما يوازي الآدمي ولا يتعدى أحد إلى غير زوجته ...[1] اهـ.

وقد طعن بعض أهل العلم في هذا الحديث لكن قد أجاب عليهم الحافظ في الفتح، ولعل الذي حدث هذا من قبيل الآية للاعتبار .

٧ـ أن الزاني إيمانه ليس على الجادة فلم يردعه عن الذنوب.

كثيرًا ما يردع الإيمان صاحبه عن المنكرات ويصحبه إلى الطاعات إن كان صادقًا في إيمانه، أما إن كان ضعيف اليقين والإيمان فإن الهوى ربما أطاح بعزمه فإن لم يتداركه الله بسداد ومغفرة ورحمة من عنده كان متلاشيًا وصار أمره فرطًا ولذلك قال تعالى عن الذين عصوا الله في مسألة الولاء والبراء مبينًا أن الإيمان يعصم من الخطأ والزلل ـ بإذن الله تعالى ـ **﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾** المائدة: ٨١ .

فالإيمان عصمة والصلاة عصمة﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ﴾ العنكبوت: ٤٥ .

ولذلك لما زعم الأعراب الإيمان ولما يصلوا بعد إلى مرتبته بين الله واقعهم كما في سورة الحجرات:﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** الحجرات:١٤

---

(١) الفتح : ٧/ ١٩٦، ١٩٧ بتصرف .

وهكذا السنة النبوية فهي حاكمة على سلوك الشخص ترن إيمانه، وتصور وتبين ما له وما عليه.

[٣٤٣] فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهبُ نُهْبَةً يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن**».(١).

وعن أبي سعيد وأبي سلمة، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: (**مِثْلَهُ إلا النهبة**).

وبالطبع هذا الحديث لا يرفع الإيمان جملة عن الزاني، وإلا كان كافرًا خارجًا، وهذا قول الخوارج المناقض لأهل السنة من الصحابة فمن بعدهم، لكن هل الإيمان الكامل يتبقى معه مثل هذه القاذورات، وذلك الرجس الدنس؟!! بالطبع لا لذا فهو عاص مقترف لإثم من الكبائر يحتاج إلى طهارة وتوبة قبل الموت، وإلا فقد هدد النبي ﷺ الذي يفعل ذلك بتهديد القرآن العظيم، وقد ذكر بعض أهل العلم عن ابن عباس في تفسير(**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**) أي ينزع منه نور الإيمان، والحاصل أن من مات تائبًا طاهرًا من ذلك فترجى له رحمة الله، والجنة، ومن مات متلبسًا بذنب فهو مستحق للعقاب إلا أن يتجاوز عنه الله تعالى، ولذلك فهو في المشيئة نرجوا له الصفح والعفو، ونخاف عليه النار. ومع هذا إن عومل بذنبه فذاق عذاب النار فسوف يخرج منها ولو بعد حين. وأما الدليل على أن قول النبي ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**».لا يعني خروج الإيمان بالكلية المفضي إلى الكفر حديث آخر في الصحيح.

---

(١) صحيح البخاري، ك/ المظالم والغصب. ب/ النهبي بغير إذن صاحبه، ح ٢٤٧٥ .

[٣٤٤] عن عبد الله بن بريدة، عن يحيى بن يعْمَر، حدثه أن أبا الأسود الدؤلي حدثه أن أبا ذر ﷺ حدثه قال :أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فقال : «**مَا من عبد قال : لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، قلت وإن زنى، وإن سرق؟، قال وإن زنى وإن سرق، قلت ون زنى وإن سرق؟؟ قال وإن زنى وإن سرق .قلت وإن زنى وإن سرق؟؟ قال وإن زنى وإن سرق .على رَغْمِ أنف أبي ذر**».(١) وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال : وإن رَغِمَ أنف أبي ذر .قال أبو عبد الله هذا عند الموت، أو قبله إذا تاب وندم، وقال :لا إله إلا الله غفر له . .

والذي يدل على ما قلته قبل ذلك من أن أمر الزاني إن لم يتب إلى الله في الآخرة ما روى البخاري .

[٣٤٥] من حديث عبادة بن الصامت ـ ﷺ ـ قال (**إني من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ على أن لا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، ولا نَنْتَهِب ولا نعصي فالجنة إن فعلنا ذلك، فإن غشينا من ذلك شيئًا كان قضاء ذلك إلى الله**».(٢).

ولولا عظم هذه الجريمة النكراء ما أحل بها قتل الزاني المحصن وجلد غير المحصن أمام المسلمين، لدرجة أن المشرع هيج المؤمنين بعدما الحنو عليهم والرأفة بهم أثناء الحد كي يمحي الفساد من الأرض، وحتى تزكو نفسه وتطهر، قال تعالى: ﴿**وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ النور : ٢.

[٣٤٦] وفي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث، النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك**

(١) البخاري:١٠/ ٢٩٤، ٢٩٥ قريبًا منه :ك/ اللباس ،بـ/ الثياب البيض، ح/ ٥٨٢٧ .
(٢) البخاري :ك/ الديات، بـ/ قول الله تعالى :ومن أحياها ...في الفتح :١٢/ ١٩٩، ح ٦٨٧٣ .

للجماعة» . .

قال الحافظ في الفتح :وظاهر قوله (لا يحل)إثبات إباحة قتل من استثنى وهو كذلك بالنسبة لتحريم قتل غيرهم، وإن كان قتل من أبيح قتله منهم واجبًا في الحكم.

قوله(**والثيب الزاني**) أي فيحل قتله بالرجم وقد وقع في حديث عثمان عند النسائي بلفظ «**رجل زنى بعد إحصانه فعليه الرجم**». اهـ .

[٣٤٧] عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**خمس بخمس، ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر**».(١).

٨ـ الزنا من أعظم الذنوب .

[٣٤٨] عن أبي ميسرة، عن عبد الله ﷺ قال قلت«**يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندًا وهو خلقك، قلت ثم أي؟ قال :أن تزاني حليلة جارك**».(٢).

ومعنى (حليلة جارك) أي التي يحل لزوجها وطؤها بالزواج بها .

٩ ـ عقوبة الزنا في القبر شنيعة مخيفة .

[٣٤٩] ومن ذلك ما رواه البخاري في ك/ الجنائز والرؤيا من حديث سمرة عن النبي ﷺ: «**.....فانطلقنا فأتينا على مثل التنور قال :فأحسب أنه كان يقول :فإذا فيه لغط وأصوات قال فاطلعنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا، قال :قلت لهما**

---

(١) حسنه الألباني في صحيح الجامع ٣٢٤٠ وصحيح الترغيب ٧٦٣

(٢) البخاري في الفتح :١٢/ ١١٦ ك الحدود ب إثم الزناة ح ٦٨١١

ما هؤلاء قال :قالا بي انطلق ....[١] وفي الحديث (**وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور فإنهم الزناة والزواني**». الحديث وهذا جزء منه مختصر .

قال الحافظ في الفتح : (**فهم الزناة**) مناسبة العري لهم لاستحقاقهم أن يفضحوا لأن عادتهم أن يستتروا في الخلوة، فعوقبوا بالهتك، والحكمة في إتيان العذاب من تحتهم كون جنايتهم من أعضائهم السفلى ..[٢]اهـ .

١٠ـ والجوارح تزني .

[٣٥٠] عن ابن عباس ﷺ قال :لم أر شيئًا أشبه باللمم من قول أبي هريرة... وعن ابن عباس قال :ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «**إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه**».[٣].

قال الحافظ نقلًا عن ابن بطال : سمى النظر والنطق زنا لأنه يدعوا إلى الزنا الحقيقي، ولذلك قال «**والفرج يصدق ذلك كله و يكذبه**».[٤]اهـ .

وليس في الآية دليل للجبرية أو القدرية أو أعداء السنة ولكن هذا ما سبق به علم الله تعالى، فهو عليم بكل شيء على نحوه قبل أن يكون لأن من صفاته تعالى العلم، وهو مع ذلك لا يرضى لعباده الكفر، والعبد مسئول عن جناياته لأنه مكلف أرسل إليه نبي يتكلم بلسانه وكتاب ينطق بالحق وقد خلق على أصل الدين وفطرة الله وعلم الحق من الباطل والصواب من الخطأ والكفر من الإيمان والطاعات من المعاصي، وجعل الله له إرادة وحركة فأمره ونهاه ولذلك علَّق الله تعالى السؤال على ما قدم العبد لنفسه وهو مرهون

---

(١) انظر البخاري في الفتح :٣/ ٢٩٥ ك الجنائز ١٣٨٦ وانظر ح ٧١٤٧ الفتح

(٢) الفتح تعليقًا على الحديث الماضي .

(٣) البخاري في الاستئذان ب زنا الجوارح دون الفرج :١١/ ٢٨ ح ٦٢٤٣ .

(٤) الفتح :١١/ ٢٨

بأعماله، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ الحج: ١٠

١١ ـ الشيخ الزاني لا ينظر الله إليه يوم القيامة ولا يكلمه .

[٣٥١] عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ: .

«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم (قال أبو معاوية : ولا ينظر إليهم) ولهم عذاب أليم، شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر».[١]

وهذه العقوبات الشنيعات في القيامة غاية في الإهانة والألم لأن كل واحد ارتكب هذه المعاصي مع عدم وجود الداعي إليها، وليست لها ضرورة مزعجة طالبة للأنفس فهذا يعني أنهم أقدموا عليها معاندة واستخفافًا مع عدم وجود الباعث عليها، فكانوا كالمستهزئين، فأُعِدَّ لهم من النكال ما يستحقون، فالشيخ لكمال عقله وتمام معرفته بطول الزمن الذي مرَّ عليه وضعف إتيان النساء عنده، وضعف الشهوة ينبغي أن يقبل على صلاح قلبه وليس العكس، والملك له صولاته وجولاته، ولا يخاف من أحد من الرعية حتى يكذب فحالته أبعد ما يكون عن هذا الخور وتلك الآفة وهكذا الفقير لا ينبغي له الكبر لانعدام الداعي ، .

١٢ـ أن الزاني يخرج إيمانه فوقه كأنه الظلة فإذا تاب رجع .

[٣٥٢] عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: **«إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان كان عليه كالظُّلَّة فإذا انقطع رجع إليه الإيمان.»** [٢].

وقد مرَّ التعليق على حديث **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»**. قبل ذلك، وإن كان هذا الحديث الذي معنا مختلف في. الألفاظ ومعنى الظلة أي

---

(١) صحيح مسلم :١/ ٧١، ٧٢ :ك/ الإيمان، بـ/ بيان عظم غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية

(٢) أصله في البخاري :ك/ المظالم والغصب، ب النُهبى بغير إذن صاحبه بمعنى مقارب، ومسلم في الإيمان ح/ ٨٦، ٨٧؛والنسائي في قطع السارق ؛وأبو داود ك/ السنة، بـ/ الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه

السحابة، ومعنى هذا أنَّ يسلب الإيمان حال تلبسه بالفعل فإن نزع عاد إليه، وقد سئل بن عباس، سأله عكرمة عن ذلك : قال «**هكذا : وشبك بين أصابعه ثم أخرجها، فإذا تاب عاد إليه هكذا وشبَّك بين أصابعه**».

[٣٥٣] وعند الحاكم من طريق بن حجيرة، أنه سمع أبا هريرة يقول (**مَنْ زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه**).

١٣ـ أن الله تعالى يهلك الزناة في الدنيا .

[٣٥٤] عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**».[(١)].

والمعنى أنه إذا ظهرت هذه الفاحشة في أهل قرية من القرى فقد تسببوا لأنفسهم في مساخط الله تعالى وساعتها فلينتظروا ما يقع عليهم من غضبه وعذابه، لمخالفتهم ما اقتضته حكمة الله من اختلاط الأنساب، وعدم حفظ المياه التي خلقت لكثرة النسل على الفرش الطاهرة العفة ولا ينبغي الاغترار بستر الله تعالى .

١٤ـ سدّ الذرائع الموصلة إلى الزنا .

وقاعدة التشريع لا تنخرم أن الله تعالى إذا حرّم شيئًا حرَّم الأسباب والدوافع الموصلة إليه، سدًا للذريعة وكفًا عن الوقوع في حمى الله، ومحارمه، ليعيش في مجتمع مملوء بالإباء والشمم بعيد عن كافة الرذائل، والطرق الموصلة إليها حتى يلقى الله تعالى وهو على هدى من الله وصراط مستقيم، ولهذا فإن علماء الشريعة استنبطوا بطريق التتبع والاستقراء لمواطن التنزيل قاعدة شريفة، هامة تعتبر من الكليات التشريعية التي تعايش المسلم في كل لحظة وآن، تلك

---

(١) صحيح الجامع، وهو عند الطبراني والحاكم وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع رقم :٦٧٩

هي قاعدة (سد الذرائع الموصلة إلى المحرمات).

وباب سدّ الذرائع أحد أرباع التكليف، فإنه أمر ونهي، والأمر نوعان، أحدهما: ما يكون النهي عنه مفسدة في نفسه.

والثاني: ما يكون وسيلة إلى مفسدة فصار سدّ الذرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدين، ومن ذلك على سبيل القصر لا على سبيل الحصر ما يلي.

١ـ نهي النساء عن الضرب بالأرجل.

لقوله تعالى: ﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور:٣١]

فمنعهن الشارع من ذلك لما يفضي إليه ويتسبب فيه من الفتنة، وذلك لئلا يكون سببًا إلى سمع الرجال صوت الخلخال فيثارون وتتحرك الشهوات (ولئلا ينظر إلى مصدر الصوت الذي سمعه فتقع عينه على قدم صاحبه الخلخال فتتسبب له الفتنه) ويقع المحظور وهذا يبين أن كل شيء فعله سوف يفضي إلى حرام أو منكر فإنه منهي عنه لما دخل عليه من أسباب قد تأتي بمعوق أو شبهه، أو شهوة، ونحو ذلك.

٢ـ الأمر بغض البصر.

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[1].

كما أمر المؤمنات بذلك فقال ﷻ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي

(١) النور: ٣٠

أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

[٣٥٥] عن ابن عباس ﷺ قال «**أردف رسول الله ﷺ الفضل بن العباس يوم النحر خلفه على عجز راحلته، وكان الفضل رجلًا وضيئًا، فوقف النبي ﷺ للناس يفتيهم، وأقبلت أمرأة من خثعم، وضيئة تستفتي رسول الله ﷺ فطفق الفضل ينظر إليها وأعجبه حسنها فالتف النبي ﷺ والفضل ينظر إليها فأخْلَفَ بيده وأخذ بذقن الفضل فعدل وجهه عن النظر إليها فقالت يا رسول الله إن فريضة الله في الحج على عباده أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يستطيع أن يستوي على الراحلة، فهل يقضي عنه أن أحج عنه؟ قال نعم**»[2].

فالنبي ﷺ خاف على الفضل وعلى المرأة من تلاعب الشيطان وما يفضي النظر فغير بيده الشريفة وجهه من النظر، وهذا من حكمته وحرصه على صحبه، وأمته عليهم السلام، حتى قال أهل العلم يكره النظر إلى الصغيرة الجميلة، أو الجواري الصغيرات لما في ذلك من تعلق القلب وسرعة الفتن.

[٣٥٦] وعن أبى سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إياكم والجلوس بالطرقات، فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بُدٌّ نتحدث فيها، فقال: إذا أبيتم إلا المجالس، فأعطوا الطريق حقه، قالوا وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**»[3].

والنظرة لها تأثير على القلب ليس بالهين فهي تولد الخواطر المسيطرة على

---

(١) النور: ٣١

(٢) البخاري: ١١/ ١٠ :ك/ الاستئذان، بـ/ قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾، ح ٦٢٢٨

(٣) صحيح البخاري: ١١/ ١٠ :ك/ الاستئذان، الباب السابق، ح ٦٢٢٩

القلب، فتحتوشه الشياطين فيقع المحظور في لحظة من لحظات الهيام والضعف فالصبر على غض البصر أيسر من الصبر على الآلام المترتبة على ذلك . .

كل الحوادث مبدئها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر.
كم نظرة بلغت من قلب صاحبها كمبلغ السهم بين القوس والوتر
والعبد ما دام ذا طرف يقلبه في أعين الغير موقوف على الضررِ.
يَسُرُّ مقلته ما ضر مهجته لا مرحبًا بسرور جاء بالضررِ

فالنظر بريد الزنا، ومحركه، ولذلك نهى عنه المشرع .

٢ـ إنما جعل الاستئذان من أجل البصر: ـ

[٣٥٧] عن سهل بن سعد ﷺ قال «**اطلع رجل من جُحْرٍ في حُجَرِ النبي ﷺ، ومع النبي ﷺ مِدْرًي يَحُكُّ به رأسه، فقال :لو أَعْلَمُ أنك تنظر لطعنت به في عينك إنما جعل الاستئذان من أجل البصر**».(١).

٣ـ النهي عن خروج المرأة متطيبة : ـ

لما كان العطر والطيب ذريعة إلى الميل وتحرك ما سكن من الشهوة نهى الله تعالى المرأة المسلمة أن تخرج متطيبة ليشم الناس رائحتها، فيشتهون النظر إليها والميل إليها فنهى عن ذلك دفعًا للمفاسد .

[٣٥٨] **عن عاصم مولى أبي رهم واسمه عبيد، أن أبا هريرة لقي امرأة متطيبة تريد المسجد فقال : يا أمة الجبار أين تريدين؟ قالت : المسجد .قال :وله تطيبتِ؟! قالت نعم .قال فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:** «أيما امرأة تطيبت ثم خرجت إلى المسجد لم تقبل لها صلاة حتى تغتسل».(٢) .

وقد بالغ أبو هريرة في ذلك زجرًا لها عن الفتنة، وأمرها أن تغتسل حتى

---

(١) البخاري:١١/ ٢٦ :ك/ الاستئذان، بـ/ الاستئذان من أجل البصر، ح/ ٦٢٤١

(٢) ابن ماجه ح ٤٠٠٢ وصحيح سنن ابن ماجه ح ٣٢٣٣ وقال الألباني حسن صحيح وذكره في الصحيحة ١٠٣١ .

لا يبقى للطيب أثر، وأمرها بذلك تشديدًا وتشنيعًا لفعلها، وتشبيهًا لها بالزنا ـ عياذًا بالله ـ.

٤ـ النهي عن الخلوة بالأجنبية :ـ

[٣٥٩] عن عقبة بن عامر، أن رسول الله ﷺ قال: « **إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار يا رسول الله :افرأيت الحمو؟! قال الحمو الموت**»[1] «إياكم والدخول» هو من أساليب التحذير ليحترز المخاطب من خاطر داهم، وإلا وقع فيه، والتقدير اتقوا أنفسكم أن تدخلوا على النساء، والنساء أن يدخلن عليكم، وهذا يمنع الخلوة بها بطريق الأولى، قوله «افرأيت الحمو» والحمو هو أخو الزوج، وما أشبه من أقارب الزوج، وفيه معنى حديث «لا يخلون رجلٌ بامرأة فإن ثالثهما الشيطان» قال أهل العلم: الأحماء أقارب زوج المرأة، والأختان أقارب زوج الرجل، والأصهار تقع على النوعين . وقد شُبِّه في الحديث بالموت زجرًا وتحذيرًا من وقوع ذلك، وقيل :إن الخلوة بالحمو قد تؤدي إلى هلاك الدين، إن وقعت المعصية، ووجب الرجم، أو إلى إهلاك المرأة بفراق زوجها إذا حملته الغيرة على تطليقها، أشار إلى ذلك القرطبي.

وقال الحافظ في الفتح :قال صاحب مجمع الغرائب :يحتمل ان يكون المراد أن المرأة إذا خلت فهي محل الآفة، ولا يؤمن عليها أحد، فليكن حموها الموت، أي لا يجوز لأحد أن يخلوا بها إلا الموت، كما قيل نعم الصهر القبر، وهذا لائق بكمال الغيرة والحمية، وقال أبو عبيد : معنى قوله (الحمو الموت) أي: فليمت ولا يفعل هذا ، وقال القرطبي في المفهم :المعنى أن دخول قريب الزوج على امرأة الزوج يشبه الموت في الاستقباح والمفسدة، أي : فهو محرم معلوم التحريم، وإنما بالغ في الزجر عنه، وشبهه بالموت لتسامح الناس فيه من جهة الزوج، والزوجة لإِلفِهِمْ بذلك حتى كأنه ليس بأجنبي من المرأة فخرج

(١) البخاري:٩/ ٢٤٢ : ك/ النكاح، ح ٥٢٣٢ وانظر ما بعده

هذا مخرج قول العرب الأسد الموت والحرب الموت، أي: لقائهما يفضي إلى الموت ....، وقال ابن الأثير في النهاية :المعنى أن خلوة المحرم بها أشد من خلوة غيره من الأجانب، لأنه ربما حَسَّنَ لها أشياء، وحملها على أمور تثقل على الزوج من التماس ما ليس في وسعه، فتسوء العشرة بين الزوجين بذلك ...اهـ.

٥ـ النهي عن سفر المرأة بلا محرم: ـ

[٣٦٠] **عن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ**: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة ليس معها حرمةٌ».(١).

إن المرأة ضعيفة وقد يطمع فيها من أجل ذلك، وقد لا تتمكن من حماية نفسها والدفاع عن عرضها بل هذا هو المعروف، وهى مطمع للخسرة المردة، أن يفجروا بها فلما كان الأمر كذلك نهاها الله عن السفر بغير محرم يحميها من كيد الظالمين ولذا استدل به على عدم جواز سفر المرأة بلا محرم، ، بل إن بعض أهل العلم جعلوا ذلك من شروط صحة الحج وحُقَ لهم ذلك خاصة إذا كثرت الفتن، ولم تؤمن الغائلة. .

[٣٦١] وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيدالخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تسافر المرأة مسيرة يومين إلا ومعها زوجها أو ذو محرم** ....». **الحديث** [الفتح :٤/ ٢٨٣ ح ١٩٩٥] .

٦ـ النهي عن نعت المرأة : ـ

فلا تنعت المرأة امرأة لرجل ولا رجل لرجل .

[٣٦٢] عن عائشة ـ **رضي الله عنها** ـ قالت :كان يدخل على أزواج النبي ﷺ مُخَنَّثٌ فكانوا يعدونه من غير أولي الإربة قال :فدخل النبي ﷺ يومًا وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة، قال :إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت

---

(١) البخاري : ٢/ ٦٥٩ ك تقصير الصلاة ب / في كم يقصر الصلاة ح ١٠٨٦

أدبرت بثمان، فقال النبي ﷺ: «**لا يدخلن عليكن قالت : فحجبوه**»[١].

المخنّثَ : هو الذي يشبه النساء في أخلاقه وكلامه، وحركاته .

وكان هذا المخنث في أول الأمر يدخل على أمهات المؤمنين ظنًا منهن أنه من غير أولى الإربة، فلما سمعه النبي ﷺ يصف المرأة وصفًا يَنُم على أن عينيه جائعتان نهى عليه السلام أن يدخل على النساء فحجب بعد ذلك، ويستفاد من الحديث عدم وصف محاسن النساء، وعوراتهن لأن ذلك مستقبح مستهجن، منهي عنه لما يفضي إليه من الانحلال الخلقي، وإشاعة الرذيلة ولا يجوز للمرأة نَعْتُ المرأة لزوجها . .

٧ـ التفريق بين الأولاد في المضاجع والبنات : ـ

وهذا من محاسن هذا الدين لأنه يفضي إلى ظهور العورات وفي هذا من الخطورة ما فيه ولذلك نهى عنه الشرع حتى مع الأشقاء.

[٣٦٣] روى الترمذي في السنن قال حدثنا على بن حجر أخبرنا حرملة بن عبد العزيز بن الربيع بن سَبْرَةَ عن أبيه، عن جَدِّه قال : قال رسول الله ﷺ: «**علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر..**»[٢] الحديث.

[٣٦٤] وهذا لفظ الترمذي، وأما لفظ أبي داود فهو ما رواه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال : قال ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، و فرقوا بينهم في المضاجع**». .

والمقصود : التفريق بين الأبناء في المراقد ـ مواضع النوم ـ وذلك حذرًا

---

(١) أحمد ٦/ ١٥٢ ومسلم :٧/ ١١ ك السلام ب منع المخنث من الدخول على النساء، وأبو داود ح ٤١٠٧، ٤١٠٨ طـ الريان

(٢) انظر صحيح الترمذي :١/ ٢٣٥ ح ٤٠٧ وقال الألباني حسن صحيح وذكره في المشكاة ٥٧٢، ٥٧٣ .

من غوائل الشهوة إن كن أخوات، وهذا بدوره يعلم الأبناء ـ بنين وبنات ـ تجنب مواقف التُهَم والبعد عن الشبهات والشهوات، أو ما قرب منها وعليه فلا يترك ذكرًا ينام مع أنثى في فراش واحد فقد يكون ذلك ذريعة إلى نسج الشيطان بينهما بواسطة اتحاد الفراش لا سيما مع طول الأمد، وتعود ذلك، ، والرجل مع أهلة قد يعبث بالمرأة وهي في جواره ولا يشعر بذلك .

[٣٦٥] وفي مسند أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أيضًا قال : قال رسول الله ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع، وإذا أنكح أحدكم عبده أو أجيره فلا ينظر إلى شيء من عورته فإن ما أسفل من سرته إلى ركبتيه من عورته**».[(١)].

٨ـ النهي عن اختلاط الرجال بالنساء : ـ

لا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام والطواعين المتصلة، فمن أعظم أسباب الموت العام كثرة الزنا بسبب تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال، والمشي بينهم متبرجات، ولو علم أولياء الأمور ما في ذلك من فساد الدنيا والرعية ـ قبل الدين ـ لكانوا أشد شيء منعًا لذلك ...[(٢)]اهـ .

---

(١) سنن أبي داود، ك/ الصلاة، بـ/ متى يؤمر الغلام بالصلاة، ح/ ٤٩٥ ومسند أحمد تحقيق الشيخ / أحمد شاكر ح ٦٦٨٩ وأحمد تحقيق الأرنؤوط ٦٧٥٦ .

(٢) انظر صحيح فقه السنة لأبي مالك :٤/ ٢٨ نقلًا عن ابن القيم .

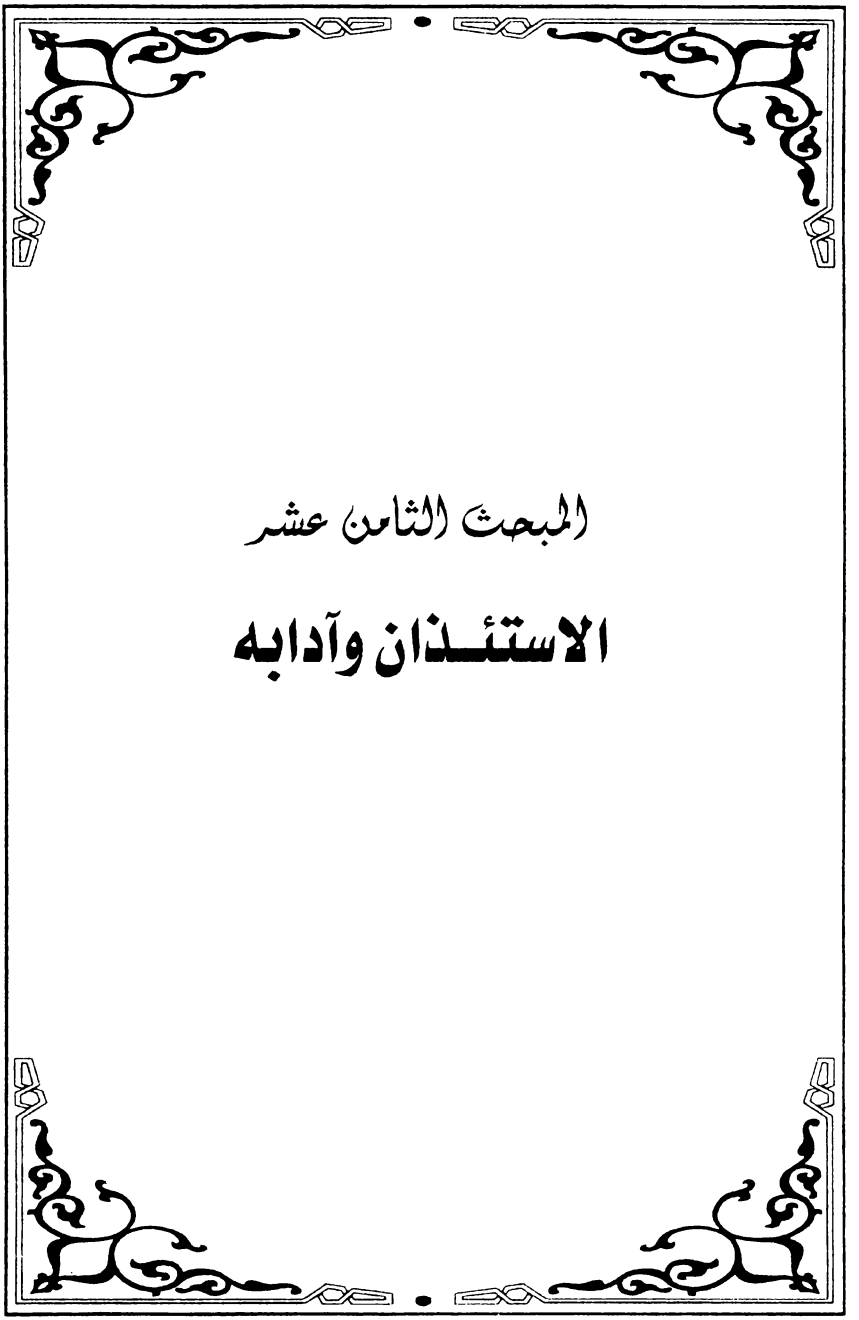

المبحث الثامن عشر

الاستئـــذان وآدابه

الاستئذان وآدابه

إن الله تعالى قد أنعم على المسلمين بنعمة السكن، وجعل كل واحد قيمًا على بيته، فهو مكان للدعة والراحة بعد كد الحياة ومشاقها و وعثاء السفر وكدر العيش، به يأنس العبد ببنيه، ويستريح في مخدعه، ويسكن إلى زوجته، فيهدأ خاطره ويلم شعثه، ويصفو جوه ويزول همه وكدره، ويأخذ قسطًا من الدَّعة والسكون بعد عناء طويل، وعلى هذا فلا يجوز التعدي على الناس في بيوتهم وسكنهم ومن ثم شرع الله تعالى آداب الاستئذان [1].

قال الدكتور الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم في كتابه الماتع (الأدب الضائع) : فقد ضمن الإسلام حق الفرد في ملك رقبة منزله، وأن يعيش فيه آمنًا مطمئنًا، محفوظًا من تطفل المتطفلين، وفضول الفضوليين، وعدوان الصائلين، حيث يُلْقى أعباء الحذر، ويتحرر من قيود التكلف، وحَجَرَ على الآخرين أن يطلعوا على ما فيه من خارجه، أو يَلِجُوه من غير إذن صاحبه قال الله تعالى في معرض الامتنان بنعمة المسكن: **﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ النحل** :٨٠ وإنما سُمِّيَ مسكنًا لأنه محل الارتياح والسكينة والاطمئنان والاستقرار، والأمان فالبيت هو آخر ملاذ لصاحبه فإذا فقد السكينة فيه، فإلى أين يذهب بعد بيته؟!

إن البيت كالحرم الآمن لأهله لا يستبيحه أحد إلا بعلم أهله وإذنهم، وفي الوقت الذي يريدون، وعلى الحالة التي يحبون أن يلقوا بها الناس، ولا يحل لأحد أن يتطفل على الحياة الخاصة بالأفراد، بالاستنصات والتجسس أو اقتحام البيوت، ولو بالنظر من قريب أو بعيد بمنظار أو بدونه، ... ولأمر ما

---

(١) صحيح فقه السنة لأبي مالك :٤/ ٢٨، نقلًا عن ابن القيم .

تواترت شكوى أهل العلم، عبر العصور، من إهمال الناس آداب الاستئذان حتى صارت بينهم ـ لشدة غربتها ـ كأنها شرع منسوخ ...[١] اهـ .

وقفات مع آية الاستئذان :ـ

قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٢] .

قال العلامة الشنقيطي في كتابه الرائق أضواء البيان: ٦/ ١٦٧: وفي تفسير هذه الآية الكريمة بما يناسب لفظها وجهان..

الوجه الأول:ـ أنه من الاستئناس الظاهر الذي هو ضد الاستيحاش، لأن الذي يقرع باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا، فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فإذا أُذنَ له أستأنس، وزال عنه الاستيحاش، ولما كان الاستئناس لازما للإذن أطلق اللازم، وأريد ملزومه الذي هو الإذن.. ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿ لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[٤]، وقال الزمخشري في هذا الوجه بعد أن ذكره: وهذا من قبيل الكناية والإرداف لأن هذا النوع من الاستئذان يردف الإذن فوضع موضع الإذن

الوجه الثاني:ـ في الآية يكون الاستئناس بمعني الاستعلام، والاستكشاف فهو استفعال من أنس الشيء إذا أبصره ظاهرًا مكشوفًا أو علمه. والمعنى حتى تستعملوا الحال هل يؤذن لكم أو لا وتقول العرب

---

(١) ك/ الأدب الضائع صـ٥:٦ط/ السلفية .

(٢) النور: ٢٧

(٣) الأحزاب: ٥٣

(٤) النور: ٢٨

استأنس هل ترى أحدًا، واستأنست فلم أر أحدًا، أي: تعرفت واستعملت، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾[1].

أي علمتم رشدهم وظهر لكم...

وقال رحمه الله تحت عنوان «**مسائل تتعلق بهذه الآية**».

المسألة الأولى :ـ اعلم أن هذه الآية الكريمة دَلَّتْ بظاهرها على أن دخول الإنسان بيت غيره بدون الاستئذان والسلام لا يجوز لأن قوله: ﴿**لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ **النور** :٢٧ نهى صريح، والنهى المتجرد عن القرائن يفيد التحريم على الأصح كما تقرر في الأصول.

المسألة الثانية : ـ اعلم أن الاستئذان ثلاث مرات يقول المستأذن في كل واحدة منها :السلام عليكم أأدخل فإن لم يؤذن له عند الثالثة فليرجع ولا يزد على الثلاث وهذا لا ينبغي أن يختلف فيه، لأنه ثابت عند النبي ﷺ ثبوتًا لا مطعن فيه ...[2]اهـ.

[٣٦٦] روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال :كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال :استأذنت على عمر ابن الخطاب ثلاثًا فلم يؤذن لي فرجعت، فقال :ما منعك؟ قلتُ : استأذنت ثلاثًا فلم يؤذن لي فرجعتُ، وقال رسول الله ﷺ: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع**». فقال :والله لتقيمن عليه بينة .أمنكم أحدٌ سمعه من النبي ﷺ؟ فقال أبيٌّ بن كعب : والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فَقُمْتُ معه، فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك.

قال المازري : صورة الاستئذان أن يقول :السلام عليكم أأدخل..اهـ

---

(١) النساء: ٦

(٢) أضواء البيان :٦/ ١٦٩ وانظر الفتح : ١١/ ٢٩ ح ٦٢٤٥

وبالطبع فإن هذا الأدب الذي صار مفقودًا في كثير من البلاد ليس المقصود منه إلا هذا السياج الذي وضعه الإسلام حول البيوت المسلمة لتكون آمنة وتبقى مطمئنة، بعيدة عن الضوضاء والقلق، وهذا النص الماضي أصل أصيل في آداب الاستئذان فلا يدخل حتى يستأذن ويسلم فيؤذن له بعد الثلاث مرات، أو ليرجع راشدًا فهذا خيرٌ له .وأما إن كان جاء في مهمة لا تحتمل التأخير ولم يسمع صوتهُ أحد لبعد المكان ونحو ذلك فليحاول حتى تؤدى المهمة على نحوها لأن الضرورات مقدرة بقدرها، وإنما أدب الاستئذان جاء لحرمة العورات والبيوت وصيانة للأعراض واحترام الآخرين وقد نقل الحافظ في الفتح ما يفيد ذلك :١١/ ٣٢ .

قال رحمه الله : وقال بعضهم :إذا لم يسمع فلا بأس أن يزيد

وروى سحنون عن ابن وهب عن مالك :لا أحب أن يزيد عن الثلاث إلا من علم أنه لم يسمع .قلت :وهو الأصح عند الشافعية قال ابن عبد البر : وقيل : تجوز الزيادة مطلقًا بناءً على أن الأمر بالرجوع بعد الثلاث للإباحة والتخفيف عن المستأذن، فمن استأذن أكثر فلا حرج عليه ..[1]اهـ .

المسألة الثالثة : ـ وينبغي للمستأذن أن يسمي نفسه أو يكنى بكنيته المعروفة المعلومة ولا يقول : أنا مجردة بدون التسمية، أو الكنية وذلك لما ثبت في صحيح البخاري.

[٣٦٧] من حديث محمد بن المنكدر قال: سمعت جابرًا ﷺ يقول **«أتيت النبي ﷺ في دينٍ كان على أبي، فَدققتُ الباب فقال من ذا؟ فقلت :أنا فقال :أنا أنا، كأنه كرهها»**[2].

إن النبي ﷺ يُعلِم ويربي المسلمين على معالي الأمور وحسن الخلق، مع

(١) البخاري في فتح الباري :١١/ ٢٩، ح/ ٦٢٤٥، ك/ الاستئذان

(٢) صحيح البخاري فتح الباري :١١/ ٣٧، ح/ ٦٢٥٠، ك/ الاستئذان

التواضع، فإذا استأذن ثلاثًا فلم يؤذن له رجع وينبغي أن يُعرف نفسه باسمه، ولا يقول (أنا) كلمة مجردة لأنها لا تدل على شيء ولذا كرهها ﷺ .

قال الحافظ: في الفتح :قال الخطابي :قوله (أنا) لا يتضمن الجواب، ولا يفيد العلم بما استعلمه، وكان حق الجواب أن يقول أنا جابر ليقع تعريف الاسم الذي وقعت المسألة عنه [1].

[٣٦٨] وقد أخرج المصنف في الأدب المفرد وصححه الحاكم من حديث بريدة «**أن النبي ﷺ أتى المسجد، وأبو موسى يقرأ . قال : فجئت . فقال: من هذا؟ قلت : أنا بريدة**» . .

وقال الحافظ: وحديث أم هانئ «**جئت إلى النبي ﷺ فقلت أنا أم هانئ**» .

قال النووي : إذا لم يقع التعريف إلا بأن يُكنِّى المرءُ نفسه لم يكره ذلك، وكذلك لا بأس أن يقول : أنا الشيخ فلان، أو القارئ فلان، أو القاضي فلان، إذا لم يحصل التعريف والتمييز إلا بذلك ..قال الحافظ : وقد وقع أخرج البخاري في الأدب المفرد .

[٣٦٩] من حديث أنس «**أن أبواب رسول الله ﷺ كانت تقرع بالأظافير**» . وأخرجه الحاكم في علوم الحديث من حديث المغيرة بن شعبة، وهذا محمول منهم على المبالغة في الأدب، وهذا حسن لمن قرب محله من بابه، أما من بعد عن الباب بحيث لا يبلغه صوت القرع بالظفر، فيستحب له أن يقرع بما فوق ذلك بحسبه ..اهـ

المسألة الرابعة : ـ قال الشنقيطي :إن المستأذن ينبغي له أن لا يقف تلقاء الباب بوجهه ولكن يقف عن يمينه أو يساره، ويستأذن وهو كذلك. .

قال الحافظ ابن كثير : ثم ليعلم أنه ينبغي للمستأذن على أهل المنزل أن لا يقف تلقاء الباب ولكن ليكن الباب عن يمينه أو يساره، ثم ساق حديثين

---

(١) الفتح :١١/ ٣٨

نسبهما إلى أبي داود .

[٣٧٠] من رواية عبد الله بن بشر قال «**كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم، لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول : السلام عليكم السلام عليكم**».

وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور، انفرد به أبو داود

[٣٧١] والحديث الثاني من طريق الأعمش عن طلحة عن هزيل قال «جاء رجل. قال عثمان فوقف سعد مستقبل الباب، فقال له النبي ﷺ «**هكذا عنك، أو هكذا عنك فإنما الاستئذان من النظر**». ..[1]اهـ .

المسألة الخامسة : ـ ينبغي على الرجل أن يستأذن على أمه وأخته وبنيه وبناته البالغات حتى لا تقع عينيه على ما لا يحل له النظر إليه .

قال الحافظ في الفتح : يشرع الاستئذان على كل أحد حتى المحارم، لئلا تكون منكشفة العورة .

عن نافع، عن ابن عمر أنه كان إذا بلغ بعض ولده الحلم عزله، فلم يدخل عليه إلا بإذن.[2]

وقال الشارح (الحلم) البلوغ، اعلم أن أدنى مدة البلوغ اثنتا عشرة سنة، ولذا تسقط هذه المدة من الميت الذكر، ثم يحسب ما بقى من عمره ... اهـ .

والبلوغ يكون بإنزال المني، وهو مبلغ الحلم أو بإنبات العانة والشعر حول الفرج أو تمام خمس عشرة سنة .

[٣٧٢] عن علقمة قال جاء رجل إلى عبد الله، قال «**أأستأذن على أمي؟ فقال ما على كل أحيانها تحب أن تراها**».[3].

---

(١) أضواء البيان :٦/ ١٧٦ بتصرف

(٢) البخاري في الأدب المفرد في شرح فضل الله الصمد: ٢/ ٣٩٧، رقم: ١٠٦٢

(٣) البخاري في الأدب المفرد في شرح فضل الله الصمد :٢/ ٣٩٧، رقم :١٠٦٢

وعن أبي إسحاق قال :سمعت مسلم بن نذير يقول :سأل رجل حذيفة فقال :أستأذن على أمي؟ فقال :إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره [١]. اهـ .

قال الشنقيطي في أضواء البيان :٦/ ١٧٨، قال الحافظ في الفتح ...ومن طريق موسى بن طلحة دخلت مع أبي على أمي، فدخل واتبعته، فدفع في صدري، وقال تدخل بغير إذن؟! ومن طريق عطاء سألت بن عباس أستأذن على أختي؟ قال: نعم، قلت إنها في حجري قال أتحب أن تراها عريانة؟ قال : وأسانيد كل هذه الآثار صحيحة ..اهـ من الفتح .

وقال الشنقيطي وهذه الآثار عن هؤلاء الصحابة تؤيد ما ذكرنا من الاستئذان على من ذكرنا، ويفهم من الحديث الصحيح «إنما جعل الاستئذان من أجل البصر». من وقوع البصر على عورات من ذكر لا يحل كما ترى .

وذكر ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية ـ آية الإستئذان ـ بسنده عن ابن مسعود قال :وقال أشعث، عن عدى بن ثابت، أن امرأة من الأنصار قالت : يا رسول الله ﷺ إني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها والد ولا ولد، وإنه لا يزال يدخل عليَّ رجلٌ من أهل بيتي وأنا على تلك الحال . فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النور:٢٨.

المسألة السادسة: ـ

إذا لم يأذن صاحب البيت فليرجع المستأذن راشدًا قال الشيخ المقدم في كتابه الماتع الأدب الضائع :وقد دَلَّ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ على حالة الاعتذار الضمني، فربما كان في البيت صاحبه لكنه لم يشأ أن يرد على المستأذن، فيصدق على المستأذن أنه لم يجد فيها أحدًا ...وأما إذا

(١) الأدب المفرد :٢/ ٣٩٨، رقم :١٠٦٣

استأذن شخص ثلاثة، أو أقل وأجيب بقول صاحب الدار :ارجعوا هو أزكى لكم، فالواجب الانصراف فورًا، وهو على يقين أن هذا أفضل له، بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُم﴾ [النور:٢٨].

قال المقدم في كتاب الأدب الضائع ص٧٢: إذن الواجب على من لم يؤذن له أن ينصرف فورًا، ولا يجوز له أن يقف على الباب، ولا يلح في الاستئذان، أو يتكلم بقبيح الكلام، ولا يقعد على الباب لينتظر، لأن للناس حاجات وأشغالًا في المنازل، فلو قعدت على الباب وانتظرت ضاق ذرعهم، وشغل قلبهم، ولعله لا تلتئم حاجاتهم، فكان الرجوع خيرًا له ولهم. اهـ.

[نقلًا عن بدائع الصنائع للكاساني]

ونقل الحافظ ابن كثير عن قتادة قال: (فمن لم يؤذن له فيهن فليرجع، أما الأولى: فليُسمع الحي؛ وأما الثانية: فليأخذوا حذرهم؛ وأما الثالثة: فإن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردوا، ولا تقفنّ على باب قوم ردوك عن بابهم؛ فإن للناس حاجات، ولهم أشغال، والله أولى بالعذر) [تفسير ابن كثير:٦/ ٤١].

المسألة السابعة:

إن المسلم قد أمره الله تعالى بإصلاح نفسه وأهل بيته من أجل أن يقيهم الله بذلك عذاب الخزي في الآخرة والأولى: ﴿**يَاأَيُّهَا الذينَ آمَنُوا قُوا أنفسَكُمْ وأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاس والحِجَارَةُ عليْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم:٦].

فواجب على الراعي أن يؤدب أهل بيته بالكتاب والسنة الصحيحة لتكون البيوت مقامة على الشرع راسخة لا تلعب بها العواصف الهوجاء ولا الضلالات والأهواء، قال تعالى: ﴿**ويُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَواتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا**﴾ [النساء:٢٧].

وعلى هذا فينبغي أن يعلم أن الاستئذان ليس خاصًّا بخارج البيوت، ولكن في بيتك إذا دعت ضرورة شرعية فالإذن وارد واجب مُحَتَّمٌ لعموم قول النبي ﷺ: «إنما جُعل الاستئذان من أجل البصر» ـ وقد سبق تخريج هذا الحديث من قبل ـ، فقد يكون الرجل مقيمًا في بيت أسرة كاملة مع إخوته الذكور، وأخواته الإناث، ومعه أعمام وأزواج لإخوته، فساعتها أيدخل عليهم بدون استئذان ونحن نعلم أن خطورة الحمو كخطورة الموت؟!

وهذا ما لا يرضاه شرعنا المطهر الحنيف.

قال ابن عطية في كتاب المحرر الوجيز ١٠/ ٤٧٦ :

بيت الإنسان هو البيت الذي لا أحد معه فيه، أو البيت الذي فيه زوجته، وأمته، وما عدا هذا غير بيته .اهـ .

وقال الشيخ أبو الحسن المنوفي ـ رحمه الله ـ:

الاستئذان واجب وجوب الفرائض، وقد انعقد الإجماع على وجوبه، فمن تركه فهو عاص لله ولرسوله، فإذا كان كذلك فلا تدخل بيتًا فيه أحد حتى تستأذن ثلاثًا، سواء كان ذلك الأحد مَحْرمًا أو غيره مما لا يحل له النظر إلى عورته [1]..اهـ .

قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وعن عطاء قال: سألت ابن عباس، فقلت: استأذن على أختي ؟ فقال نعم، فأعدت فقلت: أختان في حجري وأنا أمونهما، وأنفق عليهما، استأذن عليهما ؟ قال: نعم أتحب أن تراهما عريانتين ؟! ثم قرأ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

(١) كتاب كفاية الطالب الرباني نقلًا من كتاب الأدب الضائع لمحمد بن إسماعيل المقدم صـ١٠٧

آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمُ الآيَاتِ وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾قال «فلم يؤم هؤلاء إلا بإذن في هذه العورات الثلاث»قال:

﴿ وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ قال ابن عباس فالإذن واجب على الناس كلهم.(١)

(١) صحيح الأدب المفرد:ح٨١١

المبحث التاسع عشر

الخوف من الظلم

﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ العَذَابَ أَنَّ القُوَّةَ لله جَمِيعًا وَأَنَّ الله شَدِيدُ العَذَابِ... ﴾ [البقرة:١٦٥]

أولًا: الظلم: في اللغة: ـ

هو كل من وضع شيئًا في غير موضعه فقد ظلم . فكأن الظلم هو الذي يزيل الحق عن جهته ويأخذ ما ليس له .هذا وما أشبهه [١].

ثانيًا: ظلم يأتي على تسعة أ وجه : ـ

(١) **الشرك** : ـ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ **الأنعام** :٨٢ يشهد لهذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ **لقمان: ١٣**

وقال تعالى: ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٤٥] وكقوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ العِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٥٤] والآية حكاية عن قول كليم الله تعالى لقومه إذ عبدوا العجل من دون الله تعالى؛؛ وقوله تعالى حكاية عن إهلاك قوم نوح – عليه السلام- إذ قال سبحانه وتعالى:﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[هود:٣٧]

(٢) **وتأتي هذه اللفظة ويقصد بها الذنب** من غير الشرك أي ظلم العبد لنفسه من غير شرك يصيبه .قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ **الطلاق** :١ وقد وردت في سورة الطلاق في معرض الحديث عن أحكامه فمن قصر وتعدى هذه الأحكام ولم يشرك فقد ظلم نفسه بذلك التعدي من غير الشرك وعرضها للمحاسبة يوم القيامة ؛؛ وكقوله تعالى حكاية عن ذي النون ـ عليه السلام ـ ﴿لا إِلَهَ إِلاأَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ **الأنبياء** :٨٧ .

---

(١) الغريب لابن قتيبة :١/ ٢٤٨

وكقوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ [القصص: ١٦] وواضح أن الكليم ـ عليه السلام ـ لما وكز القبطي وكزه ليدفعه عن الظلم مات القبطي عن غير قصد منه ـ عليه السلام ـ فاستغفر ربه ورجاه فغفر له ﴿ فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦]

وآدم ـ عليه السلام ـ لما أكل من الشجرة فاعترف وتاب إلى ربه هو وزوجه ﴿ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣] فغفر الله لآدم ـ عليه السلام ـ هو وزوجته قال تعالى: ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢٢]

ولما دعا ذو النون ـ عليه السلام ـ ربه قال: ﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[الأنبياء: ٨٧] فاستجاب له ربه ونجاه من الغم، هذا حتى لا يأتي غير واع ولا فاقه فيحرف الكلم عن مواضعه، ويتكلم عن جناب الأنبياء بما لا يطيق فيحاسب حساباً لا يطيق

(٣) الظلم بمعنى القتل:ـ

قال تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِفْ فِي القَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ الإسراء: ٣٣ وقوله تعالى في الكلام عن القتل ظلمًا. **﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾** النساء: ٣٠.

(٤) الظلم بمعنى النقص :ـ

قال تعالى: **﴿كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا﴾** الكهف:٣٣ يعني لم تنقص شيئًا ؛ وقوله تعالى: **﴿وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾** مريم: ٦٠.

أي: لا ينقصون فضلًا ولا برًا كقوله **﴿وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾** النساء: ٧٧.

(٥) الظلم بمعنى ظلم الناس والجور عليهم، وأذاهم .

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الشورى:٤٢.

وقال تعالى:﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى الله إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الشورى: ٤٠.

(٦) الظلم بمعنى الضرر .

قال تعالى:﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُون﴾ البقرة: ٥٧.

(٧) الظلم بمعنى الجور .

قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ الزخرف:٧٦ أي: كفار مكة لم يظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم بالتعدي والكفر، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الله لَيْسَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ الحج :١٠.

(٨) ظلم بمعني جحد القرآن والتوراة والإنجيل : ـ

قال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ الأعراف:٩ أي يجحدون وقال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ الإسراء:٥٩ أي جحدوا بها .

(٩) الظلم بمعنى السرقة : ـ

قال تعالى: حكاية عن إخوة يوسف لَمَّا أذن رجل عليهم ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا العِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ يوسف: ٧٠ الآية في سورة يوسف.

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ يوسف:٧٥ أي السارقين وكقوله تعالى في سورة المائدة. ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ الله يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ المائدة:٣٩ فقوله من بعد ظلمه أي من بعد سرقته .

القرآن يتحدث عن عقوبات الظالمين

(١) عذاب الدنيا للكافرين الظالمين :ـ

قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ البقرة:٥٩.

(٢) هذا العذاب بئيس غليظ :ـ

قال تعالى:﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ الأعراف: ١٦٥ .

(٣) بغض الله للظالمين :ـ

قال تعالى: ﴿وَاللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ آل عمران: ٥٧ وكون الله لا يحبهم فلذلك توابع منها أن جبريل ـعليه السلامـ سيبغضهم ومن ذلك بغض الملائكة أجمعين مع وضع البغضاء لهم في الأرض وعدم التوفيق .

(٤) ضلال الظالمين وعدم توفيقهم إلى الهدى :ـ

قال تعالى: ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ إبراهيم: ٢٧.

وضلالهم يكون في الدنيا فيحول بينهم وبين التوفيق والخير وتركهم لأنفسهم الأمارة بالسوء ليكونوا كالهباء في جو السماء، أو القشة في مهب الريح المعرضة لتقاذف الرياح .فعند الموت لا يوفق للنطق بكلمة التوحيد وعند القبر لا يوفق لجواب الملكين فيقول هاه هاه سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته فتبدأ رحلة العذاب والضنك المستمر في القبر حيث تختلف عليه أضلاعه ويقرع بمقامع من حديد مع اشتعال القبر عليه نارًا مع وجود ألوان أخرى من العذاب العظيم، وهكذا إذا قام ليوم القيامة تبدأ الإهانات حتى يصطلي بنار جهنم ـ عياذًا بالله تعالى ـ والله تعالى لا يمنحه هداية لا في الدنيا ولا في الآخرة قال تعالى: ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ البقرة:٢٥٨.

(٥) لا يجدي مع الظالمين شيء يوم القيامة ولا يقبل منهم عتاب .

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ غافر:٥٢.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ فصلت: ٢.

(٦) لا ينفعهم صديق ولا شفيع :ـ

قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ غافر: ١٨ وقال الله حكاية عنهم لما دخلوا النار وذاقوا مس سقر قال تعالى:﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ۝ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء:١٠٠ـ ١٠٢.

(٧) تهديدهم بالعذاب .

قال تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الفرقان: ٣٧ وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ﴾ الطور: ٤٧ كما قال سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ الزخرف: ٦٥ وقال سبحانه: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾ سبأ: ٤٢ كما قال سبحانه: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ مريم: ٧٢ أي في النار ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لله جَمِيعًا وَأَنَّ الله شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ البقرة: ١٦٥.

(٨) لا يقبل منهم فدية :ـ

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ﴾ يونس: ٥٤ وقال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ الحديد:١٥. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ المائدة:٣٦.

تحريم الظلم وبشاعته في السنة المطهرة

إن النبي ﷺ ـ كان ينهى عن الظلم بكل أشكاله وألوانه، ويوم القيامة سيوفى كل امرئ حقه بل كل مخلوق حتى الأنعام سوف تحشر يوم القيامة لفصل القضاء وإقامة القصاص ولا أدلَّ على ذلك من قوله تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾ **الأنعام**:٣٨ ويوم القيامة سيقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء **ذات القرن** فكل من له حق من الحقوق وإن كان ضئيلًا قليلًا صغيرًا أو حقيرًا سوف يوفاه يوم القيامة ﴿**ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾ **البقرة**: ٢٨١ وعليه فقد حذر النبي ﷺ ـ من الظلم بكل أشكاله وأنواعه .

(١) الظلم ظلمات يوم القيامة :ـ

[٣٧٣] عن جابر بن عبد الله ﷺ ـ أن رسول الله ﷺ ـ قال «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دمائهم، واستحلوا محارمهم**».[(١)].

في هذا الحديث يحذر النبي ﷺ ـ المسلمين من الظلم بشتى أنواعه ويأمر باتقائه وتحاشيه فإن المرء إذا ظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وعلى هذا فإن الأعمال التي تورث صاحبها نورًا يوم القيامة تتأثر بتلك الظلمات من أعمال الظلم والمعاصي فلعلها تتأثر بها فتحجب عن نورها، أو تتغشاها بتلك الظلمات المخيفة فتكون العاقبة خسرًا، فليحذر امرؤ مراقب لله من ذلك كله ،.

وفي شرح النووي لهذا الحديث قال القاضي : وقيل :هو على ظاهره فيكون ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيامة سبيلًا حتى يسعى نور

---

(١) صحيح مسلم:٨/ ١٨، ك/ البر والصلة والآداب، ب/ تحريم الظلم والحديث رواه أحمد : ٣/ ٣٢٣ .

المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم، ويحتمل أن الظلمات هنا : الشدائد، وبه فسروا قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ﴾ الأنعام: من الآية٦٣ أي: شدائدهما، ويحتمل أنها عبارة عن الأنكال والعقوبات...اهـ .

وقوله ـ ﷺ ـ «**اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم**». قال القاضي: يحتمل أن هذا الهلاك الذي أخبر به في الدنيا بأنهم سفكوا دمائهم ويحتمل أنه هلاك الآخرة ،وهذا الثاني أظهر، ويحتمل أنه أهلكهم في الدنيا والآخرة اهـ .

[٣٧٤] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال «**مَنْ ضَرَبَ بسوطٍ ظلمًا، اُقْتُصَّ منه يوم القيامة**».(١).

[٣٧٥] وعن عمار بن ياسر أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال «**من ضرب مملوكه ظالمًا أُقِيدَ منه يوم القيامة**».(٢).

[٣٧٦] عن جابر أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال«**من باع ثمرًا، فأصابته جائحة، فلا يأخذ من مال أخيه شيئًا، علام يأكل أحدكم مال أخيه**».(٣).

[٣٧٧] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ «**منْ قذفَ مملوكه بالزنا، يقام عليه الحد يوم القيامة، إلا أن يكون كما قال**».(٤).

[٣٧٨] وحديث ابن عمر قال رسول الله ـ ﷺ ـ «**من مات وعليه دينار أو درهم، قصَّ من حسناته يوم القيامة، ليس ثَمَّ دينار ولا درهم**». (٥).

(٢) النهي عن الإعانة في الظلم : ـ

[٣٧٩] عن ابن عمر قال :قال رسول الله ﷺ: «**من أعان على خصومه**

---

(١) صحيح الجامع، ح/ ٦٣٧٤، والصحيحة ٢٣٥٢

(٢) صحيح الجامع ٦٣٧٦، والصحيحة ٢٣٥٢

(٣) صحيح الجامع ٦١١٧، وحسنه الألباني

(٤) صحيح الجامع ٦٤٦٢

(٥) صحيح الجامع ٦٥٤٦، وصححه الألباني

بظلمٍ أو يعين على ظلم، لم يزل في سخط الله حتى ينزع».[١].

[٣٨٠] وفي لفظ أبي داود (جلسنا لعبد الله بن عمر، فخرج إلينا فجلس، فقال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول «**من حالت شفاعته دون حدٍّ من حدود الله فقد ضادَ الله، ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع عنه، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال**»[٢].

إن المسلم ينبغي أن تكون وجهته لله، فلا يصح أن يكون دونيًا طينيًا صغيرًا ناقص العقل، وعليه أن يكون عالي الهمة واضح الوجهة والشخصية، يعرف كيف يتحرك وبم يتحرك، ولِمَ يتحرك، وفي أي وقت يتراجع أو يخطو أو يسكن وهذا كله في إطار رضى الله تعالى ومن أجله وحده، فالعامل يجب أن يكون تحركه لله في السر والعلن والعسر واليسر، والرضا والغضب فالخصام من أجل الله فرض محتم ولكن بشروطه وقيوده وضوابطه الشرعية، لأن الله ربه ومولاه أما من أعان على خصومه بظلم فقد شاق الله وحاده وضاده، وهو قائم في مساخط الله، وحتى يتم الأمر الشرعي فلا شفاعة في الحدود خاصة إذا وصل الأمر إلى الحاكم، لأن هذا الأمر لا تجوز فيه الشفاعة .

(٣) النهي عن تغيير معالم الأرض وحدودها وسرقتها : ـ

[٣٨١] روى البخاري في صحيحه قال حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا حسين عن يحيى بن أبي كثير قال :حدثني محمد بن إبراهيم، أن أبا سلمة حدثه أنه كانت بينه وبين أُناسٌ خصومة، فذكر لعائشة رضى الله عنها فقالت : يا أبا سلمة اجتنب الأرض فإن النبي ـ ﷺ ـ قال «**مَنْ ظلم قيد شبرٍ من**

---

(١) ابن ماجه ك/ الأحكام، ح/ ٢٣٢٠، بـ/ من ادعى ما ليس له وخاصم فيه وصحيح ابن ماجه ٢٣٢٠ وذكره الألباني في والإرواء :٧/ ٣٥٠ .

(٢) سنن أبي داود، ك/ الأقضية، ح/ ٣٥٩٧ وأصله عند أحمد :٢/ ٧٠

الأرض طَوَّقه من سبع أرَضين».[1] ومعنى الحديث أن من غير منار الأرض ومعالمها وضم إلى أرض ما ليس له بحق فإنه يطوق هذه الأرض سبع أرَضين في القيامة لا أرضًا واحدة، قال العلماء كما في الفتح :ـ

أحدهما :ـ أن معناه أن يكلف نقل ما ضم منها يوم القيامة إلى المحشر ويكون كالطوق في عنقه، لا أنه طوق حقيقة .

الثاني : ـ أن معناه أنه يعاقب بالخسف إلى سبع أرَضين أي فتكون كل أرض في تلك الحالة طوقًا في عنقه .

[٣٨٢] ولأبي يعلى بإسناد حسن عن الحكم بن الحارث السلمي مرفوعًا **«من أخذ من طريق المؤمنين شبرًا جاء يوم القيامة يحمله من سبع أرَضين».**

قال الحافظ :ونظير ذلك ما تقدم في الزكاة في حديث أبي هريرة في حق من غلَّ بعيرًا جاء يوم القيامة يحمله.

وقد روى ابن أبي شيبة بإسناد حسن من حديث أبي مالك الأشعري: أعظم الغلول عند الله يوم القيامة ذراع أرض يسرقه رجل فيطوقه من سبع أرَضين».اهـ .

[٣٨٣] وعن موسى بن عقبة، عن سالم عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ ـ **«من أخذ شبرًا من الأرض بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرَضين»**[2].

(٤) تحذير وتخويف النبي ﷺ ـ المسلمين من عاقبة الظلم :ـ

قد يظلم الإنسان مرة ولا تنزل عليه عقوبة توقظه مما هو فيه، وليس هذا دليلًا على أنه في مأمن أو أنه على خير ولم يكسب إثمًا!! ليس كذلك بل

---

(١) البخاري الفتح :٥/ ١٢٣، ك/ المظالم والغصب، بـ/ إثم من ظلم شبرًا من الأرض ح ٢٤٥٢ ٢١٩٨

(٢) البخاري الفتح :٦/ ٣٣٨ ،ك/ بدأ الخلق، بـ/ ما جاء في سبع أرَضين، ح ٣١٩٥، ٣١٩٦

العكس؛ لأنه لو كان كريمًا على ربه لأراه رؤيا يخيفه فيها من عاقبة صنعه وسوء فعله أو يرزقه بمن يصحح له المسار ليرعوي وينزجر عن الغي والظلم ولكنه هان على الله فأملى له وتركه لنفسه وشيطانه حتى إذا لقيه حاسبه على كل ما اقترفت يداه وساعتها فإنه لا يفلت من عقوبات الله الذي يملي للظالم.

وفي ذلك يقول: ﴿**ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيرٌ لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثمًا ولهم عذابٌ مهينٌ**﴾ [آل عمران:١٧٨]، وفي سورة المؤمنون بيَّن الله أن حسابات الظالمين لا تستقيم فقال سبحانه: ﴿**أيحسبون أنما نمدهم به من مَالٍ وبَنِين * نُسَارِعُ لهم في الخيراتِ بل لا يَشْعُرون**﴾ [المؤمنون:٥٥، ٥٦].

[٣٨٤] وعن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**» قال: ثم قرأ: ﴿**وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القُرى وهي ظالمة إن أخذه أليمٌ شديدٌ**﴾ [هود:١٠٢]»[(١)].

ومعنى «**إن الله ليملي للظالم**» أي: يمهله، ومعنى قوله «**حتَّى إذا أخذه لم يفلته**» أي: إذا عاقبه لا يرفع عنه العذاب ولا يخفف عنه ما نزل به.

[٣٨٥] وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«**صنفان من أهل النار لم أرهما قومٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا، وكذا**»[(٢)].

---

(١) البخاري الفتح، ك/ التفسير، ب/ قوله ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة﴾.

(٢) صحيح مسلم: ٦/ ١٦٨، ك/ صفة الجنة ونعيم أهلها، ب/ النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء. وانظر مسلم أيضًا: ٨/ ١٥٥.

وهذا الحديث من أعلام نبوته ﷺ إذ أنه أخبر عن شيء لم يره ولا شك أن الله أطلعه على ذلك ﴿**وما كان الله ليطلعكم على الغيب**﴾ [آل عمران: من الآية١٧٩] ، ولكنه أذن لرسوله ـ ﷺ ـ بهذا وكل من ضرب الناس بغير وجه حق فهو محاسب حتى اللطمة فما دونها، وعليه فهذا الحديث عام في كل من ظلم وهذا مخيف إن لم يتب الظالمون، لقوله عليه السلام: «صنفان من أهل النار لم أرهما...» وأما الكلام عن الكاسيات العاريات فهذا قد ورد الكلام فيه عند الحديث عن الحجاب.

[٣٨٦] وفي حديث رافع مولى أم سلمة قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال ـ ﷺ ـ : «**يوشك إن طالت بك مدة أن ترى قومًا في أيديهم مثل أذناب البقر يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط الله**»[(١)]، وهذا يدل على أن الذي يعذب الناس يروح ويغدو في سخط الله وغضبه تأهيلًا له للإهانة في الدنيا مع ما ينتظره من عذاب الله يوم القيامة ﴿ **وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ**﴾ آل عمران: ١٧٩ وقال سبحانه: ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ**﴾ إبراهيم: ٤٢ وفي رواية لمسلم أيضًا.

[٣٨٧] أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال «**إن طالت بك مدة أوشكت أن ترى قومًا يغدون في سخط الله ويروحون في لعنته في أيديهم مثل أذناب البقر**»[(٢)].

٥ـ خصائص المسلمين لا يعكرها ظلم :ـ

إن المسلم له هويته وشخصيته التي صنعت من خلال القرآن والسنة: ليس غشومًا ولا ظلومًا لا حقودًا ولا حسودًا ولكنه الهين اللين الذي سلم منه

---

(١) مسلم، ك/ صفة الجنة ونعيم أهلها، ب/ النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

(٢) مسلم٨/ ١٥٥.ك/ صفة الجنة ونعيم أهلها، بـ/ النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء. ومسند أحمد: ٢/ ٣٠٨، ٣٢٣ .

إخوانه وسلم منه الناس إلا في حق شرعي مأذون فيه شرعًا فيه من الله برهان لا غَبَشَ عليه أما أن يسلك الناس بلسان حاد يكاد يفري أكبادهم، ويشنع عليهم فهذا ليس من الإسلام في شيء إنما تلك خصال أعداء الإسلام كما أخبر الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ الممتحنة:٢ أما المسلم فإنه يراعي حقوق الأخوة فلا يظلم ولا يهتك سترا ولايلوك بلسانه عرضًا إن كان يرجو الله واليوم الآخر، .

[٣٨٨] عن عقيل، عن ابن شهاب، أن سالمًا أخبره أنَّ عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أخبره، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسْلِمُهُ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فَرَّجَ الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة**»[1].

قوله: (**لا يظلمه**) فيه نهي وإن كان خبرًا لأن ظلم المسلم لأخيه حرام اتفاقًا، ومعنى (**ولا يسلمه**)أي لا يتركه لمن يؤذيه بالقول أو الفعل بل ينصره ويدفع عنه ويؤازره ويواسيه ويشاركه الأفراح و الأقراح ولا يتركه للخطوب التي نزلت به وهو أخوه في الله تعالى قوله: (**ومن فرج عن مسلم كربة**) يعني :الغمة التي تأخذ النفس ويضيق لها الصدر والله يعامل العبد من خلال معاملته للناس فعلى قدر رحمته يرحمه الله وعلى قدر مغفرته للخلق يغفر الله له، وعلى قدر ستره يستره الله في الآخرة والأولى، والجزاء من جنس العمل فمن صَفَّى صُفِّي له ومن كَدَّر كُدِّر عليه .

[٣٨٩] وروى مسلم في صحيحه قال :حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سَرْح المصري أخبرنا ابن وهب، عن عمرو بن

(١) صحيح مسلم ،ك/ المظالم و الغصب، ب/ لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه

الحارث عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول «**إنَّ رجلًا سأل رسول الله ﷺ :أي المسلمين خير؟ قال من سلم المسلمون من لسانه ويده**». (١).

قال النووي : وقوله ـ ﷺ ـ (**من سلم المسلمون من لسانه ويده**) قالوا معناه : المسلم الكامل وليس المراد نفي أصل الإسلام عن من لم يكن بهذه الصفة، بل هذا كما يقال : العالم زيد :أي الكامل أو المحبوب، كما يقال :الناس العرب، والمال الإبل، فكله على التفضيل لا الحصر، ويدل على ما ذكرناه من معنى الحديث قوله (**أي المسلمين خير؟**) قال (**من سلم المسلمون من لسانه ويده**) ثم إن كمال الإسلام والمسلم متعلق بخصال أخر كثيرة، وإنما خَصَّ ما ذكر لما ذكرناه من الحاجة الخاصة ...اهـ

(٦) النهي عن التحاسد والتباغض والنجش لأن ذلك ظلم : ـ

[٣٩٠] عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ـ «**لا تحاسدوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا ويُشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كُل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه** » وفي رواية «**...إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأشار بإصبعه إلى صدره**»(٢).

(لا يخذله) أي لا يتركه وحيدًا بلا معونة، ولا نصرة فإذا احتاجه وجده بجواره، وقوله (**ولا يحقره**) أي لا يحتقره أو يزدريه، ولا يستصغره ويستقلُّهُ .

---

(١) صحيح مسلم :١/ ٤٨، ك/ الإيمان ،ب/ تفاضل الإسلام وأيُّ أموره أفضل وأصله في البخاري باختلاف في الألفاظ في الفتح :٥/ ١١٦ ك المظالم ح ٢٤٤٢ .

(٢) أحمد :٢/ ٢٧٧و٢/ ٣١١ و:٢/ ٣٦٠ ومسلم :٨/ ١٠ و٨/ ١١ ك البر والصلة ب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله .

(٧) تحريم الظلم بكل أنواعه :ـ

[٣٩١] عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذرٍّ، عن النبي ﷺ ـ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا** ...الحديث».[1].

في هذا الحديث قال شيخ الإسلام بن تيمية في الفتاوى ١٨/ ١٣٦ وما بعدها ففيه مسألتان كبيرتان كل واحدة منها ذات شعب وفروع .

إحداهما: ـ في الظلم الذي حرمه الله على نفسه، ونفاه عن نفسه بقوله ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ هود: ١٠١ وقوله ﴿ وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٤٩ وقوله ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فصلت:٤٦ وقوله ﴿ إِنَّ الله لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ النساء: ٤٠ وقوله ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ النساء: ٧٧ ونفى إرادته في الظلم بقوله ﴿ وَمَا الله يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران: ١٠٨ .

وقوله ﴿وَمَا الله يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ غافر: ٣١ ونفى خوف العباد له فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا﴾ طـه:١١٢.

فإن الناس تنازعوا في هذا الظلم تنازعًا صاروا فيه بين طرفين متباعدين ووسط بينهما، وخيار الأمور أوسطها... ونظير تحريمه على نفسه وايجابه على نفسه ما أخبر من قَسَمِه ليفعلنَّ، وكلمته السابقة كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ يونس: ١٩ وقوله تعالى: ﴿ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾ هود: ١١٩ وقوله ﴿ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ إبراهيم: ١٣ .

وقوله «وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا» قال ينبغي أن يعرف أن هذا الحديث شريف القدر عظيم المنزلة، ولهذا كان الإمام أحمد يقول :هو أشرف

---

(١) رواه مسلم ،ك/ البر والصلة والآداب بـ/ تحريم الظلم

حديث لأهل الشام، وكان أبو إدريس الخولاني . إذا حَدَّث به جثا على ركبتيه... وهو من الأحاديث الإلهية التي رواها الرسول ﷺ ـ عن ربه، وأخبر أنها من كلام الله تعالى، وإن. لم تكن قرآنا ... وأما هذه الجملة الأولى وهي: **(حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا)**.

فإنها تجمع الدين كله، فإن ما نهى الله عنه راجع إلى الظلم وكل ما أمر به راجع إلى العدل، ولهذا قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ**﴾ الحديد: ٢٥.

وأخبر أنه أرسل رسله وأنزل الكتاب والميزان لأجل قيام الناس بالقسط، وذكر أنه أنزل الحديد الذي ينصر به هذا الحق، فالكتاب يهدي والسيف ينصر، وبعد كلام له واستطراد قال رحمه الله ولهذا كان العدل أمرًا واجبًا في كل شيء وعلى كل أحد، والظلم محرمًا في كل شئ، فلا يحل ظلم أحد أصلا، سواء كان مسلمًا أو كافرًا أو كان ظالمًا، بل الظالم يجب فيه العدل أيضًا .قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ المائدة :٨.

وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قوم :ـ أي لا يحملنكم شنئان قوم ـ وهم الكفار ـ على عدم العدل . . وقال تعالى: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ**﴾ النحل: ١٢٦ وقال تعالى: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا**﴾ **الشورى**: ٤٠.

وقد دل على هذا في الحديث قوله «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا**» فإن هذا الخطاب لجميع العباد أن لا يظلم أحدٌ أحدًا، وأمر العالم في الشريعة مَبْنيٌّ على هذا، وهو العدل في الدماء والأموال والأبضاع، والأنساب، والأعراض، ولهذا جاءت السنة بالقصاص في ذلك ...[1] اهـ بتصرف كبير وتقديم وتأخير .

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام / ابن تيمية :١٨/ ١٣٦ وما بعدها وفيه يشرح الشيخ أشرف حديث لأهل الشام شرحًا نادرًا فانظره .

(٨) مطل الغني ظلم : ـ

[٣٩٢] عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**مطل الغني ظلم، وإذا أُتْبِعَ أَحَدُكُم على مَلِيءٍ فَلْيَتْبَعْ**».(١).

المطل هو منع ما يستحق قضاؤه أو أداؤه أي تأخير حق الناس مع وجود المئونة، والمال فإذا كان الرجل مدينًا وقد رزق مالًا يسدد به دينه فلماذا يتأخر مع وجود المال .فهذا قد جعله الشارع ظلمًا وهضمًا للحقوق قال النووي في شرح مسلم قال بعضهم : وفيه دلالة لمذهب مالك والشافعي والجمهور أن المعسر لا يحل حبسه ولا يحل ملازمة ولا مطالبة حتى ييسر ...وقد اختلف أصحاب مالك وغيرهم في أن المماطل هل يفسق وترد شهادته حتى يتكرر ذلك منه قال : ومقتضى مذهبنا اشتراط التكرار ..وجاء في الحديث ـ في غير مسلم ـ «لَيُّ الواجد يُحِلُّ عرضه وعقوبته» أي من كان مدينًا ورزق مالًا يسدد به ولكنه كتم وظلم فهذا يقتضي أن يُشكى إلى القاضي ولا حرمة له عندئذ فيقول المظلوم للقاضي :ظلمني ومطلني، وعقوبته الحبس والتعزير ...اهـ بتصرف كبير وقوله ﷺ: «**وإذا أُتْبِعَ أَحَدُكُم على مَلِيءٍ فَلْيَتْبَعْ**» أي إذا أحيل أحدكم على غني يضمن هذا المال فمن باب التعاون ونصرة المسلم، ودفع الهم والخزي عنه فليتبع أي يقبل أن يحاول عليه فيدفع الدين على سبيل الندب لا الوجوب على الراجح، وعليه فيحرم على الغني القادر المماطلة في الدين، وفي الحديث أن تأخير قضاء الدين عن وقته حرام شرعًا ومن أغناه الله ورزقه فماطل فهو ظالم آثم وهذا بخلاف العاجز الفقير فإنه معذور قال تعالى:﴿**وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة : ٢٨٠] .

وقال الخطابي : في قوله «**مطل الغني ظلم**» دلالة على أنه إذا لم يكن غنيًا

---

(١) أحمد :٢/ ٢٤٥ و ٢/ ٢٥٤ والبخاري :٣/ ١٢٣ ومسلم ك المساقاة ب تحريم مطل الغني :٥/ ٣٤ وأبو داود ح ٣٣٤٥ وابن ماجه ٢٤٠٣ والنسائي :٧/ ٣١٦ و ٧/ ٣١٧ .

لا يجد ما يقضيه لم يكن ظالمًا، وإذا لم يكن ظالمًا لم يجز حبسُهُ لأن الحبس عقوبة، ولا عقوبة على غير ظالم، وقال القرطبي: منع ما استحق أداؤه مع التمكن من ذلك.

وهذا الحديث السابق يذكرنا بجميل خلال هذا الدين القيم والتي تدعوا إلى التناصر والمشاركة للمسلمين في الأفراح والأتراح، ولا يترك المسلم لديْنه حتى يكاد أن يقتله أو يَفُتَّ في عضده فيؤرقه ويسهر ليله ولذلك فإن رسول الله ـ ﷺ ـ أمر بنصر المسلم ظالمًا أو مظلومًا فلينصر بأي حال وعلى أي وضع ولكن النصر بضوابط شرعية معلومة .

[٣٩٣] عن أنس بن مالك، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**أنصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالمًا؟ قال : تأخذ فوق يديه**».[١].

هذا يعني أنك مسؤول عن نصر المسلم بكل حال ظالمًا كان فينبغي ألا تتركه لهواه وشيطانه يوردانه الموارد ويعرضانه للمقت والغضب أو لدعوة مظلوم في الأسحار تعكر صفوه وتكدر عيشه وربما قصمت ظهره لأنه ليس بينها وبين الله حجاب فينبغي أن تذكره بالله تعالى والدار الآخرة حتى ينزجر ويرعوي عندها تكون قد حجزته عن الظلم وأخذت على يديه وقمت بدورك المطلوب منك شرعًا، وإن كان مظلومًا وقفت بجواره حتى تدفع عنه ظلمه وتنصره بإعادة حقه إليه .

[٣٩٤] عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ ﷺ ـ يقول سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**إذا رأيتم أمتي تهاب الظالم، أن تقول له : إنك أنت ظالم فقد تُوُدِّع منهم**»[٢] وقال رسول الله ـ ﷺ ـ «**قد يكون في أمتي خسف ومسخ وقذف**».

---

(١) أحمد :٣/ ٩٩ والبخاري :٩/ ٢٨ و:٣/ ١٦٨ والبخاري في الفتح :٥/ ١١٨ ك المظالم والغصب، انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا ح ٢٤٤٤

(٢) أحمد :٢/ ١٦٣ـ١٩٠، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال رواه أحمد والبزار بإسنادين ورجال أحمد رجال الصحيح

[٣٩٥] وقد ثبت في الصحيح أيضًا الأمر بنصر المظلوم، فعن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال أمرنا رسول الله ـ ﷺ ـ بسبع ونهانا عن سبع، فذكر: «**عيادة المريض واتباع الجنائز، وتشميت العاطس وردّ السلام، ونصر المظلوم، وإجابة الداعي، وإبرار القسم**».(١).

(٩) التحذير من دعوة المظلوم : ـ

[٣٩٦] عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن معاذًا ـ رضي الله عنه ـ قال : بعثني رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فأدعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**».(٢).

فقد حذر النبي ـ ﷺ ـ من الظلم في هذا الحديث ومن دعوة المظلوم فإنها تخترق الحجب وينصرها الله ولو بعد حين هذا حتى إن كان المظلوم ليس دينا أو كان عاصيًا أو فاسقًا ففسقه على نفسه لا يحل لأحد أن يظلمه إلا إن تعدى حدًا للشرع، أو أضر غيره فهذا أمر آخر له أحكام أخرى .

[٣٩٧] ولذلك كان رسول الله ـ ﷺ ـ يتعوذ من الظلم، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ «**تعوذ بالله من الفقر والعلة والذلة وأن تَظلم أو تُظلم**».(٣)

هذا لأن النبي ـ ﷺ ـ فصل القول في إجابة دعوة المظلوم .

---

(١) أحمد :٤/ ٢٨٤ والبخاري :٢/ ٩٠ و :٧/ ٣١ ومسلم :٦/ ١٣٥ .

(٢) أحمد :١/ ٢٣٣ ح ٢٠٧١ تحقيق الشيخ أحمد شاكر :٣/ ٣٤٢ وقال إسناده صحيح وأخرجه البخاري :٢/ ١٣٠ و:٩/ ١٤٠ ومسلم :١/ ٣٨

(٣) أبو داود، ح/ ١٥٤٤ والنسائي :٨/ ٢٦١، وابن ماجه ح/ ٣٨٤٢ ،وفي جامع الأصول ٤:/ ٣٥٦، وقال محققه إسناده حسن .

[٣٩٨] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ «**ثلاث دعوات مستجابات، دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده**». (١)

[٣٩٩] **وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ** «ثلاثة لا يرد دعاؤهم الذاكر الله كثيرًا، ودعوة المظلوم والإمام المقسط». (٢).

وقال الزبيدي رحمه الله تعالى :ـ إن المظلوم إذا شكا إلى الله تعالى اقتضى عدل الله تعالى الإيقاع بظالمه، فيحب الله تعالى أن يجهر المظلوم بالشكوى، ليكون الإيقاع بالظالم مبسوط العذر عند الخلق، وزجرًا لأمثاله عن أمثال فاعله ....(٣)اهـ

وقال ابن القيم :الإنسان خلق في الأصل ظلومًا جهولا، ولا ينفك عن الظلم والجهل، إلا بأن يعلمه الله ما ينفعه، ويلهمه رشده، فمن أراد به خيرًا علمه ما ينفعه فخرج به عن الجهل، ونفعه بما علمه فخرج به عن الظلم، ومن لم يرد به خيرًا أبقاه على أصل الخلقة، فأصل كل خير هو العلم والعدل، وأصل كل شر هو الجهل والظلم، وقد جعل الله تعالى للعدل المأمور به حدًا، من جاوزه كان ظالمًا معتديًا وله من الذم والعقوبة بحسب ظلمه وعداوته ...اهـ

وقد سمعت أبي رحمه الله يقول كلامًا عذبًا مؤثرًا في حال صغري.

لا أزل أذكره حتى الساعة قال رحمه الله ـ وليس هذا من إنشاء أبي رحمه الله ـ قال : إذا أراد الله بعبد خير ألهمه الطاعة، وألزمه القناعة، وفقهه في الدين، وعضده باليقين، فاكتفى بالكفاف واكتسى بالعفاف، وإذا أراد به شرًا حبب إليه المال وبسط منه الآمال وشغله بدنياه ووكله إلى هواه فركب الفساد وظلم العباد، والثقة بالله أزكى أمل، والتوكل عليه أوفى عمل من لم يكن له من دينه واعظ لم

---

(١) انظر الأدب المفرد صـ١٦٩ ،ح/ ٤٨٤، وصحيح الجامع ح/ ٣٠٣٠، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٩٨)

(٢) صحيح الجامع :٢/ ٧٢، والصحيحة :٣/ ٢١١ـ٢١٢، وحسن إسناده

(٣) كتاب الآداب الشرعية :١/ ٢٤

تنفعه المواعظ، من سره الفساد ساءه المعاد، لا يغرنك صحة نفسك وسلامة أمسك، فمدة العمر قليلة وسلامة النفس مستحيلة، ومن ثمرة العلوم العمل بالمعلوم، ومن وكِّل إلى هواه باع دينه بدنياه ...[١] اهـ.

قصاص في يوم الخلاص

يقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ النساء: ٤٠ ويوم القيامة يوم الإنصاف وإحقاق الحق وإرجاع كل حق إلى صاحبه كاملًا غير منقوص بالقسط ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الكهف: ٤٩ وهنالك يفرح المظلوم لكونه سيجد حسنات غير متوقعة عساها تغير مساره بإذن ربه فتربو في القيامة حسناته أو تنقص سيئاته أو تعلو درجاته فهو على أي نحو وفي أسوأ الظروف سوف يستفيد ممن يستفيد ممن ظلمه فوائد غير متوقعة، وهذا الكلام فيه زجر للظالم ليرحم نفسه ويقف عند حدّه وليعلم أن من ورائه ملائكة يسطرون كل ما جنت يداه، واقترف من إثم، وفي هذا الكلام أيضًا سلوى للمظلومين، فلينتظروا يومًا قريبًا ينصرهم فيه الله ﴿وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ النساء: ٤٩.

[٤٠٠] عن أبي سعيد الخدري ﷺ ـ عن رسول الله ﷺ ـ قال: «إذا خلص المؤمنون من النار، حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا تُقُّوا وهُذِّبوا، أُذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أَدَلّ بمنزله كان في الدنيا ...الحديث».[٢].

ومعنى قوله (فيتقاصون): تتبع مظالمهم وإسقاط بعضها من بعض وبدقة وفصل، ومعنى قوله (حتى إذا نقوا)أي نظفوا وطهروا من هذه المعايب والذنوب، وقوله (هُذِّبوا)أي: تخلصوا من تلك الآثام والذنوب .

---

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم نقلًا عن نضرة النعيم :١٠/ ٤٩٢٥

(٢) البخاري ،ك/ المظالم والغصب ،بـ/ قصاص المظالم ، وفي الفتح ح ٢٤٤٠

(١) إرشاد الشرع إلى التحلل من المظالم في الدنيا قبل الآخرة :ـ

[٤٠١] عن أبي هريرة ـ ﷺ ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ «من كانت له مظلمة لأخيه، من عرضه أو أي شئ، فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أَخَذَ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أُخِذَ من سيئات صاحبه فَحُمِلَ عليه».[١].

إن الخطورة الكامنة في شؤم السيئات أن الإنسان ربما زحزح عن النار بحسنة، وربما جاءت سيئة من عظائم السيئات فأطاحت بالحسنة فكما أن الحسنات تذهب السيئات فإن هناك سيئات موبقات قد تطيح ببعض الحسنات، أو كلها كالرياء وكالتقديم بين يدي الله ورسوله، أو ترك صلاة العصر عامدًا حتى يذهب وقتها على التفصيل في ذلك .هذا في حق الله تعالى وقد يغفره سبحانه أما ما يتعلق بحقوق البشر فلا مناص من القصاص .المخيف أن يأتي الإنسان بحسنات بيضاء مصفاة من كل غش ودنس وشوائب، وعلى حين بغتة يجد أن هذه الحسنات التي أصلها أعمال صالحة خالصة مقبولة قد لاح فجرها وحان جنى جناها والتنعم بها فيأتي المظلومون يتقاسمونها بالقسط فتتـقطع نفس الظالم على رأس ماله الأخروي حسرات فلا هو يستطيع أن يردَّ إلى الدنيا ليتدارك ما فات ولا مجال للعمل في الآخرة ليجمع من خلاله حسناته أو يأخذ هو سيئات لهم اقترفوها فتأتي فتطرح على كاهل المسكين فيدفع بها في عذاب الحريق بعد أن كان مآله ـ لولا ذاك ـ الجنة فيالها من ندامة قتالة فتاكة وياله من موقف عظيم في اليوم العظيم .

وهذه المعاصي التي يكون فيها القصاص قد تكون في الأموال أو النفس أو الأعراض أو الجراحات حتى اللطمة ونحوها، فقد أتى المسكين بصلاة

---

(١) البخاري .ك/ المظالم والغصب، بـ/ من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له، وفي الفتح ح ٢٤٤٩ و ٦٥٣٤.

وصيام وزكاة وحج وقد قذف هذا، وشتم هذا، وضرب هذا، وسفك دم هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه فأدخل النار، ولا تظنن أن ثمت تعارضًا بين هذا الذي أنبأك به النبي ﷺ - وبين قوله جل اسمه - : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: من الآية١٦٤] .

لأن الجاني إنما عوقب بما كسبت يداه فوقع تحت حكم الآية والحديث معًا

(٢) أول ما يقضى فيه يوم القيامة بين الناس الدماء:-

[٤٠٢] عن أبي وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ - **«أول ما يقضى بين الناس في الدماء»**.(١).

أي أن القضاء بين الناس يوم القيامة يبدأ بالقضاء في الدماء : أي الأمر المتعلق بالدماء، وفيه دليل على تشنيع أمر القتل وحرمة المسلم . قال النووي : وهذا لعظم أمرها - الدماء - وكثير خطرها وليس هذا الحديث المشهور في السنن «أول ما يحاسب به العبد صلاته». لأن هذا الحديث الثاني فيما بين العبد وبين الله تعالى، وأما حديث الباب فهو فيما بين العباد....(٢)اهـ .

[٤٠٣] وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : **«يجيء الرجل آخذًا بيد الرجل، فيقول : يارب :هذا قتلني، فيقول: الله له لم قتلته؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لك، فيقول فإنها لي .ويجيء الرجل آخذًا بيد الرجل فيقول :إن هذا قتلني، فيقول: الله له : لم قتلته؟ فيقول لتكون العزة لفلان، فيقول : إنها ليست لفلان فيبوء بإثمه»**(٣) .

---

(١) البخاري .ك/ الديات، ب/ قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ ،ح/ ٦٣٥٧

(٢) مسلم بشرح النووي .ك/ القسامة والمحاربين والقصاص والديات ،ب/ المجازاة بالدماء في الآخرة وأنها أول ما يقضى فيه .

(٣) سنن النسائي في كتاب تحريم الدم، ب/ تعظيم الدم :٧/ ٨٤ وقريبًا منه في الترهيب في صحيح الجامع الصغير ح ٨٠٣١ و ٨٠٣٢ .

فكم من دماء أريقت في سبيل الشيطان ومن غير ما سبب وكم من رقاب أطيح بها لتكون الغلبة والعزة لطواغيت مردة وكم من حرمات استباحها من لا خلاق لهم، وقد نسوا أو تناسوا أنهم سيحاسبون في ساحة القضاء ليروا ما قد كسبوا بينا كاملًا لم يترك منه شيء ﴿أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ﴾ المجادلة: ٦ وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ مريم: ٨٤ ساعتها سوف يبهتون ويندهشون لكثرة ما تعلق بهم وسطِّر عليهم فيقولون ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الكهف: ٤٩.

[٤٠٤] عن ابن عباس، عن النبي ﷺ ـ قال: «يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسهُ في يده، وأوداجه تَشْخَبُ دمًا يقول يارب قتلني ...الحديث»[1].

(١) سنن النسائي ،ك/ تحريم الدم ،ب/ تعظيم الدم

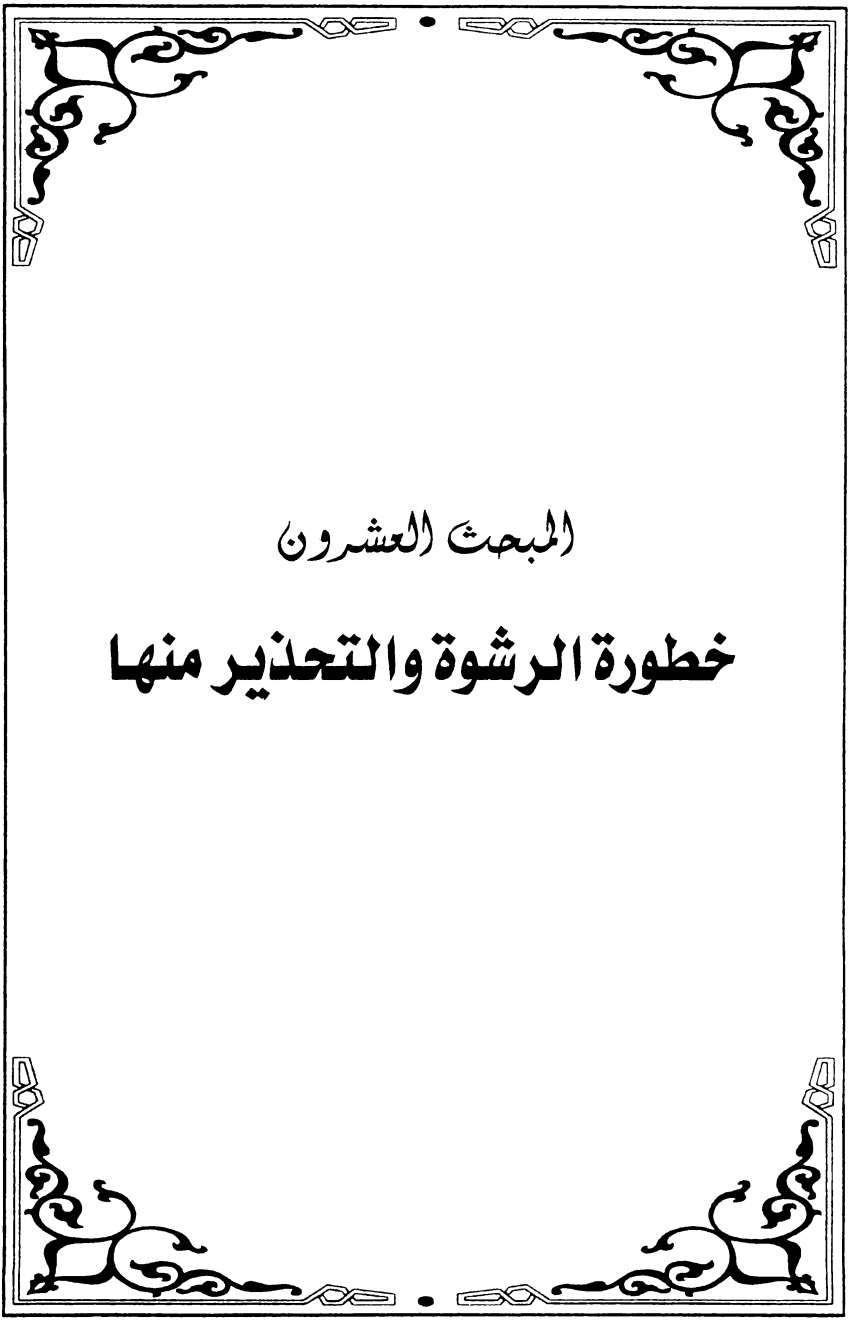

المبحث العشرون

خطورة الرشوة والتحذير منها

أولًا : تعريف الرشوة لغة :

قال الجوهري :الرِشوة بالكسر، والرُشوة بالضم وجمعها رشىً، ورشًا ، وارتشى: أي أخذ الرشوة، واسترشى في حكمه : طلب الرشوة عليه .[١]

وقال ابن منظور: الرَشوُ فعل الرشوة، والمراشاة : المحاباة، والرَشوة بالفتح والرِشوة بالكسر والرُشوة بالضم : الجعل :...[٢]اهـ.

ثانيًا الرشوة اصطلاحًا :ـ

قال الفيومي: الرشوة : ما يعطيه الشخص الحاكم وغيره ليحكم له أو يحمله على ما يريد .اهـ.

وقال الجرجاني : الرشوة :هي ما يُعطى لإبطال حق أو إحقاق باطل .اهـ التعريفات للجرجاني .

ثالثًا بين يدي هذا المبحث : ـ

إن الله تبارك وتعالى بيَّن شرعه، ورسخ قواعد، وفَصّل معالمه من أجل أن يعرف كل امرئ ماله وما عليه. وكون المرء يسطو على حق غيره، ويلتهم ماله بدون وجه حق كبرًا وظلمًا وغصبًا فهذا يعني أن تعاليم الشرع ما أثرت في القلب وعليه يبقى هذا القلب متلبسًا بركام الجاهلية العفن، لا يعنيه ما يأكل أحلال هو أم حرام؟!! وساعتها تتفشى في المجتمعات الأحقاد الدفينة، ويصطلي بنار الحسد وتحكمه قوانين الغابة ويصبح عاريًا من كل فضيلة فيكثر الهرج ويقل العدل والقسط وتضرب القلوب بعضها ببعض فيكون بأسهم بينهم شديدًا فتمزقهم حمية الجاهلية، ويكونوا عرضة لكل عدو ليطمع فيهم كل حاقد، ويبيتوا عرضة للضياع والمقت ولأجل. أن يعيش المسلمون الولاء والحب والتعاون والسعادة

---

(١) انظر الصحاح :٦/ ٢٣٥٧، نقلًا من نضرة النعيم :١٠/ ٤٥٤٢

(٢) نفس المصدر السابق :نضرة النعيم :١٠/ ٤٥٤٢

بيَّن الله للناس شرعتهم فأحل ما يشيع بين الناس الصفاء والود كالقرض الحسن، والصدقة، الطيبة من الكسب الطيب ونادى بالإخوة والاعتصام بالكتاب والسنة ونهى عن كل ما من شأنه أن يُمزق المجتمعات من أكل أموال الناس بالباطل نحو الرشوة والمقامرة ونحوها .

رابعًا : آيات من القرآن حول هذا المبحث :ـ

(١) ـ قال تعالى: **﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة : ١٨٨ .**

معاني الكلمات:

(**بالباطل**) خلاف الحق، والباطل ذاهب زائل زاهق.

(**وتدلوا**) الإدلاء بالشيء : إلقاؤه . والمراد هنا إعطاء القضاة والحكام الرشوة ليحكموا لهم بالباطل حتى يتوصلوا إلى أموال غيرهم .

(**فريقًا من أموال الناس**) : أي :طائفة وقطعة من المال .

(**بالإثم**) المراد به هنا الرشوة وشهادة الزور، واليمين الفاجرة، أي الحلف بالكذب ليقضي القاضي لهم بالباطل في صورة الحق .

بيان هذه الآية :ـ

﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

المراد من الأكل ما يعم الأخذ والاستيلاء، وعَبَّر به لأنه أهم الحوائج ـ به يحصل إتلاف المال غالبًا ـ والمعنى: لا يأكل بعضكم مال بعض فهو على حدِّ **﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾**... والمراد من (الباطل) الحرام كالسرقة، والغصب، وكل ما يأذن بأخذه الشرع وقوله: **﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾** عطف على تأكلوا فهو منهي عنه مثله مجزوم بما جُزِمَ به، وجوز نصبه بأن مضمرة ....أي :لا تتوصلوا بها إلى حكام السوء، أو لا تلقوا بحكومتها والخصومة

فيها إلى الحكام وقيل :لا تلقوا بعضها إلى حكام السوء على وجه الرشوة، وقوله (**لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ**) لتأكلوا (أي بالتحاكم والرفع إليهم فريقًا أي قطعة) وجملة (**مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ**) أي : بسبب ما يوجب إثمها كشهادة الزور واليمين الفاجرة ويحتمل أن تكون الباء للمصاحبة أي :متلبسين بالإثم ...[1]اهـ.

قال الحافظ الذهبي : قال العلماء : فالراشي هو الذي يعطي الرشوة والمرتشي هو الذي يأخذ الرشوة، وإنما تلحق اللعنة الراشي إذا قصد بها أذية مسلم أو ينال بها ما لا يستحق، أما إذا أعطى ليتوصل إلى حق له، ويدفع عن نفسه ظلمًا فإنه غير داخل في اللعنة، وأما الحاكم فالرشوة عليه حرام ـ أبطل بها حقًا أو دفع بها ظلمًا ـ ....[2]اهـ .

أمـــا والله لـــو علـــم الأنـــامُ ... لمـــا خلقـــوا لمـــا هجعـــوا وناموا
لقد خلقـــوا لمـــا لـــو أبصرتـــه ... عيون قلوبهـــم تاهـــوا وهامـــوا
ممـــات ثـــم قبـــر ثـــم حشـــر ... وتـــوبيخ وأهـــوال عظـــام
ليـــوم الحشـــر قـــد عملـــت ... رجال فصلوا مخافة منه وصامـــوا
ونحـــن إذا أمـــرنا أو نهيـــنا ... كأهـل الكهف أيقـاظ نيـــام

ما ترشد إليه الآية الكريمة :ـ

١ـ حرمة أكل مال اليتيم بغير حق سواء كان بسرقة أو بغصب أو غشٍّ، أو احتيال أو مغالطة .

٢ـ حرمة الرشوة التي تدفع للحاكم ليحكم بغير الحق .

٣ـ مال الكافر غير المحارب كمال المسلم في الحرمة إلا أن مال المسلم أشد حرمة لحديث (**كل المسلم على المسلم حرام دمه، وعرضه، وماله**) ولقوله

(١) انظر تفسير الآلوسي :٢/ ٣٤٤ ، ٣٤٥ بتصرف.
(٢) كتاب الكبائر صـ ١٣٢ للذهبي.

تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾ وهو يخاطب المسلمين .

٤ـ حكم الحاكم لا يحل الحرام سواء كان أموالًا أو فروجًا لهذه الآية [٤٠٥] ، ولقول الرسول ﷺ في حديث أم سلمة في الصحيحين «**ألا إنما أنا بشرٌ، وإنما يأتيني الخصم، فلعلَّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من نار فليحملها أو ليذرها**».[١]...[٢]

(٢) وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللهِ مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ القِرَدَةَ وَالخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠) وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (٦١) وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[٣]

معاني ألفاظ الآيات :ـ

قوله تعالى: (مثوبة :أي جزاءً) وقوله (فاسقون : أي خارجون)؛وقوله (الخنازير أي:الحيوان المستقذر المعروف)؛ وقوله (شرٌّ مكانًا :أي منزلة يوم القيامة في نار جهنم)؛ وقوله (يكتمون :أي يضمرون في نفوسهم ويخفون فيها)؛وقوله (الإثم والعدوان :أي هو كل ضار وفاسد، وهو ما حرمه الله تعالى من اعتقاد أو قول أو عمل، والعدوان الظلم)؛ وقوله (السحت :هو المال الحرام كالرشوة والربا وما يأخذونه بدون وجه حق وبتحريف الكلم وتأويله)؛ وقوله (الربانيون والأحبار:الربانيون هنا العُبَّاد المربون كمشايخ التصوف عندنا ؛والأحبار :العلماء ....)[٤].اهـ.

---

(١) كتاب الكبائر صـ١٣٢ للذهبي .

(٢) انظر أيسر التفاسير:١/ ١٦٩، ١٧٠ .

(٣)أيسر التفاسير: ١٦٤٨

(٤) أيسر التفاسير :١/ ٦٤٨

المعنى العام للآيات :

﴿**قل هَلْ أنبئكُم بشرٍّ من ذلك**﴾ المخاطب بكاف الجمع أهل الكتاب المتقدم ذكرهم والكفار مطلقًا، أو المؤمنون والمشار إليه الأكثر الفاسقون، وتوحيد اسم الإشارة لكونه يشار به إلى الواحد وغيره، أو لتأويله بالمذكور ونحوه، وفي الكلام مقدَّرٌ: أي بشرٍّ من حال هؤلاء، وقيل: المشار إليه المتقدمون الذين هم أهل الكتاب ...

وقوله: ﴿**مَثُوبةً عند الله**﴾ أي: جزاءً ثابتًا عند الله. قال الراغب: الثواب ما رجع إلى الإنسان من جزاء أعماله، وسمِّيَ به بتصور أن أعماله راجعة إليه كقوله: ﴿**فَمَن يَعمَلْ مِثقالَ ذرَّةٍ خَيْرًا يَرَه**﴾ [الزلزلة:٧].

وقوله تعالى: ﴿**مَن لَعَنَهُ اللهُ**﴾ أو بِشَرٍّ من ذلك من لعنه الله، أو خبر محذوف: أي هو من لعنه الله وهم اليهود، أبعدهم الله من رحمته، وسخط عليهم بكفرهم وانشغالهم بالمعاصي بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وخنازير، وهم أصحاب السبت، ﴿**وعَبَدَ الطَّاغوتَ**﴾ والمراد بالطاغوت: العجل، أو الكهنة وكل من أطاعوه في معصية الله تعالى. ﴿**أولئكَ شَرٌّ مَكَانًا**﴾ أولئك أي: الملعونون الممسوخون كأن شرهم أثر في مكانهم، أو عظم حتى صار مجسمًا... ثم بين تعالى علامات كمال شرهم وضلالهم بقوله: ﴿**وإذَا جاءُوكم**﴾ يعني سفلة اليهود ويقال المنافقون ﴿**قالوا آمَنَّا**﴾ أي بك ونعتك في كتابنا ﴿**وقد دَّخَلُوا بالكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ**﴾ أي: دخلوا إليكم متلبسين بكفر السر وخرجوا من عندكم متلبسين به فهم مستمرون عليه ﴿**وترَى كثيرًا منهم**﴾ أي اليهود ﴿**يُسَارِعُون في الإثْم**﴾ أي: الحرام، كالكذب والعصيان من غير مبالاة من الله ولا من الناس ﴿**والعُدْوان**﴾ أي: الظلم والاعتداء على الناس ﴿**وأَكْلِهِمُ السُّحْتَ**﴾ أي: الحرام كالرشا، وخصّه بالذكر مع اندراجه في الإثم للمبالغة في التقبيح وفيه دلالة على تحريم الرشا، لأن ذلك ورد في كبرائهم أنهم يأخذون الرشوة في تغير الحكم.

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قوله تعالى ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ لولا: أي هَلا ﴿يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ﴾ أي الزهاد والعباد منهم ﴿وَالأَحْبَارُ﴾ أي العلماء ﴿عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ﴾ أي: الكذب

﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ أي الرشوة المفسدة أمر العالم كله[1].

هذه هي أخلاق اليهود التي أوردتهم الموارد وكانت سببًا في المسخ الذي حلَّ بهم والذل الذي ضرب عليهم والمسكنة التي غشيتهم والبأس الشديد الذي كان بينهم وحلَّ أرضهم، والتشرذم الذي كان شيمة لهم، والرعب الذي كتب عليهم بما قدمت لهم أنفسهم، والعقوبات التي كتبت عليهم إذ قال تعالى عنهم: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ العَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]

فانظر إلى هذا المسخ الذي حدث لهم ولا تزال آثاره حتى الآن باقية

(٣) وقال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[3]

وهكذا ينزل المقت بسبب الذنوب والمعاصي عامة، والمتعلقة بحقوق العباد خاصة، قوله تعالى ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ وهو ما تقدم ذكره من نقضهم الميثاق وكفرهم بآيات الله وبهتانهم على مريم، قوله: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ

(١) انظر محاسن التأويل للقاسمي :٦/ ٢٠٥٢ـ٢٠٥٥ بتصرف
(٢) الأعراف:١٦٦ـ١٦٧
(٣) النساء:١٦٠ـ١٦١

طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ وهي ما ذكر في سورة الأنعام، فقال ﷻ ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾

﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾ أي وبصدهم أنفسهم وغيرهم ﴿عَنْ سَبِيلِ الله ﴾ أي عن دين الله صدًا كثيرًا ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ أي في التوراة﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ﴾ من الرشا في الحكم والمآكل التي يصيبونها من عوامهم، عاقبناهم بأن حرمنا عليهم طيبات كانت حلالا لهم، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (١) [الأنعام:١٤٦]

وقال الجزائري في تفسيره حول هذه الآية: ١/ ٥٧٣، ما زال السياق في اليهود من أهل الكتاب يبين جرائمهم ويكشف الستار عن عظائم ذنوبهم، ففي الآية ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ الله كَثِيرًا﴾ سجل عليهم الظلم العظيم والذي به استوجبوا عقاب الله تعالى حيث حرَّم عليهم طيبات كثيرة كانت حلالا لهم، كما سجل أقبح الجرائم وهي صدهم أنفسهم وصد غيرهم عن سبيل الله وقبولهم الرشوة في إبطال الأحكام الشرعية...اهـ (٢)

فوائد من الآيات:ـ

١ـ المعاصي تورث الحرمان من خير الدنيا والآخرة.

٢ـ حرمه الصد عن الإسلام ولو بالسلوك الشائن والمعاملة الباطلة.

---

(١) انظر مختصر تفسير البغوي صـ٢١٤ اختصار د/ عبد الله الزبير، جمعية إحياء التراث.

(٢) انظر أيسر التفاسير: ١/ ٥٧٤ بتصرف.

٣ـ حرمة الربا وأنه موجب للعقوبة في الدنيا والآخرة.

٤ـ حرمة أكل أموال الناس بالباطل كالسرقة والغش، والرشوة...اهـ

(٤) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّها الذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنكُم وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُم إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُم رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ [النساء:٢٩، ٣٠].

قال الآلوسي في تفسير هذه الآية ﴿يَا أَيُّها الذِينَ آمَنُوا...﴾ الآية: بيان لبعض المحرمات المتعلقة بالأموال والأنفس... وفيه إشارة إلى كمال العناية بالحكم المذكور.. والمراد من الأكل سائر التصرفات، وعبَّر به لأنه معظم المنافع، والمعنى: لا يأكل بعضكم أموال بعض، والمراد بالباطل ما يخالف الشرع كالربا والقمار والبخس والظلم.

قال السدي: وهو المروي عن الباقر ـ وعن الحسن: هو ما كان بغير استحقاق من طريق الأعواض، وأخرج ابن جرير عنه وعن عكرمة أنهما قالا: كان الرجل يتحرج أن يأكل عند الناس بهذه الآية التي في سورة النور ﴿وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]

والقول الأول أقوى لأن ما أكل على وجه مكارم الأخلاق لا يكون أكلًا بالباطل وقد أخرج ابن أبي حاتم والطبراني بسند صحيح عن ابن مسعود أنه

(١) النور: ٦١

قال في الآية : إنها محكمة ما نسخت ولا تنسخ إلى يوم القيامة ...﴿إلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ أي إلا أن تكون التجارة صادرة عن تراض منكم، أو إلا أن تكون الأموال أموال تجارة .... وحاصل المعنى : لا تقصدوا أكل الأموال بالباطل، لكن اقصدوا ....أي تجارة عن تراض ...اهـ[1].

١ـ **ما هو الباطل؟** الباطل : اسم لكل ما لا يحل كالربا والرشا والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الفاجرة ..وجحد الحق .

٢ـ **المقصود بلفظ أموالكم؟**.

قال الرازي: قوله تعالى ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ يدخل تحته أكل مال الغير بالباطل، وأكل مال نفسه بالباطل، لأن قوله ﴿ أَمْوَالَكُمْ﴾ يدخل فيه القسمان معًا كقوله: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾

يدل على النهي عن قتل غيره وعن قتل نفسه بالباطل .

أما أكل مال نفسه بالباطل فهو إنفاقه في معاصي الله، وأما أكل مال غيره بالباطل فمعروف وقد أشرنا إليه آنفًا .

٣ـ **هذا التراضي مشروط ومضبوط** بالشرع فإن الرضى بالحرام لا يجعله حلالًا وكل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط فمن رضي بالربا فقد ارتضي الحرام والمسلم يرضى ما الله رضيه وأذن فيه سبحانه وتعالى .

٤ـ **قد يسمي بعض الناس الحرام بأسماء أخرى** ليخفف حدة الحرمة عند العوام وهذا لا يُحِلُّ حلالًا فقد تسم الربا فائدة والرشوة عمولة والخمر مشروبات روحية ونحو ذلك وكله من تلبيس إبليس .

٥ـ **لقد عرضت بلقيس على نبي الله سليمان مالًا** في صورة هدية، وكانت امرأة فذة عاقلة قالت: فإن كان نبيًا عرفناه وإن كانت الأخرى أدركنا حلًا

(١) انظر روح المعاني للألوسي :٤/ ٢٩، ٣٠ .

لمشاكل الجيش .ولما جاء الوفد و وصل إلى سليمان ـعليه السلامـ فماذا قال للوفد؟ ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل:٣٦] ولم يكن هذا المال الذي رده سليمان عليه السلام إلا رشوة في صورة هدية فلم يقبلها مع تغيير اسمها.

٦ـ الفرق بين الرشوة والهدية قال ابن القيم: الفرق بين الرشوة والهدية وإن اشتبهتا في صورة القصد، فهذا الراشي الملعون على لسان رسول الله ﷺ فإن رشَا لدفع الظلم عن نفسه اختصالمرتشي وحده باللعنة، وأما المُهدى فقصده استجلاب المودة والمعرفة والإحسان فإن قصد المكافأة فهو مُعارض، وإن قصد الربح فهو مستكثر ...[١]

٧ـ إن اليهود لما غيروا واحتالوا وخادعوا لعنهم الله.

[٤٠٦] فعن ابن عباس رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله اليهود، إن الله حرَّم عليهم الشحوم، فباعوها وأكلوا ثمنها، وإن الله إذا حرَّم على قوم أَكْلَ شيء حرَّم عليهم ثمنه**». [٢].

[٤٠٧] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «**لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم**».[٣]. وفي حديث ابن عمرو مرفوعًا«**لعنة الله على الراشي والمرتشي**».[٤].

٨ ـ قال الهيثمي في الزواجر :٢/ ٤٢٤ في أخذ الرشوة وقد وضعها في الكبائر واستدل بآية سورة البقرة قوله تعالى: ﴿**وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (البقرة :١٨٨).

---

(١) انظر الروح لابن القيم ٢٤٠

(٢) صحيح الجامع :٢/ ٩٠٩، ح/ ٥١٠٧

(٣) صحيح الجامع، ح/ ٥٠٩٣، والروض النضير :١/ ٥٥٤، والإرواء :٢٦٢١

(٤) صحيح الجامع ح/ ٥١١٤، والإرواء :٢٦٢١، وغاية المرام ٤٥٧

قال رحمه الله : وقال المفسرون :ليس المراد من ذلك الأكل خاصة، ولكن لما كان المقصود الأعظم من الأموال، وصار العرف فيمن أنفق ماله أن يقال : أكله خُصَّ بالذكر، وقوله تعالى ﴿ بِالْبَاطِلِ﴾ يشمل سائر وجوهه، ويجمعها في كل ما نهى الشارع عنه لمعنى في عينه كالمكر المؤذي، أو لخلل في اكتسابه كالمغضوب والمسروق أو مصرفه كأن يصرفه في معصية ﴿ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ ... والإدلاء: إرسال الدلو إلى البئر للاستقاء... ومنه أدلى بحجته كأنه يرسلها لتصل إلى مراده ... وقوله: ﴿ بِالإِثْمِ﴾ للسببية أو المصاحبة، ووجه تشبيه الرشوة بالإدلاء إما كونها تقرب بعيد الحاجة كما أن الدلو المملوءة ماء تصل من بعيد إلى القريب بواسطة الرشاء فالبعيد يصير قريبا بسبب الرشوة، وإما كون الحاكم بسبب الرشوة يُمضي الحكم ويثبته من غير تثبت..ز ثم المراد من ذلك عند بن عباس وجماعة: الودائع وما لا بينة عليه، وقيل: مال اليتيم في يد وصيّه يدفع بعضه للحاكم ليبقيه على وصيته وتصرفه الفاسد، وقيل شهادة الزور... وقال الحسن: هو أن يحلف ليحق باطلًا ... اهـ بتصرف كبير.

٩ ـ قال الذهبي في كتابه الكبائر صـ١٣١ : يا من عمره كلما زاد نقص، يا من يأمن الموت وقد اقتص، يا مائلاً إلى الدنيا هل سلمت من النقص؟ يا مفرطًا في عمره هل بادرت الفرص، يا من إذا ارتقى في منهاج الهدى ثم لاح له الهوى نكص، من لك يوم الحشر عند نشر القصص ـ الصحف ـ عجبًا لنفس أمست بالليل هاجعة، ونسيت أهوال يوم الواقعة، ولأن تقرعها المواعظ فتصغي لها سامعة، ثم تعود الزواجر عنها ضائعة والنفوس غدت غي كرم الكريم طامعة، وليست له حال من الأحوال طائعة، والأقدام سعت في الهوى في طرق شاسعة، بعد أن وضحت من الهدى سبلا واسعة، والهمم شرعت في مشارع الهوى متنازعه، ولم تكن مواعظ العقول له نافعة، وقلوب تضمر التوبة إذا فزعت بزواجر رادعة، ثم تعود إلى ما لا يحل مراراً متتابعة... اهـ [1]

(١) الكبائر للذهبي صـ١٣١، طـ دار الندوة الجديدة.

١٠ـ أنواع الرشوة .

قسم أحد الأعلام الرشوة إلى أقسام أربعة بعد أن خاض غمار البحث ثم خلص إلى هذه الخلاصة بعد التنقيب العلمي والتقصي قال التهانوي :

الأول : رشوة محرمة من الجانبين (الراشي والمرتشي) ولها صورتان .

* **الأولى**: تقلد القضاء، بحيث لا يصير القاضي قاضيًا بدونها .

* **والثانية**: دفع الرشوة للقاضي ليقضي له، سواء كان القضاء بحق أو بغير حق .

الثاني: دفع الرشوة خوفًا على النفس، أو المال، وهذه حرام على الآخذ غير حرام على الدافع، وكذا إذا طمع ظالم في ماله فرشاه ببعض المال، ومن هذا النوع ما يدفعه شخصٌ إلى شاعر قلت أو «صحفي خوفًا من الهجاء والذم».

الثالث: الرشوة تدفع للحاكم ليسوي أمرًا من الأمور، بحيث يشترط عليه ذلك، وهذا حلال للدافع حرام للآخذ، فإن طلب منه أن يسوي أمره ولم يذكر له الرشوة ثم أعطاه بعد ذلك شيئًا، اختلف فيه العلماء، فقال بعضهم :لا يحل له، وقال بعضهم :يحِلُ، قلت :وعلى فرض أنه حلال عند بعضهم فهو من الشبهات التي ينبغي أن يتقيها المسلم الذي يستبرئ لدينه .

الرابع: هو ما أشبه الرشوة وليس منها وهو ما كان الدفع فيه علي سبيل التودد والتحبب، وهذا حلال للجانبين[1] ..اهـ .

(وهذا النوع عدّه من الرشوة فيه غرابة لأنه أشبه بتعريف الهدية).

١١ـ التحذير من الخلط بين الشفاعة والشبهات .

أحيانًا يتصرف البعض تصرفات هي من الحلال المحض، وهذا لا

---

(١) انظر كتاب موسوعة نضرة النعيم :١٠/ ٤٥٤٣ نقلًا عن كتاب كشاف اصطلاحات الفنون ٣/ ٦٨

إشكال فيه والله لا معقب لحكمه يقص الحق ويقضي به لا يراجع، ولا ينازع، ولا يمانع، وأحيانًا يكون حرامًا صرفًا فهذا لا إشكال فيه لكونه لا يخفى على ذي عينين وقد يكون غير معروف الهوية فلا هو حرام واضح الحرمة ولا حلالٌ تطمئن النفس إليه والمسلم الواعي يجب عليه أن يترك ما فيه ريب لما تيقن فيه الحل والبعد عن الحرام يقول رسول الله ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**».[1].

[٤٠٨] عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من شفع لأخيه بشفاعة، فأهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابًا عظيمًا من الربا**».[2].

١٣ـ قال حكيم شاعر: ـ

كأنك لم تسمع بأخبار من مضى ... ولم تَرَ في الباقين ما يصنع الدهر
فإن كنت لا تدري فتلك ديارهم ... عليها مجال الريح بعدك والقطرُ
وهل أبصرت عيناك حيًّا بمنزل ... على الأرض إلاَّ بالفناء له قبرُ
وأهل الثرى نحو المقابر شُرَّعٌ ... وليس لهم إلا إلى ربهم نشرُ
على ذاك مروا أجمعون وهكذا ... يمرون حتى يستردهم الحشرُ
فلا تحسبنَّ الوفر ما لا جَمَعتَهُ ... ولكن ما قَدَّمتَ من صالح وَفْرُ
وليس الذي يبقى الذي أنت جامعُ ... ولكن ما أوليتَ منهُ هو الزخرُ
قضى جامعوا الأموال لم يتزودوا ... سوى الفقر يا بؤسًا لمن زاده الفقرُ

---

(١) حديث صحيح أخرجه أحمد عن أنس والنسائي عن الحسن بن علي والطبراني عن وابصة بن معبد وأورده الألباني في صحيح الجامع ٣٣٧٧ وصححه وفي الروض النضير ١٥٢ وغاية المرام ١٧٩ والإرواء ٢٠٧٤ وأورده الألباني أيضًا في صحيح الجامع ح ٣٣٧٨ بزيادة ليست في الرواية السابقة من حديث الحسن أن رسول الله ﷺ قال « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة ». ونسبه الألباني للحاكم وابن ماجه .

(٢) سنن أبي داود، ح/ ٣٥٤١، و صححه الألباني في ح/ ٣٠٢٥، صحيح أبي داود :٢/ ٦٧٦، والمشكاة :٣٧٥٧

بلى سوف تصحـو حين ينكشف الغطا وتذكر قولي حين لا ينفع الذكرُ
وما بين ميـلاد الفتى ووفاتـه إذا نصح الأقوام أنفسهم عُمْـرُ
لأن الذي يأتي كمثـل الذي مضـى وما هو إلا وقتك الضيق النّـذْرُ
فصبرًا على الأوقات حتى تحوزها فعَمَّا قليل بعدها ينفع الصبـرُ

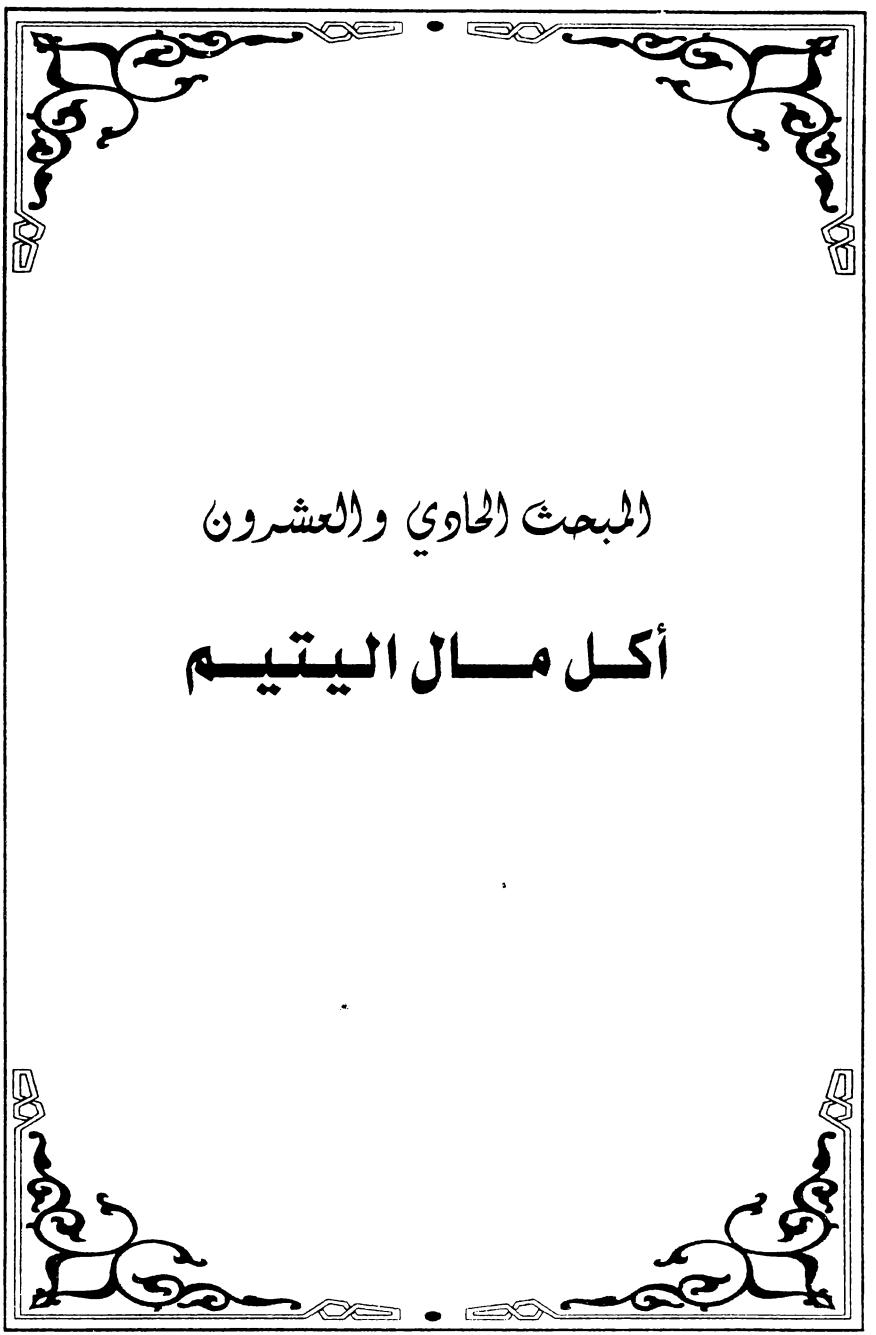

المبحث الحادي والعشرون

أكل مال اليتيم

تمهيد

إن الله تبارك وتعالى لطيف رحيم رءوف كريم، ومع تقديره تأتي نسائم اللطف لترفرف على المبتلين حتى يكونوا في بحبوحة من أمرهم وفي ظل أنس الحليم الكبير الذي يلطف بعباده في قضاءه وقدره تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ الحج: ٦٥ وقال ﷻ: ﴿**إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ**﴾ يوسف: ١٠٠وقال سبحانه و تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ**﴾ الأنعام: ١٠٣ وعلى هذا فإذا نزل بساحة قوم بلاء بشدة فإنه يسبقه أو يلحقه أو يصاحبه لطف ومنح ربانية يمن بها العظيم الرحيم المستجيب، ولذا فإن المحن خلفها منح، علم ذلك من علم، وغضَّ الطرف عنها من غض، لكنها موجودة، وبشكل واضح لمن لم تُنْسِهِ الشدائد النسائم .خذ على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، حديث القرآن عن اليتامى الذين فقدوا الآباء مع نعومة أظفارهم لم يتركهم الله عبثًا ولم يهملهم سدا ـ تعالى الله عن ذلك ـ ولكنه سبحانه أنزل تشريعًا خاصًا بهم في جزء كبير من كتابه مع مواضع عديدة، ولَمَّا مات الآباء الصالحون وخلَّفوا من بعدهم صغارًا لطالما كان آبائهم مقسطين محبتين فحفظهم الحفيظ العليم على كل نحو وأوصى بهم، حفظ لهم الدين والإيمان والدنيا وحفظهم ماديًا ومعنويًا، حفظهم بما قدمت هذه الأيدي المباركة المتوضئة من بر وخير وفضل وإحسان ﴿**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ البقرة : ١٤٣ وقال تعالى: ﴿**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا**﴾ النساء : ٩ .

هكذا ينفع الله الذرية الصالحة بعمل الآباء و الأمهات في الدنيا والآخرة على السواء في شتى المجالات، وإن صعبت الأمور، وعظمت الخطوب، وحدقت الشرور، وإن وهت الأسباب، وكثرت الكروب فإن لطف الله تعالى واقتداره ـ سبحانه ـ من وراء كل ذلك لطلاقة قدرته ولعموم مشيئته ولأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم، وكما يحفظ الأبناء

مع ضعفهم بصلاح آبائهم فهو حافظهم من بعدهم بنفس السبب الصلاح والتقوى.

فهذه امرأة عمران (**والدة موسى**) ينزل بساحتها بلاء عظيم، يهدد وليدها بالذبح ولكنها تسلم أمرها لربها، وهى قانعة بقدرته وتشكو له ضرها وهي موقنة برحمته، وتنزل بساحة رحمته بأسها وهي مدركة لطفه وعظيم تدبيره، فما خيب الله لها ظنًا ولا كسر لها ظهرًا بل ربط على قلبها لتكون من المؤمنين ﴿**لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ القصص: ١٠ ووعدها ربها وعودًا حميدة وأنجز لها ما وعد في ظروف كانت في غاية القسوة والصعوبة والتداخل لكن عطاء الكريم كلام، ومنعه كلام إذا أراد شيئًا كان بأمره في لحظة من ليل أو نهار على النحو الذي أراد قال تعالى: ﴿**إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيكِ وجَاعِلُوه مِنَ الْمُرْسَلِين**﴾ [**القصص:٧**]، وقد كان هذا على نحو ما وعد الله تعالى، قال تعالى: ﴿**فرددناهُ إلى أمِّهِ كي تَقرَّ عينُها ولا تَحْزنَ ولتعلَمَ أنَّ وعدَ الله حقٌّ**﴾ القصص:١٣

هكذا ربط على قلب المرأة الصالحة بإيمانها وصلاحها ورد عليها ولدها بدون أن يحدث له ما يضره، أو يضرها في دين أو نفس، بنفس هذه الرحمة وعين ذلك البر يعامل الله الأولياء الأصفياء والصالحين، الأتقياء البررة الأذكياء، فيرفع عنهم الأوضار ويعافيهم من الأوزار، والأغيار، ويحفظ نسلهم وذرياتهم من بعدهم في الدين والدنيا والمال.

أما آية ذلك وبرهانه فما ذكر الله تعالى في سورة الكهف عن حادثة السفينة والغلام والجدار موعظة للعابدين وذكرى للصالحين قال تعالى: ﴿ **أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**﴾ [الكهف:٧٩].

فتخيل مدى سعة رحمة الله تعالى وعظيم لطفه، يرسل عبدًا صالحًا من عباده أعده الله لذلك، وهيئه له، ورزقه من لدنه علمًا خالصًا اختصه به دون سائر الخلق بدليل أن الكليم مع أنه من أولى العزم من الرسل إلا أنه ذهب إلى الخضر قاطعًا رحلة طويلة شاقة من أجل أن يلتقي به ليتعلم من علمه الذي حباه الله تعالى به، وحتى يحفظ على أولئك المساكين ما لهم ويبقي لهم سفينتهم رحمة منه

تعالى. وهذا الغلام الذي علم الله تعالى أزلا أنه شارد عن الحق مبغض للدين، ولو عُمِّر زمنًا طويلا فسوف يفسد دين أبويه الصالحين فأراد الله تعالى أن يميت هذا الغلام ليؤجر أبواه ـ مع الصبر على فقدانه ـ بالجنة وحتى يحفظهما الله تعالى من فساد في الدين محقق كي يحجبهما عن النار ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨٠، ٨١]

فسوف يموت الغلام مبكرًا قبل أن يعظم كفره و يفحش فعله وفي نفس الوقت يعوضهما الله خيرًا منه في البر والصلاح هكذا كان لطف الله تعالى .

وأما المسألة الثالثة فحادثة الجدار الذي قدر الله أن يكون تحته كنز فحمى الله الكنز وادخره بصلاح الأبوين قال ـ ﷻ ـ ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢]

هذه الرحمة التي يحمي الله بها اليتامى لآباء صالحين بصلاحهم وورعهم

وصايا القرآن باليتامى

أولًا: العهد الذي أخذه الله على الأمم السابقة ووصاهم باليتامى:

إذا نظرنا إلى القرآن العظيم وجدنا أن الاعتقاد والإيمان والإسلام منهج حياة كامل لكل من أرسله الله من الأنبياء، فالرسالة واحدة والمنهج واحد، والأسلوب واحد: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ من رَسُولٍ إلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّه لا إِلَهَ إلا أَنَا فاعْبُدُون﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال تعالى: ﴿ولَقَد بَعَثْنا في كل أُمَّةٍ رسولًا أنِ اعبُدُوا الله واجْتَنِبُوا الطاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

أما الشريعة ففيها مسائل مشتركة بين كثير من الامم وفيها مسائل مختلفة لقوله تعالى: ﴿لكلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُم شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨] وبما أن الأخلاق الفاضلة والبر أمر مشترك تحتاج إليه النفس بعموم فإن الله أخذ العهد على السابقين ليوفوا به في العقيدة والإحسان والبر والصلة، قال تعالى: ﴿وإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إسرائِيلَ لا تعبُدُونَ إلا اللهَ وبِالوالِدَينِ إحسانًا وذي القرْبَى واليتامى

والمساكينَ وقولوا للنَّاسِ حُسْنًا وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم إِلَّا قليلاً منكم وأَنْتُم مُعْرِضُونَ﴾ [البقرة:٨٣].

معاني الكلمات :

(الميثاق): أي العهد المؤكد باليمين وقوله **(حسنا)** : أي حسن القول : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمخاطبة باللين، والكلم الطيب الخالي من البذاءة والفحش.

وما زال السياق الكريم في تذكيره اليهود بما كان لأسلافهم ...والمراد هدايتهم لو كانوا يهتدون فقد ذكرهم بهذه الآية بما أخذ الله تعالى عليهم في التوراة من عهود ومواثيق على أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا في عبادته سواه، وأن يحسنوا إلى الوالدين ولذي القربى واليتامى والمساكين وأن يقولوا للناس حسنا من القول [1]...اهـ

ثانيًا: اهتمام القرآن بالحث على الإنفاق عليهم:

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ الله بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٥].

معاني الكلمات:

قوله تعالى: ﴿ مِنْ خَيْرٍ ﴾ : أي من مال إذ الحال يطلق عليه لفظ الخير.

قوله تعالى: ﴿ وَالأَقْرَبِينَ﴾ كالأخوة والأخوات وأولادهم والأعمام والعمات والأخوال والخالات وأولادهم.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ ما شرطية، ومن بيانية، والخير هنا لسائر أنواع البر والأحسان.

قوله تعالى:﴿ فَإِنَّ الله بِهِ عَلِيمٌ﴾ الجملة علة لجواب الشرط المحذوف والمقدر يثبكم عليه.اهـ.

---

(١) انظر: أيسر التفاسير للجزائري :١/ ٧٧:٧٨

قال الحافظ ابن كثير في التفسير:١ / ٢٩٦ ومعنى الآية: يسألونك كيف ينفقون قاله ابن عباس ومجاهد، فبين لهم تعالى ذلك فقال: ﴿ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ أي: اصرفوها في هذه الوجوه كما جاء في الحديث:« أمك، وأباك، وأختك، وأخاك، ثم أدناك أدناك». وتلا ميمون بن مهران هذه الآية ثم قال: هذه مواضع النفقة ما ذكر فيها طبلًا، مزمارًا، ولا تصاوير الخشب، ولا كسوة الحيطان، ثم قال:﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ أي: مهما صار منكم من فعل معروف فإن الله يعلمه وسيجزيكم على ذلك أوفر الجزاء فإنه لا يظلم أحدًا مثقال ذرة ... اهـ.

اجعل شعارك حيثما كنت التقى ... قد فاز من جعل التقى إشعاره
واسلك طريق الحق مصطحبًا به ... إخلاص قلبك حارسا أسراره
وإذا أردت القرب من خير الورى ... يوم القيامة فاتبع آثاره

ثالثًا: إكرام اليتيم والاهتمام بالنفقة عليه من أعظم ألوان البر :ـ

البر هو جماع الخير، وخصال الإحسان، ولا يأتي بمجرد الدعاوى والشعارات الخاوية التي هي من الصدق خالية، ولكنه إصرار على الحق والطاعات المبني على قواعد من الإيمان راسخة لا تزلزلها رياح البخل، ولا تحرقها نار الشح، ولا يعصف بها شيطان الأنس والجن. البر إيمان وبذل وعطاء ورحمة، واهتمام باليتامى والثكالى واليتامى والمحوجين المعوذين الذي نيبيتون وقد طووا بطونهم من شدة الجوع أو قسى عليهم البرد فأطاح بنومهم وأمنهم وقد ابتلى الله المسلمين بالمال ليرى سبحانه هل سيضنون به وينحلوا أم سوف يؤثرون الله تعالى على كل شيء، وإن عظم في حسهم؟!

قال تعالى مبينًا ماهية البر وأصله وبعض فروعه ، يقول سبحانه: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

هذه دلائل الإيمان، وتلك معالم التقوى، وهذه صفات الثبات والصدق، تلك شيم الأصفياء البررة لمن أراد أن يغترف، فالبحر دونه، وخصال الخير أمامه، وجسر الفلاح تلقاء وجهه، وطوق النجاة قد عثر عليه، كل هذا في آية واحدة.

شرح الكلمات:

(البر) اسم جامع لكل خير، وطاعة لله ورسوله محمد ﷺ.

(واليتامى) جمع يتيم ، وهو من مات والده ولم يبلغ الحنث ـ الحلم ـ .

(الْمَسَاكِينَ) جمع مسكين فقير معدم أسكنته الحاجة فلم يقدر على التصرف.

(وَابْنَ السَّبِيلِ) المسافر البعيد الدار المنقطع عن أهله وماله .

(السَّائِلِينَ) جمع سائل :وهو الفقير المحتاج الذي أذن له في السؤال لدفع غائلة الحاجة عن نفسه، .

(وَفِي الرِّقَابِ) الرقاب جمع رقبة والإنفاق فيها معناه عتقها .

(الْبَأْسَاء) شدة البؤس من الفقر.

(وَالضَّرَّاءِ) شدة الضر أو المرض .

(وَحِينَ الْبَأْسِ) عند القتال وشدته في سبيل الله تعالى .

(أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا) أي في دعواهم الإيمان والبر .

معنى هذه الآية :

﴿لَيْسَ الْبِرَّ.....﴾ أي كله أن تصلوا قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا على غير ذلك، (وَلَكِنَّ الْبِرَّ) ما ذكر في هذه الآية ...وقيل معناه:لكن البر ذا البر من آمن بالله كقوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ آل عمران:١٦٣ ذو درجات، وقيل معناه : ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر كقوله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الأعراف:١٢٨ أي المتقي والبر هنا :الإيمان والتقوى (وَآتَى الْمَالَ) أي أعطى المال (عَلَى حُبِّهِ) أي على حب الله تعالى: (ذَوِي الْقُرْبَى) أي القرابة على حسب درجة قرابتهم كما سبق ويبدو لك اهتمام القرآن بذكر اليتامى في الآية للعناية بهم والاهتمام بشئونهم، ولذلك وصى في سورة

النساء باليتامى فقال ـ ﷻ ـ ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَالجَارِ ذِي القُرْبَى وَالجَارِ الجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ النساء:٣٦.

وفي سورة الأنعام قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الأنعام :١٥١.

﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ الأنعام: ١٥٢.

رابعًا : تهديد قرآني لمن ظلم اليتيم فأكل ماله بغير حق :

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ النساء :١٠.

قال الآلوسي :استئناف جيء به لتقرير ما فصل من الأوامر والنواهي و(ظُلْمًا) إما حال أي ظالمين، أو مفعول لأجله ...وقيل : ذكر الظلم للتأكيد والبيان لأن أكل مال اليتيم لا يكون إلاَّ ظلمًا .

(إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا) أي :ملء بطونهم، وشاع هذا التفسير في ذلك، وكأنه مبني على حقيقة الظرفية المتبادر منها للإحاطة بحيث لا يفصل الظرف عن المظروف، فيكون الأكل في البطن ملء البطن...(نَارًا) أي ما يُجَرَّ إليها ..[1]اهـ .

وقال القاسمي في تفسيره لهذه الآية :٥/ ١١٣٦، وما بعدها (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا) أي على وجه الظلم من الورثة، أو أولياء السوء وقضاته، بخلاف أكل الفقير الناظر في الأموال بقدر أجرته ... (إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا) أي: ما يَجُرُّ إلى النار، ويؤدي إليها(وَسَيَصْلَوْنَ) أي في القيامة (سَعِيرًا) أي نارًا مستعرة روى ابن حبان في صحيحه وابن مردوية وابن أبي

(١) روح المعاني :٣/ ٦٩٩ـ٧٠٠

حاتم، عن أبي برزة، أن رسول الله ﷺ قال: (يبعث يوم القيامة قومٌ من قبورهم تأجج من أفواههم نارًا، قيل يا رسول الله من هم ؟قال ألم تر أن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ ويكون المراد من ذكر البطون: تصوير الأكل للسامع حتى يتأكد عنده بشاعة هذا. الجُرمْ بمزيد تصوير، ولأجل تأكيد التشنيع على الظالم لليتيم في ماله، خص الأكل لأنه أبشع الأحوال التي يتناول مال اليتيم فيها .

وروى أبو داود والنسائي والحاكم وغيرهم: أنه لما نزلت هذه الآية، انطلق كل من كان عنده يتيم، فعزل طعامه عن طعامه وشرابه عن شرابه، فجعل يفصل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد عليهم ذلك، فذكروا ذلك للرسول ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ البقرة: ٢٢٠ فخلطوا طعامهم بطعامه وشرابهم بشرابه.

وقال الرازي رحمه الله: ومن الجهال من قال :صارت هذه الآية منسوخة بتلك، وهو بعيد، لأن هذه الآية في المنع من الظلم، وهذا لا يصير منسوخًا، بل المقصود أن مخالفة أموال اليتامى، إن كان على سبيل الظلم، فهو من أعظم أبواب الإثم كما في هذه الآية، وإن كان على سبيل التربية والإحسان، فهو من أعظم أبواب البر، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ وقال رحمه الله : ما أشد هذا الوعيد على سعة رحمة الله تعالى وكثرة عفوه وفضله، لأن اليتامى لما بلغوا في الضعف إلى الغاية القصوى، بلغت عناية الله إلى الغاية القصوى ...اهـ.

وحديث اجتنبوا السبع الموبقات حديث معروف عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات ـ قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال الشرك بالله، والسحر وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»(١).

خامسًا: إهانة اليتيم من صفات المكذبين وليست من خصائص المسلمين:

إن الإسلام دين الرحمة والعطف واللين والرفق والشفافية واحترام أحاسيس الغير وليس همجية ولا بربرية، وإنما دين السماحة والود، ويوم القيامة

(١) البخاري :ك/ الوصايا ، قوله تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما)، سبق تخريجه

يحاسب المخالفون المكذبون على ترك الثوابت والأصول كما يحاسبون على الفروع لأن الدين كله لا يتجزأ وكله من عند الله وإنما تعبدنا الله تعالى أن نؤمن به كله وأن ندخل كلنا أجمع في هذا الدين كله كما قال سبحانه: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالكِتَابِ كُلِّهِ﴾ آل عمران: ١١٩ و قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ البقرة: ٢٠٨.

وقد وصف الله تعالى المكذبين بآياته وصفًا دقيقًا ليتعرف عليهم أولياء الله من قرب فيخالفوهم ويحذروا من دربهم وخطواتهم ولا يتشبهوا بهم في قليل ولا كثير قال سبحانه و تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ۞ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ الروم: ٣١-٣٢.

وقال تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ آل عمران:١٠٥ كما قال جل أسمه ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا الله فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ الحشر:١٩ كما قال تعالى وقد عتب على المسلمين ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ الحديد:١٦.

ووصف المنافقين بما يليق به واقعهم فقال تعالى عنهم ﴿نَسُوا الله فَنَسِيَهُمْ إِنَّ المُنَافِقِينَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ التوبة: ٦٧ ويوم القيامة يخزيهم ويبكتهم ويهينهم حيث لا مكرم لهم ولسوف يسمعوا ذلك النداء الرهيب في ساحة القيامة ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ السجدة:١٤.

وبالطبع فإن الله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم، والله تعالى لا ينسى.

﴿لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى﴾ طه: ٥٢ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ مريم: ٦٤ ولكن هذا أسلوب مشاكله أي :عاملهم الله بعدله بما هم له أهل من خلال قاعدة الجزاء من جنس العمل، فتركهم الله في سواء الجحيم حتى استقر بهم المآل والقرار إلى قعرها ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ الحجر: ٤٨ المهم أن الله تعالى ذكر لنا خصائص حزب الشيطان وجلاهم و أجلاهم لنا كي نتبرأ منهم ونمقت أفعالهم ولا نتخذهم أولياء ولا نتشبه بهم قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ۞فَذَلِكَ

﴿الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۞ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ ۞ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ الماعون :١ـ ٧.

تلك خصائصهم، وهذه أفعالهم قبحت من خصال وأفعال .

معاني الكلمات :

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ أي هل عرفته بصفاته، والدين هو الجزاء أو ثواب الله للمتقين وعقابه للمجرمين .

قوله ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ الدع هو الدفع بقوة أي ذلك الذي يقسو على اليتيم ويعامله بجفوة وغلظة . .

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ يعني لا يطعمه وهو لا يحث غيره على ذلك وهذا إشارة إلى نفس شحيحة بخيلة عارية من السخاوة.

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أي العذاب الأكيد والوعيد والتهديد لأولئك الذين يسهون عن صلاتهم، ويؤخرونها عن أوقاتها ﴿يُرَاؤُونَ﴾ أي يظهرون الأعمال الصالحة يراءون بها الناس لا يعملونها بإخلاص لله تعالى .﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ أي هم أشحاء بخلاء لا يعاونون الناس ولا يعطون من سألهم شيئًا من الماعون كالإبرة والفأس والقدر والمكتل ونحو ذلك من الأغراض المنزلية التي ينتفع بها الناس .

قال القرطبي :١٠/ ٧٣٠٠.وما بعدها :قوله ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴾ أي الجزاء والحساب في الآخرة ...والمعنى :أرأيت الذي يكذب بالدين أمصيب هو أم مخطئ ...اهـ .

قلت : يفهم من النص أن الله تعالى يجلي للمؤمنين صفات المكذبين تذكيرًا وتحذيرًا لمن كان له قلب وأذنان واعيتان .

وقال القرطبي: (يدعُ)أي يدفع كما قال ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ ....وقال الضحاك ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾أي يدفعه عن حقه، وقال قتادة :يقهره ويظلمه، والمعنى متقارب ....قوله تعالى:﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ أي لا يأمر به من أجل بخله وتكذيبه بالجزاء، وهو مثل قوله تعالى في سورة

الحاقة ﴿وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ ....وليس الذم عامًا حتى يتناول من تركه عجزًا، ولكنهم كانوا يبخلون ويعتذرون لأنفسهم ويقولون: ﴿أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ﴾ فنزلت هذه الآية فيهم وتوجه الزمّ إليهم فيكون معنى الكلام :لا يفعلونه إن قدروا ولا يحثون عليه إن عثروا ...اهـ.

هذا وقد ذكر الله تعالى في سورة الحاقة ما أعده للمكذبين أصحاب الشمال وبين ما ينتظرهم ساعة ينادي عليهم لأخذ صحائف الأعمال ثم ذكر حيثيات هذا الحكم تعقيبًا على حالتهم المخيفة، والتي أدخلوا من أجلها نارًا تلظى بعد أن قيدوا وأوثقوا في السلاسل مقرنين قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ۞ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَه۞ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ القَاضِيَةَ۞ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ۞هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ۞خُذُوهُ فَغُلُّوهُ۞ ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ الحاقة٢٥ـ٣٢

ترى لم هذا الذي أحاط به ودمّر عليه وأهانه قال تعالى موضحًا ذلك في سطور ﴿إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللهِ العَظِيمِ۞وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ۞فَلَيْسَ لَهُ اليَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ۞ وَلا طَعَامٌ إِلا مِنْ غِسْلِينٍ۞لا يَأْكُلُهُ إِلا الخَاطِئُونَ﴾ الحاقة :٣٣ـ٣٧.

هذا يوضح أن الكفار يحاسبون على الأصول والفروع على السواء .

سادسًا: نهي الله رسوله عن قهر اليتيم :

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾ الضحى: ٩.

لقد ذكر الله تعالى نبيه ﷺ في هذه السورة بنعم ربه ومننه عليه كما ذكر الأنبياء من قبل فقال في حق الكليم عليه السلام ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى۞إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ...﴾ طـه:٣٨.

وهنا ذكر الحبيب ﷺ بمننه عليه ومنها أنه تعالى آواه وكفاه وكفله وكلأه إذ كان يتيمًا ثم ذكره بحق اليتيم عليه فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ الضحى :٦ فناسب هذا أن يوصيه باليتيم خيرًا .

قال القرطبي في التفسير :١٠/ ٧١٩٠ فيه مسائل :

الأولى :ـ قوله﴿فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾ لا تسلط عليه بالظلم، ادفع إليه حقه، واذكر يُتْمَكْ، ....وعن مجاهد قال: ﴿فَلا تَقْهَرْ﴾ أي فلا تحتقر ....فعلى هذا يحتمل

أن يكون نهيًا عن قهره بظلمه وأخذ ماله، وخص اليتيم لأنه لا ناصر له غير الله تعالى فغلَّظ في أمره بتغليظ العقوبة على ظالمه.

الثانية : ـ دلَّت الآية على اللطف باليتيم وبره والإحسان إليه حتى قال قتادة : كن لليتيم كالأب الرحيم .

[٤٠٩] وروي عن أبي هريرة أن رجلًا شكا إلى النبي ﷺ قسوة قلبه،فقال: «**إن أردت أن يلين قلبك فامسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين**» .

[٤١٠] وفي الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجنة كهاتين**» وأشار بالسبابة والوسطى ...اهـ .

سابعًا : ـ **النبي ﷺ يوصي باليتيم** :

[٤١١] عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ أتى النبي ﷺ يشكو قسوة قلبه، قال: «**أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك ؟ ارحم اليتيم وامسح على رأسه، وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك**»(١)

[٤١٢] ومن حديث سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**» .(٢)

[٤١٣] ومن حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال : «**أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجنة، والساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله**»(٣).

قال الحافظ في الفتح :١١/ ١٥٥، ولأحمد من حديث أبي هريرة أن رجلًا شكي إلى النبي ﷺ قسوة قلبه فقال: «**أطعم المسكين، وامسح على رأس اليتيم** » قال وسنده حسن .

---

(١) صحيح الجامع ؛ح/ ٨٠ ،والصحيحة ٨٥٤،وصححه الألباني

(٢) صحيح الجامع ١٤٧٥، وأصله في البخاري، وانظر الصحيحة ٨٠٠.

(٣) مسلم نووي :١٨/ ١١٣ ك الزهد ب فضل الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم ولفظ مسلم (كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة ، وأشار مالك بالسبابة والوسطى) وفي نفس الكتاب صـ١١٢ من حديث أبي هريرة عن النبي[] قال (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر)

تلك هي شريعة الله، وذاك هو دينه رحمة وبر، وألفة وزخر، ومشاركة، وإدخال السرور على ذوي الحاجات: ﴿**فأمَّا اليتيمَ فلا تقهَر * وَأَمَّا السائل فلا تنهر**﴾ [الضحى: ١٠].

[٤١٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قالوا: يا رسول الله، وما هنَّ؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**» البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه.

(اليتامى) هم الذين مات آباؤهم قبل البلوغ، سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا، وهؤلاء ـ أعني اليتامى ـ محل الرفق والعناية، والرحمة، والشفقة؛ لأنهم كُسرت قلوبهم بموت آبائهم، وليس لهم عائل إلا الله ـ عز وجل ـ فكانوا محل الرفق والعناية، ولهذا أوحى الله في كتابه وحث على الرحمة بهم في آيات كثيرة ولا يحل للإنسان أن يأكل أموال اليتامى ظلمًا ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِم نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**﴾ [النساء: ١٠].

ويوجد بعض الناس ـ والعياذ بالله ـ يموت أخوه ويكون له أولاد صغار، فيتولى ماله ويتاجر فيه لنفسه، والعياذ بالله، ويتصرف فيه بغير حق، وبغير مصلحة للأيتام، وهؤلاء يستحقون هذا الوعيد أنهم يأكلون في بطونهم نارًا ـ نسأل الله العافية ـ.

وقال تعالى: ﴿**ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن**﴾ [الأنعام: من الآية ١٥٢ أي: لا تتعاملوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، فإذا كان أمامك مشروعان تريد أن تشغل مال اليتيم في واحد منهما فانظر أيهما أقرب إلى مصلحة اليتيم والربح والسلامة فافعل، ولا يحل لك أن تفعل ما هو أسوأ لحظِّه أو لحظ قريب، أو ما أشبه ذلك، بل انظر للذي هو أحسن فإن أشكل عليك هل فيه مصلحة لليتيم أم لا؟ فلا تتصرف، لا تتصرف، أمسك الدراهم لأن الله عز وجل قال: ﴿**ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن**﴾ فإذا أشكل عليك فلا تفعل، ولا يحل لك أن تقرض أحدًا من مال اليتيم...[1] اهـ.

---

(١) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين: ٤/ ٢٣٩، ٢٤٠ بتصرف.

ثامنًا: أجور لن تبور من الرب الغفور:

١ ـ من عال يتيمًا فهو كالمجاهد في سبيل الله وكصائم النهار قائم الليل.

[٤١٥] فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الساعي على الأرملة والمساكين، كالمجاهد في سبيل الله، وكالذي صام النهار ويقوم الليل**»[(١)].

معنى الحديث:

قوله «**الساعي على الأرملة والمساكين**»أي الذي يذهب ويجئ في تحصيل ما ينفع الأرملة والمساكين الكاسب لهم والحامل لمؤنتهم .

(**الأرملة**) قال ابن قتيبة : سميت أرملة لما يحصل لها من الإرمال وهو الفقر وذهاب الزاد لفقدان الزوج، ويقال أرمل الرجل إذا فني زاده، والمراد المرأة التي لا زوج لها سواء تزوجت من قبل أم لا . أي ثواب القائم بأمرها وإصلاح شأنها والإنفاق عليها كثواب الغازي في سبيل الله، وإن المال شقيق الروح وفي بذله مخالفة النفس ومطالبة رضى الرب، وفي الصحيح «**أو القائم الليل الصائم النهار**» وروى آخرون «**أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل**»«**كالمجاهد في سبيل الله**» أي في الأجر فمن أنفق على من ليس له بقريب فهذا الفضل له، ومن اتصف بالوصفين ففضله أولى ...[(٢)]اهـ .

٢ـ فضل من يعول يتيمًا له :

[٤١٦] عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت :جاءتني امرأة معها ابنتان لها، فسالتني فلم تجد عندي إلا تمرة واحدة، فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت وخرجت، فدخل النبي ﷺ فحدثته فقال «**مَنْ يلي من هذه البنات شيئًا، فأحسن إليهن كُنَّ له سترًا من النار**»[(٣)] .

---

(١) صحيح الأدب المفرد للألباني وصححه في حديث رقم/ ٩٨، وأصله في صحيح البخاري ك/ النفقات، ب/ فضل النفقة على الأهل، وفي الصحيحة ٢٨٨١

(٢) انظر كتاب ملخص فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد :١/ ١٥٩

(٣) صحيح الأدب المفرد ،ح/ ٩٩،وأصله في صحيح البخاري ك/ الزكاة ، بـ/ اتقوا النار ولو بشق تمرة،

معنى الحديث :

(من يلي) أي يصير واليًا عليهن، ويقوم بأمرهن، وفي بعض الروايات (ابتلي) كما في المشكاة، وفي بعض النسخ (بُلي) قال النووي :إنما سماه ابتلاء لأن الناس يكرهوهن غالبًا وعادة، فالابتلاء نفس وجودهن أو ما يصدر منهن، ويحتمل أن يكون الابتلاء بمعنى الاختبار أي من اختبر بشيءمن البنات لينظر ما يفعل بهن، أيحسن إليهن أو يسيء إليهن، وهل هو على العموم في البنات أو المراد من اتصف منهن بالحاجة ما يفعل به ...[1]اهـ .

٣ـ فضل من يعول يتيمًا من أبويه :

[٤١٧] عن أم سعيد بنت مرة الفهري، عن أبيها، عن النبي ﷺ قال: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين، أو كهذه من هذه**»[2] شك سفيان في الوسطى والتي تلي الإبهام.

وعن أبي بكر بن حفص: (أن عبد الله كان لا يأكل طعامًا إلا على خوانه يتيم)[3].

قال فضل الله الهندي: ولعلَّ الحكمة في أن كافل اليتيم يشبه في دخول الجنة أو شبهت منزلته في الجنة بالقرب من منزلة النبي ﷺ ...وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه ولا دنياه، ويرشده ويعلمه ويحسن أدبه.

(**كهاتين**) قال ابن بطال :حق على من سمع هذا أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة أفضل من ذلك في الآخرة (**الوسطى**) وزاد في كتاب اللعان من صحيح البخاري (**وفرَّج بينهما**) قال الحافظ :فيه إشارة إلى تفاوت ما بين السبابة والوسطى، وهو نظير قوله ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**»....[4]اهـ.

ومسلم كتاب البر والصلة والآداب .

(١) كتاب ملخص فضل الله الصمد :١/ ١٦٠ بتصرف .وقد سبق الكلام عن هذا الحديث .

(٢) صحيح الأدب المفرد ،ح/ ١٠٠، والسلسلة الصحيحة ٨٠٠

(٣) صحيح الأدب المفرد ح/ ١٠٢ قال الألباني صحيح الإسناد

(٤) الفتح :١/ ١٦١ بتصرف .

٤ـ والصدقة على أبناء المرأة اليتامى في ميزانها يوم القيامة :

[٤١٨] عن زينب امرأة عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قالت قال رسول الله ﷺ: «**تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن**» قالت فرجعت إلى عبد الله فقلت :إنك رجل خفيف ذات اليد وإن رسول الله ﷺ أمرنا بالصدقة، فأته فسأله فإن كان ذلك يجزئ عني وإلا صرفتها على غيركم، قالت فقال عبد الله : بل أتيه أنت، قالت فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار حاجتي حاجتها قالت، وكان رسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة، قالت فخرج علينا بلال فقلنا له ائت رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجرهما ؟ ولا تخبره من نحن ؟ قالت فدخل بلال على رسول الله فسأله، فقال رسول الله ﷺ «**من هما؟**» فقال امرأة من الأنصار وزينب، فقال رسول الله ﷺ «**أي الزيانب هي؟**» **قال** : امرأة عبد الله فقال رسول الله ﷺ «**لهما أجران أجر القرابة وأجر الصدقة**»[(١)].

وكفالة اليتيم هي القيام بأموره، والسعي في مصالحه، من طعامه وكسوته وتنمية ماله إن كان له مال، وإن كان لا مال له أنفق عليه وكساه من ماله ابتغاء رضى الله وسواء كان اليتيم للشخص أو لغيره فهو مأجور بكل حال إن شاء الله فلو كان اليتيم أجنبيًا فالأجر باق وإن كان ذا قرابة فأجر وبر وصلة بإذن الله تعالى.

[٤١٩] وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري قال: «**إني مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا ... وإن هذا المال خضرة حلوة، فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل** ـ أو كما قال النبي ﷺ «**وإنه من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع، ويكون شهيدًا عليه يوم القيامة**»[(٢)].

تاسعًا: تذكرة :

(إن أموال الناس التي تؤكل بالباطل قبس من نار، وأتون مستقرة بَاللظى،

---

(١) مسلم :٢/ ٧٧ ،ك/ الزكاة على الزوج والأيتام :٢٢٨١

(٢) البخاري ك/ الزكاة ب/ الصدقة على اليتامى ح/ ١٤٦٥ .

وتنور مسجور موقد، إن أموال الناس التي تؤكل بالباطل جذوة من لهب، وشعلة متوهجة، إن أموال الناس التي تؤكل بالباطل آفة مهلكة، تأكل الأخضر واليابس، وتأتي على الغض والهشيم، هذا إذا فنيت وزالت، وأما إذا بقيت ودامت وربت ونمت، وزادت وكثرت، وشَبَّ عليها جسمه، ونما عليها لحمه وعظمه، فالويل ثم الويل لآكل الحرام، التفت أيها القارئ إلى من أكل أموال الناس ظلمًا فما أغنت آكليها، وما أجدت على غاصبيها وناهبيها، بل على العكس من ذلك، أتت على بيوتهم فخربتها، ودكَّت صروح عزهم ومجدهم فهدمتها، فليت شعري بماذا يكون الجواب إذ وقفوا غدًا بين يدي أحكم الحاكمين وسألهم عن هذه الأموال، بأي وجه أخذوها، وعلى أي دين استباحوها، وبأي شيءينطقون إذا شهدت عليهم الجوارح وواجهتهم الأعضاء بالحقائق فقال اللسان بي نطق كذبًا وبهتانًا، وقالت اليدان :بي أخذ المال من غير حله، وأنفقه في غير مَحِلِّه، وقالت الرجلان :بي سعى الأثيم إلى دار القضاء يطلب الإنصاف كأنه مغبون مظلوم وقالت أيضا بي مشى إلى الزنا أو اللواط أو السرقة، أو نحو ذلك من الجرائم).

آكل الحرام : فتِّش حواليك تجد الحرام لا ينفع، قَلِّب النظر مَليًّا ترى المبطل لا يتقدم، تأمل قليلًا وفتش وفكر في العاقبة، فإن العافية تزول، ارجع النظر كرات وردد البصر مرات، تُجِبْكَ الحوادث، بلهجة الخبير بأن العمر وإن طال قصير، وإن الحساب شديد عسير، وأن الموقف شاق رهيب، وأن المصير إما إلى الجنة وإما إلى النار ...واعلموا أن الحاجيات التي تؤخذ خلسة، وتخطف في غفوة، أو تؤخذ رغمًا وكرهًا، في صحوة ويقظة، باقية لأصحابها ستقضونها من حسناتكم وتؤدونها من مبراتكم، إن كانت لكم حسنات ومبرات ؟! فإن لم يكن أخذ من خطايا أصحابها فطرحت عليكم ثم تلقون بها في النار فاتقوا الله وتحروا الكسب الطيب ....[1] اهـ .

خف الله وانظر في صحيفتك التي ... حوت كل ما قدمته من فعالكا
فقد خط فيها الكاتبان فأكثرا ... ولم يبق إلا أن يقولا فذالكا

(١) موارد الظمآن للشيخ السلمان :٥/ ٢٢٥، ٢٢٦ ،بتصرف .

ووالله ما تدري إذا ما لقيتها أتوضع في يمناك أو في شمالكا
ولا تحسبن المرء يبقى مخلدًا فما الناس إلا هالك فابك حالكا

فطوبى لمن تدارك الهفوات، وبشرى لمن لازم تقوى الله وعمل بالباقيات الصالحات، وهنيئًا لمن أذهب السيئات بالحسنات، ويا خيبة أمل من شغل بالملاهي والمنكرات عن طاعة رفيع الدرجات، وما أعظم خسارة من باع نفيس آخرته بخسيس دنياه، وحسرة له يوم القيامة يوم ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ [الزمر:٥٦].

عاشرًا: نافذة على حالك في القيامة فتصور قبل الورود:

قال الحارث المحاسبي ـ رحمه الله ـ في كتابه «التوهم» (ص١٧) وما بعدها: (فبينما أنت كذلك إذ نودي باسمك، فنوديت على رءوس الأشهاد الأولين والآخرين، أين فلان بن فلان؟ هَلُمَّ إلى العرض على الله ـ عز وجل ـ وقد وكَّل الملائكة بأخذك حتى يقربوك إلى الرب ـ عز وجل ـ فلم يمنعهما اشتباه الأسماء باسمك أن تعرفك لما ترى أنك أنت المراد بالدعاء المطلوب... فوثبت على قدميك ترتعد فرائصك، وتضطرب جوارحك متغير لونك، فزع مرعوب مرتكض قلبك في صدرك، بالخفقان، فلما عاينتك الملائكة الموكلون بأخذك، قد حلَّ بك الاضطراب بالارتعاد، والمخافة علمت أنك أنت المراد من العباد، فهوت إليك بأيديها، فقبضت عليك بعنفها، ثم جذبتك إلى ربك ـ ﷻ ـ ...تتخطى بك الصفوف، محثوثًا على العرض على الله ـ ﷻ ـ والوقوف بين يديه، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم وأنت مجبوذ إلى ربك ـ ﷻ ـ فيما بينهم، فتوهم حين وقفت بالاضطراب والارتعاد يرعد قلبك، وتوهم مباشرة أيديهم على عضدك، وغلظ أكفهم حين أخذوك، فتوهم ....في أيديهم، وتوهم تخطيك الصفوف، طائر فؤادك منخلع قلبك، فتوهم نفسك في أيديهم كذلك حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن، فقذفوا بك من أيديهم، وناداك الله ـ ﷻ ـ بعظيم كلامه ...

فوقفت بين يدي رب عظيم جليل كبير كريم، بقلب خافق محزون، وجل مرعوب، وطرف خائف خاشع ذليل، ولون متغير، وجوارح مرتعدة مضطربة ...ترتعد بيدك صحيفة محبَّرة لا تغادر بلية كسبتها ولا مخبأة أسررتها، فقرأت ما

فيها بلسان كَلِيلٍ، وحجة داحضة وقلب منكسر فكم لك، من حض وخجل، وجبن من المولى الذي لم يزل إليك محسنًا، وعليك ساترًا، فبأي لسان تجيبه حين يسألك عن قبيح فعلك، وعظيم جرمك، وبأي قدم تقف غدًا بين يديه، وبأي نظر تنظر إليه وبأي قلب تحتمل كلامه الجليل، ومساءلته، وتوبيخه فتوهم نفسك بصغر جسمك، وارتعاد جوارحك، وخفقان قلبك، وقد سمعت كلامه بتذكير ذنوبك، وإظهار مساوئك، وتوقيفك وتقريرك بمناجاتك، فتوهم نفسك بهذه الهيئة والأهوال بك محدقة من خلفك، فكم من بلية قد نسيتها قد ذكّركَهَا، وكم من سريرة قد كنت كتمتها قد أظهرها وأبداها، وكم من عمل قد ظننت أنه قد خلص لك وسلم بالغفلة منك إلى ميل الهوى عما يفسده قد رده ذلك الموقف عليك، بعدما كان تأملك فيه عظيمًا، فيا حسرات قلبك، وتأسفك على ما فرطت في طاعة ربك، حتى إذا كرر عليك السؤال، بذكر كلِّ بلية، ونشر كل مخبأة، فأجهدك الكرب، وبلغ منك الحياء منتهاه لأنه الملك الأعلى ....إذ يقول ﷻ - يا عبدي أما أجللتني، أما استحييت منيِّ، استخففت بنظري إليك !! ألم أحسن إليك ؟ ألم أنعم عليك ؟ ما غرك مني ؟شبابك فيما أبليته ؟،وعمرك فيم أفنيته ؟ ومالك من أين اكتسبته، وفيما أنفقته ؟ وعلمك ماذا عملت فيه ؟...يا بن آدم ما غرك بي ؟ يا بن آدم ما عملت لي ؟ يا بن آدم ما استحييت منِّي، يا بن آدم ماذا أجبت المرسلين، يا بن آدم ألم أكن رقيبًا على عينيك، وأنت تنظر بها إلى ما لا يحل لك، ألم أكن رقيبًا على أذنيك وأنت تسمع بهما ما لا يحل لك، ألم أكن رقيبًا على لسانك وأنت تنطق به ما لا يحل لك، ألم أكن رقيبًا على يديك وأنت تبطش بهما إلى ما لا يحل لك ؟ ألم أكن رقيبًا على رجليك وأنت تمشي بهما على ما لا يحل لك ؟ألم أكن رقيبًا على قلبك وأنت تَهُمُّ بما لا يحل لك ؟ أم أنكرت قربي منك وقدرتي عليك، وأنت يا بن آدم بين خطرين عظيمين :إما أن يتلقاك برحمته، ويتطول عليك بجوده، وإما أن يناقشك الحساب ....فأعظم به موقفًا، وأعظم به من سائل لا تخفى عليه خافية ..[1]اهـ.

[٤٢٠] عن قتادة قال: حدثني أنس أن النبي ﷺ كان يقول: «**يجاء بالكافر**

(١) بتصرف كبير صـ٢١،من التوهم .

يوم القيامة، فيقال له :أرأيت لو كان لك ملءُ الأرض ذهبًا، أكنت تفتدي به ؟ فيقول : نعم فيقال له قد كنت سُئلت ما هو أيسر من ذلك»[١] .

وعن صفوان بن محرز المازني، قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ آخذ بيده، إذ عرض رجلٌ فقال: كيف سمعتم رسول الله ﷺ في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه، ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا ، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافق ﴿ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين﴾ [هود:١٨]»[٢].

تلك صورة بينة ليوم القيامة حادثة لا محالة جلاها لك النبي ﷺ، كأنك تراها رأي عين ذلك لتعيش القيامة واقعًا في دار الدنيا فتمهد لذلك اليوم تمهيدًا يليق بطوله وثقله وعظمته، وما فيه من دواهٍ عظام، فمن مهد بالأعمال الصالحة بعد إيمانٍ ويقين راسخين فلعلَّ الله تعالى يخفف عنه خوف ذلك اليوم وثقله ويأمنه من فزعه ورعبه وينجيه من الشدائد والكربات والثبور والحسرات قال تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ الروم: ٤٤.

[٤٢١] عن المعرور بن سويد، عن أبي ذر قال :قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولًا الجنة، وآخر أهل النار خروجًا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه، و ارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال : عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا فيقول نعم : لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له :فإن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول ربِّ قد عملت أشياء لا أراها هاهنا...**»[٣] .

هذه الصور الأخروية التي إن أخبر بها النبي ﷺ يقينية لا يخدشها ريب ولا

---

(١) أحمد:٣/ ٢١٨، وعبد بن حميد ١١٨٠، والبخاري:٨/ ١٣٤ط استنبول.

(٢) أخرجه أحمد:٢/ ٧٤، ٢/ ١٠٥، وعبد بن حميد ٨٤٦، والبخاري ٣/ ١٦٨ ط الشعب.

(٣) أخرجه أحمد :٥/ ١٥٧ ،٥/ ١٧٠ ،،ومسلم :١/ ١٢١،ط استنبول وهذا لفظ مسلم.

يعكر صفوها امتراء وغدًا ستبدوهذه الصورة التي جلاها رسول الله ﷺ على النحو الذي أخبر به وعنه بلا زيادة ولا نقصان، والسعيد الموفق، والحميد المسدد هو الذي يأخذ منها العبرة والعظة فيجعلها دائمًا نصب عينيه .

الحادي عشر: أدب اليتيم وتقويمه :

إن العناية باليتيم ليست عناية جسدية فقط وليست مادية فحسب ولو كان الأمر كذلك، فإن حشو البطون من أيسر ما يكون لكن التربية العقلية غاية في الأهمية وحاجة العقل إلى الهدى والعلم والتأسي والتقويم لأمر من الخطورة بمكان، فاليتيم إذا احتاج للتقويم والتهذيب يقوَّم ويهذب بالتي هي أقوم بلا إفراط ولا تفريط فلا يترك ويهمل ولا يضرب ضرب انتقام ولكن ضرب من يقسو عليه ليحنو ويرحمه ويرى منه ما تقر به عينه، ليكون شابًا أريبًا ملتزمًا مستقيمًا **﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير﴾** [البقرة: ٢٢٠].

[٤٢٢] عن أسماء بن عبيد قال: قلت لابن سيرين: عندي يتيم؟ قال: **«اصنع به ما تصنع بولدك، اضربه ما تضرب ولدك»**(١).

إن ولي اليتيم قد يضطر إلى ضربه كي لا يقع في محظور أو فساد شرعي .

[٤٢٣] وعن شُميسَة العتكية قالت :ذكر أدب اليتيم عند عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقالت **«إني لأضرب اليتيم حتى ينبسط»**.

قال فضل الله الهندي في مختصر كتاب فضل الله الصمد :(ينبسط) لعلَّ المراد من الانبساط هنا هو الامتداد والانبطاح على الأرض كما جرت عادة الصبيان، أنهم إذا أغضبهم أحد ينبطحون على الأرض ويتمرغون ويبكون، وقد يفعلون ذلك إذا أوجعوا بالضرب، تريد عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها تضربه ضربًا وجيعًا مؤلمًا كما يفعل الرجل بابنه وينبغي للمؤمن أن يحاسب نفسه في ضرب اليتيم، فإذا كان يعرف من نفسه صدق المحبة والشفقة عليه فلا بأس أن يوجعه عند الحاجة، واليتامى الذين كانوا في حجر عائشة ـ رضي الله عنها ـ إنما هم بنو أخيها، ولا شبهة في شدة محبتها لهم، وتحننها عليهم .... اهـ.

---

(١) قال الألباني: صحيح الإسناد في صحيح الأدب المفرد ص ٥٧ ح ١٠٤ .

الثاني العشر : أكل مال اليتيم ذنب خطير:

وقد ذكر الإمام الذهبي في كتابه الكبائر أكل مال اليتيم في الكبيرة الثالثة عشر صـ٦٦، ٦٧ طـ دار الندوة بيروت ؛وذكر هذه الآية من سورة النساء ﴿**إِنَّ الذين يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**﴾ [النساء:١٠] .

وقال السدي رحمه الله : يحشر آكل مال اليتيم ظلمًا يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينيه كل من رآه يعرفه أنه أكل مال اليتيم .

قال العلماء :فكل من ولى اليتيم إذا كان فقيرًا، فأكل من ماله بالمعروف، بقدر قيامه عليه في مصالحه وتنميته لماله فلا بأس عليه، وما زاد عن المعروف فَسُحتٌ حرام لقول الله تعالى:﴿**وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالمَعْرُوفِ** ٦ :النساء)

والأكل بالمعروف على أنحاء أربعة:

الأول: الأخذ على وجه القرض.

والثاني: الأكل بقدر الحاجة من غير إسراف،

والثالث: أنه أخذ بقدر إذا عمل لليتيم عملًا،

والرابع:أنه الأخذ عند الضرورة فإن أيسر قضاه، وإن لم يوسر فهو في حلٍّ، ذكره ابن الجوزي في تفسيره... وكفالة اليتيم هي القيام بأموره والسعي في مصالحه من طعامه وكسوته وتنمية ماله إن كان له مال، وإن كان لا مال له أنفق عليه، وكساه ابتغاء وجه الله تعالى ...[1]اهـ .

الثالث عشر: الجزاء من جنس العمل :

قال تعالى: ﴿**وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ الله غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ الشورى :٢٣ وقال سبحانه: ﴿من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ [النحل:٩٧].

---

(١) كتاب زاد المسير تفسير سورة النساء قوله تعالى ﴿ إِنَّ الذين يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا ....﴾

إن حكمة الله تعالى العظيمة وفضله اقتضى أن الجزاء يكون من جنس العمل فكما أن الشوك لا يجتني من العنب ولا من الورد فإن الله لا ينزل الأبرار منازل الفجار، ولا العكس ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [يونس:٢٦].

فكل يجني ما زرع فمن زرع خيرًا حصد خيرًا ومن زرع سوءًا فمن أين يجني الخير فلا يلومن إلا نفسه لأنه من صفَّا صُفِّي له ومن كَدَّر كُدِّر عليه ﴿**من يعمل سوءًا يجز به ولا يجد له من دون الله وليًّا ولا نصيرًا * ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرًا**﴾ [النساء:١٢٤].

ومن جميل ما قال شيخنا فضيلة الشيخ صفوت نور الدين قال رحمه الله:

والله سبحانه الملك القدوس قد جعل الدنيا دار اختبار، والآخرة دار جزاء ومع ذلك فلم يخلُ كل واحدة منهما من نصيب الأخرى، فكم من ظالم في الدنيا قد أخذه سبحانه أخذ عزيز مقتدر، وجعله عبرةً ونكالًا لمن بعده، وكم من مؤمن طائع كرَّمه في الدنيا ورفع قدره وكافأه وأعلاه، وكذلك في الآخرة... لكن الجزاء الأوفى في الآخرة... اهـ[1].

وقال الشيخ الدكتور / محمد بن إسماعيل المقدم في المقدمة أيضًا : لقد أودع الله العليم الحكيم في هذا الكون سننًا ثابتة، لا تتغير ولا تتبدل، وقاعدة (**كما تدين تدان**) سنة من هذه السنن، لو وضعناها نصب أعيننا لزجرتنا عن كثير من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، ولو أحللناها في قلوبنا المحلَّ الرفيع اللائق بها لأشهدتنا أمارات تُخَيِّلُ لنا ما ينتظرنا من عاقبة أعمالنا .

[٤٢٤] فقد قال ﷺ: «**كما لا يجتنى من الشوك العنب، كذلك لا ينزل الفجار منازل الأبرار، فاسلكوا أي طريق شئتم، فأي طريق سلكتم وردتم على أهله**»[2] .

[٤٢٥] وقال ﷺ: «**من اراد أن يعلم ما له عند الله فلينظر ما لله عنده**» وزاد

---

(١) تقديم الشيخ صفوت نور الدين لكتاب الجزاء من جنس العمل د/ السيد العفاني ـ المقدمة .

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية وصححه الألباني في صحيح الجامع ح ٤٥٧٥ و .ح ٤٥٧٦ .

الحاكم«فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه»[١].

ولهذه القاعدة المباركة آثار عظيمة النفع في إصلاح الدين والدنيا، وهذا وَقْفٌ على أولي الألباب، الذين يحكمون على الأمور بمآلاتها ويزنون الأفعال بعواقبها، وهي في المقام الأول دافعة للأعمال الصالحة ناهية عن الظلم، زاجرة للظالمين، مواسية للمظلومين .....ولو أن الوصي على مال اليتيم سوَّل له الشيطان أكله بالباطل، فاستحضر قوله ﷻ: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ النساء: ٩.

لاتقى الله فيهم ولقال قولًا سديدًا كي يحفظ الله ذريته من بعده ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ النبأ: ٢٦.

هذه القاعدة الشريفة أعظم مواساة للمظلوم المستضعف، والمقهور المغلوب، حيث تؤزه على الصبر والثبات، وثوقًا بموعود الله الذي يمهل، ويملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ويمده إيمانه بأن الجزاء من جنس العمل وقول إيماني يدفعه للمضي في طريقه صابرًا محتسبًا[٢]....اهـ.

وبناءً على هذا وقد علم المرء المسلم أنه ميت لا محالة ولا مناص من المنية فسيفها مسلط على رقاب الخلق لا ينجو من ذلك ناج إذا علمت هذا أخيَّ، فكيف يكون حال بنيك من بعدك أعز من بعد عز أم ذل من بعد عز، أم حرمان بعد حنان أعسرٌ بعد عسر، أم الأخرى؟! إن اليتيم الذي لا يجد من يكفله تكون أعيادهم أتراحا وأحزانا، همومًا وأشجانًا يلتفتون على أحباب أبيهم وأصدقائه، لعلهم يجدون عنده من حنان ويشترون ضمة أو قُبلَةٌ كما يفعل الآباء بالأولاد والغلمان، فإن كنت يا حِبيِّ في حياتك بَرًا بمن فقدوا الآباء عطوفًا عليهم شفيقًا بهم تمسح دموعهم بلمساتك الحانية وترفرف عليهم بابتساماتك الرقراقة تدخل عليهم السرور بتلك الهدايا والرعاية فأبشر إذن على أولادك وبناتك فإن الجميع سيكون ـ بحول الله ـ في أمان لأن الله تعالى يتولى الصالحين إن رعاية الأيتام من

---

(١) رواه الدار قطني في الأفراد ،وأبو نعيم في الحلية وانظر صحيح الجامع ٦٠٠٦ وحسنه الألباني والصحيحة ٢٣١٠.

(٢) راجع مقدمة الجزاء من جنس العمل د/ سيد حسين العفاني ـ حفظه الله ـ

أوجب واجبات الدين وإن إهمالهم وقهرهم وإذلالهم مما يغضب الرحمن الرحيم يسخط الديان ويوجب الحرمان، إن الشفقة والرحمة على الضعاف والمحتاجين عمومًا وخصوصًا اليتامى أثر من آثار الرحمة التي يجعلها الله في قلوب من أحب من عباده، فإن كنت كذلك محلًا للهبات الإلهية والثمرات الإيمانية الذكية فأبشر بالخير والهنا والسعادة الأبدية إن شاء الله لأن الله يرحم من عباده الرحماء .

ومن لا يرحم الناس لا يرحمه الله ﷻ ـ ألا فتعود على الود والحنان والرحمة حيث إنك في حاجة شديدة إلى رحمة ربك في الآخرة والأولى وعالج نفسك على تهذيبها وتخليصها من القسوة لتكون محلًا لرحمة الله تعالى الراحمون لمن في الأرض يرحمهم من في السماء، إذ ورد عن سيد الرسل « **فارحم بقلبك خلق الله وارعهم به تنل الرضا والعفو**»

جيء بالسماح إذا ما جئت في غرض ... وفي العبوس لدى الحاجات تصعيب
سماحة المرء تُنبي عن فضليته ... فلا يكن لك مهما اسطعت تقطيب
أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ... ويخصب عندي والمحلَ جديبُ
وما الخصبُ للأضياف أن يكثر القِرا ... ولكنما وجه الكريم خصيب

الرابع عشر :اهتمام النبي ﷺ باليتيم :

كما سبق الكلام وتقدمت الإشارة إلى أن الاهتمام باليتيم ليس خاصًا بالماديات فحسب وحشو البطون فقط ولكن الاهتمام الأكبر ينبغي أن يكون بالنفوس لتكون كبارًا وبالعقول والقلوب لتكون منبع فكر وملجأ فهم ومستقر خير ومتى كان العبد المسلم صالحًا فسوف يكون محلًا لهبات الله تعالى التي تأتيه في كل حين ما أطاع الله ـ سبحانه وتعالى ـ لأن ذلكم هو الشكر التطبيقي .

قال تعالى: ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ سبأ: ١٣ وقال تعالى: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ إبراهيم:٧ .

ومن ثم كان يهتم كثيرًا باليتامى في عهده ﷺ وفي القرون الفاضلة ومن اتبعهم بإحسان مسترشدًا متأسيًا بهم في كل ميدان، خاصة أنهم حضروا التنزيل

وقدسوا الجليل سبحانه.

[٤٢٦] فعن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس بن مالك «أن جدته مليكة دعت النبي ﷺ لطعام صنعته له قال فأكل ثم قال «**قوموا فلأصلي لكم**» قال: فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لبث فنضحته بماء فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصففت واليتيم وراءه و العجوز من وراءنا فصلى لنا ركعتين ثم انصرف» (١).

قوله: (لطعام)أي لأجل طعام، قوله: (**فلأصلي لكم**) أي سوف يصلي في موضع من بيتهم ليتخذوه مصلى لهم . .

قال الحافظ : فيه إجابة الدعوة ولو لم يكن عدسًا، ولو كان الداعي امرأة لكن حيث تؤمن الفتنة والأكل من طعام الدعوة، وصلاة النافلة جماعة في البيوت، وكأن رسول الله ﷺ أراد تعليمهم الصلاة بالمشاهدة ...وقيام الصبي مع الرجل صفًّا، وتأخير النساء عن صفوف الرجال، وقيام المرأة صفًا وحدها، إذ لم يكن معها امرأة غيرها ...وفيه الاقتصار في نافلة النهار على ركعتين خلافًا لمن اشترط أربعًا، وفيه صحة صلاة الصبي المميز ووضوئه ... اهـ بتصرف كبير الفتح :١/ ٥٨٣، ٥٨٤ .

ولا يخفى ما في هذا الحديث العظيم من اهتمامهم بصلاة اليتيم معهم ووقوفه في الصف ليصلي بصلاة النبي ﷺ فيرى كيفيتها وليس كما يرى البعض أن الاهتمام بالصغار قسوة فأي قسوة هذه التي تكون سببًا في رفع قدره وزيادة علمه وعلو منزلته، إنه الاهتمام بالأيتام علمًا وفقهًا وتربية ونبلًا وفي رواية أخرى عند البخاري تشعرك باهتمام أنس ـ رضي الله عنه ـ بشأن اليتيم «....فقال رسول الله ﷺ «**واليتيم معي ...**» (٢).

وواضح من الترجمة مدى الاهتمام بالصغار عامة واليتامى خاصة لوصية الله بهم وقد أثنى النبي ﷺ على نساء قريش لخصائص مباركة وسمات طيبة منها الحنو على الأيتام.

---

(١) صحيح البخاري الفتح ،ك/ الصلاة ب الصلاة على الحصير ،ح/ ٣٨٠

(٢) البخاري الفتح : ٢/ ٤٠١ ،ك/ الأذان ،ب/ وضوء الصبيان ومتى يجب عليهم الغسل والطهور ح ٨٦٠ .

[٤٢٧] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ: «**خير نساء ركبن الإبل**. قال أحدهما : «**صالح نساء قريش**» أو قال الآخر : «**نساء قريش، أحناه على يتيم في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده**»[١] الحديث.

وكافله: القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية كما سبق بيانه، وتحصل هذه الفضائل المباركة لمن كفله من ماله أو من مال اليتيم، بولاية شرعية وإن كان من أهل القرابة كالأب والجد ونحوهما وعمته ونحو ذلك فالأجر أكبر إن شاء الله تعالى .

[٤٢٨] وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: «**اللهم إنِّي أُحَرِّجُ حقَّ الضعيفين، اليتيم والمرأة**»[٢] .

ومعنى (**أُحَرِّجُ**) أي :أضيق على الناس في حقهما وأشدد عليهم في ذلك، والمقصود: إشهاده تعالى على ذلك، وأنه يحذر منه تحذيرًا أكيدًا ويزجر عنه زجرًا بليغًا ...اهـ .

الخامس عشر: من رأى من نفسه ضعفًا

فلا يكفل اليتيم مخافة الظلم قد يكون الإنسان صالحًا في نفسه جدًا لكنه ربما لا يستطيع القيام ببعض المهام، فإن كان الأمر كذلك فليسد المرء على نفسه أبواب الفتنة كي لا يعرض نفسه من البلاء لما لا يطيق .

[٤٢٩] عن سالم بن أبي سالم الجيشاني، عن أبيه، عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال: «**يا أبا ذر إنِّي أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمَّرَنَّ على اثنين، ولا تولين على مال يتيم**»[٣].

قوله ـ عليه السلام ـ (**ضعيفًا**) أي غير قادر على تحصيل مصالح الإمارة ودرء مفاسدها، وقوله (**أحب لك ما أحب لنفسي**) أي من السلامة عن الوقوع في المحذور، وقيل : تقديره : أي لو كان حالي كحالك في الضعف، وإلا فقد كان ﷺ

---

(١) البخاري :٧/ ٥٨ ومسلم في فضائل الصحابة ب من فضائل نساء قريش :٧/ ١٨١،١٨٢ .

(٢) ابن ماجة ،ك/ الأدب ،بـ/ حق اليتيم ٣٦٦٨،وصححه النووي ٣٦٧٨ وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة ح ٢٩٦٧ والصحيحة ١٠١٥ .

(٣) رواه مسلم في كتاب الإمارة ،باب كراهة الإمارة بغير ضرورة

متوليًا أمور المسلمين حاكمًا عليهم، ومعنى قوله (**فلا تأمَّرَنَّ**) بتشديد الميم والنون الثقيلة أي: فلا تسلطن ولا تكونن أميرًا، وقال القرطبي المعنى في قوله (**إني أراك ضعيفًا**) أي عن القيام بما يتعين على الأمير من مراعاة مصالح رعيته الدنيوية والدينية، وذلك لأن الغالب عليه كان الاحتقار بالدنيا وبأموالها الذين بمراعاتهما تنتظم مصالح الدين ويتم الأمر، وقد كان أفرط في الزهد في الدنيا حتى انتهى به الحال إلى أن يفتي بتحريم الجمع للمال، وإن أخرجت زكاته، وكان يرى أنه الكنز الذي وبخ الله تعالى عليه في القرآن، فلذلك نهاه النبي ﷺ عن الإمارة وولاية الأيتام، وأما من قوى على الإمارة وعدل فيها فإنه من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ...[1] اهـ.

❁❁❁

(١) انظر شرح النسائي: ٦/ ٢٥٦

المبحث الثاني والعشرون

حسن الخلق

الفرار من النار بالخلق الحسن والآداب الحميدة وترك مساويها ومذمومها

[٤٣٠] عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار**»[١].

[٤٣١] وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ: «**من كان سهلًا هينًا لينًا حرمه الله على النار**»[٢].

[٤٣٢] وعنه قال رسول الله ﷺ: «**من وقاه الله شَرَّ ما بين لَحْيَيْهِ، وشر ما بين رجليه، دخل الجنة**»[٣].

[٤٣٣] وعن الحسن، عن أبي بكرة، قال : قال رسول الله ﷺ: «**الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار**» صحيح .

[٤٣٤] حديث عبد الله بن مسعود قال :قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بمن يحرم على النار، أو بمن تحرم عليه النار ؟ كل قريب هين سهل**»[٤].

---

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع: ١٥٧٤

(٢) صحيح الجامع ٦٤٨٤، والصحيحة :٩٣٨

(٣) صحيح الجامع :٦٥٩٣، والصحيحة : ٥١٠

(٤) الصحيحة :٩٣٨

تمهيد

إن الإسلام لم يترك صغيرة، ولا كبيرة ،إلا وأفصح لنا عن أمرها، وحالها، وما يصلحها أو يفسدها من خلال قواعده الكلية المعروفة، فمنهج الإسلام أصلح مناهج التشريع قديمًا وحديثًا، وليس هذا بغريب ولا عجيب، فهي من لدن الحكيم الخبير ،هذا الدين القيم الذي ينقسم إلى معاملات وآداب وسلوكيات وعقائد، وغيبيات .

مرادها أن تبلغ الإنسان إلى السمو الخلقي إنه مطلب شريف عزيز، إذ إن الخلق قوام الحياة الفاضلة، وهو رأس الأمر فيها، ولذا أثنى الله تعالى على رسوله ﷺ لأنه بلغ في ذلك ذروة سنامه وكان تاجًا لقمته السامقة تزينت به الأخلاق والآداب وسمت وارتقت منزلة سامية قال تعالى مثنيًا عليه ﷺ: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ **القلم:٤**

[٤٣٥] وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[(١)] .

قال الشيخ الألباني رحمه الله : في تعليقه وتحقيقه الماتع ـ صحيح الأدب المفرد :١/ ٧ : وأرى أن معرفة الآداب النبوية الصحيحة في العبادات والمعاملات، والإقامة والسفر والمعاشرة والوحدة والحركة والسكون واليقظة والنوم، والأكل والشرب والكلام والصمت، وغير ذلك مما يعرض للإنسان في حياته، مع تحري العمل بها كما تيسر، هو الدواء الوحيد لتلك الأمراض، فإن كثيرًا من تلك الآداب سهل على النفس، فإذا عمل الإنسان بما يسهل عليه منها تاركًا لما يخالفها لم يلبث إن شاء الله تعالى أن يرغب في الازدياد، فعسى أن لا تمضي عليه مدة إلا وقد أصبح قدوةً لغيره في ذلك، وبالاهتداء بذلك الهدي القويم، والتحق بذلك الخلق العظيم ولو إلى حد ما يستنير القلب، وينشرح الصدر، وتطمئن النفس، فيرسخ اليقين، ويصلح العمل، وإذا أكثر السالكون في هذا

(١) صحيح الجامع :٣٢٤٥

السبيل لم تلبث تلك الأمراض أن تزول إن شاء الله ...[١]اهـ.

ومما يدل على كمال الإسلام واشتماله على كل مصلحة وخير ونفع للأفراد والجماعات، أن الشرع الشريف حَثَّ على الشيم والأخلاق النبيلة التي تستنير العقول بمعرفتها، وتشهد بحسنها وحسن آثارها، وما لها من الأثر الفعَّال في النفوس مما يوافق مقصد الشريعة، كما أمر بالتواضع ولين الجانب لاسيما مع الضعفاء والمساكين والخاملين، ونهى عن ضد ذلك من التكبر، والتجبر واحتقار المسلمين، وازدرائهم ومن الإعجاب بالنفس والترفع على الخلق، وفَسَّرَ الكبر بأنه بطر الحق وغمط الناس، فإن الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ **الحجرات: من الآية ١٣**.

[٤٣٦] وكما في الحديث «**إن الله تعالى أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**»[٢].

بل أخبر أن التواضع لعباد الله سبب للرفعة وعلو الرتبة عند الله

[٤٣٧] وعند الناس، وقال ﷺ: « **حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه**»[٣] وذلك لأن ناقة النبي ﷺ العضباء، كانت لا تسبق فجاء أعرابي على قعود له، فسابقها الأعرابي، فكان ذلك شق على أصحاب النبي ﷺ فذكر هذا الحديث المؤدب.

فهذا إشارة إلى كمال الشريعة، وإلى ما اشتملت عليه من الخصال الحميدة والآداب والأخلاق الرفيعة التي تسمو بمن تخلق بها إلى أرفع المنازل، وما حذرت منه هذه الشريعة من الأخلاق الذميمة التي تدنس الأعراض، وتوقع في العار والشنار، ولقد أكثر العلماء قديمًا وحديثًا من الكتابة حول خصال الإيمان

---

(١) صحيح الأدب المفرد صـ٧, ٨

(٢) رواه مسلم وسيأتي تخريجه إن شاء الله

(٣) رواه أبو داود في الأدب ،بـ/ كراهية الرفعة في الأمور ،عن أنس ٤٨٠٢ وأصله عند أحمد في المسند: ٣/ ٢٥٣ وأيضًا الحديث رواه البخاري من طريق حماد ك الجهاد ب ناقة النبيﷺ وهو تابع لحديث ٢٨٧٢.

والدين التي تجب أو تستحب، وسمَّوها آدابًا شرعية وخصالًا دينية، وأدخلوا في ذلك العادات القديمة التي أقرها الإسلام أو أثنى على فعلها كالجود والكرم والصدق والوفاء والبر والصلة والسلام والتحية والتراحم والتعاطف والتزاور ونحوها .....ولا شك أن شريعة الإسلام قد تضمنت كل ما تمس إليه الحاجة البشرية، وأن جميع الخصال التي تهدف إليها يعرف عند التأمل ملاءمتها ومناسبتها، ولذلك يحتاج إلى الاستقصاء في جميع أنواع العبادة، وما ورد به الأمر من القربات، وما نهى عنه مما يخالف أهداف تلك الخصال، وذكر أدلتها من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة مع ذكر معانيها، ونتائجها مما يفيد المسلم وطالب الحق علمًا وسعة اطلاع ...[1]اهـ.

إن تهذيب النفوس وإصلاحها مطلب غال عزيز ولذا فإن الله جل ذكره خصه في كتابه كثيرًا حيث أثنى وبشَّر من زكى نفسه بالأخلاق والخلال الحميدة والابتعاد عن الخصال الرذيلة إذ قال سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ الشمس : ٧، ١٠.

هذا وإن المرء إذا استعان بربه على تزكية نفسه وتهذيبها أعانه على ذلك ربه إذا علم من قلبه الصدق قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ الله يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ النور:٢١.

فلا يملك القلوب والنواصي مع توجيهها بحكمة وعلم على نحو دقيق إلا الله تعالى: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هود: من الآية ٥٦.

وقال تعالى:﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ الله يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ الأنفال: من الآية ٢٤.

ولذا فإنه لا يغرس في القلب الإيمان مع اليقين ويرعاه وينميه إلا هو ولا يحرك القلب نحو حب ذلك وقبوله غيره ـ ﷻ ـ وقد خلق أناسًا هم محلٌ للخير وأهله وأحق به فهيئهم لما يستحقون وجعلهم محلًا لهباته وخيره، وبره وأقصى

(١) انظر موسوعة نضرة النعيم :١/ ١ المقدمة :م و،م ز

وأبعد من يستحق الإبعاد والإقصاء حيث لا يظلم الناس شيئًا ولا يبخسون فلسًا ومن هنا نادى الشرع بالآداب والأخلاق تهيئة للناس للطهر والنقاء ليجاوروا ربهم في دار البقاء ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ القمر: ٥٤ـ٥٥.

وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الحجرات: ٧ـ٨.

من ثمرات جميل الأدب وحسن الخلق

أولًا :ـ أنه من محاب الله تعالى:

والمسلم الذي يرجو الله تعالى والدار الآخرة إنما يلتمس محاب الله تعالى طمعًا في جنته، ورحمته رجاء أن يكون ذلك سببًا في محبة الله تعالى له، وتلك هي الدرجة السامية التي يسعى إليها المسلمون الصادقون سعيًا حثيثًا كي يصلوا إليها فهي قاعدة العبودية الكبرى وهي التي تنافس فيها المتنافسون ومن أجلها حَمَلَ المقربون أرواحهم على أكفهم بل تركوا ضياعهم ومواطنهم، وهجروا خلانهم وذرياتهم من أجلها نزلت الكتب وأرسلت الرسل وبها تميز الخبيث من الطيب والصالح من الطالح والضال من المهتدي والصادق من المنافق واتخذ الله إبراهيم خليلا ومن أجلها ألقي الخليل ـ عليه السلام ـ في النار وأقدم على ذبح ولده طيعا رضيا غير متراجع ولا متهيب وشاركه في ذلك ولده، فجعل الله لهما لسان صدق في الآخرين وأخرج من ذريتهما كوكبة من الأنبياء والمرسلين كان خاتمهم سيد الأنبياء والمرسلين سيد ولد آدم أجمعين من أجلها اعتزل الخليل أباه ومن معه ومن أجلها قاسى الضر يعقوب فهي الميزان الذي يوزن به الرجال ويعرف من خلاله الحرام من الحلال من رزقها فقد فتحت له كنوز الحكمة وينابيع الرحمة سبب في محبة ذي الجلال والإكرام وجبريل ـ عليه السلام ـ وعندها ينادي ربك العلام يا جبريل إني أحب فلانًا فأحبه فيحبه الملك العظيم ثم ينادي الملائكة أجمع يا

ملائكة الله إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في الأرض سبب في معية الله الرحمن الرحيم وبفضل الله هي حبل واصل للمقام الأمين والعز في الدنيا والآخرة، وهي أصول الوصول، وعلامة القبول، وصفاتها وعناصرها مقبولة عند خير مأمول وأعظم مسئول سبحانه وتعالى .

فاسمع إلى كلام ربك في الكتاب الكريم حيث أثبت المعية الخاصة لأصحابها وهي معية الحفظ والتوفيق والسداد والإلهام والاستعمال فيما يرضي أكرم الأكرمين وأجود الأجودين قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة: ٢٢٢كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة: ١٥٣وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾النحل:١٢٨ وقال سبحانه: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ طـه: ٤٦ وقال سبحانه: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ الشعراء: ٦٢.

ولما طارد المشركون النبي ﷺ ومعه الصديق ونظر الأباعد إلى الغار واقتربوا منه وخاف الصديق على النبي ﷺ وخاف على كلمة الحق والله حافظها قال يا رسول الله :لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا فقال له ﷺ: « **يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا**» وسجل القرآن هذه اللحظات الحرجة فقال تعالى ناعيًا على المتخاذلين المنتكسين: ﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ التوبة: ٤٠ .

ومن ثَمَّ فإن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها ويحب الأخلاق الجميلة والخصال الحميدة وبالتالي يحب أصحابها المستقيمين عليها الداعين إليها والذين يؤمنون بها ويربون الخلق عليها .

[٤٣٨] حديث أسامة بن شريك قال رسول الله ﷺ: «**أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقًا**»(١).

قال المناوي في فيض القدير :١/ ٢٢٦، معنى حسن الخلق :بذل المعروف، وكف الأذى، وطلاقة الوجه والتواضع، وقد تضمن هذا الخبر عظيم الحث عليه

(١) الطبراني في الكبير من رواية ابن شريك وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٧٧

حيث علّق به حكم الأحبية[١] إليه فحق لكل مسلم أن يرغب في ذلك كمال الرغبة، وفيه رمز إلى أنه ممكن الاكتساب، وإلا لاختص بما كان مطبوعًا عليه فيفوت معنى الترغيب فيه، ويصير حسرة على من لم يمكنه، نعم أصله جِبِلِّيٌ كما سيجيء تحقيقه، وعبَّر بصيغة أفعل، وهو ما اشتق من فعل الموصوف بزيادة على غيره دفعًا لتوهم حرمان من طبع على ذلك، بل أشعر بأنهم كلهم محبوبون، لكن من تكلفه بقهر النفس، ومجاهدتها حتى صار أحسن خلقًا أحب إليه من أولئك.اهـ.

[٤٣٩] حديث ابن عباس قال :قال رسول الله ﷺ: «**أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة**»[٢].

[٤٤٠] خصال يحبها الله ويحب أصحابها حثًّا للناس على التخلق بها كما في السلسلة الصحيحة مرفوعًا «**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد في ما عند الناس يحبك الناس**»[٣].

قال المناوي في شرح الحديث قبل الماضي (**أحب الأديان** .....) .

الأديان :جمع دين، والمراد هنا :ملل الأنبياء والشرائع الماضية قبل أن تبدل، وتنسخ، وفي رواية البخاري (الدين) بإفراد، فإن حمل على الجنس وافق ما هنا وإلا فالمراد :أحب خصال الدين،لأن خصالها كلها محبوبة لكن ما كان منها سمحًا أو سهلًا فهو أحب إلى الله كما يشهد له خبر أحمد الآتي (**خير دينكم أيسره إلى الله**) .

(الحنيفية) أي: المائلة عن الباطل إلى الحق، أو المائلة عن دين اليهود والنصارى. والحنيفية ملة إبراهيم، **والحنيف لغة** : من كان على ملته قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ الحج: ٧٨.

(**والسمحة**) أي السهلة القابلة للاستقامة المنقادة إلى الله المسلمة أمرها إليه

---

(١) هكذا في الأصل ولعل المقصود منه حكم المحبة .

(٢) حسنه الألباني في صحيح الجامع ١٦٠، والسلسلة الصحيحة :٨٨١،والحديث في الأدب المفرد :٢٨٣،وانظر الضياء المختارة :٢/ ٦٤

(٣) السلسلة ٩٤٤

لا تتوجه إلى شيء من الكثافة والغلظة والجمود الذي يلزم منه العصيان والسماحة معنى الحنيفية: التي تميل بالعبد إلى الله، والأحنف الأميل وهو الذي تميل أصابع إحدى رجليه إلى الأخرى فكأنه قال :أحب أوصاف أهله إليه أن يميل العبد بقلبه في سائر أحواله وبجوارحه إلى عبادته بحيث يعرض عما سواه، ويكون معنى السماحة: سهولة الانقياد إلى رب العباد فيما أمر ونهى، فيصبر على مُرِّ القضاء، وحلوه ويشكره، فهذه أحب أوصاف أهل الدين إليه.اهـ [بتصرف من **فيض القدير** :١/ ٢٢٠].

[٤٤١] وفي حديث معاذ ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله**»(١).

ومن أجل الأعمال المحبوبة لله تعالى: كثرة ذكره ـ سبحانه وتعالى ـ حتى يعرف العبد بذلك ويظل له شيمة ودينا وخلقًا ثابتًا، حتى يلقى الله تعالى على هذه الخصلة المباركة والذكر.

[٤٤٢] كما بين النبي ﷺ: «**أفلا أدلكم على خير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها لدرجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا: بلى يا رسول الله: قال ذكر الله**»(٢).

قال المناوي :١/ ٢١٥ في فيض القدير :يعني أن تلازم الذكر حتى يحضرك الموت وأنت ذاكر لله: فإن للذكر فوائد جليلة وعوائد جزيلة، وتأثيرًا عجيبًا في انشراح الصدر، ونعيم القلب، وللغفلة تأثير عجيب في ضد ذلك .

قال الطيبي : ورطوبة اللسان عبارة عن سهولة جريانه، كما أن يبسه عبارة عن ضده، ثم إن جريان اللسان حينئذ عبارة عن إدامة الذكر قبل ذلك فكأنه قيل: أحب الأعمال إلى الله تعالى مداومة الذكر فهو من أسلوب قوله تعالى: ﴿**فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [البقرة:١٣٢] . وفي الحديث حَثٌّ على الذكر حيث علق به حكم المحبة، وكل مؤمن يرغب في ذلك كمال الرغبة ليفوز بهذه المحبة،

---

(١) حسنه الألباني في صحيح الجامع ١٦٥ ،والترغيب :٢/ ٢٢٨

(٢) وقد صححه الألباني أيضًا

فتتأكد مداومة ذكر الله في جميع الأحوال...اهـ.

ومعلوم أن هناك حالة استثنائية لا يجوز فيها أن يذكر الله، فلا يجوز ذكر الله تعالى وهو يتخلى ـ قضاء الحاجة ـ توقيرًا لذكر الله تعالى ونحو ذلك مما نص عليه نصًّا صحيحًا صريحًا، وتوجد أحاديث صحيحة كثيرة جدًّا في الأشياء التي يحبها الله تعالى تحتاج إلى استقراء وتتبع، فهي من أجلّ ما ينفع به الله تعالى أيما نفع. فعلى سبيل المثال لا على سبيل الحصر:.

[٤٤٣] حديث أبي أمامة، أن رسول الله ﷺ قال: «**أحب الجهاد إلى الله تعالى كلمة حق تقال لإمام جائر**»[١].

[٤٤٤] حديث المسْور بن مخرمة قال :قال رسول الله ﷺ :«**أحب الحديث إلى الله أصدقه**» [٢].

[٤٤٥] حديث جابر قال : قال رسول الله ﷺ: «**أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي**»[٣].

[٤٤٦] وحديث سمرة بن جندب قال :قال رسول الله ﷺ: «**أحب الكلام إلى الله تعالى أربع : سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا يضرك بأيهن بدأت**»[٤].

[٤٤٧] وحديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**أحب الكلام إلى الله ما اصطفاه الله لملائكته : سبحان ربي وبحمده، سبحان ربي وبحمده، سبحان ربي وبحمده**»[٥].

[٤٤٨] وفي حديث ابن عمرو قال، قال رسول الله ﷺ : «**أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله ـ عز وجل ـ سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في**

---

(١) أصله عند أحمد والطبراني وحسنه الألباني في صحيح الجامع ١٦٨، وفي الترغيب :٣/ ١٦٨.
(٢) صحيح الجامع ١٦٩.
(٣) حسنه الألباني في صحيح الجامع ١٧١، والصحيحة ٨٩٥.
(٤) مختصر صحيح مسلم للألباني ١٤١١ ،وأورده الألباني في صحيح الجامع ١٧٣.
(٥) صحيح الجامع ١٧٥، والترغيب :٢/ ٢٤٢

حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في المسجد شهرًا، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظًا ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضًا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قَدَمَهُ يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخلُّ العسلَ»[1].

وهذا الحديث جامع في مكارم الأخلاق ومحاب الله تعالى وفيه خصال مباركة من أدركها فقد فاز وحاز فضلًا كبيرًا وثوابًا جزيلًا .

[٤٤٩] وفي حديث جابر بن عبد الله ـ ﷺ ـ قال : قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى جميل يحب الجمال، ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها**»[2].

قال المناوي في فيض القدير ٢/ ٣٨٣ عند شرح هذا النص: وهي الأخلاق الشرعية والخصال الدينية، لا الأمور الدنيوية، فإن العلو فيها نزول، (**ويكره**) وفي رواية البيهقي (**ويبغض**)، (وسَفْسَافها)، بفتح أوله .أي : حقيرها و رديئها، فمن اتصف من عباده بالأخلاق الزكية أحبه، ومن اتصف بالأوصاف الرديئة كرهه، وشرف النفس صونها عن الرذائل والدنايا والمطامع القاطعة لأعناق الرجال فيربأ بنفسه أن يلقيها في ذلك، وليس المراد به التيه فإنه يتولد من أمرين خبيثين: إعجاب بنفسه وازدراء بغيره، والأول يتولد من خلقين كريمين: إعذار النفس وإكرامها وتعظيم مالكها، فيتولد من ذلك شرف النفس وصيانتها، ولمَّا خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ لكل من القسمين أهلًا لما مر أن بني آدم تابعون للتربة التي خلقهم منها، فالتربة الطيبة نفوسها طيبة، ...اهـ بتصرف كبير .

[٤٥٠] وعن الحسين بن علي ـ ﷺ ـ قال :قال رسول الله ﷺ : «**إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفسافها**»[3].

ثانيًا: الخلق الطيب ثقل في الميزان يوم القيامة :

[٤٥١] ففي حديث أبي الدرداء ـ ﷺ ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**أثقل شيء**

---

(١) حسنه الألباني في صحيح الجامع والصحيحة ٩٠٦.

(٢) صحيح الجامع ح/ ١٧٣٩ وله أصل في صحيح مسلم مطولًا :١/ ٦٥ وسنن أبي داود :٤٠٩١ وابن ماجة ٤١٧٣، ٥٩ .

(٣) صحيح الجامع : ١٨٨٦.

في ميزان المؤمن خلق حسن، إن الله يبغض الفاحش المتفحش البذيَّ»[١].

إن الوزن يوم القيامة مما طارت من أجله قلوب العالمين وارتجف من ذكره المخلصون، وهو حق وكائن يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَالوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ الأعراف:٨

وقد يتوقف عند حسنة واحدة كانت ستثقل بالكفة وترجح بصاحبها لينقذ من خزي يومئذ ومن ثمَّ نحن في حاجة ماسة إلى ثقلها يوم يقوم الأشهاد .

إن ثقل الميزان ورجحانه يوم القيامة يعني النجاة من العطب، والحماية من اللهب، فلا وصب ولا نصب، ولا إهانة، ولا تعب، يعني أن يضع المرء رحله في الجنة في وقت عز فيه النجاة، واستحالت فيه كَرَّةُ الحياة، فلا رجوع إلى الدنيا ولا مناص من استئناف أو مرافعة، فالمكتوب أخذ طابعًا وخاتمًا فلا رجوع ينجي من تلك الأهوال .ومن ثمّ فلابد من البحث عن كل عمل هو سبب في رجحان الميزان وإن كلف ما كلف؛ فإنه إزاحة غموم وهموم تنوء الجبال بحملها في يوم عصيب ثقيل عظيم طويل فَحري بنا أن نتنبه إلى ذلك ونعد له عدته قبل أن يداهمنا أمره وخطره. .

قال رسول الله ﷺ:«**أثقل شيء في الميزان الخلق الحسن**» [٢] وقد ورد الحديث مطولًا من رواية أبي الدرداء أيضًا مرفوعًا «**أثقل شيء في ميزان المؤمن خلق حسن، إن الله يبغض الفاحش المتفحش البذيَّ**» هكذا بدون همزة (البذيّ) [٣].

ثالثًا: القرب من النبي ﷺ في القيامة من ثمرات الأخلاق الحسنة:

إن صحبة الرسول ﷺ شرف ما بعده شرف، ولكنه حَمَّل الصحابة التضحيات النادرة والبذل العجيب، فلقد حملوا أرواحهم على أكفهم لما علموا حقيقة هذا الدين، وقد ذبوا عن النبي ﷺ بكل ما يملكون، وكان حبهم له ـ عليه السلام ـ قد فاق كل شيء حتى نفوسهم التي بين جنوبهم؛ لأن شرط حب الله ورسوله ﷺ أن يكون

---

(١) حسنه الألباني في صحيح الجامع ١٧٦، والصحيحة ٩٠٦.

(٢) صحيح الجامع :١٣٤، من حديث أبي الدرداء .والصحيحة ٨٧٦ ونسبه الألباني لابن حبان.

(٣) صحيح الجامع ١٣٥ وصححه الألباني ونسبه للبيهقي، وأورد في الصحيحة ٨٧٦ ونسبه أيضًا للترمذي والبخاري في الأدب المفرد وابن حبان .

أعظم من كل حب، والصحابة رضوان الله عليهم كان يهمهم هذا الأمر جدًّا، فلكم انشغلوا به وحرصوا عليه، لكنه على أي حال لا يناله المرء بالأماني الكاذبة ولا بالأحلام الوردية، ولكن بالعمل الدءوب والسعي المتواصل والمحبة الحقيقية ومن ثمّ كانوا يبذلون في سبيل تحصيله المهج والأرواح، ولذلك كان يخبرهم ﷺ أن المرء يكون مع من أحب، فمن أحب الله ورسوله فلقد مهد لنفسه وقدم لها، ومن قصر في ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

والنبي ﷺ أحق بهذا الحب وأهلٌ له؛ لأنه أحسن إلى هذه الأمة في جملتها، حيث أخرجها الله به من الظلمات إلى النور، و من الضلالة إلى الهدى، من البدع إلى معالم السنة، فصاروا سعداء من بعد طول شقاء.

قال القاضي عياض : وأما إحسانه وإنعامه على أمته، فذلك قد مرَّ منه في أوصاف الله تعالى من رأفته ورحمته لهم وهدايته إياهم، وشفقته عليهم، واستنقاذهم به بفضل الله من النار، وإنه بالمؤمنين رءوف رحيم، ورحمة للعالمين، ومبشرٌ ونذيرٌ، وسراجٌ منيرٌ، ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراطه المستقيم، فأي إحسان أجلُّ قدرًا وأعظم أجرًا من إحسانه إلى جميع المؤمنين، وأي إفضال أعم منفعة وأكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين، إذ كان ذريعتهم إلى الهداية، ومنقذهم من العماية وداعيهم إلى الفلاح ووسيلتهم إلى ربهم، وشفيعهم المتكلم عنهم والشاهد لهم. فقد تبين لك أنه ﷺ مستوجب للمحبة الحقيقية شرعًا ...[1] اهـ.

وقال رحمه الله : اعلم أن من أحب شيئًا آثره وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقًا في حبه وكان مدعيًا الصدق في حب النبي ﷺ مَنْ تظهر علامة ذلك عليه، وأولها الاقتداء به واستعمال سنته، واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أمره واجتناب نواهيه، والتأدب بأدبه في عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه، وشاهد هذا قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[2].

---

(١) كتاب الشفاء للقاضي عياض :٢/ ٢٦.

(٢) (آل عمران:٣١)وانظر إيثار الحق صـ١٢٣.

ولّما جاء أحد الصحابة يشكو للنبي ﷺ مخافة البعد عنه في الآخرة لعلو درجته عليه السلام وعظيم قدره فنزلت الآية ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[١].

[٤٥٢] ومعنا الآن في هذا المبحث حديث يؤكد هذا ويعضده، عن أبي ثعلبة الخشني، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحبكم إليَّ وأقربكم مني في الآخرة مجالس أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني في الآخرة أسوأكم أخلاقًا، الثرثارون، المتفيهقون المتشدقون**»[٢].

[٤٥٣] وفي رواية من حديث علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «**أقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسنكم خُلُقًا**»[٣].

قال المباركفوري: قوله (**إن من أحبكم إليَّ**) أي في الدنيا (**أحاسنكم** نصبه على التمييز، وجمعه لإرادة الأنواع، أو لمقابلة **الجمع بالجمع** (**وإن من أبغضكم إليَّ**)أي في الدنيا (**وأبعدكم مني يوم القيامة**)؛ و(**الثرثارون**)هم الذين يكثرون الكلام تكلفًا وخروجًا عن الحق .

والثرثرة : كثرة الكلام وترديده، و(**المتشدقون**) قال في النهاية: هم المتوسعون في الكلام من غير احتياط مأخوذ من الفهق وهو الامتلاء والاتساع كذا في النهاية، وقيل : هذا من الكبر والرعونة، وقال المنذري في الترغيب الثرثارون بثائين مثلثتين مفتوحتين، هو الكثير الكلام تكلفًا والمتشدق هو المتكلم بملأ شدقه تفاصحًا وتعظيمًا لكلامه والمتفيهق أصله من الفهق، وهو الامتلاء، وهو بمعنى المتشدق، لأنه الذي يملأ فيه بالكلام ويتوسع فيه إظهارًا لفصاحته، وفضله واستعلائه على غيره، ولذلك فسره النبي ﷺ بالمتكبر ...[٤]اهـ

---

(١) النساء:٦٩ وانظر تفسير ابن كثير : مكتبة الصفا ٢/ ٢١٣ فيها سبب النزول.

(٢) صحيح الجامع ١٥٣١

(٣) حسنه الألباني في صحيح الجامع :١١٨٧ والحديث عند الترمذي :٢٠١٨،من حديث جابر .قريبًا منه .

(٤) تحفة الأحوذي :٥/ ٤٢٧، ٤٢٨ بتصرف كبير.

أقوال لبعض أهل العلم في الأخلاق

أولًا: في حسن الخلق سعة الأرزاق :

قال يحيى بن معاذ ـ رحمه الله ـ: سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تنفع معها كثرة السيئات .

وقال الجنيد : أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه الحلم، والتواضع، والسخاء، وحسن الخلق وهو كمال الإيمان .

وقال الفضيل : لأن يصاحبني فاجر حسن الخلق أحب إليَّ من أن يصاحبني عابد سيء الخلق .

وقال الحسن : حسن الخلق : بسط الوجه، وبذل الندى وكف الأذى .

وقال أبو عثمان :هو الرضا عن الله تعالى .

وقال سهل التستري :أدناه الاحتمال، وترك المكافأة والرحمة للظالم، والاستغفار له والشفقة عليه. .

وقال :أن لا يتهم الحقَّ في الرزق، ويثق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن، فيطيعه ولا يعصي، في جميع الأمور فيما بينه وبينه، وفيما بينه وبين الناس .

وقيل : حسن الخلق : بذل الجميل وكف القبيح .

وقيل التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل ...[1] اهـ.

وقال الغزالي في بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق:

أحدهما: جود إلهي وكمال فطري:

بحيث يخلق الإنسان ويولد حسن الخلق وقد كُفي سلطان الغضب والشهوة، فيصير مؤدبًا بغير تأديب .

الثاني: اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة و الرياضة، وحمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب:

فالأخلاق الجميلة ممكن اكتسابها بالرياضة، وطالب تزكية النفس وتكميلها

---

(١) انظر (وخالق الناس بخلق حسن) للعفاني صـ٢٣.

وتحليتها بالأعمال الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم منها بعصيان يوم.

والثالث: بالمشاهدة لأرباب الأفعال الجميلة، ومصاحبتهم:

وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح، إذ الطبع يسرق من الطبع، الشر والخير جميعًا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعًا واعتيادًا وتعلمًا فهو في غاية الفضيلة، و من كان رَذْلاً بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى اعتادها، فهو في غاية البعد عن الله ﷻ، ولكلٍّ درجة القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صورته وحالته..[1] اهـ

ثانيًا: حسن الخلق يعدل أعظم العبادات:

إن السبق في ميادين الأعمال الصالحة سبق من نوع خاص، وليس الإسراع متوقفًا على المنطق العقلي ولكن الله تعالى له في خلقه وشرعه شئون **﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾** وقال: **﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾** وعلى هذا فالله تعالى: **﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾**

وهو سبحانه أعلم بشئون خلقه ما يصلحهم مما يشقيهم وعلى هذا فقد شرّع لهم ما يسعدون به غاية السعادة إن هم سمعوا وأطاعوا ولم يبدلوا تبديلًا، ومن هذه الأعمال التي هي علامة بارزة في السبق والمسارعة إلى الله تعالى: الأخلاق الفاضلة.

[٤٥٤] عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أكمل المؤمنين أحسنهم خلقًا، وإن حسن الخلق ليبلغ درجة الصوم والصلاة**»[2].

[٤٥٥] وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار**»[3].

[٤٥٦] وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل، الظامئ بالهواجر**»[4].

---

(١) انظر (وخالق الناس بخلق حسن) للعفاني صـ٣٤، ٣٥.

(٢) صحيح الجامع ١٥٧٨

(٣) صححه الألباني في صحيح الجامع ١٦٢٠

(٤) حسنه الألباني في صحيح الجامع: ١٦٢١، ونسبه للطبراني عن أبي أمامة وفي الصحيحة ٧٩٤

[٤٥٧] وعن ابن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : «**إنَّ المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله بحسن خلقه وكرم ضريبته**»[١].وضريبته: أي سجيته .

قال أهل العلم : وإنما أعطي صاحب الخلق الحسن هذا الفضل العظيم، لأن الصائم والمصلي بالليل يجاهدان أنفسهما في مخالفة حظهما، وأما من يحسن خلقه مع الناس مع تباين طبائعهم وأخلاقهم فكأنه يجاهد نفوسًا كثيرة، فأدرك ما أدركه الصائم القائم، فاستويا في الدرجة، بل ربما زاد. والحديث سكت عنه المنذري وقال في كتاب الترغيب : رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما ولفظه «**إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجات قائم الليل وصائم النهار**» [٢].

[٤٥٨] عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن الله ليبلغ العبد بحسن خلقه درجة الصوم والصلاة**».

وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[٣] .

[٤٥٩] حديث مالك عن يحيى بن سعيد أنه قال :«**بلغني أن المرء ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل الظامئ بالهواجر**»[٤].

قال الكاندهلوي (أنه قال بلغني) قال ابن عبدالبر في التجريد :هذا لا يجوز أن يكون رأيًا، وإنما هو توقيف، وقد رُوي مسندًا عن النبي ﷺ من حديث عائشة وأبي أمامة وجابر وأبي هريرة، ورواه زهير بن معاوية عن يحيى بن سعيد، عن القاسم عن عائشة، عن النبي ﷺ ...اهـ.

قال الكاندهلوي :قلت أخرجه أبو داود برواية المطلب عن عائشة، وقال السيوطي في الجامع الصغير «**إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم**»....قال الباجي : ومن حسن الخلق مجاملة الزوجة والأهل ومعاشرتهم

---

(١) صحيح الجامع ١٩٤٩ والصحيحة :٥٢٢

(٢) رواه الطبراني في الأوسط وقال: صحيح على شرط مسلم وقد مرَّ تخريجه .

(٣) الحاكم في المستدرك والبخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني ٢٣٤٩ والصحيحة ح٤٥

(٤) مالك في الموطأ في أوجز المسالك ك/ الجامع :١٤/ ١٢٩ وقد سبق تخريجه

والتوسعة عليهم، قال مالك: ينبغي للرجل أن يحسن إلى أهل داره حتى يكون أحبَّ الناس إليهم. (**درجة القائم بالليل**) بالعبادة (**الظاميء**) أي العطشان. (**بالهواجر**) جمع هاجرة، أي: في شدة الحر بسبب الصوم لأنهما مجاهدان لأنفسهما في مخالفة حظهما من الطعام والشراب والجماع والنوم وغيرها، ومن حسن خلقه يجاهد نفسه في تحمل أثقال مساوئ أخلاق الناس وهو جهاد كبير ... قال العلقمي أعلى درجات الليل : القيام في التهجد، وأعلى درجات النهار الصيام في شدة الهواجر و صاحب الخلق الحسن يدرك ذلك بسبب حسن خلقه .اهـ.

قال صاحب المحلى : فاستويا في الدرجة بل ربما زاد، قال الباجي: ليدرك بحسن خلقه درجة المتنفل بالصوم والصلاة لصبره على الأذى، وكفه عن أذى غيره، والمعارضة عليه مع سلامة صدره من الغل ...اهـ .

ثالثًا: الأخلاق الكريمة سبيل إلى رحمة الله تعالى :

إن الله تعالى عفو يحب العفو، غفور يحب الصفح، كريم يحب الكرم والجود، ويحب الإحسان ويثيب عليه، ومن رزق هذه الخصال المباركة عومل بقصده الطيب ونيته الصالحة، وقد ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة في ذلك كي يعلِّم الناسَ أنه من رحم الناس رحمه الله، ومن غفر ظلمهم غفر له الله، ومن عفا عنهم عفا عنه الله، ومن سترهم ستره الله تعالى، قال تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

وقال سبحانه: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ [آل عمران:١٥٩] وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء :١٠٧] كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ [التوبة :١٢٨] .

عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة. قال : فقال: **أجل والله !إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾**

[الأحزاب : ٤٥] وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله تعالى، حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا[1].

قال الحافظ في الفتح: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾...أي : شاهدًا على الأمة، ومبشرًا للمطيعين بالجنة وللعصاة بالنار، أو شاهدًا للرسل قبله بالإبلاغ .

قوله (وحِرْزًا) بكسر المهملة وسكون الراء بعدها زاي أي :حصنًا، و(الأميين) هم العرب.

وقوله (سميتك المتوكل) أي على الله؛ لقناعته باليسير والصبر على ما كان يكره. (ليس بفظ ولا غليظ) هو موافق قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

ولا يعارض قوله تعالى: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة :٧٣] لأن التقي محمول على طبعه الذي جُبِلَ عليه، والأمر محمول على المعالجة، أو التقي بالنسبة للكفار والمنافقين كما هو مصرح به في نفس الآية . قوله (ولا سخاب) وهي بالصاد أشهر ـ صخاب ـ أي: غير مرتفع الصوت ....اهـ بتصرف من الفتح هكذا كان النبي ﷺ وكان يربي الصحابة ﷺ ـ على معالي الأخلاق ورفيع الآداب والخصال، ففي عفوه عن الناس ما يدهش .

[٤٦٠] فعن أنس أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها فجيء بها فقيل :ألا نقتلها؟ قال : «لا» قال : فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ[2] .

---

(١) صحيح الأدب المفرد :١/ ٨١ ، بـ/ الانبساط إلى الناس وهذا لفظه، وهو في الصحيح للبخاري أيضًا في ك/ التفسير سورة الفتح، بـ/ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾. وانظر البخاري في الفتح ٨/ ٤٤٩ ولكن باختلاف في الألفاظ ح٤٨٣٨

(٢) الأدب المفرد بتحقيق الألباني ح١٨٢ ، والحديث في صحيح البخاري أيضًا في كتاب الهبة، باب قبول الهدية من المشركين:٥/ ٢٧٢ ح٢٦١٧ ومسلم نووي في كتاب السلام، بـ/ السم:١٤/ ١٧٨

[٤٦١] وعن وهب بن كيسان، قال : سمعت عبدالله بن الزبير يقول على المنبر:﴿خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾ قال: «**والله ما أمر بها أن تؤخذ إلا من أخلاق الناس، والله لآخذنها منهم ما صحبتهم**»(١) .

[٤٦٢] وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قيل: يا رسول الله : ادع الله على المشركين، قال: «**إني لم أبعث لعانا، ولكني بعثت رحمة**»(٢).

هكذا كان التعليم المباشر والتطبيق العملي تربية وتهذيبًا وإصلاحًا وتقويمًا :

١ـ في شأن السماحة .

[٤٦٣] عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**رحم الله رجلًا سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى**»(٣) .

قال الحافظ في الفتح (رحم الله رجلًا) يحتمل الدعاء ويحتمل الخبر ....ويؤيد الثاني ما رواه الترمذي من طريق زيد بن عطاء بن السائب، عن بن المنكدر، وفي هذا الحديث بلفظ «غفر الله لرجل كان قبلكم كان سهلًا إذا باع» الحديث. وهذا يشعر بأنه قصد رجلًا بعينه ....وقد يستفاد منه العموم ...(٤)اهـ .

وقال رحمه الله: (والسمح) الجواد، يقال : سمح بكذا إذا جاد، والمراد هنا : المساهلة، (وإذا اقتضى):أي طلب قضاء وحقه بسهولة وعدم إلحاف ...

[٤٦٤] **وللترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة مرفوعًا** «إن الله يحب سمح البيع، سمح الشراء سمح القضاء» .

[٤٦٥] وفي حديث ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير أن حكيم بن حزام أخبره أنه قال لرسول الله ﷺ: أيْ رسول الله، أرأيت أمورًا كنتُ أتحنث بها في

---

(١) الأدب المفرد بتحقيق الألباني، ح/ ١٨٣، بـ/ العفو والصفح عن الناس وقال محققه : صحيح الإسناد وأصل الحديث في البخاري في الصحيح كتاب التفسيرالفتح :٨/ ١٥٥ ح ٤٦٤٣ وطرفه:٤٦٤٤ ونحوه في الفتح :١٣/ ٢٦٤ ح٧٢٨٦.

(٢) صحيح الأدب المفرد ح/ ٢٤٤،والصحيحة : ٢٥٠٢ ومختصر مسلم١٨٢٢

(٣) صحيح المشكاة ح ٢٧٩٠

(٤) رواه البخار يفتح:٤/ ٣٥٩ ح٢٠٧٦ في كتاب البيوع ،بـ/ السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقًا .

الجاهلية، من صدقة أو عتاقًا أو صلة رحم ؟ أفيها أجر ؟ فقال رسول الله ﷺ : «أسلمت على ما أسلفت من خير» (١).

ولذا قال رسول الله ﷺ: «**اسمح يسمح لك**» (٢).

[٤٦٦] وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «**أفضل المؤمنين رجل سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء سمح الاقتضاء**» (٣).

[٤٦٧] وعن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بمن يحرم عليه النار، أو تحرم عليه النار غدًا، على كل هين لين سهل**»(٤).

٢ـ وفي شأن رحمة الصغير وتوقير الكبير :

[٤٦٨] عن أبي قسيط، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا فليس منَّا**» (٥).

وفي عون المعبود قال المؤلف (**ويَعرفْ**) بالجزم (**حق كبيرنا**) أي من التعظيم والتبجيل (**فليس منا**) أي: من أهل سنتنا، وقيل: من خواصنا، وهو كناية عن التبرئة ...اهـ.

وقال المناوي : قال الحكيم : إجلال الكبير هو حق سِنِّه؛ لكونه تقلب في العبودية لله في أمد طويل، ورحمة الصغير : موافقة لله، فإنه رحمه ورفع عنه العبودية ...اهـ.

وعلى ذلك فمعنى (**ليس منا**) أي: لمخالفة السنة أو ليس من أهل الكمال، أو هو من أهل التقصير والمعاصي، وهذا نقص مؤكد وعلى هذا فالمسلم يرحم الخلق أجمع يبجل كبيرهم ويجعله كالوالد ويرحم صغيرهم ويجعله كالأخ أو

---

(١) مسلم كتاب الإيمان ، باب بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده

(٢) أحمد في المسند :١/ ٢٤٨ وقال الشيخ أحمد شاكر: وصحيح ،انظر المسند تحقيق الشيخ أحمد شاكر :٤/ ٥٤.

(٣) انظر مجمع الزوائد للهيثمي :٤/ ٧٥ وقال :رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات ،آهـ ويشهد له حديث جابر بن عبد الله المتقدم آنفًا ،انظر الفتح :٤،ح/ ٢٠٧٦

(٤) الترمذي :٢٤٨٨،وانظر صحيح الجامع ٢٦٠٩،والصحيحة ٩٣٨

(٥) الأدب المفرد ،ح/ ٣٥٣ وصحيح الجامع ،ح/ ٦٥٤٠،وصحيح الترغيب ٩٨،ورواه أبو داود ح/ ٤٩٢٢،كتاب الأدب باب الرحمة

الابن وكل له قسط من الرحمة فمن فعل ذلك كان أهلًا ليُرحم ـ بإذن الله ـ .

[٤٦٩] وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: أتقبلون صبيانكم ؟! [والله] ما نقبلهم ، فقال النبي ﷺ: «**أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة**» [(١)].

[٤٧٠] وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا فقال الأقرع :إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال : «**من لا يرحم لا يُرحم**»[(٢)].

[٤٧١] ومن حديث المغيرة بن شعبة عن أبي هريرة قال : سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**»[(٣)].

قال المناوي في فيض القدير :٦/ ٥٥٠ ح/ ٩٨٧٠ : «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**»لأن الرحمة في الخلق رقة القلب ورقته علامة الإيمان، ومن لا رقة له لا إيمان له، ومن لا إيمان له شقي، فمن لا يرزق الرقة شقي . ذكره الطيبي. قال ابن العربي :حقيقة الرحمة إرادة المنفعة، وإذا ذهبت من قلب شقي بإرادة المكروه لغيره، ذهب عنه الإيمان والإسلام قال ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من يأمن جاره بوائقه**» .

وكما يلزم أن يسلم من لسانه ويده، يلزم أن يسلم من قلبه وعقيدته المكروهة فيه، فإن اليد واللسان خادمان للقلب ...اهـ.

وقال الزين العراقي :هل المراد منه تنزع الرحمة من قلبه بعد أن كان في قلبه رحمة؛ لأن حقيقة النزع إخراج شيء من مكان كان فيه، أو المراد : لم يجعل في قلبه رحمة أصلًا فيكون كقوله ﷺ : «**رفع القلم عن ثلاث**»، والمراد شقاء الآخرة أو

---

(١) البخاري في كتاب الأدب المفرد ،ب/ رحمة الولد تقبيله ومعانقته ومسلم ك/ الفضائل وهذا لفظ الأدب المفرد تحقيق الألباني ح٦٧

(٢) البخاري فتح الباري :١٠/ ٤٤٠،ح/ ٥٩٩٧ ،وفي الأدب المفرد ٣٧٤ ،والترمذي ١٩٢٣،

(٣) عند أبي داود:٤/ ٢١٠٥ ك/ الأدب بـ/ في الرحمة وهو حديث حسن رقم ٤٩٤٢ وانظر البخاري في الأدب المفرد :١/ ٣٦٦ والترمذي في البر والصلة بـ/ ما جاء في رحمة المسلمين ح١٩٢٣ وحسنه الترمذي .

الدنيا أو هُمَا، وبالرحمة العامة كما في رواية الطبراني.

قال القرطبي : الرحمة : رقة وحُنُوّ يجده الإنسان في نفسه عند رؤيته مبتلى أو صغيرًا أو ضعيفا أو رضيعًا يحمله على الإحسان أو العفو أو اللطف والرفق به، والسعي في كشف ما به، وقد جعل الله هذه الرحمة في الحيوان كله، يعطف الحيوان على نوعه وولده ويحن عليه حال ضعفه وصغره ... وهذه الرحمة التي جعلها الله في القلوب في هذه الدار التي ثمرتها هذه المصلحة العظيمة التي هي حفظ النوع رحمة واحدة من مائة رحمة ادخرها الله ليوم القيامة ليرحم بها عباده .

فمن خلق الله في قلبه هذه الرحمة الحاملة على الرفق وكشف ضرر المبتلى، فقد رحمه الله بذلك في الجنان وجعل ذلك زيادة على رحمته إياه في المآل، ومن سلبه ذلك المعنى وابتلاه بنقيضه من القسوة والغلظة، ولم يلطف بضعيف ولا أشفق على مبتلى فقد أشقاه حالًا وجعل ذلك علمًا على شقوته مآلًا، نعوذ بالله من ذلك وعلى هذا فالمرء إذا رزق رحمة من الله في قلبه ظهرت آثارها الطيبة على الجوارح وفي الواقع، فيرحم الناس ويرحم الأقارب ويحنو على الصغير ويرحم الدواب .

[٤٧٢] عن أنس بن مالك قال: جاءت امرأة إلى عائشة ـ رضي الله عنها ـ فأعطتها عائشة ثلاث تمرات فأعطت كل صبي لها تمرة، وأمسكت لنفسها تمرة، فأكل الصبيان التمرتين، ونظرا إلى أمهما، فعمدت إلى التمرة فشقتها فأعطت كل صبي نصف تمرة فجاء النبي ﷺ فأخبرته عائشة فقال: «**وما يعجبك من ذلك ؟ لقد رحمها الله برحمتها صبييها**»(١).

[٤٧٣] عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: «**من لا يرحم لا يرحم**»(٢) .

[٤٧٤] وعن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ :«**لا يرحم الله من لا يرحم الناس**» وفي طريق أخرجه بلفظ: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**»(٣).

---

(١) صحيح الأدب المفرد ،ح/ ٦٦،والسلسلة الصحيحة ٣١٤٣[بمعناه في مسلم ،ك/ البر والصلة والآداب] والبخاري في الصحيح في ك/ الزكاة .

(٢) سبق تخريجه في الصفحة قبل السابقة

(٣) صحيح الجامع ح/ ٧١

٣ ـ رحمة البهائم:

[٤٧٥] عن معاوية بن قرة، عن أبيه، أن رجلًا قال : يا رسول الله! إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها، أو قال إني لأرحم الشاة وأنا أذبحها. فقال ﷺ «**و الشاة إن رحمتها رحمك الله**» (١).

[٤٧٦] وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «**بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئرًا فشرب منها، ثم خرج، فإذا هو بكلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل : لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه، ثم رَقِيَ فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له، قالوا : يا رسول الله: وإن لنا في البهائم أجرًا ؟ قال: في كل كبدٍ رطبةٍ أجرٌ**» (٢).

إن الله تعالى رحيم يحب من عباده الرحماء وعفو يحب العفو .

٤ ـ ومن رحم رحمه الله تعالى:

[٤٧٧] عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ:«**من رحم ولو ذبيحةً رحمه الله يوم القيامة**»(٣).

[٤٧٨] وعن خالد الكلاعي، عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعين عليه ....فإذا ركبتم الدواب العجم فأنزلوها منازلها، فإن أجدبت الأرض فناجوا عليها**»(٤).

[٤٧٩] وقال رسول الله ﷺ: «**رحم الله امرأ تكلم فغنم أو سكت فسلم**».

[٤٨٠] وفي حديث ابن عمرو، قال رسول الله ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»(٥).

---

(١) البخاري في كتاب الأدب المفرد ٣٧٣ ،وانظر صحيح الأدب المفرد ٢٨٧،والصحيحة ٢٦

(٢) البخاري في الفتح:٥/ ٥٠ ح٢٣٦٣ ،ك/ المساقاة ،بـ/ فضل سقي الماء وفي الأدب المفرد تحقيق الألباني ح/ ٩١،وفي الأدب بلفظ (خفاه)

(٣) صحيح الجامع ح٦٢٦١، وحسنه الألباني وذكره في الصحيحة ٢٧

(٤) الطبراني :٢٠/ ٨٥٢،وقال الهيثمي في المجمع :٣/ ٢١٦،رجاله رجال الصحيح وأخرجه مالك مرسلًا :٢/ ٩٧٩

(٥) صحيح الجامع ،ح٣٤٩٢ ،والصحيحة ٨٥٣ عن أنس وحسنه الألباني

أصل هذا الحديث في البخاري من حديث جرير بن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «**من لا يرحم لا يرحم**»(١).

قال الحافظ في الفتح : وفي حديث الأشعث بن قيس عند الطبراني في الأوسط «**من لم يرحم المسلمين لم يرحمه الله**».

قال ابن بطال : فيه الحث على استعمال الرحمة لجميع الخلق فيدخل فيه المؤمن والكافر والبهائم. .

رابعًا : الأخلاق الحميدة سبيل إلى المغفرة :

إن من أسماء الله تعالى الحسنى ـ وكل أسمائه حسنى ـ الغفور ـ الغفار ـ كما قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الغَفُورُ الوَدُودُ**﴾ البروج:١٤ وقال سبحانه: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾ طـه:٨٢ والعجيب أن هذا الاسم الطيب المبارك ورد ذكره كثيرًا في القرآن قرابة مائة مرة، وكثير ما يرد مقترنًا باسمه الرحيم، قال تعالى:﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ البقرة :١٧٣ كما قال سبحانه: ﴿**ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا الله إِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ البقرة :١٩٩.

وجاء هذا الاسم المبارك مقترنا باسمه الحليم فقال تعالى: ﴿**لا يُؤَاخِذُكُمُ الله بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَالله غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾ البقرة:٢٢٥ وجاء مقترنا باسمه العفو فقال سبحانه: ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ الله إِنَّ الله لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**﴾ الحج:٦٠ وجاء مقترنًا باسمه الشكور قال تعالى:﴿**وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ الله غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ الشورى: ٢٣.

والفرق بين الغفور والغفار، أن الغافر اسم فاعل يفيد حدوث الفعل دون مبالغة أو تكرار، قال تعالى: ﴿**غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ**﴾ غافر:٣ وأما الغفار فهي صيغة مبالغة فهو تام المغفرة كامل الغفران تامُّه حتى تبلغ المغفرة أقصاهًا .

---

(١) صحيح الجامع ٣٥٢٢

قال القرطبي : الغفار هو الذي أظهر الجميل وستر القبيح، والذنوب من جملة القبائح التي سترها بإسبال الستر عليها في الدنيا والتجاوز عن عقوبتها في الآخرة، والغفر، الستر .

وأول ستره على العبد أن جعل مقابح بدنه التي تستقبحها الأعين مستورة في باطنه مغطاة بجمال ظاهره، فكم بين باطن العبد وظاهره في النظافة والقذارة وفي القبح والجمال فانظر ما الذي أظهره، وما الذي ستره، **وستره الثاني** أن جعل مستقر خواطره المذمومة وإرادته القبيحة سِرَّ قلبه حتَّى لا يطَّلع أحد على سره ولو انكشف للخلق ما يخطر بباله في مجال وساوسه وما ينطوي عليه ضميره من الغش والخيانة وسوء الظن بالناس لمقتوه بل سَعَوا في تلف روحه وأهلكوه فانظر كيف ستر عن غيره أسراره وعورته .

وستره الثالث : مغفرته ذنوبه التي كان يستحق الافتضاح بها على ملأ الخلق، وقد وعد أن يبدل سيئاته حسنات: ليستر مقابح ذنوبه بثواب حسناته مهما مات على الإيمان. .

قال الحليمي عن اسم الله الغافر : هو الذي يستر على المذنب ولا يؤاخذه به فيشهره ويفضحه...[1]اهـ.

الأدلة على أن الأخلاق سبيل إلى هذه المغفرة :

[٤٨١] عن أبي صالح، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ :«**رحم الله رجلًا قام من الليل فصلىَّ ثم أيقظ امرأته، فصلَّت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فَصَلَّتْ، ثم أيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء**»[2].

[٤٨٢] وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق، فأخره فشكر الله له فغفر له**» [3].

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي : صـ٥٥

(٢) أحمد في المسند وأبو داود ،ح/ ١٤٥،١٣٠٨،وابن ماجة ٦٣٣٦، والنسائي :٣/ ٢٠٥ وصحيح الترغيب ٦٢١،والمشكاة ١٢٣٠،

(٣) مسلم:٦/ ٥١ وأصله في البخاري :١/ ١٦٧ ك/ البر والصلة والترمذي ك/ البر والصلة ،بـ/ ما

[٤٨٣] وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ: «**إن رجلًا غفر له في غصن شوك جَرَّه عن طريق، المسلمين**»(١).

وفي رواية «**حوسب رجل فلم يوجد له من الخير شيء، إلا غصن شوك كان على الطريق يؤذي الناس، فنحَّاه فغُفر له**» (٢).

[٤٨٤] وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**اعبدوا الرحمن، وأطعموا الطعام، وأفشوا السلام، تدخلون الجنان**» (٣).

[٤٨٥] عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**يغفر للشهيد كل ذنب**» وفي رواية «**القتل في سبل الله يكفر كل شيء إلا الدين**»(٤).

٥ـ وفي إنظار المعسر والتجاوز عنه:

[٤٨٦] عن حذيفة رضي الله عنه قال:«**أُتى الله بعبد من عباده، آتاه الله مالا، فقال له : ماذا عملت في الدنيا؟ قال : يارب آتيتني مالك، فكنت أبايع الناس، وكان من خُلقي الجواز، فكنت أتيسر على الموسر، وانظر المعسر، فقال الله : أنا أحق بذا منك تجاوزوا عن عبدي**» قال عقبة بن عامر: سمعناه من رسول الله ﷺ (مسلم :٣/ ٥٧،ك/ البيوع في انظار المعسر).

هذه أخلاق عظام نتاجها محو السيئات والتجاوز عن صاحبها وعن تبعاته التي لحقته وكادت أن توبقه وتهلكه لولا أن منَّ عليه ربه بخصلة مباركة في خُلُقٍ مبارك فكان منه فلاحه وإنجاحه وعوفي من عذاب الحريق وهكذا ثمار الأخلاق الزاكية .

[٤٨٧] وعن ثابت، عن أنس بن مالك قال: «**قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ قال : قال ربكم : أنا أهل أن أُتقى فلا يجعل معي**

جاء في إماطة الأذى عن الطريق

(١) الزهد لـ هناد بن السري : ٢/ ٥٣٢،ح/ ١٠٧٧ وأحمد:٢/ ٢٨٦

(٢) الزهد لـ هناد ح/ ١٠٧٨،المجلد :٢ ،صـ٥٣٢ وأحمد :٢/ ٤٨٥

(٣) أحمد تحقيق الشيخ أحمد شاكر ،وقال رحمه الله إسناده حسن :١٠/ ٩٣،ح/ ٦٥٨٧ وأخرجه الترمذي في :٣/ ٣٣٨،ك/ الأطعمة ما جاء في فضل الطعام ،ح/ ١٨٦١،وقال الترمذي :حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن زياد عن أبي هريرة

(٤) أحمد :٧٠٥١،ومسلم :٣/ ٣٧٦،ح/ ٤٩١٧ ك/ الجهاد

إله، فمن اتقى أن يجعل معي إلهًا آخر فأنا أهلٌ أن أغفر له»[١].

٢ـ المصافحة خلق نتاجه المغفرة بحول الله تعالى :

[٤٨٨] عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلمين يلتقيان، فيتصافحان، إلا غُفِرَ لهما قبل أن يفترقا**»[٢]

رواية أخرى مفسرة مقيِّدة .

[٤٨٩] عن البراء قال: قال رسول الله ﷺ «**ما من مسلمين يلتقيان، فيسلم أحدهما على صاحبه، ويأخذ بيده لا يأخذه إلا لله ـ ﷻ ـ لا يتفرقان حتى يغفر لهما**»[٣].

وفي رواية «**...تفرقا ليس بينهما خطيئة**»[٤]

تلك شريعة الإسلام الغراء، وهذه أخلاق الفضلاء غرس للود بين الناس ونشرًا للألفة والسعادة وابتهاج القلوب وقرة عيون الأنفس، وسرور الأرواح، والمهج ويعقب ذلك غسل الخطايا غسلًا، فأية منِّةٍ هذه وأي فضل ذلك، وأية رحمة هذه ؟!!

٣ـ الرد عن عرض المؤمن بالغيب

[٤٩٠] حديث أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ «**من ردَّ عن عرض أخيه، ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة**»[٥].

وفي لفظ «**....كان له حجابًا من النار**»[٦]

[٤٩١] وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ «**غفر لامرأة مومسة مرَّت بكلب على رأس ركيٍ يلهث، ـ قال كاد يقتله العطش ـ فنزعت له من الماء**

---

(١) أحمد :٣/ ١٤٢،والدارمي :٢٧٢٧،ابن ماجة ٤٢٩٩، والترمذي ٣٣٢٨، والنسائي كبرى تحفة الأشراف ٤٣٤

(٢) أحمد :٤/ ٢٨٩،وأبو داود ٥٢١٢،ابن ماجة ،ح/ ٢٧٠٣ وانظر صحيح الجامع ٥٧٧٧

(٣) أحمد :٤/ ٢٢٩ وانظر صحيح الجامع ٥٧٧٨ وحسنه الألباني والصحيحة ٥٢٥

(٤) أحمد :٤/ ٢٩٣،وأبو داود :٥٢١١،وانظر صحيح الجامع ٥٧٧٧، والصحيحة : ٥٢٥

(٥) صحيح الجامع :٦٢٦٢،بمعناه

(٦) انظر غاية المرام ٤٣١

فغُفر لها بذلك»[١].

لما كان ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، وعلم الله تعالى خصائص خلقه الروحية والبدنية والنفسية، فإنه تعالى يسَّر لهم أخلاقهم حتى يجبر بها كسرهم ويرحم بها ضعفهم، ويغفر بها ذنوبهم ليكونوا حقيقين بالجوار المبارك مع تلك الكوكبة المباركة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ومن ثمَّ شرَّع الله تعالى هذه الأخلاق، ومن عجب أنها سعادة للعبد في ذاتها ثم يقر بها الله أعين الأقربين من الوالدين فمن دونهما مِنّة من الله وحنانا من لدنه ورأفة بالعباد، ومن هذه الأخلاق حقوق الوالدين سبب واصل و ثيق لمغفرة الله ورحمته وهى من أعظم أخلاق أهل الدنيا والآخرة .

[٤٩٢] عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني أصبت ذنبًا عظيمًا، فهل لي توبة ؟ قال رسول الله ﷺ «**هل لك من أمٍّ ؟قال : لا . قال ﷺ : هل لك من خالة ؟ قال نعم . قال ﷺ :فبرها**»[٢].

فهذا رجل اقترف ذنبًا وأجهده شؤمه وعكر عليه صفوه وراح يبحث عن حل لما نزل به، وهل يمكن أن يتدارك أمره، ويتوب إلى رشده ويستغفرالله من ذنبه ويعود مجددًا إلى ربه أم لا؟ وذهب إلى الحبيب والطبيب يعرض عليه معضلته فإذا به يجد ضالته من غير إجهاد وبشكل سهل ميسور، يبحث الرجل عن باب التوبة أين يكون طريقه ؟ وما هو السبيل الموصل إليه ؟ وهل يسعه أن يستأنف العمل بعيدًا عن صرخات هذا الذنب العكر وتزين الشياطين أن لا توبة مجدية ! وهنا يدله النبي ﷺ على الخلاص (**هل لك من أمٍّ**) ويا للأسف فإن أمه ماتت حيث أنها تمثل أوسط أبواب الجنة، ويا لها من خسارة لمن لم يدخر هذا الباب العظيم المقرب بإذن الله من النعيم المقيم وهنا قال له رسول الله ﷺ: «**مرة أخرى «هل لك من خالة» ليفتح أمامه بابًا آخر وأفقًا جديدًا وأملًا عزيزًا فيجيب متلهفًا: نعم فيقول ﷺ (فبرها)**.

---

(١) البخاري :٤/ ١٥٨ وأحمد :٢/ ٢٦١ وانظر صحيح البخاري :٤/ ٢١١ ومسلم :٧/ ٤٤

(٢) صحيح سنن الترمذي :٢/ ٣٤٣، وصححه الألباني في كتاب البر ما جاء في بر الخالة ح/ ١٩٠٤ وانظر التعليق الرغيب :٣/ ٢١٨

يا حسرة على الضائعين الخائبين الذين ماتوا وما دخلوا بحبوحة جنة الآداب الإسلامية والأخلاق الربانية يا ويلهم خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها يا خسارة الباطلين ويا لبؤسهم الدفين ودهشتهم المنكرة إذا عاينوا الآخرة فانكشف المخبوء وعلموا تلك الأبواب التي كانت بين أيديهم مفتحة على مصارعها وغرتهم عنها الحياة الدنيا وغرهم الغرور ولعب بهم الشيطان الرجيم .

خامسًا: الأخلاق الطيبة تلحق صاحبها بخير الناس :ـ

إن الله تعالى وحده يعلم مقادير خلقه وحده، لا يعلم مقاديرهم سواه ورب أشعث أغبر ليس يهتم الناس به، ولا يحتفون بل لعلهم ينظرون إليه بازدراء يكون له الوزن العظيم عند الله تعالى .

[٤٩٣] قال ﷺ: **«رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره»**[(١)].

وتقييم الناس عند الله له موازين غير التي ألفها كثير من الناس اليوم، حيث ينظرون إلى ما له وحسبه ونسبه، وحسن منظره ويعاملونه رفعة وانخفاضًا من حيث هذا المبدأ وذلك المظهر !!!

وما هكذا كان شرع الله تعالى . إن الله يعامل الناس ويرفعهم درجات سامقة حسب إيمانهم وآدابهم وأعمالهم الصالحة يقول سبحانه: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ الحجرات: من الآية١٣ ورسوله ﷺ يبين هذه الضوابط في أحاديث كثيرة تتكلم عن معادن الناس وأقدارهم ووزنهم عند الله ربهم بألفاظ كثيرة منها لفظ «خيركم»أو «إن خيركم» وهكذا ليعي الناس دينهم فيتنافسون في تحقيق أخلاقه وآدابه بعد الإيمان العميق المبني على العمل.

فمن ذلك على سبيل المثال .

١ـ حسن القضاء .

[٤٩٤] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ **«أن رجلًا تقاضى رسولَ الله ﷺ فأغلظ له، فهمَّ به أصحابُه، فقال : دعوه . فإن لصاحب الحق مقالًا، واشتروا له بعيرًا، فأعطوه إياه، وقالوا :لا نجد إلا أفضل من سنِّه، قال : اشتروه فأعطوه إياه فإن**

(١) حديث صحيح انظر مختصر مسلم للألباني ١٩٧٢ وانظر صحيح الجامع :١/ ٦٥٥ ح ٣٤٨٤ .

خيركم أحسنكم قضاءً »[١].

[٤٩٥] وفي رواية لمسلم (كان لرجل على رسول الله ﷺ حقٌّ فأغلظ له، فهمَّ به أصحاب النبي ﷺ فقال النبي ﷺ «**إن لصاحب الحق مقالا، فقال لهم :اشتروا له سِنا هو خير من سنه قال فاشتروه فأعطوه إياه، فقالوا :إنا لا نجد إلا سنًا هو خير من سنه، قال فاشتروه فأعطوه إياه، فإن من خيركم، أو خيركم أحسنكم قضاءًا**»[٢].

معنى يتقاضاه أي : يطلب منه قضاء الدَيْن .

قال الحافظ : قوله (**فأغلظ له**) محتمل أن يكون الإغلاظ بالتشديد في المطالبة من غير قدر زائد، ويحتمل أن يكون بغير ذلك ويكون صاحب الدينْ كافرًا، فقد قيل: إنه كان يهوديًا، والأول أظهر لما تقدم من رواية عبد الرزاق أنه كان أعرابيًا وكأنه جرى على عادته من جفاء المخاطبة، ووقع في ترجمة بكر بن سهل في معجم الطبراني الأوسط، عن العرباض بن سارية ....والقصة وقعت للأعرابي ووقع للعرباض نحوها قوله: (فهمَّ به أصحابه)أي أراد أصحاب النبي ﷺ أن يؤذوه بالقول والفعل لكن لم يفعلوا أدبًا مع النبي ﷺ قوله: (فإن لصاحب الحق مقالًا) أي : صولة الطلب وقوة الحجة لكن مع مراعاة الأدب المشروع قوله (واشتروا له بعيرًا) وفي رواية عبد الرزاق أي :التمسوا له مثل سن بعيره،قوله (فإن خيركم أحسنكم قضاءًا)والمراد خيرهم في المعاملة. وفي الحديث جواز المطالبة بالدينْ إذا حلَّ أجله، وفيه حسن خلق النبي ﷺ ، وعظم حلمه وتواضعه وإنصافه، وأن من عليه دين لا ينبغي له مجافاة صاحب الحق، وإن من أساء الأدب على الإمام كان عليه التعزير بما يقتضيه الحال، إلا أن يعفو

---

(١) البخاري فتح :٥/ ٦٩ ك/ الاستقراض ب/ استقراض الإبل ح/ ٢٣٩٠ .

(٢) الحديث في سنن الدارمي ك/ البيوع في الرخصة في استقراض الحيوان :٢/ ٣٣١ ح/ رقم ٢٥٦٥ وانظر الموطأ ك/ البيوع :٢/ ٣٩٠ ب/ ما يجوز من السلف ح/ ٢٦٩٣ وأخرجه أبو داود :٣/ ٢٤٥ ك/ البيوع ب/ حسن القضاء والنسائي في صحيح سننه للألباني :٣/ ٢٣٩ ك/ البيوع ب/ استسلاف الحيوان أو استقراضه وابن ماجة :٢/ ٧٦٧ ك التجارات ب/ السلم في الحيوان والترمذي :٣/ ٥٨ ك/ البيوع ب/ ما جاء في استقراض البعير أو الشيء من الحيوان أو السن ح / ١٣٢٢ .

صاحب الحق وفيه ما ترجم له وهو استقراض الإبل ...[١]اهـ بتصرف .

[٤٩٦] حديث عمران بن حصين، عن النبي ﷺ قال: «**خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، قال عمران :فما أدري قال النبي ﷺ بعد قوله : مرتين أو ثلاثًا :ثم يكون بعدهم قومٌ يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمَن**»[٢].

تلك هي أخلاق الصحابة وسلوكياتهم التي أهلتهم لهذه المناقب الطيبة ولتلك المنازل الرفيعة وهذه الرفعة السامقة ما كانوا يشهدون الزور، ولا يتجرءون على ذلك وكانوا لا يخونون ويوفون ولا ينكثون .

وقال.النووي رحمه الله تعالى : اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ والمراد منه : أصحابه، وقد قدمنا أن الصحيح الذي عليه الجمهور أن كل مسلم رأي النبي ﷺ ولو ساعة فهو من أصحابه، ورواية (**خير الناس**)على عمومها، والمراد منه جملة القرن، ولا يلزم منه تفضيل الصحابي على الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ بل المراد جملة القرن، بالنسبة إلى كل قرن بجملته **وقال القاضي** :واختلفوا في المراد بالقرن هنا، فقال المغيرة : قرنه :أصحابه، والذين يلونهم أبناؤهم، والثالث أبناء أبنائهم، وقال شهر (قرنه) ما بقيت عين من رأته، **والثاني** ما بقيت عين رأت من رآه ثم كذلك .وقال غير واحد : القرن :كل طبقة مقترنين في وقت واحد.

٢ـ من خير الناس من يرجى خيره ويؤمن شره .

[٤٩٧] عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ وقف على أناس جلوس، فقال: «**ألا أخبركم بخيركم من شركم ؟ قال فسكتوا، فقال ذلك ثلاث مرات، فقال رجل : بلى يا رسول الله أخبرنا بخيرنا من شرنا قال: خيركم من يرجى خيره**

---

(١) الفتح للحافظ ابن حجر :٥/ ٦٩، ٧٠ بتصرف .

(٢) أحمد :٤/ ٤٢٧ والبخاري في الفتح :٧/ ١ ك/ فضائل الصحابة ب/ فضائل أصحاب النبي ﷺ ح/ ٣٦٥١ ولفظه ((خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجئ قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته ، قال : قال إبراهيم :وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار))من رواية عبد الله والحديث رواه مسلم :٧/ ١٨٥، ١٨٦ ك / فضائل الصحابة ب/ فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .

ويؤمن شره، وشركم من لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره»[١].

[٤٩٨] وقال رسول الله ﷺ**«خيركم إسلامًا أحاسنكم أخلاقًا إذا فقهوا»** [٢].

٣ـ خيار الأمة من يألفون ويؤلفون .

[٤٩٩] حديث مسلم بن قرظه الأشجعي يقول : سمعت عوف بن مالك الأشجعي يقول : **سمعت رسول الله ﷺ قال «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم، قيل يا رسول الله :أفلا ننابذهم بالسيف ؟ فقال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئًا تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يد من طاعة»**[٣] [**واللفظ لمسلم**] .

دين عظيم يهتم بالراعي والرعية، يدعوا إلى الإلتزام بالشرع، والمودة، وينهى عن الشقاق والفرقة، يأمر أتباعه ال كرام أن يكونوا أمة واحدة على قلب رجل واحد يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم، إنه يأمر الولاة والقضاة والأمراء أن يكونوا على الجادة يعاملون الرعية معاملة حسنة فكبيرهم أب للأمير والوالي وصغيرهم ابن له أو أخ، فإن جار أو ظلم فلا يجوز الخروج عليه بالسيف لأن الفتنة ساعتها ستكون عظيمة، وتكون الدماء رخيصة، وتدب روح الفشل في القوم فتذهب ريحهم ويصيروا من الوهن بحيث يطمع فيهم أعداؤهم فيستأصلوا شوكتهم ويسرقوا كنوزهم ويستبيحوا بيضتهم ويستحصدوا خضراءهم، ومن ثمَّ جعل النبي ﷺ خيار الأئمة الذين يحبون رعاياهم ويحبونهم ويدعون لهم وتترحم عليهم الرعية ومعنى (يصلون) أي يدعون .

---

(١) الترمذي :٤/ ١١٧ بمعناه ح/ ٢٢٧٠ ك/ الفتن ،بـ/ ما جاء في النهي عن سب الرياح،ح/ ٢١٨٩ وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وانظر صحيح الجامع ورد مختصرًا :١/ ٦٢٧ ح/ ٣٣٢٠ وصححه الألباني والمشكاة :٩٤٩٣

(٢) صحيح الجامع :٣٣١٢،والصحيحة ٣٥٤٦ وصححه الألباني .

(٣) أحمد :٦/ ٢٤،٦/ ٢٨ ،ومسلم :٦/ ٢٤ ،ك/ الإمارة ،بـ/ خيار الأئمة وشرارهم .

٤ـ حديث يزيد بن الأصم.

[٥٠٠] عن أبى هريرة ـ رضي الله عنه ـ بحديث يرفعه ـ أن رسول الله ﷺ قال «**الناس معادن كمعادن الفضة والذهب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**»(١).

٥ـ خير الناس خيرهم لأهله.

[٥٠١] عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**» (٢).

[٥٠٢] وفي صحيح الجامع أيضًا من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عند الحاكم قال رسول الله ﷺ «**خيركم خيركم لأهلي من بعدي**»(٣).

[٥٠٣] وفي صحيح الجامع من حديث ابن عباس قال رسول الله ﷺ «**خيركم خيركم للنساء**»(٤).

ومعنى الحديث «**خيركم خيركم لأهله**» أي لأبويه وذوي رحمه حسب الدرجة والأول فالأول أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك فهو خير وبركة على أهله وذوي رحمه وعياله وأزواجه وأقاربه وذلك دليل صدق حسن الخلق وكان ﷺ أحسن الناس عشرة كان تاجًا للخلق العظيم وشرفًا له ـ عليه السلام ـ وهكذا يتضح جمال الأخلاق وعذوبتها وتأثيرها الإيجابي المباشر على صاحبها في أهله وأرحامه وأقاربه والناس أجمعين فاللهم اهدنا لأحسن الأخلاق وجنبنا سيئها .

[٥٠٤] وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:«**خياركم أطولكم أعمارًا، وأحسنكم أخلاقًا**»(٥).

---

(١) مسلم نووي:١٦/ ١٨٥ ك/ البر والصلة والآداب ،بـ/ الأرواح جنود مجندة وهذا لفظ مسلم .

(٢) حديث الترمذي ،ك/ المناقب ،بـ/ فضل أزواج النبي :٣٨٣٠،وقال أبو عيسى حديث حسن غريب صحيح وأورده الألباني في صحيح الجامع ح/ ٣٣١٤،والصحيحة :٢٨٥

(٣) حسنه الألباني رقم :٣٣١٥،والصحيحة ١٨٤٥

(٤) صحيح الجامع ٣٣١٦ ،والصحيحة ٢٨٥، وصححه الألباني

(٥) صحيح الجامع ٣٢٦٢،والصحيحة ١٢٩٨

[٥٠٥] وفي رواية «**خياركم أطولكم أعمارًا، وأحسنكم أعمالًا**»[١]

[٥٠٦] وعن ابن عمرو أن رسول الله ﷺ قال «**خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره**»[٢]

٦ـ إطعام الطعام والأخلاق الطيبة :

إطعام الطعام وبذل الندى دليل على كرم النفس ونبذ الشح وهذا من أفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة التي يوفق المسلم إليها بما قدم من خير وبذل من بر فإن الله يضاعف القليل من الخير والإحسان فيعظم ويربو ويكبر، وتنادي الحسنة على أخواتها فيجتمعن يشد بعضهن أزر بعض على الطاعة وجميل الأدب وهذا هو الرزق الطيب وصدق رسول الله ﷺ إذ قال كما في صحيح الجامع .

[٥٠٧] من حديث أسامة بن شريك «**خير ما أعطى الناس خلق حسن**»[٣].

[٥٠٨] وفي مسند أحمد من حديث صهيب قال : قال رسول الله ﷺ: «**خيركم من أطعم الطعام أو الذين يطعمون الطعام**» [٤].

[٥٠٩] وأورد الألباني في صحيح الجامع عن صهيب أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيركم من أطعم الطعام ورد السلام**» [٥].

[٥١٠] وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أن رجلًا سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير ؟ قال:«**تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»[٦] والتقدير أي خصال الإسلام خير؟.

قال الحافظ في الفتح : إذ الإطعام مستلزم لسلامة اليد، والسلام لسلامة اللسان قاله الكرماني . وكأنه أراد في الغالب ...وقال الكرماني :الفضل بمعنى

---

(١) صحيح الجامع ٣٢٦٣، والصحيحة ١٢٩٨

(٢) صحيح الجامع ٣٢٧٠ ،والصحيحة ١٠٣

(٣) صحيح الجامع :٣٣٢١ والمشكاة :٥٠٧٩ .

(٤) المسند باقي مسند الأنصار ح ٢٨٠٣

(٥) صحيح الجامع :٣٣١٨ ، وانظر الترغيب :٤/ ٤٦

(٦) صحيح البخاري ك الإيمان ب/ إطعام الطعام من الإسلام ح ١٢

كثرة الثواب في مقابلة القلة، والخير بمعنى النفع في مقابلة الشر ... وخصَّ هاتين الخصلتين بالذكر لمسيس الحاجة إليهما في ذلك الوقت لما كان فيه من الجهد، ولمصلحة التأليف، ويدل على هذا أن النبي ﷺ حث عليهما أول ما دخل المدينة كما رواه الترمذي وغيره مصححًا من حديث عبد الله بن سلام ...وذكر الإطعام؛ ليدخل فيه الضيافة وغيرها ...

(وتقرأ السلام) أي تقول ... وقوله : **(ومن لم تعرف)** أي لا تخص به أحدًا تكبرًا، أو تصنعًا، بل تعظيمًا لشعار الإسلام، ومراعاة لاخوة المسلم... اهـ .

٧ـ وليس هذا الوصف (الخيرية) قاصرة على الرجال .

إن الله تعالى عدل في أحكامه يحب العدل ويؤتي عليه جزيل الخير والبر وليس ثمة فارق بين الرجال والنساء في ذلك فالمرأة إذا أطاعت ربها، وتأدبت بآداب الشرع، وتخلقت بالأخلاق الفاضلة بعد الإيمان سعدت بالدخول في تلك الدائرة المباركة فألحقت بالصالحين آية ذلك قوله تعالى: **﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾** آل عمران :١٦٥.

وقال تعالى : **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾** النحل : ٩٧ .

فكلٌ له منزلته حسب عمله ودرجته، حسب إخلاصه، ووزنه حسب إيمانه، لا فرق في الجزاء بين أحد وأحد بغض النظر عن النوع ـ الذكورة والأنوثة ـ قال تعالى: **﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾** النساء : ١٢٤.

وعلى هذا تسطر الحسنات وعليه ترفع الدرجات **﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾** الكهف : ٤٩ وكما اهتم القرآن بذلك اهتمت السنة بذلك أيضًا فأرست قواعده وحثت عليه ودعت إليه **﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** الأنفال : ٤٢

أ ـ عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: «**خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة**

فرعون»[١].

قال المناوي في فيض القدير :٣/ ٦٣١ «**خير نساء العالمين أربع : مريم بنت عمران**»، الصديقة بنص القرآن، وقدمها إشارة إلى تقديمها في الفضل ... (**وخديجة بنت خويلد**) زوجة المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أول من آمن من هذه الأمة مطلقًا، (**وفاطمة بنت محمد**) ﷺ خير الأنبياء (**وآسية امرأة فرعون**) التي نطق التنزيل بالثناء عليها، والمراد : جميع نساء الأرض، فيحمل على أنَّ كلا منهن خير نساء الأرض في عصرها ..اهـ .

ب ـ والمرأة الصالحة في بيتها ترتقي منزلة سامقة :.

[٥١١] عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ خطب أم هانئ بنت أبي طالب . فقالت : يا رسول الله إني قد كبرت، ولي عيال، فقال النبي ﷺ: «**خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده**» قال أبو هريرة ولم تركب مريم بنت عمران بعيرًا[٢].

وفي رواية «...**أحناه على ولد في صغره، وأرفقه بزوج على قلة ذات يده ...**»[٣]

قال المناوي «**خير نساء ركبن الإبل**» كناية عن نساء العرب، وخرج منه مريم، فإنها لم تركب بعيرًا قط، فالمحكوم له بالخيرية الصالحات منهن، لا على العموم، والمراد هنا: إصلاح الدين وحسن معاشرة الزوج، ونحو ذلك «**أحناه**» من الحنو بمعنى الشفقة والعطف (**أحناه على ولد**) أي أكثره شفقة وعطفًا، ومن ذلك عدم التزوج على الولد في حال صغره، ويُتمه والقياس أحناهن، لكنه ذكر الضمير باعتبار اللفظ والجنس والشخص، أو الإنسان، وكذا يقال في قوله الآتي «**وأرعاه**» وفي رواية «**وعلى ولدها**» قوله «**وأرعاه**» من الرعاية أي الحفظ والرفق أي : أحفظ وأرفق وأصون، لماله بالأمانة فيه، والصيانة له وعدم التبذير «**في ذات يده**» أي في ماله المضاف إليه، وهو كناية عن البضع الذي يملك الانتفاع به، يعني هنَّ أشد حفظًا لفروجهن على أزواجهن .

---

(١) صحيح الجامع ٣٣٢٨ وفي المشكاة ٦١٨١ وصححه الألباني .

(٢) أحمد :٢/ ٢٦٩، ٢٧٥ ومسلم :٧/ ١٨٢ .

(٣) أحمد :٢/ ٥٣٦ وانظر صحيح الجامع ح ٣٣٢٩ والصحيحة :١٠٥٢ .

وفيه إيماء إلى أن النسب له تأثير في الأخلاق، وبيان شرف قريش، وإن الشفقة والحُنو على الأولاد مطلوبة، مرغوبة ....[١]

جـ ـ المرأة الودود لها منزلة في ميزان الشرع.

[٥١٢] عن عبد الله بن عباس ـ **رضي الله عنهما** ـ قال : قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة ؟ الودود الولود، العؤود على زوجها، التي إذا آذت أو أوذيت، جاءت حتى تأخذ بيد زوجها، ثم تقول : والله : لا أذوق غُمْضًا حتى ترضى**»[٢].

ومعنى العؤود : التي تعود سريعًا عند الغضب لترضي زوجها، ومعنى قوله (**غمضًا**) أي : نومًا .

[٥١٣] وفي صحيح الجامع بلفظ «**خير نسائكم الولود الودود، المواسية المواتية، إذا اتقين الله، وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات، وهن المنافقات**»[٣]

(**الولود الودود**) أي المتحببة إلى زوجها (**المواسية المواتية**) الموافقة للزوج في الطاعة بالمعروف (**اتقين الله**) أي : خفنه بالغيب وراقبنه (**وشر نسائكم المتبرجات**) أي : المظهرات زينتهن لغير الزوج (**المتخيلات**) أي: المعجبات المتكبرات، والخُيلاء بالضم :العجب والتكبر ....[٤]اهـ .

د ـ المرأة الصالحة يدفعها صالح الخلق إلى أن تسر خاطر زوجها. .

إن نساء العهد الحاضر اللائي لا يتقين الله تعالى تحاول أن تقرَّ عين الآخرين بملابسها وزينتها فتخرج من بيتها سافرة متعطرة متبرجة فتملأ الأجواء فتنة ومحنة لينتصر الشيطان على من وضعهم في شراكه وشباكه، فترسل الهمسات والضحكات هنا وهناك، وتتكلم بكل لطف وود وذوق كالعذراء في خدرها، وهكذا تراها فتحسبها ملاكًا وأما إذا رجعت إلى بيتها ارتدت ملابس

---

(١) بتصرف من فيض القدير :٣/ ٦٣٢ .

(٢) كتاب عشرة النساء للنسائي صـ ٢١٩ .

(٣) صحيح الجامع ٣٣٣٠ ونسبه الألباني للبيهقي من حديث أبي أُذينة الصدفي مرسلًا وعن سلمان بن يسار مرسلًا .

(٤) فيض القدير : ٣/ ٦٣٣

المطبخ وقضبت جبينها ونسيت أو تناست ذلك الدور الذي كانت تقوم به آنفًا فلا هي سعيدة بزوجها ولا بيتها ولا هي لبت حاجيات الزوج النفسية والعاطفية والشخصية فتصبح الحياة بعيدة عن الشرع نكدة عكرة عسرة فيها من الضيق والكرب ما يكفي لتغير وجه الخير والبر، فلا هي تَسَرُّ زوجها إذا نظر ولا هي ترحب به إذا حضر ولا هي راقبت الله تعالى في ولدها وبعلها وهذه ليست من الإسلام في شيء .

[٥١٤] عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: «**خير النساء التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره**»[١] وفي رواية أخرى «**خير النساء من تَسرك إذا أبصرت، وتطيعك إذا أمرت، وتحفظ غيبتك في نفسها ومالِكَ**»[٢].

إن الصالحات كنز عظيم فهي موقع للعفاف والطهر الوعاء المبارك تحافظ على عرضه، تحفظ ماله وولده، وتسره إذا نظر إليها، وهي طيعة له ما دام لم يأمرها بمنكر ولم ينهها عن معروف، وتلك هي الدرة المصونة واللؤلؤة المكنونة وهذه حسنة الدنيا . .

التي يمتن عليها المنان بالتحبب إلى بعلها ورزق زوجها محبتها . .

سادسًا: شؤم رذائل الأخلاق وهي أخلاق أهل النار .

إن الكافرين لهم أخلاق تضاد شريعة الله، وتخالف أخلاق المؤمنين، ولا ينبغي أن يضاهي المؤمنون أناسًا لا أخلاق لهم، ولا نصيب من الطهر والعفاف، ولا من الأدب والفضيلة، لأن الله أمر بالطهر من الدنس والتخلي عنه والتطهر منه ظاهرًا وباطنًا، ولذا فإنه تعالى: ﴿**يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ البقرة :٢٢٢ ولذلك فإنه تعالى حذر من رذائل الأخلاق وتهدد أصحابها وهكذا رسوله ﷺ حذر من ذلك وبينه، من أجل أن يقف كل راج لربه عند الحدود فلا يتعداها ولا يكسرها ويهتك أستارها فإن فعل؛ فإن النصوص القرآنية والنبوية صارخة فيه

---

(١) صحيح الجامع : ٣٢٩٨ وصححه الألباني رحمه الله والمشكاة :٣٢٧٢ والصحيحة ١٨٣٨ .

(٢) صحيح الجامع :٣٢٩٩ والصحيحة :١٨٣٨ وصححه الألباني رحمه الله ونسبه للطبراني عن عبد الله ابن سلام .

منذرة مقيمة الحجة عليه حتى يرجع وينزع أو يرى ما تجني يداه في الآخرة وحتى لو عوفي من تبعاته فكيف بعرضه على ربه وكيف بمناقشة الحساب، أمام هذه الجموع الغفيرة حيث تبلى السرائر.

وهكذا كان دأب الحبيب ﷺ مع صحبه رضوان الله عليهم .

[٥١٥] عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ صلَّى صلاة الكسوف فقال: «**دنت مني النار حتى قلت : أي ربِّ وأنا معهم، فإذا امرأة حسبت أنه قال : تخدشها هرة، قال : ما شأن هذه؟ قالوا حبستها حتى ماتت جوعًا**»[١].

[٥١٦] وفي حديث عبد الله بن عمر **رضي الله عنهما** أن رسول الله ﷺ قال «**عُذبت امرأة في هرة، حبستها حتى ماتت جوعًا، فدخلت فيها النار ...**»[٢] الحديث. هكذا يكون الأمر ويكون القسطاس (القصاص) والعدل، فلا ظلم وإن كان المظلوم حيوانًا أعجميًا، وإذا كانت العجماوات تبعث يوم القيامة من أجل القصاص حتى أن الله تعالى يقتص للصلعاء من القرناء ، فما بالنا ببني آدم المكلفين الذين وكِّـل بهم من يحصون عليهم كل شيء بدقة عظيمة عجيبة ؟!.

[٥١٧] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا خلص المؤمنون من النار، حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصُون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نُـقُّـوا وهُـذِّبوا أذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدكم بمسكنه في الجنة أدلُّ بمنزله كان في الدنيا ....**»[٣]

من أخلاق أهل النار الخصومة في الباطل:

[٥١٨] عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم فقال: «**إنما أنا بشرٌ، وإنه يأتيني الخصم، فلعلَّ بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صَدَقَ فأقضي له بذلك فمن قضيت له بحق**

---

(١) البخاري فتح ك/ المساقاة ب/ فضل سقي الماء ح ٢٣٦٤، ٢٣٦٥، ٣٣١٨

(٢) البخاري في الفتح ك/ المساقاة ب/ فضل سقي الماء ح ٢٣٦٥

(٣) البخاري فتح ك/ المظالم والغصب ب/ قصاص المظالم ح/ ٢٤٤٠

مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها» [١].

يا ليت قومًا غرهم حلم الله عليهم، وستره لذنوبهم ومعايبهم يعلمون أنَّ الله عزيز ذو انتقام، وأنه يمهل لكنه لا يهمل وأنه لا يدع الضعيف يحيف عليه الغاشمون.

ويعلم أن القيامة قريبة وستوفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، ليت أصحاب المكوس الذين يتربعون في حقوق غيرهم مطمئنة بذلك قلوبهم هادئة نفوسهم يعلمون أن يوم القصاص قريب والبعيد ما ليس آت، فيتذكرون يومًا تتقلب فيه الأبصار. فالضرر بالمسلمين وإنزال العنت بهم ذنب عظيم كم أرق من مضجع وأسهر من عيون لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم! ولكن الله الذي يسمع آهات الحيارى المظلومين سوف ينصفهم بحسنات ما رأتها عيونهم، ولا عملتها أيديهم في يوم تعز فيه الحسنات، ولسوف ينصفهم بدفع سيئاتهم؛ لتطرح على ظالميهم فترفع عنهم أثقال وأحمال كالجبال من التبعات الموبقات قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ الفجر: ١٤ وقال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ هود: ١٢٣..

حسرات سوء الخلق:

أولًا: إن من شؤم الخلق السيئ أن أعماله الصالحة قد لا تحول بينه وبين النار على كثرتها وهذا الذي يخيف ويجعل المسلم يقبل على نفسه فيعترف على ما فيها من عيوب وذنوب فيطهرها وينقيها من السفاسف والرذائل لتعافى من عذاب الحريق.

[٥١٩] عن أبي هريرة، قال: قيل للنبي ﷺ: «**يا رسول الله: إن فلانة تقوم الليل، وتصوم النهار، وتفعل وتَصدَّقُ، وتؤذي جيرانها بلسانها؟ فقال رسول الله ﷺ: لا خير فيها، هي في النار،، قالوا: وفلانة تصلي المكتوبة وتصدق بأثوار، ولا تؤذي أحدًا؟ فقال رسول الله ﷺ: هي من أهل الجنة**» [٢].

---

(١) البخاري في الفتح ك/ المظالم والغصب ب/ إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه ح ٢٤٥٨.

(٢) صحيح الأدب المفرد ب/ لا يؤذي جاره ج/ ٨٨ وصححه الألباني رحمه الله وانظر الصحيحة ١٩٠.

[٥٢٠] ويشهد لهذا الحديث حديث أبي هريرة أيضًا، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**»(١).

قال الشارح : إن الأمن على النفس والمال والعرض من نعم الله الكبرى، وأقرب الناس تهديدًا لهذا الأمن هو الجار؛ لأن الحذر منه أصعب من الحذر من غيره والضرر منه أشد خطرًا من الضرر من غيره إنه يعرف كثيرًا من الخفايا، ويكشف كثيرًا من الأستار، ويطلع على كثير من العيوب، إنه أعلم بمواطن الضعف وأقدر على توصيل الأذى والإسلام يحرص على استتباب الأمن، ونشر الطمأنينة والاستقرار بين أبناء المجتمع الواحد، ولهذا جعل مسالمة الجار من الإيمان، وجعل حبس النفس عن إيذاء الجار من الإيمان، بل جعل خوف الجار من الجار دليلًا على ضعف إيمان الجار الذي بعث الخوف، وإن لم يصل ضرره لجاره بالفعل.....نِعْمَ هذا التشريع الحكيم، لو أمن كل جار جاره، و كفَّ كل جار عن ضرر جاره، وحمى كل جار محارم جاره، لكانت المدينة الفاضلة، و لكان المجتمع الموادع الأمين ولعاش الناس سعداء آمنين .ومعنى قوله (من لم يأمن جاره بوائقه) ...البوائق : جمع بائقة وهي الداهية و الشيء المهلك والأمر الشديد الذي يوافي بغتة . **وقال د/ موسى شاهين في نفس المصدر :١/ ١٧١ وقال الحافظ ابن حجر**: «في الحديث مبالغة تنبئ عن تعظيم حق الجار، وأنَّ إضراره من الكبائر ومنع أذى الجار أعم من أن يكون مسلمًا أو غير مسلم.

[٥٢١] ففي الحديث «**الجيران ثلاثة، جار له حق واحد، وجار له حقَّان وجار له ثلاثة حقوق، فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم، فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم، وأما الجار الذي له حقَّان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، وأما الجار الذي له حق واحد فالجار المشرك له حق الجوار**» وفي تغليظ حرمة الجار وحرمة إيذائه قيل لرسول الله ﷺ: إن فلانة تصوم النهار و تقوم الليل، وتؤذي جيرانها فقال «**رسول الله ﷺ هي في النار**»(٢) .

وقال ابن أبي جمرة : إذا أكد حق الجار مع الحائل بين الشخص وبينه، وأمر

---

(١) أصل الحديث في صحيح مسلم ك/ الإيمان ب/ النهي عن إيذاء الجار انظر فتح المنعم :١/ ١٧٠ ح/ ٧٦.
(٢) رواه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد (وقد سبق تخريجه)

بحفظه وإيصال الخير إليه وكف أسباب الضرر عنه، فينبغي أن يراعي حق الحافظين الذين ليس بينه و بينهما جدار ولا حائل فلا يؤذيهما بإيقاع المخالفات في مرور الساعات فقد جاء أنهما يُسران بوقوع الحسنات، ويحزنان بوقوع السيئات، فينبغي مراعاة جانبهما وحفظ خواطرهما بالتكثير من عمل الطاعات، والمواظبة على اجتناب المعصية فهما أولى برعاية الحق من كثير من الجيران ...اهـ .

فقد بان أنه من شؤم رذيل الخصال ضياع أعمال البر والقرب، وولوج النار مع عدم إمكان الصبر على عذابها ولذلك أوصى النبي ﷺ بالجار كثيرًا بين ترغيب وترهيب .

[٥٢٢] عن عبد الله بن المساور قال: سمعت ابن عباس يخبر ابن الزبير يقول سمعت النبي ﷺ يقول:«**ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع**»(١).

[٥٢٣] عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله ﷺ إنه قال: «**خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله [تعالى] خيرهم لجاره**»(٢).

ثانيًا : ومن شؤم ذلك ما ينزل بصاحب الخلق السيئ من اللعن: وهو من أقسى العقوبات لأنه الطرد من رحمته تعالى .

[٥٢٤] عن جابر قال : مُرَّ على النبي ﷺ بدابة قد وُسِمَ، يُدَخِّنُ منخراه : قال النبي ﷺ: «**لعن الله من فعل هذا لا يَسِمَنَّ أحدٌ الوجه ولا يضربنه**»(٣).

*** فقد لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه .**

[٥٢٥] عن جابر بن عبد الله **رضي الله عنهما**، أن رسول الله ﷺ قال:

« لعـن الله آكل الربا وموكله، وشاهديه، وكاتبه هم فيه سواء»(٤).

*** ولعن التي تخمش وجهها والتي تشق جيبها ساخطة على القدر.**

---

(١) صحيح الأدب المفرد ح/ ٨٢ ب/ لا يشبع دون جاره والصحيحة : ١٤٩

(٢) صحيح الأدب المفرد ح/ ٨٤ ب/ خير الجيران .وصححه الألباني في الصحيحة :١٠٣

(٣) صحيح الأدب المفرد ح/ ١٣١ والصحيحة ٢١٤٩ ب/ ليجتنب الوجه في الضرب

(٤) صحيح الجامع :٥٠٩٠ والإرواء :١٣٣٦ ومختصر مسلم :٩٥٥ .

[٥٢٦] ففي حديث أبي أمامة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لعن الله الخامشة وجهها والشاقة جيبها، والداعية بالويل والثبور**»(١).

* **ولعن الله المرأة التي تتشبه بالرجال، والعكس من ذلك.**

[٥٢٧] حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل**»(٢).

[٥٢٨] وفي رواية أخرى «**لعن الله الرجلة من النساء**»(٣).

[٥٢٩] وفي رواية أخرى «**لعن الله المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء**»(٤).

* **ولعن الراشي والمرتشي.** .

[٥٣٠] عن ابن عمرو أن رسول الله ﷺ: «**لعنة الله على الراشي والمرتشي**»(٥).

وقد سبق الكلام عن الرشوة في مبحث خاص .

* **ولعن النبي ﷺ الواشمة والمتوشمة والواصلة والمستوصلة .**

إن القرآن العظيم لعن أصنافًا من الناس حادوا عن الحق ونبذوا الشرع وجعلوا القرآن خلفهم ظهريًا من بعد أن عقلوا الحق وهم يعلمون قال تعالى: ﴿**أَلاَ لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [هود:١٨] .

ولعن من كتم العلم قال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ الله وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ**﴾ **البقرة :١٥٩.**

وقاطع الرحم قال تعالى في من قطع رحمه ولم يتعظ ولم يسلم قلبه وجوارحه لله تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۞ أُوْلَئِكَ**

---

(١) حديث حسن انظر صحيح الجامع :٥٠٩٢ والصحيحة ٢١٤٧.

(٢) صحيح الجامع :٥٠٩٥ ،والمشكاة :٤٤٦٩

(٣) حديث صحيح انظر صحيح الجامع : ٥٠٩٦ والمشكاة :٤٤٧٠ . وعند أبي داود من حديث أمنا عائشة .

(٤) حديث ابن عباس في صحيح الجامع :٥١٠٣ .

(٥) انظر صحيح الجامع :٥١١٤، والإرواء ٢٦٢١،وغاية المرام ٤٥٧

الَّذِينَ لَعَنَهُمُ الله فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ محمد :٢٢ـ٢٣.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الكِتَابَ آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ الله مَفْعُولًا﴾ النساء :٤٧.

[٥٣١] وعن علقمة، عن عبد الله، قال: «**لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، قال : فبلغ ذلك امرأة من بني أسد، يقال لها : أم يعقوب، وكانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت : ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فقال عبد الله : ومالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ؟ وهو في كتاب الله .فقالت المرأة : لقد قرأت مابين لوحي المصحف فما وجدته فقال : لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه . قال الله ﴿ ﷻوَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ العِقَابِ﴾ الحشر :٧ فقالت المرأة : فإني أرى شيئًا من هذا على امرأتك الآن .قال :اذهبي فانظري . قال: فدخلت على امرأة عبد الله فلم تر شيئًا . فجاءت إليه فقالت : ما رأيت شيئًا . فقال : أما لو كان ذلك لم نجامعها**»[1].

(**الواشمة**) الوشم غرز إبرة في العضو حتى ينزف دما ثم يحشو هذا المكان بمادة معينة كالنورة أو غيرها فيخضر هذا الموضع (**المتفلجات**) أي النساء اللاتي يفعلن ذلك ورجل مفلّج الثنايا أي : منفرج الثنايا خلاف المتراص الأسنان، والنساء تبرد الأسنان تباعد بين السن والسن رغبة في جمال المنظر .

وفي هذا وجوب اتباع النبي ﷺ والنهي عما نهى عنه ومن تعدى فهو الظلوم الغشوم وأن الرسول ﷺ لا يتكلم شرعًا إلا بوحي .

*** لعن من سبَّ أصحاب النبي ﷺ .**

إن الصحابة هم مصابيح الدجى، وأعلام الهدى، وهم الذين شهدوا التنزيل، ورفعوا الراية، وما بدلوا تبديلا فهاهم وقد بقيت مناقبهم، وتعطرت

---

(١) أحمد :١/ ٤٣٣ والبخاري :٦/ ١٨٤ و٧/ ٢١٢ ومسلم :٦/ ١٦٦ وأبو داود ح/ ٤١٦٩ وابن ماجة ١٩٨٩ : والنسائي :٨/ ١٤٦

الدنيا بذكرهم وطارت سيرتهم في الخافقين فأنار الله بهم السبيل .

[٥٣٢] قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله من سبَّ أصحابي**»[١].

[٥٣٣] وقال رسول الله ﷺ: «**لعن الله المحلل والمحلل له**»[٢].

*** لعن النبي ﷺ السارق .**

السرقة مارد خبيث تدل على وضاعة النفس وخساستها وعلى خلق دفين فيها، إذ إنَّ خبث النفس يلح على صاحبها أن تنظر وتتشوّف إلى كل نعمة أعطاها الله عبدًا فتحتال على تملكه بطريق بغيض يدل على ظلم وحيف وعلى غبن وإجرام وتعدي على حقوق الناس، لأن الله تعالى نهى أن يتعلق الإنسان بحاجات الناس وهو يأبى إلا أن يحوزها بأي طريق كان وعلى أي جهة جاءت كيفما يحدث، المهم أن يحقق هذه الأحلام الغاشمة ولو كان في ذلك حرمان أصحابها منها مع جهدهم وتعبهم في تحصيلها والسعي إليها حتى حصلوها وإن كان هذا سيغضب الله فيشتد مقته عليه. ولذلك كان نصيبه المناسب اللعن.

[٥٣٤] عن أبي صالح عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**لَعَنَ الله السارق، يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده**»[٣].

قال الأعمش: كانوا يرون أنه بيض الحديد، والحبل كانوا يرون أنه منها ما يَسْوي دراهم.

قد ترى الأم ولدها وقد دخل البيت ومعه متاع لا يملكه ومع غياب التربية والتوعية وغياب القدوة تسكت المرأة عمَّا ترى ويكون السكوت في حس الطفل إقرارًا فينشط في هذا ومع الوقت بعد أن كان يسرق الشيء والمتاع الرخيص تدرج في ذلك الميدان الموحش المظلم فإذا به يحترف السرقة وينشر الذعر في المجتمع، ولا يأمنه الناس، وتصير سيرته الذاتية دنسة غير طاهرة، فيلعنه الناس ويصير نقمة على نفسه ووالديه وذريته حتى حين بسبب هذه الفوضى التي لا نهاية لها وسبب ذلك التهاون في نشر الأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) صحيح الجامع : ٥١١١

(٢) صحيح الجامع وصححه الألباني ح/ ٥١٠١ والمشكاة ٣٢٩٦، ٣٢٩٧ والإرواء :١٨٩٧.

(٣) أحمد :٢/ ٢٥٣ والبخاري :٨/ ١٩٨ و٨/ ٢٠٠ ومسلم :٥/ ١١٣

المنكر، وزرع الفضيلة في حس المجتمع .

* **لعن الله الذي يؤوي محدثًا** .ومن ذبح لغير الله، **وسرق الأرض ومن لعن والديه .**

[٥٣٥] عن أبي الطفيل، قال: سئل عليٌّ رضي الله عنه: أخصكم رسول الله ﷺ بشيء؟ فقال: ما خصنا رسول الله ﷺ بشيء لم يعم به الناس كافة، إلا ما كان في قِراب سيفي هذا، قال: فأخرج صحيفة مكتوب فيها: «**لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من سرق منار الأرض، ولعن الله من لعن والده، ولعن الله من آوى محدثًا**»(١).

ومعنى الإيواء من قوله (آوى) أي : أجاره ودفع عنه، وهرّبه من العدالة لينصف منه المظلوم والمحدِث بكسر الدال هو الذي يفسد في الأرض والمعنى: أن الله تعالى لعن من نصر جانيًا على الإسلام والمسلمين فأجاره من الخصوم وحال بينه وبين العقوبة الشرعية، وتنفيذ حدود الله تعالى وعطل القصاص، ويروى (محدَثًا) بالفتح أي: من ابتدع في الدين، ويكون الإيواء فيه نوع رضا عن هذا المبتدع والرضا بما يفعل.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في فتح المجيد :١/ ١٧٩ . قوله (لعن الله) اللعن : البعد عن مظان الرحمة ومواطنها . قيل : واللعين والملعون : من حقت عليه اللعنة، أو دُعِيَ عليه بها قال أبو السعادات : أصل اللعن الطرد والإبعاد من الله، ومن الخلق : السبّ والدعاء . وانظر النهاية : ٤/ ٢٥٥ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ما معناه : إن الله تعالى يلعن من يستحق اللعنة بالقول، كما يصلي سبحانه على من استحق الصلاة من عباده قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۞ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا**﴾ الأحزاب:٤٣-٤٤.

---

(١) أحمد:١/ ١١٨ و:١/ ١٥٢ والبخاري في الأدب المفرد:١٧ وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ح/ ١٣ ص٣٠ وأورده في المشكاة ٤٠٧٠، وأصل الحديث في مسلم: ٦/ ٨٤، ٦/ ٨٥.

وقال تعالى: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا﴾ الأحزاب : ٦١.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ الأحزاب :٦٤.

قوله (من ذبح لغير الله) قال شيخ الإسلام رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ﴾ البقرة : ١٧٣ ظاهره أنه ما ذبح لغير الله، مثل أن يقول هذه ذبيحة لكذا، وإذا كان هذا هو المقصود، فسواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم، وقال فيه باسم المسيح أو نحوه ،كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه : باسم الله... فإذا حرم ما قيل فيه باسم المسيح أو الزهرة، فلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح أو الزهرة أو قصد به ذلك أولى، فإن العبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله...اهـ.

ويا حسرة على الذين يذبحون العجل تحت النعش وقبل أن يتحرك النعش بمن فيه ظنا منهم أن هذا يشفع له ويخفف عنه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ النساء :٦٦.

لو أنهم فعلوا ذلك من قبيل الصدقة بعيدا عن هذه البدع والمحدثات لكان هذا أولى للحي والميت سواء ﴿فَمَا لِهَؤُلاء القَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ النساء : ٧٨.

[٥٣٦] وفي حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله اليهود، إن الله حرّم عليهم الشحوم، فباعوها، وأكلوا ثمنها، وإن الله إذا حرّم على قوم أكل شيء حرّم عليهم ثمنه**» (١).

سبحان الله إن الخداع إذا سكن القلب واستولى على النفس فليس سهلًا ولا هينًا أن يخرج منها، و بنو إسرائيل كانوا مخادعين كاذبين في القديم والحديث، وما حادثة السبت عنا ببعيد التي احتالوا فيها وكذبوا على أنفسهم فأحلوا ما حرّم الله عليهم مكرًا ودهاءً، وخبثًا، وخداعًا، وغيروا وبدلوا فكانت النتيجة الحتمية أن جعلهم الله تعالى عبرة لمن اعتبر قال سبحانه و تعالى:﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ الَّتِي

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع ٥١٠٧ وعند البيهقي وأحمد وأبي داود .

كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ۞وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الأعراف:١٦٣، ١٦٤.

وهكذا دمّر الله عليهم وبلغ بهم خداعهم إلى هلاك أنفسهم والجناية عليها باللعن والمقت.

[٥٣٧] وصدق النبي ﷺ: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(١).

وقد لعنهم الله في القرآن كثيرًا إذ قال سبحانه: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ۞ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ المائدة: ٧٨،٧٩.

* **ومن ذلك لعن الذين يؤذون الله ورسوله والمؤمنين.**

قال تعالى:﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا۞ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾ الأحزاب :٦٤،٦٥.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا۞ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ الأحزاب:٥٧،٥٨.

وعن حذيفة بن أسيد أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من آذى المسلمين في طريقهم وجبت عليه لعنتهم**»(٢).

* **ملعون من ادعى إلى غير أبيه.**

[٥٣٨] عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «**من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله المتتابعة إلى يوم القيامة**»(٣).

---

(١) قد مرّ تخريجه قبل ذلك وانظر مختصر مسلم:٢٥٥

(٢) حديث حسن وانظر صحيح الجامع ٥٩٢٣ وصحيح الترغيب ١٤٤ والصحيحة ٢٢٩٤ ورواية حذيفة بن أسيد عند الطبراني.

(٣) صحيح الجامع ٥٩٨٧ وغاية المرام ٢٦٦

[٥٣٩] وفي الرواية الأخرى قال رسول الله ﷺ: «**من ادعى إلى غير أبيه، لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام**»(١).

قوله (**من ادعي إلى غير أبيه**) قال المناوي : أي من رغب عن أبيه والتحق بغيره؛ تركًا للأدنى ورغبة في الأعلى، أو خوفًا من الإقرار بنسبه، أو تقربًا لغيره بالانتماء، أو غير ذلك من الأعراض، وعدّاه بإلى لتضمنه معنى الانتساب .....(**فعليه لعنة الله**) أي طرده عن درجة الأبرار ومقام الأخيار لا من رحمة الغفار (**المتتابعة**) أي : المتمادية إلى يوم القيامة، لمعارضته لحكمة الله في الانتساب . والداعي إلى غير أبيه كأن يقول : خلقني الله من ماء فلان، وإنما خلقه من غيره، فقد كذب على الله فاستوجب الإبعاد، والمنتمي إلى غير المعتق قد كفر النعمة، واستبق العقوق، وضيع الحقوق وهذا الوعيد الشديد، يفيد أن كلًا منهما كبيرة.....اهـ :٦/ ٦٤.

* **ولعن ﷺ من أتى امرأة في دبرها .**

إن ترك موضع الإخصاب الذي خلقه الله من الإناث للذكور هو مرض نفسي وقلبي عضال، وانتكاس للفطرة التي فطر الله الناس عليها وهو شذوذ مقيت، ووضع بغيض ومن فعل ذلك فهذا دليل على سوء طويته وانطماس نيته وخلل شديد في تركيبته، وعلى هذا نعى الله على قوم لوط أنهم تركوا ما خلق الله لهم من أزواجهم في الحلال، ليضعوه في الحرام قال الله تعالى: ﴿**وتذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ**﴾ **سورة الشعراء:١٦٦**.

ومن ثمَّ لعن النبي ﷺ من فعل هذا .

[٥٤٠] عن أبي هريرة ﷺ قال : قال :رسول الله ﷺ: «**ملعون من أتى امرأة في دبرها**»(٢).

[٥٤١] وفي رواية أخرى لابن عباس «**.....ملعون من وقع على بهيمة، ملعون من عمل بعمل قوم لوط**»(٣).

---

(١) صحيح ٥٩٨٨ والصحيحة ٢٣٠٧

(٢) صحيح الجامع : ٥٨٨٩ والمشكاة : ٣١٩٣.

(٣) صحيح الجامع : ٥٨٩١ والمشكاة : ٣٥٨٣.

* لعن رسول الله ﷺ من أشار بحديدة لأخيه .

إن الله تعالى إعذارًا إلى الخلق وإقامة للحجة فإنه ـ تعالى ـ سدَّ الذرائع على كثير من الأمور التي قد يدخل المرء من خلالها في مدخل قد يدفعه إلى النقمة والمقت والنار ولذا فإن الله تعالى حرّم هذا الأمر وحرمه تحريمًا قاطعًا حتى أنه حرّم ما يؤدي إليه أو ما يقرب منه وهذا مثل تحريم النظر إلى الأجنبيات لأن ذلك بريد الزنى وحرّم خروج المرأة متبرجة أو متعطرة فكلاهما حرام لأن عاقبته الفتنة العارمة التي لا تبقي ولا تذر ، وكحرمة الاقتراب من الطعام الحرام قال تعالى:﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى﴾ الإسراء : ٣٢ وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة : ٣٥ وهكذا ولأن دم المسلم عظيم الحرمة عند الله تعالى فإنه حرّم ما يوصل إليه أو يقرب منه .

[٥٤٢] فعن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «**يجيء المقتول متعلقًا بقاتله يوم القيامة آخذًا رأسه بيده الأخرى فيقول : يارب سَلْ هذا فيمَ قتلني ؟، قال : فيقول : قتلته لتكون العزة لك، فيقول فإنها لي، قال : ويجيء آخر متعلقًا بقاتله فيقول : رب سَلْ هذا فيمَ قتلني ؟ قال : فيقول : قتلته لتكون العزة لفلان، قال فإنها ليست له . بُؤ بإثمه، قال : فيهوي في النار سبعين خريفًا**»(١).

[٥٤٣] وعن أبي إدريس قال سمعت معاوية يقول : سمعت النبي ﷺ يقول: «**كلّ ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا، أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا**»(٢).

وهذا الذي تبناه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان يرى أن القاتل العمد للمؤمن لا توبة له واستدل بأن آية سورة النساء هي آخر ما نزل في هذه المسألة ولم تنسخ بل بقيت محكمة وهي قوله تعالى:﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النساء : ٩٣.

وهذه الآية نزلت في المدينة أما قوله تعالى في سورة الفرقان ﴿وَالَّذِينَ لا

---

(١) النسائي في المجتبى وصححه الألباني في صحيح الجامع ٨٠٢٩

(٢) أحمد في المسند والنسائي في المجتبى ح/ ٣٩٨٤ وعبد الله بن أحمد في السنة ٧٤٩ وابن أبي عاصم في الديات صـ٧

يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۞ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۞ إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ الفرقان :٦٨ ـ ٧٠ .

أما الجمهور فإنهم يرون أنه يتوب إلى الله وأمره إلى الله في الآخرة، لأن الكافر إذا تاب توبة نصوحا قبلت توبته، وإنه لا يبقى في النار من في قلبه وزن ذرة من إيمان ولذلك فقد لعن النبي ﷺ من أشار إلى أخيه بحديدة .

[٥٤٤] ففي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه وإن كان أخاه لأبيه وأمه**» وفي لفظ «....**حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه**»(١).

[٥٤٥] وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لا يُشير أحدُكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعلَّ الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار**»(٢).

قال المناوي في فيض القدير :٦/ ٨٦ : قوله (**من أشار إلى أخيه**) أي: في الإسلام والذي في حكمه (**بحديدة**) يعني السلاح كسكين وخنجر وسيف ورمح، ونحو ذلك من كل آلة للجرح (**فإن الملائكة تلعنه**) أي : تدعوا عليه بالطرد والبعد عن الجنة أول الأمر، وعن الرحمة الكاملة السابقة زاد في رواية : (**حتى يدعها**) أي لأنه ترويع للمسلم وتخويفه وهو حرام (**وإن كان أخاه**) أي : المشير أخًا للمشار إليه ويصح عكسه (**لأبيه وأمه**) يعني : وإن كان هازلًا ولم يقصد ضربه كأن كان شقيقه، لأن الشقيق لا يقصد قتل شقيقه غالبًا فهو تعميم للنهي ومبالغة في التحذير منه مع كل أحد، وإن لم يتهم، قيد بمطلق الأخوة ثم قيد بأخوة الأب والأم إيذانًا بأن اللعب المحض المعرى عن شوب قصد إذا كان حكمه كذا فما بالك بغيره ؟ وإذا كان هذا يستحق اللعن بالإشارة فما الظن بالإصابة ؟...اهـ بتصرف .

إن منهجنا عجيب دقيق جدًا بحيث لا يترك شاردة ولا واردة بدون

---

(١) أحمد :٢/ ٢٥٦و ٥٠٥ و:٨/ ٣٤ وصحيح الجامع :٦٠٣٤ وغاية المرام :٤٤٦ كلاهما للألباني رحمه الله

(٢) أحمد :٢/ ٣١٧ والبخاري :٩/ ٦٢ ومسلم :٨/ ٣٤

ضوابط شرعية وثيقة.

[٥٤٦] ففي حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**من انتسب إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»(١).

ثالثًا: حرمان سيئ الأخلاق من كلام الله له والنظر إليه.

يوم القيامة :

إن من أشد العقوبات على نفس العارف للحق الذي يخاف وعيد الله فيتعظ إذا وعِظَ و ينزجر إذا زُجرَ، ويقف عند حدوده غير متعد إذا نُصح أن يعلم أن بعض الأخلاق السيئة تدمر على صاحبها فتجعله في مصاف الذين لا نصيب لهم ولا خلاق إذ يحرمون من أعظم نعمة لطالما سعى إليها المقربون وسابق فيها المتسابقون، وحرص على الفوز بها المخبتون ألا وهي رؤية ربهم يوم القيامة والسعادة بسماع كلامه هنالك في روح وريحان ورب راض غير غضبان، إنها لنعمة لا تدانيها نعمة يسعد بها من رضى الله عنه فهذبوا لله طباعهم وحسنوا أخلاقهم، وزكوا أنفسهم بالاستعانة بربهم في ذلك إذ إنهم علموا أن الذي ذرأها وبرأها وله محياها ومماتها فلا يملك تزكيتها غيره قال تعالى:﴿**وَلَوْلا فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ الله يُزَكِّي مَن يَشَاء وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ النور :٢١ .

وقال ﷻ ﴿**وَمَن يُضْلِلِ الله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۞ وَمَن يَهْدِ الله فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ الله بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ**﴾ الزمر : ٣٦،٣٧.

قال سبحانه: ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾ النور : ٤٠.

وقال تعالى: ﴿**وَمَن يُرِدِ الله فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ الله شَيْئًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ الله أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ المائدة :٤١.

وهكذا يطمح المؤمنون فيما عند ربهم ولا يملك خزائنه إلا هو ـ جلَّ اسمه ـ قال تعالى عن عباده الصالحين ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾

القيامة: ٢٢،٢٣.

---

(١) صحيح الجامع : ٦١٠٤

[٥٤٧] عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: .

«**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: رجل منع ابن السبيل فضل ماء عنده، ورجلٌ حلف على سلعة بعد العصر - يعني كاذبًا - ورجل بايع إمامًا فإن أعطاه وفّى له وإن لم يعطه لم يفِ له.**» وفي رواية «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أَعْطى بها أكثر مما أَعْطى، وهو كاذب، ورجلٌ حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم، ورجل منع فضل ماءٍ فيقول الله اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك**»(١).

إن هذا الذي أصاب كلَّ هذه الذنوب التي عاقبتها خسر بل عاقبة أحدها نكال ما راقب ربه ولا حاسب نفسه ولا تذكر منهجه ولا تأدب مع الكرام الكاتبين، ولا اتقى الله في المسلمين ولكنه أقدم على الذنب ولم يحجم وأسرف ولم يكرم فكانت تلك هي العقوبة المناسبة لفعلته هذه الشوهاء الشنعاء وجريمته النكراء وصدق الله إذ قال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ آل عمران :٧٧.

قال النووي في شرح الحديث الماضي: وأما الثلاثة في هذه الرواية فمنهم رجل منع فضل الماء من ابن السبيل المحتاج إليه، ولا شك في غلظ تحريم ما فعل وشدة قبحه فإذا كان من يمنع فضل الماشية عاصيًا فكيف بمن يمنعه الآدمي المحترم،.....وأما الحالف بعد العصر فمستحق هذا الوعيد، وخُصَّ ما بعد العصر لشرفه بسبب اجتماع ملائكة الليل والنهار وغير ذلك وأما مبايع الإمام على الوجه المذكور فمستحق هذا الوعيد لغشه المسلمين وإمامهم، وتسببه إلى الفتن بينهم بنكثه بيعته لاسيما إن كان ممن يقتدى به ..اهـ.

[٥٤٨] وعن أبي ذر، عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. قلنا من هم يا رسول الله؟ فقد خابوا وخسروا. فقال: المنان والمسبل والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**»(٢).

---

(١) أحمد :٢/ ٢٥٣ وفي رواية :٢/ ٤٨٠ والبخاري :٣/ ١٤٥ ومسلم :١/ ٧٢ وأبو داود ٣٤٧٤

(٢) انظر سنن الترمذي كتاب البيوع عن رسول الله ب/ فيمن حلف على سلعة كاذبًا وأصل الحديث

معنى (**لا ينظر إليهم**) : أي نظر رحمة فهم محجوبون عن الله ﷻ ولا يدخلون الجنة أول الداخلين إن ماتوا على ذلك مصرين إلا أن يشاء الله أمرًا لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ النساء: ٤٨ إلا أن يجمع العبد مع هذه الذنوب شركًا وكفرًا .

ومعنى (**ولا يزكيهم**) أي : لا يطهرهم من الذنوب ومعنى (**فقد خابوا**) أي : حرموا من الخير (المنان) أي من يمن على الناس بما أعطى فيحرجهم. (**والمنفق**) أي : المروّجُ (**بالحلف**) أي : الأيمان الكاذبة .

[٥٤٩] عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، قال : قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا ينظر الله ﷻ إليهم يوم القيامة العاق لوالديه والمرأة المترجلة، والديوث، و ثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه المدمن على الخمر، والمنان بما أعطى**»[(١)].

(**العاق لوالديه**) : هو الذي لا يراعي الحقوق الشرعية التي أوجبها الله تعالى عليه وله صور كثيرة تبدأ بالتأفف فمن قال لأبويه أف فقد عصى الله ورسوله ﷺ فكل من قصَّر في حقوق الأبوين فقد عقَّ، كل بحسبه .

(والمترجلة) أي: التي تتشبه بالرجال في زيهم وهيئتهم أما في العلم والطاعة فهو محمود فعله، (والديوث) الذي يقر الخبث في أهله ولا غيرة عنده. (**المدمن على الخمر**) المديم شربها ـ والعياذ بالله ـ.

وصدق النبي ﷺ إذ يقول: «**ثلاثة قد حرَّم الله عليهم الجنة : مدمن الخمر والعاق والديوث الذي يقر في أهله الخبث**»[(٢)].

[٥٥٠] وعن المغيرة بن شعبة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تعالى حرّم عليكم : عقوق الأمهات ووأد البنات، ومنعًا وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[(٣)].

عند مسلم . وقال الترمذي حديث حسن صحيح

(١) النسائي: ٢/ ٢١٥ ، ٢١٦ ك/ الزكاة ب/ المنان بما أعطى ح ٢٥٦١ والصحيحة ٦٧٣، ٦٧٤

(٢) صحيح الجامع ٣٠٥٢

(٣) أخرجه أحمد :٤/ ٢٤٦و :٤/ ٢٤٩ والبخاري :٢/ ١٥٣و:٣/ ١٥٧ ومسلم :٥/ ١٣٠، ١٣١

[٥٥١] وفي حديث ابن عمرو مرفوعًا «**إن الله لا يحب العقوق**»(١).

[٥٥٢] وفي حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى لا ينظر إلى من يجر إزاره بطرًا**»(٢).

[٥٥٣] وفي رواية أحمد والنسائي عن ابن عباس «**إن الله تعالى لا ينظر إلى مسبل إزاره**»(٣).

وهكذا نرى الأخبار الصحيحة عن النبي ﷺ منذرة من تعدى وظلم. وعصى وطغى بما ينتظره في الآخرة من عدم النظر إليه وإنها لحسرات أليمات وضربات موجعات وآهات باقيات نسأل الله العافية في الدين والدنيا والآخرة. .

رابعًا : إن سيئ الخلق يكسب ويقترف أشياء لا يحبها الله تعالى : .

[٥٥٤] عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، أثقل شيء في ميزان المؤمن، يوم القيامة حسن الخلق، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء**»(٤).

[٥٥٥] ورواية صحيح الجامع وقد نسبها الألباني ـ رحمه الله ـ لأحمد من حديث أسامة ابن زيد «**إن الله تعالى يبغض الفاحش المتفحش**»(٥).

ومعنى أن الله يبغض الفحش والتفحش ، فالفحش اسم لكل خصلة قبيحة، واسم لكل ما يكرهه الطبع السليم والذوق الرفيع وقيل ذلك اسم لما نهى عنه الشرع من رذائل الأعمال الظاهرة كما ينكره العقل لأنه يستخبثه الشرع لا أن العقل حاكم على الشرع ﴿فَالْحُكْمُ لله الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ غافر :١٢ وقال تعالى: ﴿وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ الكهف :٢٦ والمتفحش : الذي يقصد ذلك ويتعمده ، أي الفاحش المتفحش صنعة.

---

(١) صحيح الجامع :١٨٤٩ والصحيحة:١٦٥٥

(٢) مختصر مسلم ١٥٣٩

(٣) صحيح الجامع ١٨٦٣ والصحيحة ١٦٥٦

(٤) انظر صحيح الأدب المفرد صـ١٣٠ ح ٣٦١ وصححه الألباني وذكره في الصحيحة ٥١٩ و ٨٧٦

(٥) صححه الألباني في صحيح الجامع ١٨٧٧ والإرواء ٢١٩٢ والصحيحة ٨٧٦ ونسبه لأحمد أيضًا من حديث ابن عمرو .

* والله تعالى يبغض السائل الملحف:

إن الله تعالى قال: ﴿وَاسْأَلُواْ الله مِن فَضْلِهِ إِنَّ الله كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ النساء: ٣٢.

والمسلم لا يجوز بحال أن يحقر نفسه ويهينها ويعرضها لذل السؤال أعطي أم مُنِع، من أجل ذلك فينبغي على المسلم أن يكون عفيف النفس يعلم أن اليد العليا خير من اليد السفلى ولو راح يسعى فيعمل بيده ـ ولو أن يحتطب ـ خير له من أن يسأل الناس فيذل نفسه ويضع من قدره هذا ما لا ينبغي أن يكون أبدًا ولذلك فإن الذي يريق ماء وجهه ويذل نفسه خاصة إن كان قادرًا على الكسب فهذا الذي لا يحبه الله تعالى بل يبغض ذلك .

[٥٥٦] عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تعالى يبغض السائل الملحف**»[١].

ولذلك فقد وضح النبي ﷺ أن من سأل الناس وعنده ما يكفيه فلينتظر عقوبات كثيرة في الآخرة والأولى:

أما في الدنيا فمن أخذ هذا المال بإشراف نفس وتطلع فإنه لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع كما في حديث حكيم بن حزام عند البخاري .

أما في الآخرة فعليك أن تنظر في هذه الأحاديث الآتية :

[٥٥٧] حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سأل الناس وله ما يغنيه، جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموشٌ، أو كدوح، قيل : وما الغنى؟ قال : خمسون درهمًا أو ما يعادلها من الذهب**»[٢].

ومعنى (خموش) خموش وكدوح وخدوش :كل هذه كلمات قريبة المعاني بعضها من بعض فالخموش هي الخدوش وخمشت المرأة وجهها إذا جرحته بشيء حاد والخدوش قريبة منها والكدوح هي الآثار المترتبة على الخدش في ألوجه والخمش أبلغ من الخدش.

---

(١) صحيح الجامع ١٨٧٦ والصحيحة ١٣٢٠

(٢) صحيح الجامع ٦٢٧٩ وصححه الألباني وانظر الصحيحة ٤٩٩

وهذا يعني أن صاحب الوجه الذي يسأل الناس وعنده ما يكفيه ويغنيه يأتي وجهه مقطعًا يوم القيامة من هذه الآثار المقيتة للذنوب.

[٥٥٨] وفي حديث سهل بن الحنظلية قال : قال رسول الله ﷺ: «**من سأل شيئًا وعنده ما يغنيه، فإنما يستكثر من جمر جهنم، قالوا : وما يغنيه؟ قال : قدر ما يغديه ويعشيه**» [١].

[٥٥٩] وفي لفظ: آخر «**من سأل من غير فقر فكأنما يأكل الجمر**»[٢].

[٥٦٠] وفي حديث أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ: «**من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف**»[٣].

قال النووي : اتفقوا على النهى عن السؤال بلا ضرورة، وفي القادر على الكسب **وجهان** .

أحدهما : أنها حرام لظاهر الحديث .

الثاني : يحل بشرط ألا يذل نفسه، ولا يلح في السؤال ولا يؤذي المسئول وإلا حرَّم اتفاقًا .

والإلحاف هو: الإلحاح في المسألة .

يـا أيهـا المبتغـي نيـل الرجـال ... وطالب الحاجـات مـن ذي النـوال
لا تحسـبن المـوت مـوت البلـى ... فإنمـا المـوت سـؤال الرجـال
كلاهمـا مـوت ولكـن ذا ... أعظـم مـن ذاك لـذم السـؤال[٤]

والجعظري ملعون على لسان النبي ﷺ، والسخاب عالم الدنيا الجاهل بالآخرة.

[٥٦١] ففي حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يبغض كل جعظري جوّاظ، سخاب في الأسواق، جيفة بالليل حمار بالنهار، عالم بالدنيا**

---

(١) صحيح الجامع ٦٢٨٠ وصحيح الترغيب ٧٩٩.
(٢) غاية المرام: ١٥١ . وصحيح الترغيب : ٧٩٦. وصحيح الجامع ٦٢٨١ .
(٣) صحيح الجامع ٦٢٨٣ والصحيحة ١٧١٩
(٤) انظر فيض القدير :٦/ ١٩٤ بتصرف

جاهل بالآخرة»[١].

الجعظري: الفظ الغليظ المتكبر والجوّاظ: الجموع المنوع، والسخاب الصياح

[٥٦٢] وفي رواية « **إن الله تعالى :يبغض كل عالم بالدنيا، جاهل بالآخرة**»[٢].

* **الله تعالى يبغض الألـدّ الخَصِم .**

[٥٦٣] عن ابن أبي مليكة، عن عائشة **رضي الله عنها**، عن النبي ﷺ قال: «**إن أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخصم**»[٣].

(الألد) من اللدد الكثير أي شديد الخصومة ولذا قال الله تعالى:﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ**﴾ البقرة :٢٠٤.

وليس هذا يعني السكوت عن الحق والنهي عن نصرته ونصرة الشرع والغيرة لله ﷻ وإنما الخصومة المنهي عنها خصومة الهوى والانتصار للذات، أو للفرقة، أو للطريقة أو نحو ذلك، فتلك خصومة شاهدة على المرء لا له، وأما الخصومة في الله بالتي هي أقوم وبما لها من ضوابط شرّعها الله ﷻ فهي محمودة، ولَمَّا ضاد وشاق الكافرون ربهم خاصمهم المؤمنون و تبرؤوا منهم.

يقول تعالى: ﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**﴾ الحج :١٩ وقال سبحانه:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ**﴾ الممتحنة:١٣.

أما الزجر بالهجر فله فقهه إذ إن رسول الله ﷺ لم يهجر كل امرئ عصى الله وترك المنافقين ولم يهجرهم ولكنه هجر الثلاثة الذين.

خلفوا بإذن من الله تعالى وقد بين العلماء أن الهجر الذي تتحقق فيه المصلحة للفرد والجماعة فَتَمَّ هو وإلا فكثير ما يكون الهجر للهوى وإنفاذ الغيظ وتشفي النفس ونحو ذلك مما لا تحمد عقباه ولذلك نهى النبي ﷺ عن هجر

---

(١) صحيح الجامع: ١٨٧٨ والصحيحة : ١٩٥

(٢) صحيح الجامع: ١٨٧٩ والصحيحة : ١٩٥

(٣) البخاري ك/ المظالم والغصب ب/ قول الله تعالى{وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَام} والحديث رواه مسلم في ك/ العلم والترمذي في تفسير القرآن عن رسول الله والنسائي في آداب القضاة وأحمد في باقي مسند الأنصار .

المسلم كما هو معلوم مشهور في الأحاديث الصحيحة والسنن.

*** والله تعالى يبغض هؤلاء الثلاثة بغضًا شديدًا لكبير إثمهم .**

١ـ الملحد في الحرم .

٢ـ الذي يبتغي في الإسلام سنة جاهلية .

٣ـ الطالب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه .

[٥٦٤] عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: «**أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومُطَّلِبٌ دمَ امرئ بغير حق ليهريق دمه**»(١).

قال الحافظ في الفتح : قال المهلب وغيره :المراد بهؤلاء الثلاثة أنهم أبغض أهل المعاصي إلى الله، فهو كقوله (**أكبر الكبائر**) وإلا فالشرك أبغض إلى الله من جميع المعاصي، قوله (**ملحد في الحرم**) أصل الملحد هو المائل عن الحق، والإلحاد : العدول عن القصد، واستشكل بأن مرتكب الصغيرة مائل عن الحق والجواب أن هذه الصيغة في العرف مستعملة للخارج عن الدين، فإذا وصف به من ارتكب معصية كان ذلك إشارة إلى عظمها، وقيل: إيراده بالجملة الاسمية مشعر بثبوت الصفة، ثم التنكير للتعظيم، فيكون ذلك إشارة إلى عظم الذنب ...وأخرج السدي عن مرة عن ابن مسعود قال: «**ما من رجل يَهُمُّ بسيئة فتكتب عليه، إلا أن رجلا لوهمّ بِعَدَنٍ أبين أن يقتل رجلًا بالبيت الحرام إلا أذاقه الله من عذاب أليم**» وهذا سند صحيح، وقد ذكر شعبة أن السُدي رفعه.لهم وكان شعبة يرويه عنه موقوفًا. أخرجه أحمد عن يزيد بن هارون عن شعبة ...وظاهر سياق الحديث أن فعل الصغيرة في الحرم أشد من فعل الكبيرة في غيره ...قوله (**ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية**) أي: أن يكون له الحق عند شخص فيطلبه من غيره ممن لا يكون له فيه مشاركة كوالده أو ولده، أو قريبه، وقيل: المراد: من يريد بقاء سيرة الجاهلية أو إشاعتها أو تنفيذها، وسنة الجاهلية اسم جنس يعم جميع ما كان أهل الجاهلية يعتمدونه من أخذ الجار بجاره والحليف بحليفه ونحو ذلك، ويلتحق بذلك ما كانوا يعتقدونه، والمراد منه ما جاء الإسلام بتركه . كالطيرة والكهانة وغير ذلك،

---

(١) البخاري ك/ الديات ب/ من طلب دم امرئ بغير حق .الفتح :١٢/ ٢١٩ ح/ ٦٨٨٢

قال :

[٥٦٥] وقد أخرج الطبراني والدارقطني من حديث أبي شريح رفعه «**إن أعتى الناس على الله من قتل غير قاتله، أو طلب بدم الجاهلية في الإسلام**» انتهى .

قوله (**ومطَّلِبٌ**) بالتشديد... **وقال الكرماني** : هو المتكلف للطلب، أو ذكر الطلب ليلزم الزجر في الفعل بطريق الأولى، وقوله (**بغير حق**) احتراز عمن يقع له مثل ذلك لكن بحق، كطلب القصاص مثلًا . قوله (**ليهَريق**) بفتح الهاء ويجوز إسكانها، وقد تمسك به من قال :إن العزم المصمم يؤاخذ به، وتقدم البحث في ذلك الكلام على حديث «**من همَّ بحسنة...**»في كتاب الرقاق...[1] اهـ.

ومن أبغض خلق الله إلى الله الأفكار المنحرفة عن الصراط السوي .

إن منهج الله ﷻ حياة وغيره من الأفكار الهدامة عدم، منهج الله نور، وغيره ضلال دامس، منهج الله علو ورفعة، وغيره نكد هواجس هراء وضلال وبوار، ولذلك من لم يسِرْ في نفس الطريق المستقيم الذي بيَّنَ الله معالمه، ووضح النبي ﷺ خصائصه، فليعلم أنه عدو مضل مبين أعمى عن الحق والهدى، ومآله إلى سراب ضباب وإلى ضياع ولو بعد حين، فقد خرجت الحرورية وهم فرقة من ألد فرق الخوارج وأخطرها تنشر الفساد وتظلم العباد.

وتغير الحق الثابت، وتكفر الصحابة ويحرفون القول عن مواضعه فيُضلون البرآء الجهلاء ليدخلوهم في غياهب جهالة جهلاء وضلالات عمياء، وبراثن مدلهمة كلها خزي وعطب ومعاصي وغضب، فرحماك اللهم ممن حرفوا التنزيل وأغضبوا الجليل، وكفروا الصحابة، وزاغوا عن الهدى، والحق فأزاغ الله قلوبهم فصاروا من أبغض الخلق إلى الحق ولا يجاوز القرآن حناجرهم .

عن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أن الحرورية لمَّا خرجت، وهو مع علي بن أبي طالب ﷺ قالوا «**لا حكم إلا لله .قال علي : كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله ﷺ وصف ناسًا إني لأعرف صفتهم في هؤلاء يقولون الحق بألسنتهم لا يجوز هذا منهم وأشار إلى حلقه**».

---

(١) من الفتح بتصرف :١٢/ ٢٢١

من أبغض خلق الله إليه، منهم أسود إحدى يديه، طبيُ شاة أو حلمة ثدي، فلما قتلهم علي بن أبي طالب ﷺ قال :انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئًا، فقال : ارجعوا فوالله ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ مرتين أو ثلاث، ثم وجدوه في خَرِبَةٍ، فأتوا به حتى وضعوه بين يديه، قال عبيد الله : وأنا حاضر ذلك من أمرهم، وقول علي فيهم ... الحديث[١].

قال النووي : قوله (**قالوا : لا حكم إلا لله ، قال علي : كلمة حق أريد بها باطل**) معناه أن الكلمة أصلها صدق. قال الله تعالى: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لله**﴾ **الأنعام: ٥٧** لكنهم أرادوا بها الإنكار عَلَىَ عليٍّ ﷺ في تحكيمه .

قوله ﷺ: «**إحدى يديه طبي شاة**» هو بطاء مهملة مضمومة ثم باء موحدة ساكنة، والمراد به : ضرع الشاة وهو فيها مجاز، واستعارة إنما أصله للكلبة والسباع قال أبو عبيد : يقال أيضًا .

لذوات الحافر، ويقال للشاة ضرع وكذا للبقرة ويقال للناقة خلف..[٢] اهـ.

أحاديث في وصف هؤلاء الذين يبغضهم الله تعالى

* عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ:«**في حديث ذكر فيه قومًا يخرجون على فرقة مختلفةٍ يقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق**»[٣].

[٥٦٦] هؤلاء الخوارج كان رأسهم موجودًا على عهد النبي ﷺ وكان حالق الرأس عظيم الوجنتين وكان قد اعترض على النبي ﷺ في قسمة قسمها بين أصحابه من ذهب وقال اعدل يا محمد، وقال النبي ﷺ: «**ويلك ومن يعدل إذ لم يعدل الله و رسوله**» ثم أخبر الحبيب ﷺ أنه سيخرج من ضئضئ هذا قوم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم».

[٥٦٧] روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : بَعَثَ عَلِي ﷺ وهو باليمن بذهبة في تربتها إلى رسول الله ﷺ فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة

---

(١) مسلم شرح النووي :٧/ ١٧٣، ١٧٤

(٢) من شرح النووي :٧/ ١٧٤

(٣) مسلم بشرح النووي :١٧/ ١٦٨ ك/ الزكاة ب/ التحريض على قتل الخوارج

نفر الأقرع بنُ حابس الحنظلي وعُيينة بن بدر الفزاري، وعلقمة بن عُلاثة العامري ثم أحد بني كلاب، وزيد الخير الطائي ثم أحد بني نبهان قال: فغضبت قريش فقالوا : أيعطي صناديد نجد ويدعنا، فقال رسول الله ﷺ: «**إني إنما فعلت ذلك لأتألفهم، فجاءَ رجل كَثُّ اللحية مشرف الوجنتين غائر العينين، ناتِئ الجبين محلوق الرأس،** فقال : اتق الله يا محمد قال : فقال رسول الله ﷺ : **فمن يُطع الله إن عصيته ؟! أيأمنني على أهل الأرض، ولا تأمنوني»؟! قال** : ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قتله (يرون أنه خالد بن الوليد) فقال رسول الله ﷺ «**إن من ضئضئ هذا قومًا يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[1].

قوله: (**أيعطي صناديد نجد**) أي سادتها أحدهم صِنديد بكسر الصاد .

قوله: (**فجاء رجل كث اللحية**):كثير اللحية، والوجنة : لحم الخد .

قوله: (**ناتئ الجبين**) هو جانب الجبهة ولكل إنسان جبينان يكتنفان الجبهة، قوله ﷺ: (**إن من ضئضئ هذا قومًا**) الضئضئ : هو أصل الشيء وقوله ﷺ: (**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**)أي قتلًا عامًا مستأصلًا كما قال تعالى: ﴿**فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ**﴾ ... اهـ وهذا مستفاد من شرح النووي بتصرف .

وفي رواية عند مسلم شرح النووي أيضًا:٧ / ١٦٢، ١٦٣ «... فقام رجل غائر العينين مشرف الوجهين، ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الراس مُشمر الإزار فقال يا رسول الله : اتق الله فقال: «**ويلك. أو لست أحقُّ أهل الأرض أن يتقي الله**» قال: ثم ولَّى الرجل فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ فقال« **لا لعله أن يكون يصلي**» **قال خالد:** وكم من مصلٍ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله ﷺ: «**إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم**» قال: ثم نظر إليه، وهو مقفٍ فقال: «**إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»، قال: أظنه قال: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود**»[2]. وفي رواية: «... تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، فيقرءون القرآن لا يجاوز حلوقهم، أو حناجرهم، يمرقون من الدين

(١) مسلم بشرح النووي :٧/ ١٦٢ وما بعدها ك/ الزكاة ب/ إعطاء المؤلفة قلوبهم .
(٢) مسلم بشرح النووي: ٧/ ١٦٣ .

مروق السهم من الرمية، فينظر الرامي إلى سهمه...» الحديث[1].

يقول الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ: أصل الخوارج أن بعض أهل العراق أنكروا سيرة بعض أقارب عثمان، بل كانوا ينكرون عليه أشياء، ويتبرءون منه، وكان يقال لهم: القراء لشدة اجتهادهم في التلاوة والعبادة، إلا أنهم كانوا يتأولون القرآن على غير المراد منه، ويستبدون برأيهم، ويتنطعون في الزهد والخشوع وغير ذلك، فلما قتل عثمان قاتلوا مع عليٍّ، واعتقدوا كفر عثمان رضي الله عنه ومن تابعه، واعتقدوا إمامة علي وكفر من قاتله من أهل الجمل، ولما خرج عليٌّ من الكوفة لقتال أهل الشام خرجوا مع علي وحاربوا بصفين معه، فلما كاد أهل الشام أن ينهزموا رفعوا المصاحف على الرماح، ونادوا: ندعوكم إلى كتاب الله. فترك جمع كثير ممن كانوا مع علي ـ وخصوصًا هؤلاء القراء ـ القتال بسبب ذلك تدينًا واحتجوا بقوله تعالى: ﴿**ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يُدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريقٌ منهم وهم معرضون**﴾ [آل عمران:٢٣].

فلما اتفق أهل الشام وأهل العراق على التحكيم، وكتبوا في ذلك كتابًا كتب فيه: هذا ما قضى عليه أمير المؤمنين علي معاوية، وامتنع أهل الشام من ذلك، وقالوا: اكتبوا اسمه واسم أبيه، فأجاب عليٌّ إلى ذلك تأسيًا برسول الله ﷺ في صلح الحديبية.

أنكر الخوارج علىَ عليٍّ أمرين :

الأول : أنه خلع ثوب الإمارة .

الثاني : أنه قبل التحكيم، فعند أحمد أنهم قالوا له :انسلخت من .قميص ألبسكه الله، ومن اسم سماك الله به، ثم حكّمت الرجال في دين الله، ولا حكم إلا لله، ولّما رجع عليٌّ بجيشه إلى الكوفة انتظارًا لتحكيم المحكمين فارقه هؤلاء القراء، وخرجوا إلى مكان يقال له حروراء، ومن ثم قيل لهم الحرورية، وكانوا ثمانية آلاف، وقيل كانوا أكثر من عشرة آلاف وكان كبيرهم عبد الله بن الكواء اليشكري، وشَبَثَ[بفتح الشين والباء بعدها ثاء] التميمي، فأرسل عليٌّ إليهم عبد الله بن عباس، فناظرهم فرجع كثير منهم معه، ثم خرج إليهم عليٌّ، فناشدهم

(١) مسلم نووي : ٧/ ١٦٤ ، ١٦٥ .

فأطاعوه ودخلوا معه الكوفة، معهم رئيساهم المذكوران لكنهم أشاعوا في الكوفة أنَّ عليًا تاب من قبوله التحكيم ولذلك رجعوا معه، وجاء رجل إلى علي فقال : إنهم يتحدثون أنك أقررت لهم بالكفر لرضاك بالتحكيم، فخطب وأنكر ذلك، فتنادوا من جوانب المسجد : لا حكم إلا لله .فقال لهم عليٌ كلمة حق يراد بها باطل إذا كانوا يقصدون رفض التحكيم والانخلاع من حكم علي فقال لهم عليٌ : لكم علينا ثلاثة : أن لا نمنعكم من المساجد ولا من رزقكم في الفيء، ولا نبدأكم بقتال ما لم تحدثوا فسادًا .

لكنهم خرجوا من الكوفة متسربين شيئًا بعد شيئ حتى اجتمعوا بالمدائن، فراسلهم عليٌ يطلب منهم الرجوع، فأصروا على الامتناع حتى يشهد على نفسه بالكفر لرضاه بالتحكيم ويتوب . ثم قرروا إرغام الناس على عقيدتهم، وقرروا أن من لا يعتقد معتقدهم يكفر ويباح دمه وماله وأهله، وانتقلوا إلى تنفيذ القرار، فاستعرضوا الناس، فقتلوا من اجتاز بهم من المسلمين، ومرّ بهم عبد الله بن خباب بن الأرتَّ، وكان واليًا لعليٍّ على بعض البلاد، ومعه سريَّة وهي حامل، فقتلوه وبقروا بطن سريته عن ولد، فأرسل إليهم عليٌ ﷺ رسولًا يطلب منهم تحديد قاتل ابن خباب، فقتلوا رسوله، وقالوا : كلنا قتلناه فخرج إليهم عليٌ بالجيش الذي كان قد هيأه للخروج إلى الشام فأوقع بهم النهروان ولم ينج منهم إلا دون العشرة[1].اهـ.

أخي الكريم أنا مضطر أن أسرد وأطيل عليك لأن هذا الموضوع من الأهمية بمكان، ثم إن كثيرًا من الشباب منذ أكثر من ربع قرن أو يزيد اعتنقوا فكرًا كهذا بل زادوا عليه بنفس القسوة ونفس الوجهة ونفس التحدي للفضيلة والأفاضل، ونشر الفساد وظلم العباد، وظلم أنفسهم وذويهم وأسرهم حيث كثر اليتامى والثكالى والأيامى بسبب هذا التعنت والمشقة التي منى بها كثير من المسلمين في تلك الآونة الماضية وكم جروا من ويلات، والحمد لله أن رجع كثير منهم عن الباطل أخيرًا بعد طول عناء وبعاد وأرق ونحمد الله تعالى على ذلك وأنا أنصح إخواني أن لا يدخلوا في أي حزب لمجرد أن يجد بعض الكلمات

(١) فتح المنعم :٤/ ٤٥٥-٤٥٧ بتصرف

المعسولة ثم يجد نفسه قد انقلب رأسًا على عقب وساعتها يكون سوط عذاب على أقرب الخلق إليه ويضطرب فكره ويهيم قلبه ويعيش لا يدري في أي غياهب الضلال يمضي وعلى أي نحو يسير ليباغت أنه في أقصى اليسار، وقد مزق كل ممزق وصار خرابًا على أهله وموطنه وأرقًا لأحب الناس إليه فالحذر الحذر . .

المبحث الثالث والعشرون

التـــواضـــــع

أولًا: تعريف التواضع:

تواضع الرجل: أي أظهر الضعَةَ وهو مأخوذ من مادة (و. ض . ع) التي تدل على الخفض من الشيء وحطه يقال: وضعته بالأرض وضعًا .

واصطلاحًا: إظهار التنزل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه، وقيل: هو تعظيم من فوقه لفضله . وفي الرسالة القشيرية: التواضع هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض في الحكم[1].

ثانيًا: آيات في فضل التواضع :

قال تعالى﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا**﴾ **الفرقان: ٦٣**

بالحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين ولا متجبرين، ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله

قال مجاهد: أي: بالوقار والسكينة، وقال ابن عباس: قوله: ﴿**الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا**﴾ بالطاعة والعفاف والتواضع . وعن زيد بن أسلم عن أبيه لا يتكبرون على الناس ولا يتجبرون، ولا يفسدون . وقرأ قول الله تعالى﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ **القصص: ٨٣**

وقال بعض أهل العلم: إنهم ـ عباد الرحمن ـ يمشون عليها بالحلم لا يجهلون على من جهل عليهم، فعن الحسن: في تفسير هذه الآية: قال: حلماء لا يجهلون على من جهل عليهم ﴿**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا**﴾ أي وإذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول، أجابوهم بالمعروف من القول والسداد من الخطاب . قال الحسن: في تفسيرها: أن المؤمنين قوم ذلل، ذلّتْ منهم والله الأسماع والأبصار والجوارح، حتى يحسبهم الجاهل مرضى وإنهم لأصحاء القلوب، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة، وقالوا: ﴿**وَقَالُوا الحَمْدُ لله الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ **سورة فاطر: ٣٤**

والله ما حزنهم حزن الدنيا ولا تعاظم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة، أبكاهم

---

(١) انظر موسوعة نضرة النعيم :٤/ ١٢٥٥؛١٣٥٥ بتصرف

الخوف من النار، وإنه من لم يتعز بعزاء الله، تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، ومن لم يرَ لله عليه نعمة إلا في مطعم ومشرب فقد قلّ علمه وحضر عذابه، ...

وقال ـ يرحمه الله ـ: حلماء لا يجهلون، وإن جُهل عليهم حلموا، ولم يسفهوا هذا نهارهم، فكيف ليلهم؟ خير ليل . صفوا أقدامهم وأجروا دموعهم على خدودهم يطلبون إلى الله جلّ ثناءه فك رقابهم ...[1] اهـ

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾

هاهي السمة الأولى من سمات عباد الرحمن: إنهم يمشون على الأرض مشية سهلة هينة ليس فيها تكلف ، ولا تصنع وليس فيها خيلاء، ولا تصعير خدٍّ ولا تخلع أو ترهل فالمشية ككل حركة تعبر عن الشخصية وعن ما يستكن فيها من مشاعر هذه هي مشيـة صاحبها، فيمشي مشية سوية مطمئنة جادة قاصدة، فيها وقار وسكينة وفيها جد وقوة، وليس معنى **﴿يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾** إنهم يمشون متماوتين منكسي الرءوس، متداعي الأركان متهاوي البنيان، كما يفهم بعض الناس ممن يريدون إظهار التقوى والصلاح ! وهذا رسول الله ﷺ كان إذا مشي تكفأ تكفيا وكان أسرع الناس مشيًا، وأحسنها وأسكنها،

[٥٦٨] قال أبو هريرة ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوى له وإنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث ﷺ

وقال علي بن أبي طالب ﷺ كان رسول الله ﷺ إذا مشى تكفأ تكفيًا كأنما ينحط من صبب، وقال مرة: إذا تقلَّع، والتقلع هو الارتفاع عن الأرض بجملته وهي مشية أولي العزم والشجاعة...[2] اهـ

وقال رحمه الله: وهم في جدهم ووقارهم وقصدهم إلى ما يشغل نفوسهم من اهتمامات كبيرة، لا يلتفتون إلى حماقة الحمقى، وسفه السفهاء والحمقى، في جدال أو عراك، ويترفعون عن المهاترة مع المهاترين الطائشين **﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾** لا عن ضعف وإنما عن صيانة للوقت و الجهد أن يُنفقا فيما لا يليق

---

(١) انظر تفسير ابن جرير : ١١/ ٤٤،٤٥

(٢) في ظلال القرآن :٥/ ٢٥٧٧ بتصرف .

بالرجل الكريم، المشغول عن المهاترة بما هو أهم وأكرم وأرفع... اهـ

ثم اعلم أرشدني الله وإياك يا أخي أن الكبر والعجب داءان مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان، بغيضان، والله ﷻ هو المتكبر العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع، وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع، هو القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع، الغني الذي ليس له شريك ولا منازع، القادر الذي بهر أبصار الخلائق بجلاله وبهائه، وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه، وحصر ألسن الأنبياء وصْفَة وثناؤه فاعترف بالعجز عن وصف كُنهِ جلاله ملائكته وأنبياؤه، وكسر ظهور الأكاسرة عزه وعلاؤه فالعظمة إزاره، والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فأعجزه دواؤه .

وقد أمر الله نبيه ﷺ ـ بالتواضع لمن آمن به من المؤمنين فقال ﷻ: ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ الشعراء: ٢١٥ قال أبو حيان: من اتبعك مؤمنًا فتواضع له ... [1] اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: فالمسكين المحمود هو المتواضع الخاشع لله، ليس المراد بالمسكنة عدم المال بل قد يكون الرجل فقيرًا من المال وهو جبار فالمسكنة خلق في النفس، وهو التواضع والخشوع، واللين ضد الكبر، كما قال عيسى عليه السلام ﴿**وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا**﴾ مريم: ٣٢

* وقال الله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ المائدة: ٥٤

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ**﴾ أي صدَّقوا الله ورسوله، وأقروا بما جاءهم به نبيهم محمدﷺ ﴿ **مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ**﴾ يقول: من يرجع منكم عن دينه الحق (**الإسلام**) الذي هو عليه اليوم فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر، إما في اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك من صنوف الكفر، فلن يضر الله شيئًا ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ يقول: فسوف

---

(١) انظر تفسير البحر المحيط :٧/ ٤٦ بتصرف

يجئ الله بدلًا منهم المؤمنين الذين لم يبدلوا ولم يغيروا ولم يرتدوا، بقول خير من الذين ارتدوا وبدلوا دينهم، يحبهم الله ويحبون الله . وكان هذا الوعيد من الله عن سبق في علمه أنه سيرتد بعد وفاة نبيه محمد ﷺ وكذلك وَعْدُه من وَعَدَ من المؤمنين ما وعده في هذه الآية عن سبق في علمه أنه لا يبدل ولا يغير دينه، ولا يرتد فلمّا قبض الله نبيه ﷺ ارتد أقوام من أهل الوبر، وبعض أهل المدر، فأبدل الله المؤمنين بخير منهم، كما قال تعالى ذكره، ووفى المؤمنين بوعده، وأنفذ فيمن ارتد منهم وعيده قال تعالى ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ ﴾ قال ابن جرير: أرقاء عليهم رحماء بهم من قول القائل: ذلَّ فلان لفلان إذا خضع له واستكان ويعني بقوله ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ ﴾ أشداء عليهم غلظاء بهم من قول القائل قد عزني فلان: إذا أظهر العزة من نفسه له وأبدى له الجفوة والغلظة...[1] اهـ

وقال السعدي في تفسيره: يخبر تعالى أنه غني عن العالمين وأنه من يرتد عن دينه فلن يضر الله شيئًا وإنما يضر نفسه وأن لله عبادًا مخلصين ورجالًا صادقين قد تكفل الرحمن الرحيم بهدايتهم، ووعد بالإتيان بهم، وأنهم أكمل الخلق أوصافًا وأقواهم نفوسًا وأحسنهم أخلاقًا أجلُّ صفاتهم أن الله يحبهم ويحبونه فإن محبة الله للعبد، هي أجل نعمة أنعم بها عليه وأفضل فضيلة، تفضل الله بها عليه وإذا أحب الله عبدًا يسر له الأسباب وهون عليه كل عسير ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد .ومن لوازم محبة العبد لربه، أنه لابد أن يتصف بمتابعة الرسول ﷺ، ظاهرًا وباطنًا في أقواله وأعماله، وجميع أحواله كما قال تعالى﴿قل إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله ...﴾ [آل عمران:٣١]

كما أن من لوازم محبة الله للعبد، أن يكثر العبد من التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل كما قال النبي في الحديث الصحيح عن الله: «**وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضه عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه**» ومن لوازم محبته تعالى معرفته سبحانه والإكثار من ذكره، فإن المحبة بدون معرفة بالله ناقصة جدًّا بل

(١) جامع البيان : ٤/ ٣٨٢ـ٣٨٨ بتصرف

ناقصة وإن وجدت دعواها، ومن أحبَ اللهَ أكثرَ من ذكره، وإذا أحب الله عبدًا قبل منه اليسير من العمل وبارك فيه وغفر له كثيرًا من الزلل .

ومن صفاتهم ـ عباد الرحمن ـ أنهم ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ﴾ فهم للمؤمنين أذلة، مِنْ محبتهم لهم ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم، ورأفتهم بهم وسهولة جانبهم وقرب الشيء الذي يطلب منهم، وعلى الكافرين بالله المكذبين بآياته المعاندين لرسله أعزة قد اجتمعت هممهم، وعزائمهم، على معاديتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم ...

قال تعالى: ﴿أَشِدَّاء عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾ الفتح: ٢٩

فالغلظة الشديدة على أعداء الله مما يقرب العبد إلى الله ويوافق العبد ربه في سخطه عليهم ولا تمنع الغلظة عليهم والشدة، دعوتهم إلى دين الله (الدين الإسلامي) بالتي هي أحسن، فتجتمع الغلظة عليهم واللين في دعوتهم، وكلا الأمرين من مصلحتهم و نفعه عائد إليهم ...[1] بتصرف

* وقال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء: ٢١٥

وقال سبحانه ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الحجر: ٨٨ أي: ألن جانبك لمن آمن بك، وتواضع لهم .وأصله أن الطائر إذا ضمَّ فرخه إلى نفسه بسط جناحه ثم قبض على الفرخ، فجعل ذلك وصفًا لتقريب الإنسان أتباعة، ويقال فلان خافض الجناح أي: وقور ساكن، والجناحان من ابن آدم جانباه ومنه﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ طه: ٢٢ ...)[2]

أحاديث في التواضع

أولًا: التواضع من صفات أهل الجنة .

[٥٦٩] عن حارثة بن وهب الخزاعي عن النبي ﷺ قال «**ألا أخبركم بأهل الجنة: كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار كل عتلٍّ جَوَّاظ مستكبر**» قال محمد ابن عيسى: حدثنا هشيم أخبرنا حميد الطويل

(١) تفسير السعدي :١/ ٥٥٤ـ٥٥٦

(٢) تفسير القرطبي :٦/ ٣٦٧٣

حدثنا أنس بن مالك قال: إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت [١].

إن القرآن العظيم والسنة المطهرة، بيان شاف وعلاج ناجع لشتى نواحي الحياة، تزكية للأنفس التي فطرها مَنْ شَرَّعَ لها سبحانه وتعالى فقد وضع الله تعالى صفات لأهل الجنة يلمسها في أصحابها من له معرفة بمعادن الخلق وأخلاقهم، فقد وصف الله تعالى أهل الجنة بصفات كثيرة في مواضع متعددة من القرآن العظيم منها كما في سورة آل عمران ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]

فالوصف الإجمالي لهم [التقوى] وهي: فعل ما أمر الله من خلال كتابه وسنة رسولهﷺ على نور من الله رجاء رحمته تعالى وخوفًا من عقابه، وترك ما نهى الله عنه في الكتاب والسنة، على لسان رسوله ﷺ على نور من الله ورجاء رحمة الله ﷻ وخوفًا من عذابه سبحانه وأما عن بعض الصفات إجمالًا: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ ۝ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ﴾ آل عمران: ١٣٦ـ١٤٣

معنى الألفاظ

الجَعظَري: بفتح الجيم والظاء: الفظ الغليظ المتكبر .

وقال الأزهري: هو الطويل الجسيم الأكول الشروب البطر الكافر .

ومعنى الجَوَّاظ: بفتح الجيم، وتشديد الواو وآخره ظاء معجمة، قال ابن الأثير: الجموع المنوع، وقيل الكثير اللحم المختال في مشيته، ويقال الفاجر [٢]

وأيضًا بيَّن لنا رسول الله ﷺ صفات أهل الجنة ففي الحديث السابق بأن هذه

---

(١) رواه البخاري ك/ الأدب ،ب/ الكبر ح/ ٥٦١٠

(٢) انظر تعليق الشيخ / أحمد شاكر على المسند :١٠/ ٨٥ـ٨٦ بتصرف

الصفة هي (**كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبرَّه**) فهل يا ترى! أيدل النص على تحبيذ الضعف في المسلمين؟! لا؛ لأن الله تعالى أمرنا من خلال الأنبياء أن نكون أقوياء في أخذ الحق والشرع أقوياء في الدفاع عنه، والذب عن حرمته فقال تعالى ﴿**يَا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيًّا**﴾ مريم: ١٢

وقال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ سورة البقرة: ٦٣

وقال تعالى ﴿ **خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ**﴾ البقرة: ٩٣

ومن ثمَّ فالإسلام دين القوة وعليه فالمسلم قوي في أخذه ورده في غير عنف، وليّن في معاملاته في غير ذل وخور وضعف .

[٥٧٠] وعند البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير...**» [**مختصر مسلم للمنذري صـ٣٩٠ ح ١٣٦٣**]

وإذا كان الأمر على هذا النحو فما المقصود هنا بالضعيف المتضعف؟ المقصود به: المتواضع للحق والخلق، سهل المعشر، المخبت إلى ربه المنيب إليه الرجّاع له سبحانه، الذي بذل جانبيه لإخوانه تواضعًا فهذا هو المقصود وعليه فالتواضع من أخص صفات أهل الجنة

[٥٧١] عن معاذ بن أنس الجهني ﷺ ـ أن رسول الله ﷺ قال «**من ترك اللباس تواضعًا لله، وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يُخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها**» [١]

والمسلم يجد مثل هذا الحديث، وينظر إلى بعض الأحاديث الأخرى التي تدل على الزينة والتجمل فيظن أن ثمة تعارضًا أو يظن البعض ذلك خاصة أن الله تعالى قال ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ الأعراف: ٣١

كما قال سبحانه ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ الله الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**

---

(١) أحمد :٣/٤٣٨،٤٩٣ والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع وصحيح الترمذي

قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ سورة الأعراف: ٣٢

وقد بين النبي ﷺ أن الله جميل يحب الجمال وكان ﷺ له حلة يلبسها للضيفان والوفود وقد أمر بالتجمل للجمعة والعيدين وغير ذلك وبين أن الله تعالى يثيب على ذلك عظيم الأجر وكريم المثوبة وهنا يجمع المسلم بين هذه النصوص فيعبد الله تعالى في كل هذه الميادين يرجو رحمة الله وبركته وثوابه فيلبس حيث أمره الله تعالى ورسوله ﷺ أن يلبس في كل موضع يلبس له لبسته ويعد له بضاعته فإن رأى نفسه تجنح في اختيال ترك اللباس مع القدرة عليه ليؤجر على كل ذلك .

[٥٧٢] عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله ﷺ أنه قال:«**هل تدرون أوّل من يدخل الجنة من خلق الله؟**» قالوا الله ورسوله أعلم . قال: «**أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون. الذين تُسَدُّ بهم الثغور، ويتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره، لا يستطيع لها قضاءً ـ فيقول الله ﷻ: لمن يشاء من ملائكته: ائتوهم فحيوهم، فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك، وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء، فنسلم عليهم؟ قال: إنهم كانوا عبادًا يعبدوني، لا يشركون بي شيئًا، وتُسَدُّ بهم الثغور، ويُتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره، لا يستطيع لها قضاءً**» قال: «**فتأتيهم الملائكة عند ذلك، فيدخلون عليهم من كل باب ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾**»[١]

تلك هي المنزلة وهذه هي الثمرة فمن تواضع لله رفعه وأعزه وباهى به الملائكة ورفع في الجنة درجته .

[٥٧٣] **عن سهيل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال «من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله على رءوس الخلائق يوم القيامة، حتى يخيره في أي الحور شاء»** [٢]

ولا يقدر على كظم الغيظ على هذا النحو إلا من تواضع وحلم ولذا فإن الله

---

(١) أحمد :١٠/ ٧٦،ح/ ٦٥٧٠،وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح وهو أيضًا في المسند ح/ ٦٥٧١،ونسبه الشيخ أحمد شاكر للحاكم .

(٢) أحمد :٣/ ٤٣٨،وانظر صحيح الجامع ح/ ٦٥١٨،وحسنه الألباني

تعالى أمر بالتواضع على لسان رسوله ﷺ

[٥٧٤] فعن عياض بن حمّار أن رسول ﷺ قال «**إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتَّى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد**»(١)

[٥٧٥] عن أبي هريرة ﷺ قال ـ قال رسول الله ﷺ «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله رجلًا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»(٢)

ومعنى ؛ **ما زاد الله رجلًا بعفو إلا عزًّا**: أي بسبب عفوه عن شيء مع قدرته على الانتقام (**إلا عزًا**) أي في الدنيا من عُرِف بالعفو عظم في القلوب أو في الآخرة بأن يعظم ثوابه (**وما تواضع أحد لله**) بأن أنزل نفسه عن مرتبة يستحقها رجاء التقرب إلى الله دون غرض آخر .

[٥٧٦] عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «**ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملك، فإذا تواضع قيل للملك ارفع حكمته .وإذا تكبر قيل للملك دَعْ حكمته**»(٣)

[٥٧٧] عن أبي هريرة ﷺ ـ عن النبي ﷺ قال «**ما من امرئ إلا وفي رأسه حكمة، والحكمة بيد ملك، إن تواضع قيل للملك: ارفع الحكمة، وإن أراد أن يرفع قيل للملك: ضع الحكمة أو حكمته**» (٤)

تبارك ذو العلا والكبريـاء تفرد بالجلال وبالبقاء
وسوّى الموت بين الخلق طُرًا وكلُّهـم رهائن للفناء
ودنيانا وإن ملنا إليها وطال بها المتاع إلـى القضاء
ألا إن الركون على غرور إلى دار الفناء من الفناء

---

(١) صحيح الجامع ح/ ١٧٢٥،وحسنه الألباني

(٢) قال أبو عيسى وهذا حديث حسن صحيح انظر جامع الترمذي ك/ البر والصلة ،بـ/ ما جاء في التواضع . وصححه الألباني

(٣) صحيح الجامع :٥٦٧٥وحسنه الألباني .

(٤) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد :٨/ ٨٣،وقال رواه البزار وإسناده حسن وأورده المنذري في الترغيب والترهيب وقال : رواه الطبراني والبزار وإسنادهما حسن وحسنه الألباني في الصحيحة ٥٣٨.

وقاطنها سريع الظعن عنها وإن كان الحريص على الثواء[١]

التحذير من الكبر

إن الكبر داء وعياء ووباء سرطاني مدمر لا يبقي من خير ولا يذر من بر أو فضيلة، ولذا فإن الله تعالى حذَّر وأنذر وخوّف المتصفين به، حتى ينفكوا عنه، ويخلعوا أنفسهم من وباله وشراكه، وإلا فإن الخزي ينتظرهم والحسرة تحدق بهم، ذلك لأنه من أعظم ما يسخط الرب، ويحول بين العبد والتوفيق والسداد والهدي والرشاد، فالمتكبر على الحقيقة الكبير المتعال العظيم الجليل هو الله ﷻ، ولذلك فإن الله طرد إبليس من نعيمه الطيب وجعله ـ بكبره ـ أسفل الخلق وشرهم وجعل من اتبعه هم الغاوين، ويوم القيامة يقدم إبليس المتكبرين من الجن والإنس حتّى يوردهم دار البوار.

قال تعالى: ﴿ولاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ الله لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۞ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾ لقمان: ١٨ـ١٩

والمعنى: ولا تتكبر على الخلق، فتحتقرهم أو تزدريهم أي تميل عنهم إعراضًا وبطرًا وخيلاء ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي بطرًا فخرًا بالنعم ناسيًا المنعم معجبًا بنفسك. ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي امش متواضعًا مستكينًا، لا مشي البطر والكبر، ولا مشي المتماوت ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ أدنه مع الناس، ومع الله. ﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾ أي: أفظعها وأبشعها ولو كان في رفع الصوت فائدة ومصلحة لما اختص بذلك الحمار الذي قد علمت خسته وبلادته ....[٢] اهـ

وقد بين الله بغضه للمستكبرين فقال عز من قائل ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ سورة النحل: ٢٣ وقال تعالى ﴿وَالله لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ الحديد: ٢٣ وقال سبحانه ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولًا﴾ الإسراء: ٣٧

---

(١) موارد الظمآن: ٣/ ٤٦

(٢) انظر تفسير السعدي: ٤/ ١١٧

كما أن الله تعالى حكم على المتكبرين بالحرمان من العلم والفهم والتوفيق قال تعالى ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف: ١٤٦

والمعنى أن الله تعالى يصرفهم عن الاعتبار بالآيات العلمية والكونية على السواء قال ابن عيينة: أنزع عنهم فهم القرآن وأصرفهم عن آياتي

قال ابن جرير: إن الله أخبر أنه سيصرف عن آياته، وهى أدلته وأعلامه ...والقرآن أيضًا من آياته، وقد عمَّ الخبر أنه يصرف عن آياته المتكبرين في الأرض بغير الحق، وهم الذين حقت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون، فَهُمْ عن فَهْمِ جميع الآيات والاعتبار والإدراك بها مصروفون، لأنهم لو وفقوا لفهم بعض ذلك فهدوا للاعتبار به اتعظوا وأنابوا إلى الحق، وذلك غير كائن منهم، لأنه جل ثناؤه قال ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا﴾ الأعراف: ١٤٦ فلا تبديل لكلمات الله...[1] اهـ

والله ﷻ هيأ النار لمثل هؤلاء ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ الزمر: ٦٠

ويطبع الله على قلوبهم ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ غافر: ٣٥ وإذا طبع على القلب فلا يدخله الخير ألبتة ولا يخرج منه بر، وإنما يكون منكوسًا

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ غافر: ٦٠

[٥٧٨] ولذلك قال تعالى في الحديث القدسي(**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدًا منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي**» [مسلم: ١٦/ ١٧٣ **في البر والصلة** .]

قال الخطابي: معنى هذا الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله تعالى، واختص بهما لا يشركه فيهما أحد، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما .[**انظر عون المعبود: ١١/ ١٥**]

حرمان المتكبر من دخول الجنة

[٥٧٩] عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال «**لا يدخل الجنة من كان**

(١) انظر تفسير ابن جرير بتصرف :٦/ ٨٠،٨١

في قلبه مثقال ذرة من كبر»[١]

قال الخطابي فيما نقله عن النووي: المراد التكبر عن الإيمان فصاحبه لا يدخل الجنة أصلًا إذا مات عليه .

فإن هذا الحديث ورد في سياق النهي عن الكبر المعروف والارتفاع عن الناس واحتقارهم، ودفع الحق قال القاضي عياض وغيره من المحققين: أنه لا يدخل الجنة دون جزاء إن جازاه وقيل لا يدخل مع المتقين[٢]اهـ

وهذا يعني أن المتكبر على خطر عظيم فليقلع عن الذنب ويتب إلى ربه تعالى عساه سبحانه أن يغفر له .

إن الله تعالى لا يكلمه يوم القيامة ولا يزكيه

[٥٨٠] فعن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم** قال أبو معاوية: **ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم . شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر»**[٣]

قال النووي: وأما تخصيصه ﷺ الشيخ الزاني والملك الكذاب والعائل المستكبر بالوعيد المذكور فقال القاضي عياض: سببه أنّ كل واحد منهم التزم المعصية المذكورة مع بعدها منه .وعدم ضرورته إليها، وضعف دواعيها عنده، وإن كان لا يعذر أحد بذنب، لكن لم يكن إلى هذه المعاصي ضرورة مزعجة، ولا دواعي معتادة، أشبه إقدامهم عليها المعاندة، والاستخفاف بحق الله تعالى، وقصد معصيته لا لحاجة غيرها، فإن الشيخ لكمال عقله ولكمال معرفته بطول ما مرّ عليه من الزمان، وضعف أسباب الجماع، والشهوة للنساء، واختلال دواعيه لذلك، عنده ما يزجره .....الخ

والمتكبر خُصَّ أنه من أهل النار ما لم يتب

[٥٨١] عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ قال عند ذكر

---

(١) رواه مسلم في شرح النووي :٢/ ٨٩، ٩٠ في ك/ الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه .
(٢) شرح النووي :٢/ ٩١
(٣) رواه مسلم ك/ الإيمان باب غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية .

أهل النار «**كل جعظري جوَّاظ مستكبر جمَّاع منّاع**»(١)

وقد مرَّ بك من قبل أنَّ الجعظري هو: اللفظ الغليظ المتكبر، والجوَّاظ: هو المختال في مشيته المتكبر

[٥٨٢] وعن مالك عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال «**لا ينظر الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلى من يجُرُّ إزاره بطرًا**»(٢)

ومعنى لا ينظر إليه أي لا يرحمه قال تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ آل عمران: ٧٧

[٥٨٣] وعن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ «**يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول . أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأراضين ثم يأخذهن، ـ مال بن العلاء ـ بيده الأخرى ثم يقول: أنا الملك .أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**»(٣)

[٥٨٤] وقد روى البخاري في صحيحه حديثًا قريبًا من هذا الحديث من حديث بن عمر أيضًا أن رسول الله ﷺ قال «**إن الله تبارك وتعالى يقبض يوم القيامة الأراضين وتكون السماوات بيمينه ثم يقول: أنا الملك**»

وعند أحمد من طريق عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر أيضًا قال: إن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ سورة الزمر:٦٧

ورسول الله ﷺ يقول بيده هكذا يحركها يقبل بها ويدبر يمجد الرب نفسه أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم، فذكره .

ومعنى (**أين الجبارون**) أي الظلمة القهارون .

(**وأين المتكبرون**) أي بجاههم، ومالهم، وملكهم

---

(١) أحمد في المسند عبد الله بن عمرو في المكثرين من الصحابة ح/ ٦٣٩٣ وتقدم تخريجه .

(٢) مالك في الموطأ ك/ الجامع بـ/ ما جاء في إسبال الرجل ثوبه .ح/ ١٤٣٤

(٣) رواه أبو داود في السنن ك/ السنة باب في الرد على الجهمية ح/ ٤١٠٧

[٥٨٥] [١٤٧] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «**إذا سمعت [وقال موسى إذا قال الرجل:] هلك الناس فهو أهلكهم**» قال أبو داود: قال مالك: إذا قال ذلك تحزنًا لما يرى في الناس يعني في أمر دينهم فلا أرى به بأسًا، وإذا قال ذلك عُجبًا بنفسه وتصاغرًا للناس فهو المكروه وهو الذي نهي عنه [١]

والمعنى: أن الذي يقول ذلك احتقارًا للآخرين فهو أكثرهم هلاكًا

[٥٨٦] وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «**إن الله ﷻ قد أذهب عنكم عَبيَّة الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمن تقي وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعنَّ رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن**»[٢]

ومعنى (**عُبيَّة الجاهلية**) أي فخرها وتكبرها .

وقال الخطابي: معناه أنَّ الناس رجلان مؤمن تقي، فهو الخيِّر الفاضل، وإن لم يكن حسيبًا في قومه وفاجر شقي فهو الدنئ، وإن كان في أهله رفيعًا شريفًا .اهـ.

وقيل معناه أن المفتخر إما أن يكون مؤمنًا تقيًا فلا ينبغي له أن يتكبر لورعه، وتقواه وإما أن يكون فاجرًا فهو الشريد الذليل وإن كان ما كان، ومعنى (**الجعلان**) دويبة صغيرة سوداء تدير النتن بأنفها .

[٥٨٧] وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن النبي ﷺقال «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر**»، فقال رجل يا رسول الله إني ليعجبني أن يكون ثوبي غسيلًا، ورأسي دهينا، وشراك نعلي جديدا، وذكر شيئًا حتى ذكر علاقة سوطه، أفمن الكبر ذاك؟ قال «**لا ذاك الجمال، إن الله يحب الجمال، ولكن الكبر من سَفَّه الحق وآذى الناس**» [٣]

[٥٨٨] وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «**بينما رجل يتبختر في بُرديه**

---

(١) سنن أبي داود ك/ الأدب بـ/ لا يقال خبثت نفسي ح/ ٤٣٣١ وهو صحيح .

(٢) أبو داود ك/ الأدب بـ/ في التفاخر بالأحساب ح/ ٤٤٥٢ حديث صحيح .

(٣) انظر مساوئ الأخلاق ومذمومها للخرائطي صـ٢٠٨،والحديث رقم :٥٩٠ وهو مرسل لكن يشهد له أحاديث أخرى في الصحاح .

قد أعجبته نفسه إذ خَسَفَ الله به الأرض فهو يتجلجل في بطنها إلى يوم القيامة»[1]

بيان كيف يتقى الكبر

قال الغزالي في الإحياء: اعلم أن الكبر ينقسم إلى قسمين:

باطن وظاهر، فالباطن خلق في النفس، والظاهر: أعمال تظهر على الجوارح، والأعمال هي ثمرات لذلك الخلق، وخلق الكبر موجب للأعمال، ولذلك إذا اظهر على الجوارح يقال: تكبَّر، وإذا لم يظهر يقال: في نفسه كبر، فالأصل هو الخلق الذي في النفس، وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه، فإن الكبر يستدعي متكبرًا عليه، ومتكبرًا به، وبه يتفضل الكبر عن العجب، فيكون الإنسان في نفسه قد رأى نفسه أفضل من الناس بإحساس داخلي فيكون عندئذ متكبر ولا يكفي أن يستعظم نفسه ليكون متكبرًا فإنه قد يستعظم نفسه ولكن يرى غيره أعظم وأفضل منه أو مثل نفسه، فلو رأى أنه أحقر من ذلك لم يتكبر على أحد، أو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر ... ولذلك كان ـ الكبر ـ من أعظم الآفات المهلكات قال تعالى﴿ وَالمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى الله غَيْرَ الحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ الأنعام: ٩٣

وقال تعالى ﴿ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ النحل: ٢٢ وقال سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ غافر: ٦٠

وقال رحمه الله: اعلم أن المتكبر عليه . هو الله تعالى ورسله أو سائر خلقه وقد خلق الإنسان ظلوما جهولا، فتارة يتكبر على الخلق، وتارة يتكبر على الخالق

فإذا التكبر باعتبار ما يتكبر عليه ثلاث أقسام :

الأول: التكبر على الله: وذلك هو أفحش أنواع الكبر ...مثل ما كان من نمروذ ... ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ الفرقان: ٦٠

الثاني التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل

(١) مسند أحمد باقي مسند المكثرين ح/ ١٠٤٤٩

سائر البشر ...كما يحكي الله عن هؤلاء قائلًا ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ المؤمنون: ٤٧

وقال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ الفرقان: ٢١

الثالث التكبر على الخلق: وهو أن يستعظم نفسه ويحتقر غيره، فيستعظم نفسه، ولا ينقاد لهم وهو وإن كان أقل من الأنواع السالفة في الظلم لنفسه والناس إلا أنه عظيم من حيث العز والقوة والقهر لا ينبغي إلا للملك القاهر، فأما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء من أين يليق بحاله الكبر؟ فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بجلاله [١].

بيان ما يتكبر به

أولًا: العلم: وما أسرع الكبر إلى بعض العلماء فلا يلبس ان يستشعر في نفسه كمال العلم فيستعظم نفسه ويستحقر الناس ويستجهلهم ويستخدم من خالطه منهم، وقد يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم .

ثانيًا الكبر بالحسب والنسب: فالذي له نسب شريف يحتقر من ليس له ذلك النسب، وإن كان أرفع منه علمًا وعملًا وهذا من فعل الجاهلية .

[٥٨٩] كما جاء أن أبا ذرٍّ ﷺ قال: قاولت رجلًا عند النبي ﷺ فعيرته بأمه فغضب ﷺ وقال: «**إنك امرؤ فيك جاهلية، هم إخوانكم**[٢]»

ثالثًا: الكبر بالمال: وذلك يجري بين الأغنياء في لباسهم وخيولهم ومراكبهم، فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه، وكل ذلك جهل منهم .....

الرابع: التكبر بالأتباع والأنصار والعشيرة، فهذه بعض ما يتكبر به الناس، بعضهم على بعض نسأل الله العون بلطفه وفضله واعلم أن التكبر في شمائل الرجل كتصعير الوجه والنظر بنوع صلف وغرور، أو تلك المشية التي لا يحبها الله تعالى وكل لون من ألوان الكبر في الكلام، أو الجلوس أو أن يحب أن يتمثل الناس له قياما

---

(١) انظر الإحياء بتصرف كبير وتقديم وتأخير .

(٢) البخاري :١/ ٨٤الإيمان وله أكثر من لفظ .

يا أيها الغـر الحزين إلى متى تفني زمانك باطلا وغرورا
بادر زمانك واغتنـم ساعاته واحذر توانًا كي تحوز أجورا
واضرع إلى المولى الكريم وناده يا واحدا في ملكه وقد يرا
مالي سواك وأنت غاية مقصدي وإذا رضيت فنعمة وسرورا

الطريق إلى معالجة الكبر واكتساب التواضع .

اعلم أن الكبر من المهلكات، وإزالته فرض عين، ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة، وفي معالجته مقامان:

أحدهما: قطع شجرته من مغرسها في القلب

والثاني: دفع العارض منه بالأسباب التي قد يتكبر بها .

الأول: في استئصال أصله، وعلاجه علميا وعمليا، ولا يتم الشفاء إلا بمجموعهما إن شاء الله تعالى، أما العلمي: فهو أن يعرف نفسه ويعرف صفات ربه تبارك وتعالى، ويكفيه ذلك في إزالة الكبر فإنه متى عرف نفسه حقَّ المعرفة، علم أنه لا يليق به إلا التواضع وإذا علم صفات ربِّه ﷻ علم أنَّه لا تليق العظمة والكبرياء إلا لله ﷻ[1].

الثاني: بدفع العارض منه بالأسباب المذكورة، فمن تكبر بنسبه فليداوِ قلبه بمعرفة أن هذا جهل من حيث أنه تعزز بكمال غيره

ولذلك قال الشاعر:

لإن فخرت بآباء ذوي نسب لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

ومن كان خسيسًا فمن أين يجبر خسته بكمال غيره؟ وبمعرفة نسبه الحقيقي أعني أباه وجده، فإن أباه القريب وجده البعيد تراب ولقد بين الله تعالى هذا فقال﴿ **وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ﴾ السجدة: ٧-٨**

وأما التكبر بالغنى وكثرة المال، وفي معناه كثرة الأتباع والأنصار، والتكبر بالمناصب والولايات، فكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن الذات ـ ذات المرء ـ وهذا

(١) انظر الإحياء وانظر كتاب البحر الرائق في الزهد والرقائق صـ١٥٢ وما بعدها

أقبح أنواع الكبر، فلو ذهب ماله أو احترقت داره لعاد ذليلًا، وكم من اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل فأفٍّ لشرف يسبقه به يهودي، أو يأخذه سارق في لحظة فيعود ذليلًا مفلسًا أما التكبر بالعلم والعبادة هو من أعظم الآفات لأمرين

أحدهما: أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم آكد وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يتحمل عُشْرُه من العالم، فإن عصى الله تعالى عن معرفة وعلم، فجنايته أفحش وخطره أعظم .

ثانيهما: أن يعرف أن الكبر لا يليق إلا بالله ﷻ وحده وأنه إذا تكبر صار عند الله ممقوتا بغيضًا، فهذا مما يزيل التكبر ويبعث على التواضع [1].

عودة إلى التواضع

درجات التواضع:

قال ابن القيم: للتواضع ثلاث درجات .

الأولى: التواضع للدين: وهو أن لا يعارض بمعقول منقولا، ولا يتهم للدين دليلا، ولا يرى إلى الخلاف سبيلا، والتواضع للدين هو الانقياد لما جاء به الرسول ﷺ والاستسلام له والإذعان وذلك بثلاثة أشياء .

الأول: أن لا يعارض شيئًا مما جاء به بشيء من المعارضات .

الثاني: أن لا يتهم دليلا من أدلة الدين، بحيث يظنه فاسد الدلالة، أو ناقص الدلالة أو قاصرها، أو أن غيره كان أولى منه، و متى عرض له شيء من ذلك، فليتهم فهمه، وليعلم أن الآفة منه، والبلية فيه كما قيل:

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الأذهان منه على قدر القرائح والفهوم

وهكذا في الواقع حقيقة: أنه ما اتهم أحد دليلا للدين إلا وكان المتهم هو، الفاسد الذهن، المأفون في عقله وذهنه، فالآفة من الذهن العليل، لا في نفس الدليل، وإذا رأيت من أدلة الدين ما يشكل عليك ...فاعلم أنّه لعظمته وشرفه استعصى عليك

---

(١) انظر الإحياء ،ومختصر منهاج القاصدين وانظر البحر الرائق في الزهد والرقائق صـ١٥١،١٥٢

وأن تحته كنزًا من كنوز العلم، فلم تؤت مفاتحه بعد، هذا في حق نفسك، وأمّا بالنسبة إلى غيرك، فاتهم آراء الرجال على نصوص الوحي، وليكن ردها أيسر شيء عليك للنصوص فما لم تفعل ذلك فلست على شيء .

قال الشافعي: أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد

الثالث: أن لا يجد إلى خلاف النص سبيلا البتة، لا بباطنه ولا بلسانه، ولا بفعله ولا بحاله، بل إذا أحسَّ بشيء من الخلاف فهو كخلاف المقدم على الزنا، وشرب الخمر، وقتل النفس، بل هذا، الخلاف أعظم عند الله من ذلك وهو داع إلى النفاق، وهو الذي خافه الكبار والأئمة على نفوسهم ....اهـ

الدرجة الثانية: أن ترضى بما رضى به الحقُّ لنفسه، وأن لا ترد على عدوك حقًا، وأن تقبل من المعتذر معاذيره، ومعنى أن لا ترد على عدوك حقًا: أي لا تصح لك درجة التواضع حتى تقبل الحق ممن تحب وممن تكره، فتقبله من عدوك .كما تقبله من وليك .

الدرجة الثالثة: أن تتواضع للحق فتنزل عن رأيك وعوائدك في الخدمة، ورؤية حقك في الصحبة، وعن رسمك في المشاهدة .

وحاصل ذلك: أن تعبد الحق سبحانه بما أمرك به على مقتضى أمره لا على ما تراه من رأيك، ولا يكون الباعث لك داعي العادة، وأن لا يكون باعثك على العبودية مجرد رأي وموافقة هوى ومحبة وعادة، بل الباعث مجرد الأمر ، والرأي والمحبة والهوى والعوائد متقدة تابعة لا أنها مطاعة باعثة .....أن لا يرى لنفسه حقًا على الله لأجل عمله فمتى رأى لنفسه عليه حقًا فسدت الصحبة....[1]اهـ

عليك من الأمور بما يؤدي ... إلى سنن السلامة والخلاص
وما ترجو النجاة به وشيكا ... وفوزًا يوم يؤخذ بالنواصي
فليس تنال عفو الله إلا ... بتطهير النفوس من المعـــاصي
وإن تشدد يدا بالخير تفلح ... وإن تعدل فمالك مـن مناص[2]

---

(١) انظر مدارج السالكين :٢/ ٣٤٨،٣٥١ بتصرف كبير .
(٢) ك/ موارد الظمآن :٣/ ٤٤،٤٥

المثال العملي في حياة النبي ﷺ

لقد اختار رسول الله ﷺ أن يكون عبدا رسولا عن أن يكون ملكًا نبيا

[٥٩٠] فعن أبي هريرة ﷺ قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ، فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل فقال جبريل: إن هذا الملك لم ينزل منذ خلق قبل هذه الساعة، فلما نزل قال يا محمد، أرسلني إليك ربك قال: أفملكًا نبيًا يجعلك أو عبدًا رسولا؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد .قال: «بل عبدًا رسولا» (١)

[٥٩١] عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت قال رسول الله ﷺ **«آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد »**(٢)

[٥٩٢] عن أنس بن مالك ﷺ أن جدته مليكة دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعته، فأكل منه ثم قال **«قوموا فأصلي لكم»** قال أنس: فقمت إلى حصير لنا قد اسودَّ من طول ما لُبِسَ(٣) فنضحته(٤) بماء، فقام عليه ﷺ، وصففتُ أنا واليتيم وراءه، والعجوز من ورائنا، فصلَّى لنا رسول الله ﷺ ركعتين ثم انصرف» (٥)

والحديث يبين تلبيته للدعوة عليه السلام وعظيم تواضعه وصلاته على حصير بال قد اسود وهو من عظيم تواضعه عليه السلام وجواز النافلة في جماعة والمكث في المنزل حيث يريد أصحابه .

[٥٩٣] عن أسامة بن زيد ﷺ أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على إكاف عليه قطيفة، فَدَركيَّةٌ، وأردف أسامة وراءه(٦).

فركوب الحمار على هذا النحو وهو سيد البشر تواضع وإردافه عليه أسامة تواضع آخر. والإكاف ما يشد على الحمار ـ البردعة ـ

[٥٩٤] عن أنس ﷺ أنه مرَّ على صبيان فسلّمَ عليهم، وقال كان النبي ﷺ

---

(١) مجمع الزوائد :٩/ ١٩ وقال الهيثمي رواه أحمد والبزار ،وأبو يعلى بإسناد حسن

(٢) شرح السنة للبغوي :٣/ ٢٤٨ وقال الأرنؤوط للحديث شاهد يتقوى به ،وهو في الصحيحة للألباني ٥٤٤.

(٣) أي قديم بال افترش كثيرا

(٤) فغسلته

(٥) البخاري في الفتح :٣/ ٧٢٧

(٦) البخاري في الفتح :١٠ح/ ٥٩٦٤

يفعله .[١]

[٥٩٥] عن أبي بردة ﷺ قال: أخرجت لنا عائشة ـ رضي الله عنها ـ إزارًا غليظًا، فقالت: قبض روح النبي ﷺ في هذين[٢]

[٥٩٦] عن عثمان بن عفان ﷺ في خطبة له قال إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير[٣]

[٥٩٧] عن عروة بن الزبير ﷺ قال: سأل رجل عائشة ـ رضي الله عنها ـ هل كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته؟ قالت: نعم . كان رسول الله ﷺ يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته[٤]

ومعنى يخصف نعله: أي يخرزه .

[٥٩٨]عن عبدالله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر ويُقلِّ اللغو، ويطيل الصلاة ويُقصر الخطبة، ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة»[٥]

[٥٩٩] وعن البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ قال: «**كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبَّر بطنه يقول:**

والله لولا الله ما اهتدينـــــا ولا تصدقـــنا ولا صلينـــا
فأنـزلن سكينـة علينـــــا وثبت الأقـــدام إن لاقينـــا
إن الألى قد بغوا علينـــــا إذا أرادوا فتنة أبينـــــا

ويرفع صوته: أبينا: أبينا»[٦]

---

(١) البخاري مع الفتح :١١ ح/ ٦٢٤٧
(٢) البخاري في الفتح :١٠ح/ ٥٨١٨
(٣) أحمد في المسند :٥٠٤وصححه الشيخ أحمد شاكر
(٤) البغوي في شرح السنة :١٣/ ٢٤٢ وقال الأرنؤوط صحيح
(٥) سنن النسائي :٣/ ١٠٩وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي ح/ ١٣٤١،وانظر جامع الأصول :١١/ ٢٥١ وحسنه محققه .
(٦) البخاري في الفتح :٧؛ ح/ ٤١٠٤ ورواه مسلم .

[٦٠٠] عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم؛ فقال أصحابه: وأنت؟ فقال نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة**»[١]

بعض الآثار في التواضع

١ـ عن جرير بن عبد الله ﷺ أنه قال له سلمان ﷺ: «يا جرير تواضع لله فإن من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة»[٢]

٢ـ وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: من تواضع لله تخشعًا رفعه الله يوم القيامة، ومن تطاول تعظمًا، وضعه الله يوم القيامة»[٣]

* **سئل الحسن البصري عن التواضع**: فقال: أن تخرج من منزلك، ولا تلقى مسلمًا، إلا رأيت له عليك فضلًا.[٤]

* وقيل لعبد الله بن مروان ـ رحمه الله ـ أي الرجال أفضل؟ قال: من تواضع من قدرة، وزهد عن رغبة[٥].

من فوائد التواضع

١ـ هو خلق كريم من أخلاق المؤمنين.

٢ـ وهو طريق موصل إلى مرضات الله والجنة.

٣ـ سبيل إلى القرب من الله ثم من الناس

٤ـ عنوان سعادة العبد في الدنيا والآخرة.

٥ـ الله يحب المتواضعين ويكلؤهم برعايته ويحيطهم بعنايته.

٦ـ المتواضعون آمنون من عذاب الله يوم الفزع الأكبر.

٧ـ وهو دليل على حسن الخاتمة، وحسن الخلق،

٨ـ يؤدي إلى حصول النصر والبركة في المال والعمر.[٦]

---

(١) البخاري في الفتح: ٤؛ح/ ٢٢٦٢

(٢) الزهد لوكيع بن الجراح: ٢/ ٤٦٦ ورجاله ثقات

(٣) الزهد لوكيع بن الجراح: ٢/ ٤٦٧

(٤) إحياء علوم الدين: ٣/ ٣٤٢

(٥) الإحياء: ٣/ ٣٤٢

(٦) انظر موسوعة نضرة النعيم: ١٢٦٠ـ١٢٦٧ـ١٢٦٨

المبحث الرابع والعشرون

التوبة

١ ـ **التوبة لغة:** مصدر من قولك تاب يتوب وهو مأخوذ من مادة (ت. و. ب) التي تدل على الرجوع، يقال: تاب من ذنبه: أي رجع عنه، توبة ومتابا، والوصف منه: تائب، والتوب: ترك الذنب على أكمل وجه وهو أبلغ وجوه الاعتذار.

تمهيـد:

إن الإنسان بطبعه يميل حيثما تميل نفسه، وإن النفس أمارة بالسوء خوانة غدارة خداعة غرارة، ولولا رحمة الله بعباده لظلت النفس في مستنقع آسن من التدني والرذائل ولكن رحمة الله تعالى اقتضت أن يرسل للناس رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آيات ربهم من أجل أن يزكيهم فيتعلموا الكتاب والحكمة وينتقلوا من ذلك الضلال البعيد إلى الإشراقات المباركة من نور القرآن والسنة .

والقرآن شاهد بذلك فقال تعالى ﴿ **وَلَوْلا فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ الله يُزَكِّي مَن يَشَاء وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ النـور: ٢١

وليس هذا يعني أن نكون متواكلين على الكتاب السابق فنضيف إلى ذنوبنا ذنوبًا أخرى .

إن مثل من فعل ذلك كمثل الذين قيل لهم: أنفقوا مما أخلف الله عليكم فقالوا مستنكرين: كيف نطعم فقيرًا لو أراد الله إطعامه لأطعمه ثم بخلوا بما عندهم من الفضل! قال الله تعالى:

﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ الله قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاء الله أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾ يـس: ٤٧

وكمثل قول المشركين المذكور في القرآن الكريم: ﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء الله مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ**﴾ **الأنعام: ١٤٨**

هذا هو عين الفشل، والبخل والخبل، لأن الذي يتكلم بهذا اللسان الأعـوج وذلك المنطق الأعرج هو ذاته الذي يبحث عن الأسباب الدنيوية من المنكح والمأكل والمشرب، حريص على الدنيا بكل سبيل وفي كـل ميـدان ولا يـألو جهـدًا في ذلـك ولكن يُشمّرُ دائمًا عن ساعد الجدّ فيما يخص دنياه فـإذا كلـم في شـأن الآخـرة أرعـد وأزبد، تهدد وتوعد، وأعرض ونأى بجانبه وألقـى الشـيطان عـلى لسـانه المعـاذير

والجدال بحجج داحضة واهية ليست لها أقدام راسخة ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾ الأنعام: ١٤٨.

وعلى هذا فلننظر إلى هذه الآية في سورة النور ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ الله يُزَكِّي مَن يَشَاء وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ النور:٢١

وننظر إلى الآية الأخرى بعين الإنصاف والقسط والتي قال الله فيها ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ الشمس: ٧ـ١٠

إذن هنالك تزكية من وجهين، الوجه الذي ستحاسب أنت عنه هو تزكية النفس بكبح جماحها عن الأهواء، والشهوات والشبهات والملذات المحرمات، ولو لم يكن للإنسان القدرة على ذلك العمل وهذه التزكية من هذا الوجه لكان تكليف العبد بذلك ضربًا من العبث ـ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

وعلى هذا فإن التكاليف الشرعية في مقدور العباد وما لم يكن في مقدورهم فليسوا مكلفين به وإن استجابة العبد لنداء ربه وطاعته لمنهج نبيه ﷺ هو المطلب الشرعي الذي لا ينفك عن المسلم ما بقي فيه عرق ينبض وإذا كان الإنسان كثير النسيان ظلومًا غشومًا جهولًا قتورا فإنه يحتاج إلى التوبة كثيرًا جدًا، لكثرة الأخطاء ولذا جعل الله الناس تائبين أو ظالمين قال تعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الحجرات:١١

وأمر الله بالتوبة فقال عز اسمه ﴿وَتُوبُوا إِلَى الله جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ النور: ٣١

وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى الله تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي الله النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ التحريم: ٨

إذا علم المسلم أنه كثير الذنوب مفتَّنٌ توَّاب، فينبغي عليه أن يشتمل بالتوبة في مجموع حالاته، وفي سائر أوقاته، فإنها الممحاة للذنوب والآثام، تغسلها غسلًا،

فيتطهر الإنسان، بتلك التوبة مما علق بقلبه من الدنس، ويصير محبوبًا إلى ربه تعالى حيث يحب من تاب وتطهر كما قال سبحانه﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة: ٢٢٢

ومهما كانت الذنوب كثيرة، ومهما كانت قسوتها و آلامها وما يترتب عليها فإن آثارها تزول وتمحى إلا أن تكون خاصة بحقوق العباد فتبقى تبعاتها حتى يؤدي المرء ما عليه، فيخفف حمله فالتوبة سبيل الفلاح، قال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ القصص:٦٧

ومعلوم أن عسى من الله تفيد تحقيق ذلك الوعد .

* والتوبة سبب ـ بعد فضل الله ـ في إبدال السيئات المتراكمة إلى حسنات دائمة باقية، وهذا مقتضى من مقتضيات اسمه تعالى التواب حيث يقول سبحانه وتعالى ﴿ إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ الفرقان: ٧٠

مع أن هذه الآية جاءت بعد كلام عن ذنوب من العظائم اقترفتها أناس ثم رجعوا عنها ، استمع إلى قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا۞ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا۞ إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ الفرقان: ٦٨ـ ٧٠

* والتوبة سبب وثيق لمغفرة الذنوب وإزالتها وسترها . قال تعالى ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ طـه: ٨٢

وقال تعالى ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ١٦٠

وقال تعالى﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ النحل: ١١٩

كما قال عز جاره ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الأعراف: ١٥٣

* والتوبة سبب للأجر العظيم .

قال الله تعالى ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لله فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا۞ مَّا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ النساء: ١٤٦-١٤٧

* التوبة سبيل للبشرى وهي من دلائل الإيمان .

يقول الله تعالى ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ التوبة: ١١٢

* وهي من أخص خصائص الأنبياء (كثرة التوبة وتكرار دعوة أقوامهم إلى التوبة بدون ملل) .

فهذا نوح عليه السلام يقول ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ هود: ٤٧

وهذا نبي الله إبراهيم مع ولده إسماعيل عليهما السلام وهما يرفعان القواعد من البيت يلحان بهذا الدعاء الموصول ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ۞ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٨

وهذا آدم عليه السلام وزوجه يقولان ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الأعراف: ٢٣

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ٣٧

ولذلك قال تعالى عن عاقبة التوبة ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى۞ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ طه: ١٢١-١٢٢

وهذا كليم الله موسى عليه السلام يقول ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ الأعراف: ١٥٦

ويقول ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ الأعراف: ١٥١

وقال ﴿ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف: ١٤٣ وقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ القصص: ١٦

ونبينا محمد خير الخلق كان يتوب إلى الله في اليوم أكثر من سبعين مرة ويبشره ربه بمغفرة ما تقدم وما تأخر ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ الفتح: ٢

وهذا نبي الله هود عليه السلام يدعو قومه قائلًا ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾ هود: ٥٢ وهذا نبي الله نوح عليه السلام يدعو قومه: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ نوح: ١٠

وهذا نبي الله صالح عليه السلام يدعو قومه ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ الله مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ هود:٦١

وتبدأ سورة هود هذه البداية العجيبة ﴿ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه...﴾ هود: ٣

بأمر دنياك لا تغفل وكن حذرًا ... فقد أبانت لأرباب النُهى عِبَرا
فأيُ عيشٍ بها ما شابهُ غيرٌ ... وأيُّ صَفْوٍ تناهي لم يصره كـدرا
كم سالم أسلمته للردى فقضى ... حتفًا ولم يقض من لذاتها وطرا
ومترف قلبت ظهر المجن له ... فعاد بعد علو القدر محتقرا
فأبعدنها ولا تحفل بزخرفها ... وغضَّ طرفك عنه قلَّ أو كثُـرا
فكل شيء تراه العين من حَسَنٍ ... كُرُّ الأهِلّةِ لا يبقى له أثرا
واصحب وصَلِّ وواصل كل ... آوانةٍ على النبي سـلاما طيبا عطرا
وصحبه من استهدى بهديهموا ... فهم أئمة من صلى ومن ذكرا [1]

(١) من كتاب موارد الظمآن للسلمان :٣/ ٢٥٨

أحاديث في الباب

[٦٠١] عن المعرور بن سويد، عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ يقول الله ﷻ «**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئًا، لقيته بمثلها مغفرة**»[١]

الباع والبوع كله بمعنى واحد، وهو طول ذراعي الإنسان وعضديه .

[٦٠٢] عن قتادة عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر ﷺ: كيف سمعت رسول الله ﷺ في النجوى؟ قال سمعته يقول: «**يدني المؤمن يوم القيامة من ربه ﷻ حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي رب أعرف .قال: فإني سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم، فيعطى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون، فينادي بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على الله**»[٢]

قال الشيخ أبو الوفا درويش: وبشرهم الله تعالى بأنه يغفر الذنوب جميعا دقت أو جلت، كبرت أو صغرت، وكل ما عليهم إن صدقت رغبتهم في هذه المغفرة أو سمت نحوها آمالهم: أن ينيبوا إلى ربهم ويسلموا له، ويقلعوا عن آثامهم ويتطهروا من أوضار الخطايا بالتوبة النصوح، ولا ينبغي للمؤمن أن يتلو آيات البشرى وحدها ثم يطير بها فرحا قبل أن يتلو الآيات التي تتصل بها حتى لا يكون من الذين جعلوا القرآن عضين، فآيات القرآن يُفَسِّر بعضها بعضًا، ....وإنما تتم البشرى لهؤلاء الذين يقومون بتحقيق ما أمروا به فيما يأتي من الآيات يؤيد هذا قوله تعالى **﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ سورة طه:٨٢**

ولم يقل الله تعالى: إني لغفار لكل من دَبَّ ودرج من العصاة والآثمين، قال

---

(١) مسلم :٤/ ٣٨٩،ح/ ٦٩٣١؛ وابن ماجة ح/ ٣٨٢١.
(٢) مسلم :٤/ ٤٤٦ك/ التوبة ب/ النجوى .

سبحانه ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ ولم يقتصر على ذكر التوبة حتى ذكر الإيمان، ولم يذكر الإيمان حتى ذكر العمل الصالح ثم توّج ذلك كله بالهداية فمن تحققت منه التوبة والإيمان والعمل الصالح رجيت له المغفرة، وفي هذا قضاء على غرور المغترين وطمع الطامعين، وأماني المفتونين، الذين يتمنون المغفرة بغير عمل صالح قدموه ولا حسنة ادخروها لمعادهم ....[١] اهـ

[٦٠٣] وعن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**من أصاب في الدنيا ذنبا فعوقب به فالله أعدل من أن يثنى عقوبته على عبده، ومن أذنب ذنبًا في الدنيا فستره الله عليه، فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه**»[٢]

[٦٠٤] عن أبي بردة، قال: سمعت الأغرَّ وكان من أصحاب النبي ﷺ يحدث عن ابن عمر قال: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «**يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة**»[٣]

[٦٠٥] عن الحارث بن سويد قال: دخلت على عبد الله أعوده وهو مريض، فحدثنا حديثين: حديثا عن نفسه، وحديثًا عن رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**الله أشدُّ فرحا بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية مهلكة، معه راحلته عليها طعامه، فنام فاستيقظ، وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع يده على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته عليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزادِهِ**»[٤]

[٦٠٦] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه**» [٥]

[٦٠٧] عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب**

---

(١) كتاب الأسماء الحسنى للشيخ أبي الوفا محمود درويش :١٤٣،١٤٤

(٢) أحمد في المسند :٢/ ١١٨،ح/ ٧٧٥ وصححه الشيخ أحمد شاكر

(٣) مختصر مسلم صـ٥٠٤ ك/ التوبة ب/ الأمر بالتوبة ح/ ١٩١٦

(٤) مختصر صحيح مسلم صـ٥٠٤ ح/ ١٩١٧ك/ التوبة وقبولها ب/ الحض على التوبة .

(٥) مختصر صحيح مسلم ح/ ١٩٢٠

مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»[١]

[٦٠٨] وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، و لجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم»[٢]

[٦٠٩]عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: قدم على رسول الله ﷺ سَبْيٌ، فإذا امرأةٌ من السَبْيِ تبتغي، إذا وجدت صبيًا في السبي أخذته فألصقته ببطنها، وأرضعته، فقال لنا رسول الله ﷺ «ترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله ﷺ: الله أرحم بعباده من هذه بولدها»[٣]

ومعنى تبتغي: أي تبحث عن ولدها، ومعنى السبي: أي الأسرى.

[٦١٠] عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[٤]

[٦١١] عن عبد الله بن مسعود، أنه حدّث بحديثين، أحدهما عن النبي ﷺ والآخر عن نفسه قال «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع، وإنَّ الفاجر يرى ذنوبه كَذُباب مرَّ على أنفه فقال: به هكذا «قال أبو شهاب بيده فوق أنفه ثم قال: ...الحديث»[٥]

[٦١٢] عن أبي موسى ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ: أنه كان يدعو «اللهم اغفرلي خطيئتي، وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي هزلي وجدي، وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي»[٦]

[٦١٣] وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال «من قال: سبحان الله

---

(١) مختصر صحيح مسلم ح/ ١٩٢١ ك/ قبول التوبة من مسئ الليل والنهار

(٢) مسلم/ المختصر صـ٥٠٩ ح/ ١٩٢٢ ك/ التوبة ب/ غفران الذنوب

(٣) مسلم (المختصر) صـ ٥١٠ ك/ التوبة ب/ الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها ح/ ١٩٢٦

(٤) مختصر صحيح البخاري للزبيدي صـ/ ٤٨٢ ك/ الدعوات ب/ استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة ح/ ٢٠٧١

(٥) مختصر صحيح البخاري للزبيدي صـ/ ٤٨٢ ك/ الدعوات ب/ التوبة ح/ ٢٠٧٢

(٦) مختصر صحيح البخاري للزبيدي صـ/ ٤٨٢ ك/ التوبة ب/ قول النبي ﷺ اللهم اغفرلي ما قدمت وما أخرت ح/ ٢٠٨٥

وبحمده في يوم مائة مرة، حطت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر» [١].

فإن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى علام الغيوب، مبدأ طريق السالكين ورأس مال الفائزين، وأول إقدام المريدين، ومفتاح استقامة المائلين، ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين، وإذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها في صدر ربع المنجيات .

واعلم أن التوبة عبارة عن معني ينتظم ويلتئم في ثلاثة أمور مرتبة . علم . وحال وفعل.

فالعلم الأول، والحال الثاني، والفعل الثالث .

أما العلم: فهو معرفة عظم ضرر الذنوب، وكونها حجابًا بين العبد وبين كل محبوب، فإذا عرف ذلك معرفة حقيقية بيقين جازم وغالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب فإن القلب متى شعر بفوات محبوبه تألم، فإن كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفوت، فليسمي تألمه بسبب فعله المفوت ندمًا، فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى، انبعث من هذا الألم في القلب حالة أخرى تسمى (إرادة وقصدًا) إلى فعل له تعلق بالحال وبالماضي، وبالاستقبال، أمّا تعلقه بالحال فبالترك للذنب المفوت للمحبوب إلى آخر العمر، وأما بالماضي فبتلافي ما فات بالخير والقضاء إن كان قابلًا للخير، فالعلم هو الأول، وهو مطلع هذه الخيرات، وأعني بهذا العلم: الإيمان واليقين [٢]اهـ

* ولما كانت التوبة هي رجوع العبد إلى الله، ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين، وذلك لا يحصل إلا بهداية الله إلى الصراط المستقيم، ولا تحصل هدايته إلا بإعانته وتوحيده، فقد انتظمتها سورة الفاتحة أحسن انتظام وتضمنتها أبلغ تضمن، فمن أعطى الفاتحة حقها ـ علما وشهودا وحالا ـ علم أنه لا تصلح له قراءتها على العبودية إلا بالتوبة النصوح [٣]اهـ

---

(١) مختصر صحيح البخاري للزبيدي صـ/ ٤٨٦ ك/ الدعوات ب/ فضل التسبيح ح/ ٢٠٨٨

(٢) انظر إحياء علوم الدين :٢٠٧٢

(٣) مدارج السالكين :١/ ١٦٩

شروطها:

إذا كانت التوبة متعلقة بحق الله فلها شروط ثلاثة .

١ـ الإقلاع عن المعصية التي هو متلبس بها: وعلامة ذلك مفارقة الذنوب على الفور .

٢ـ الندم على فعلها وعلامته: طول الحزن على ما فات، وقد ورد في الأثر: الندم توبة.

٣ـ العزم على ألا يعود إلى معصية أبدًا: وآية ذلك التدارك لما فاته، وتعجيل الأعمال الصالحة واستيفاء الخيرات مع الهروب من الموبقات، وعليه فإن كان فاته في الماضي ما يتدارك أو يقضي قضاه، وأدّاه على وجهه، أو كان عنده مظلمة أدّاها وتحلل منها، وإن كانت خطيئة لا توجب عليها غرامة مادية كسبية، حزن لكونه تعاطاها، فإن فقد من ذلك شرط لم تصح التوبة .

وأما إذا تعلقت بحق آدمي فشروطها أربعة:

الشروط التي ذكرتها آنفًا وأيضًا: أن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالًا أو نحوه ردّه إلى صاحبه إن كان موجودًا، أو ردّ قيمته أو بدلًا منه عند تلفه بنحوه بالقسط، وإن كانت غيبة رجا عفوه واستحله منها، وذلك إن غلب على ظنه أنه من أهل العفو، وإن كان طلب العفو منه سَيَجُرُّ إلى ضرر أعظم كخصومة شديدة طويلة ونحو ذلك، فعليه أن يستغفر له كثير ويقدم له من الخير والبر ما يرى أنه قد أدى عليه نحوه أو اقترب من ذلك أو يطلب منه الصفح والعفو بدون ذكر لما اقترفه في حقه.

معاصي القلوب ومعاصي الجوارح

ينبه الإسلام إلى أمور نحب أن نستوعبها **الأمر الأول:** أن المعصية من مسلم يقظ لا تكون ملازمة له، بل تكون سحابه صيف عن قليل تنقشع وهو معنى قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ **الأعراف:٢٠١،** قد يحاول الشيطان أن يعمي عليه الطريق وأن ينفث في وجهه الدخان، وأن يجعله لا يرى، لكن سرعان ما تخرج بفضل الله من روحه وقلبه ومن صلته بربه ـ ريح تبدد هذا الضباب، وشعاع يكشف الطريق، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ هذا البصر لا ينبغي أن يطول

أمده، ولا أن ينتظر الإنسان كثيرًا حتى يبلغه، بل يجب على عجل أن يعرف أنه أخطأ وأن عليه ـ على عجل ـ أن يُرضي ربه الذي أغضبه ـ وهذا معنى قوله تعالى﴿ **وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الأنعام: ٥٤**

وقد سمى الإسلام ازدواج الشخصية أو النفاق سمّاه مرضًا فقال في وصف المنافقين: ﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ **البقرة: ١٠** ، فالمعصية أمراض كما سماها القرآن أو أقذارًا كما بينت السنة، والأمراض تتفاوت والأقذار تتفاوت، هناك وساخة تصيب الإنسان فقليل من الماء يزيلها وهناك سيئات يَلُمُّ بها المرء فالاستغفار العادي يذهب بها، وينقي القلب من آثارها لكن هناك معاصٍ تحتاج إلى استغفار أعمق وتوبة أخرى، وعودة إلى الله أسرع وأصدق هناك أمراض يمكن أن تداوى بحبة إسبرين، وهناك أمراض تحتاج إلى علاج مطوّل، وهناك أمراض ربما بلغت أن تكون سرطانا قاتلا، ولذلك قَسَّم العلماء الأمراض إلى أمراض قلوب، وأمراض أبدان، أو معاصي قلوب ومعاصي أبدان.(١)

فصلاح القلوب أن تمتلئ محبة للرب العظيم، وجلالًا، ولا صلاح للقلوب إلا بربها ومحبته والإخبات إليه فلا تسعد المهج والأفئدة إلا بذلك فإذا عرفت القلوب ربها فأحبته حبًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه فقد سعدت كل السعادة واستغنت بحب الله عن كل حب، فسعادة الدنيا والآخرة متوقفة على ذلك.

قال أبو سليمان الداراني: من صَفى صُفى له، ومن كدّر كُدِّر عليه، ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله ؛ وكان شيخ يدور في المجالس ويقول من سَرَّه أن تدوم له العافية فليتق الله ﷻ وكان الفضيل بن عياض يقول: إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق دابتي وجاريتي .

واعلم وفقني الله وإياك: أنه لا يُحسُّ بضربه مُبَنَّجٌ، وإنما يعرف الزيادة من النقصان المحاسب لنفسه، ومتى رأيت تكديرًا في حال فاذكر نعمة ما شُكِرَتْ، أو زلة قد فعِلَتْ، واحذر من نِفار النعم، ومفاجأة النقم، ولا تغتر بسعة بساط الحلم، فربما عُجِّل انقباضه، وقد قال الله ﷻ ﴿ **إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾

---

(١) الشيخ الغزالي في ك/ الخطب :١/ ٣٥٣،٣٥٤ بتصرف طـ/ دار الاعتصام .

الرعد: ١١ وكان أبو يعلى الروذبالي يقول: من الاغترار أن تسيء فيحسن إليك، فتترك التوبة توهما أنك تسامح في العقوبات ...[١] اهـ.

وقال رحمه الله: لا ينال لذة المعاصي إلا سكرانا بالغفلة ، فأما المؤمن فإنه لا يلتذ، لأنه عند التذاذه يقف بإزائه علم التحريم، وحذر العقوبة فإن قويت معرفته رأى بعين علمه قرب الناهي، فيتنغص عيشه في حال التذاذه، وما هي إلا لحظة ثم خذ من غريم ندم ملازم وبكاء متواصل، وأسف على ما كان من طول الزمان، حتى إنه لو تيقن العفو وقف بإزائه حذار العتاب، فأف للذنوب ما أقبح آثارها وما أسوأ أخبارها، ولو كانت شهوة لا تنال إلا بمقدار قوة الغفلة[٢] اهـ

وقال رحمه الله: من أراد دوام العافية والسلامة فليتق الله ﷻ فإنه ما من عبد أطلق نفسه في شيء ينافيه التقوى وإن قلَّ إلا وجد عقوبته عاجلة أو آجلة . ومن الاغترار أن تسيء فترى إحسانًا فتظن أنك قد سومحت وتنسى ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ النساء: ١٢٣ وربما قالت النفس: إنه يغفر فتسامحت، ولا شك أنه يغفر ولكن لمن يشاء وأنا أشرح لك حالا فتأمله بفكرك تعرف معنى المغفرة، وذلك أن من هفا هفوة لم يقصدها ولم يعزم عليها قبل الفعل ولا عزم على العود بعد الفعل ثم انتبه لما فعل فاستغفر الله وكان فعله وإن دخله عمدًا في مقام خطأ ؛ مثل أن يعرض له مستحسن فيغلبه الطبع .

ومن البعد ألا يرى الجزاء على ذلك، كما قال ابن الجلاء: رآني شيخي وأنا قائم أتأمل حدثا نصرانيا، فقال: ما هذا؟ لترَيَنَّ غِبَّها ولو بعد حين، فنسيت القرآن بعد أربعين سنة .

واعلم أن من أعظم المحن الاغترار بالسلام بعد الذنب، فإن العقوبة تتأخر ومن أعظم العقوبة ألا يحس الإنسان بها، وأن تكون في سلب الدين، وطمس القلوب، وسوء الاختيار للنفس فيكون من آثارها سلامة البدن وبلوغ الأغراض .

قال بعض المعتبرين: أطلقت نظري فيما لا يحل لي، ثم كنت أنتظر العقوبة، فأُلجئت إلى سفر طويل لا نية لي فيه، فلقيت المشاق ثم أعقب ذلك موت أعز الخلق

---

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي صـ ١٨، ١٩

(٢) صيد الخاطر صـ ١٤٢

عندي، وذهاب أشياء كان لها وقع عظيم عندي، ثم تلافيت أمري بالتوبة فصلح حالي ثم عاد الهوى مرة أخرى فحملني على إطلاق بصري مرة أخرى فطمس على قلبي، وعُدِمتُ رقَّتَهُ، واستلب مني ما هو أكثر من فقد الأول فما أنا أنادي من على الساحل: إخواني احذروا لجة هذا البحر ولا تغتروا بسكونه، وعليكم بالساحل ولازموا حصن التقوى فالعقوبة مُرة، واعلموا أن ملازمة التقوى مرارات من فقد الأغراض والمشتهيات، غير أنها في ضرب المثل كالحمية تعقب صحة، والتخليط ربما جلب موت الفجأة وبالله لو نمتم على المزابل في طلب رضا المبتلى كان قليلا في نيل رضاه، ولو بلغتم نهاية الأماني من أغراض الدنيا مع إعراضه عنكم كانت سلامتكم هلاكا، وعافيتكم مرضًا، وصحتكم سقما، والأمر بآخره، والعاقل من تلمح العواقب [1] اهـ

أفي الستين أهجع في مقيلي ... وحادي الموت يوقظ للرواح
وقد نشر الزمان لواء شيبي ... ليطويني ويسلبني وشاح
وقد سَلَّ الحِمامُ عليَّ نصلًا ... سيقتلني وإن شاكت سلاح
ويحملني إلى الأجداث صحبي ... إلى ضيق هناك أو انفساح
فأجْزَ الخير إن قدمت خيرًا ... وشرا إن جزيت على اجتراح
وها أنا ذا على علمي بهذا ... بطئ الشأو في سنن الصلاح
فلو أني نظرت بعين عقلي ... إذن لقطعتُ دهري بالنياح
ولم أسحب ذيولي في التصابي ... ولم أطرب بغانية رداح
وكنت اليوم أوابًا منيبًا ... لعلِّي أن تفوز غدا قداح
إذا ما كنت مكبول الخطايا ... وعانيها فمن لي بالبراح
فهل من توبة منها نصوح ... تطيرني وتأخذ لي سراح
فيا لهفي إذا جمع البرايا ... على حربي لديهم وافتضاح
ولولا أنني أرجو إلهي ... ورحمته يئست من الفلاح [2]

---

(١) صيد الخاطر صـ١٩٣، ١٩٤
(٢) موارد الظمآن للشيخ السلمان

المبحث الخامس والعشرون

رحلة إلى الجنة

الفرار إلى الجنة بفضل الله

تمهيد

من خصائص طالب الجنة

أولًا: ـ طالب النفوذ إلى الله والدار الآخرة:

بل وإلى كل علم وصناعة ورئاسة، بحيث يكون مقتَدى به فيه يحتاج أن يكون شجاعًا مقدامًا حاكمًا على وهمه غير مقهور تحت سلطان تخيله زاهدًا في كل ما سوى مطلوبه، عاشقًا لما توجه إليه عارفًا بطريق الوصول إليه، والطرق القواطع عنه، مقدام الهمة ثابت الجأش لا يثنيه عن مطلوبه لومُ لائم، ولا عذل عاذل، كثير السكون، دائم الفكرة غير مائل مع لذة المدح، ولا ألم الذم، قائمًا بأسباب ما يحتاج إليه من أسباب معونته، ولا تستفزه المعارضات، شعاره الصبر وراحته التعب، محبًا لمكارم الأخلاق، محافظًا على وقته، لا يخالط الناس إلا على حذر كالطائر الذي يلتقط الحب بينهم، قائمًا على نفسه بالرغبة، والرهبة طامعًا في نتائج الاختصاص على بني جنسه غير مرسل شيئًا من حواسه عبثًا. وملاك ذلك هجر العوائد ووقع العلائق الحائلة بينه وبين المطلوب، وعند العوام أنَّ لزوم الأدب مع الحجاب خير من إطراح الأدب مع الكشف [1] اهـ

* سبب تنغيص العيش فوات الحظوظ العاجلة، وليس في الدنيا طيب عيش على الدوام إلا للعارف الذي شغله رضا حبيبه والتزود للرحيل إليه فإنه وإن وجد راحة في الدنيا استعان بها على طلب الآخرة وإن وجد شدة اغتنم الصبر عليها لثواب الآخرة، فهو راض بكل ما يجري عليه، يرى ذلك من قضاء الخالق، ويعلم أنَّه مراده . كما قال قائلهم .

إن كان رضاكم في سهري فسلام الله على وَسَني

(١) الفوائد لابن القيم ٢٦٣، طـ/ دار الوطن للنشر

فأما من طلب حظه، فإنه يقلق لفوات مراده، ويتنغص لبعد ما يشتهي فلو افتقر تغير قلبه .....والله لو قال المالك سبحانه: إنما خلقتكم ليستدل على وجودي، ثم أنا أفنيكم ولا إعادة . لكان يجب على النفوس العارفة به أن تقول سمعًا لما قلت وطاعة . وأيُّ شيء لنا فينا حتى نتكلم، فكيف وقد وعد بالأجر الجزيل، والخلود في النعيم الذي لا ينفد، لكن طريق الوصول يحتاج إلى صبر على المشقة .....فالصبر الصبر يا أقدام المبتدئين .لاح المنزل، والسرور السرور بيا متوسطين، ضربت [1] الخيام ....قد تلقيتم بالبشائر ....تخايلوا قرب المناجاة ولذة الحضور . ودوار كؤوس الرضي عنكم فقد أخذت شمس الدنيا في الأقوال:

ما بيننا إلا تصرم هذه السبع البواقي
حتى يطول حديثنا بصنوف ما كنا نلاقي [2]

ثانيًا: مشاهد لأفراح الروح من قلب الآخرة:

إذا رأيت عظيم ما نجاك الله منه، فحمدت الله وازددت شكرًا، إذ نجوت بضعفك من النار، وخلّفت النار وجسرها من وراء ظهرك متوجهًا إلى جوار ربك ثم خطوت آمنًا إلى باب الجنة قد امتلأ قلبك سرورًا وفرحًا فلا تزال في عمرك فرحًا مسرورًا حتى توافي أبوابها، فإذا وافيت بابها استقبلك الملك بحسنه فنظرت إلى حسنه ونوره وحسن صورة الجنة وجدرانها

وقلبك مستطير فرحٌ مسرور، متعلق بدخول الجنة حين وافيت بابها أنت وأولياء الرحمن ....فيا سرور قلوب المفتوح لهم أبواب جنة النعيم من الرحمن الرحيم ربِّ العالمين، فلما فتح لهم بابها هاج نسيم طيب الجنان وطيب جري مائها فنفح وجهك وجميع بدنك، وثارت أراييح الجنة العبقة الطيبة وهاج ريح مسكها الأذفر وزعفرانها وكافورها ونظرت بعينيك إلى حسن قصورها وتأسيس بنيانها من الزمرد والياقوت الأحمر والدُر الأبيض قد سطع نوره وبهاؤه، وصفاؤه فقد أكمله

---

(١) في الأصل ضرب الخيم. ولعله تصحيف

(٢) من كتاب صيد الخاطر لابن القيم الجوزي صـ٣٣٢،٣٣٣ دار الحديث القاهرة .

الله في الصفاء والنور ومازجه نور ما في الجنان [١] اهـ

ثالثًا: أدلة وجود الجنة:

قال الله تعالى ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران: ١٣٣ وفيه دليل على وجود الجنة الآن .وكقوله تعالى ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾ الحديد:٢١ والآية تدل على وجود الجنة أيضًا ومن ذلك قوله ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة ٢٥

[٦١٤] وفي الصحيح من حديث أنس أن أم حارثة أتت رسول الله ﷺ وقد هلك حارثة يوم بدر، وأصابه غرب سهم: فقالت: يا رسول الله قد علمت موقع حارثة من قلبي، فإن كان في الجنة لم أبك عليه، وإلا سوف ترى ما أصنع، فقال لها: «هَبلتِ؟! أجنة واحدة هي؟! إنها جنان كثيرة، **وإنه في الفردوس الأعلى**» **وقال:** «**غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدم من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحًا، ولنصيفها ـ يعني الخمار ـ خير من الدنيا وما فيها**» [٢]

[٦١٦] وعن حميد قال: سمعت أنسًا يقول: أصيب حارثة يوم بدر، وهو غلام، فقالت أمه يا رسول الله! قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن كانت الأخرى ترى ما أصنع؟ فقال: «**ويحك أَوَهَبِلْتِ أو جنة واحدة هي؟! إنها جنان كثيرة وإنه لفي جنة الفردوس**» [٣]

والملاحظ أن النبي ﷺ أفاد المرأة أنه في الجنة وأخبرها عن منزلته التي كان فيها

---

(١) التوهم للمحاسبي بتصرف صـ٣٤،٣٧

(٢) مسلم :٣/ ٣٨٣ ك/ الجهاد ،ب/ الغدوة والروحة في سبيل الله

(٣) أحمد :٣/ ٢٦٤ والبخاري :٨/ ١٤٥ وانظر البخاري فتح ح ٣٩٨٢ ب/ فضل من شهد بدرًا

قاطنًا ساعتئذ وقد كانت المرأة المباركة تعلم وجود الجنة وأنها مسكونة ولابد أن يكون غلامها الذي استشهد في المعركة في الجنة أو في الأخرى فأجابها عليه السلام لتقر عينها، وهذا يبين كم كان اليقين عند القوم راسخًا ثابتًا، لا يعتريه اهتزاز أو تردد كما هو الواقع الآن عند أصاغر حمقى تشككوا في الثوابت وحاولوا النيل منها ونسوا أنهم سيوافون ذلك في يوم طويل حيث لا تملك نفس لنفس شيئًا ـ نُحَسِّبُ الله فيهم ـ ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾

رابعًا أبواب الجنة:

قال تعالى ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ﴾ سورة ص:٥٠ وقال ﷻ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۞ سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ الرعد: ٢٣، ٢٤

وقال تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ۞ وَقَالُوا الْحَمْدُ لله الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ الزمر: ٧٣، ٧٤

[٦١٧]وعن ثابت، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ **«آتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول أنا محمد، فيقول بك أمرت لا أفتح لأحدٍ قبلك»**(١)

[٦١٨] وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ **«أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها»** (٢)

[٦١٩]وعن أنس أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ **«أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة»**(٣)

---

(١) أحمد :٣/ ١٣٦ وعبد بن حميد ١٢٧١ ومسلم :١/ ٢٢٨ ك/ الإيمان د/ بيان مكانة النبي ﷺ يوم القيامة وعند الدارمي: ١/ ٤٠ ب/ ما أعطي النبي ﷺ من الفضل ح/ ٥٠

(٢) صحيح انظر صحيح الجامع ١٤٥٩، والصحيحة ١٥٧٠ وهو عند أحمد والترمذي في السنن

(٣) صحيح الجامع ١٤٥٠ والصحيحة ١٥٧٠

قال ابن القيم: ولمّا كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض كانت أبوابها كذلك، وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها، وكلما علت الجنة اتسعت، فعاليها أوسع مما دونه، وسعة الباب بحسب وسع الجنة، ولعلَّ هذا وجه الاختلاف الذي جاء في مسافة ما بين مصراعي الباب، فإن أبوابها بعضها أوسع من بعض، ولهذه الأمة باب مختص بهم يدخلون منه دون سائر الأمم كما في المسند من حديث ابن عمر، عن النبي ﷺ أنه قال «**باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرض مسيرة الراكب ثلاثًا**»الحديث .اهـ[1]

[٦٢٠] وأخرج البخاري عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ «**إن في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يقال له الريان، يدخل منه الصائمون . فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد**»[2]

والريان اسم يطلق على باب من أبواب الجنة يختص بدخول الصائمين منه، وهو مشتق من الري، وهو ما يناسب حال الصائمين، ومن دخله لا يظمأ بعده أبدًا

قال أبو السعادات في النهاية: ريان: فعلان من الري ،...والمعنى أن الصائمين بتعطيشهم أنفسهم في الدنيا ليأمنوا من العطش قبل تمكنهم من الجنة، وذلك من باب الجزاء الحسن، كما جزى الله ﷻ الشهداء بحياة خاصة عنده حيث قال تعالى ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ الله مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ آل عمران: ١٦٩ـ١٧٠

وقال القاري: الجنة ثمانية أبواب . أي: طبقات والتقدير في سور الجنة ثمانية أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم من أصحاب الأعمال الصادرة من أهل الإيمان عنده تعالى معلوم ومنها: باب يسمى الريان، إما لأنه بنفسه ريان لكثرة الأنهار الجارية إليه والأزهار الطرية لديه، أو لأنه من وصل إليه يزول عنه العطش يوم

---

(١) حادي الأرواح صـ٥٧

(٢) صحيح البخاري ك/ الصيام ب/ الريان للصائمين وعند ابن ماجة ١٦٤٠

القيامة، ويدوم له الطراوة والنظافة في دار المقامة[١] اهـ

وقال صديق حسن خان: من أبواب الجنة باب محمد ﷺ وهو باب الرحمة، وهو باب التوبة وسائر الأبواب مقسومة على أعمال البر: باب الزكاة، وباب الحج، وباب العمرة، وعند عياض: باب الكاظمين الغيظ، وباب الراضين، وهو الباب الأيمن الذي يدخل منه من لا حساب عليه[٢] اهـ

فتوهم نفسك مسرورًا بالدخول لعلمك أنها يفتح بابها لك، والذين معك أولياء الله، وفرحك بما تنظر إليه من حسن بهجتها، وما وصل إلى فؤادك من طيب رائحتها وما باشر وجهك وبدنك من طيب جوِّها، وبرد نسيمها، فتوهم نفسك أن تفضل الله عليك بهذه الهيئة ....حتى إذا فتحوا بابها أقبلوا عليك ضاحكين في وجهك، ووجوه أولياء الله معك ونادوا سلام عليكم، فتوهم حسن نعماهم وطيب كلامهم وحسن تسليمهم في كمال صورهم، وشدة نورهم، ثم أتبعوا السلام بقولهم ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ فلما سمعت الإذن وأولياء الله معك بادرتم الباب بالدخول، فكظت الأبواب من الزحام اهـ[٣]

خامسًا: اتساع الجنة وارتفاعها وطيبها وبهجتها:

قال تعالى ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۞ فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۞ فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ۞ فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ۞ فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ ۞ فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُدْهَامَّتَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۞ فَبِأَيِّ

---

(١) مرقاة المفاتيح صـ٤٤٤ ح/ ١٩٥٨

(٢) عون الباري نقلا عن ك/ إتحاف الأنام للشيخ / صفوت نور الدين رحمه الله صـ ٢٨ مطابع الأهرام .

(٣) كتاب التوهم للحارث المحاسبي صـ ٣٨ دار الفرقان .

آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ۞ فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ۞ فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ۞ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ۞ فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ۞ فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ۞ فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ الرحمن: ٤٦ـ٧٨

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ أي مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية، والشهوة، وقيل قيام ربّه عليه بيانه قوله﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ وقال إبراهيم النخعي: هو الذي يهمُّ بالمعصية فيتذكر الله فيدعها من مخافة الله وقوله ﴿جَنَّتَانِ﴾ قال مقاتل جنة عدن وجنة نعيم، قال محمد على الترمذي جنة لخوفه من ربه وجنة لتركه شهوته، قال الضحاك: هذا لمن راقب الله في السر والعلانية بعلمه ما عرض له من محرم تركه من خشية الله، وما عمل من خير، أفضى به إلى الله لا يحب أن يطلع عليه أحد وقال قتادة: إن المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله ودأبوا بالليل والنهار ...[1] اهـ

[٦٢١] عن حميد، قال: سمعت أنس بن مالك، عن النبي ﷺ «**لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد ـ يعني سوطه ـ خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحًا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**»[2]

قوله تعالى ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ قال البغوي: أغصان واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولًا وهذا قول مجاهد، وعكرمة، والكلبي وقال عكرمة: ظل الأغصان على الحيطان، وقال الحسن ذواتا ظلال، قال ابن عباس: ألوان . وقال قتادة: ذواتا فضل وسعة على ما سواهما، ﴿ فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ قال ابن عباس بالكرامة والزيادة على أهل الجنة، قال الحسن تجريان بالماء

---

(١) من كتاب مختصر تفسير البغوي .

(٢) البخاري ك/ الرقاق :٨/ ١٤٥ في صفة الجنة ، وابن ماجة :٢/ ١٢٩ ك/ الجهاد ب/ فضل الغدوة والروحة في سبيل الله ح/ ٢٧٥٧ والترمذي :٣/ ٢٤٥ ك/ الجهاد ب/ ما جاء في فضل الغدوة والروحة في سبيل الله ح/ ١٦٥٧ قال أبو عيسى هذا حديث صحيح .

الزلال، إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل، وقال عطاء: إحداهما من ماء غير آسن، والأخرى من خمر لذة للشاربين﴿فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ۞ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ صنفان ونوعان قيل معناه أن فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطبًا ويابسًا ﴿فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ قوله﴿فُرُشٍ﴾ جمع فراش ﴿بَطَائِنُهَا﴾ جمع بطانة وهي التي تحت الظهارة وقال الزجاج: وهي ما يلي الأرض ﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ وهو ما غلظ من الديباج، قال بن مسعود وأبو هريرة ـ رضي الله عنهما ـ هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر. ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ الجني ما يجتنى من الثمار، يريد ثمرها دان قريب، يناله القائم والقاعد والنائم، قال ابن عباس: تدنوا الشجرة حتى يجتنيها وَلِيُّ الله إن شاء قائمًا وإن شاء قاعدًا . قال قتادة: لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك ﴿فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾ أي غاضات الأعين قصرن طرفهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم، ولا يردن غيرهم، ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ أي لم يجامعهن ولم يُفترعن وأصله من الدم، ومنه قيل للحائض طامث، كأنه قال لم يُدْمِهِنَّ جماع﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾ قال مقاتل لأنهن خلقن في الجنة فعلى قوله هؤلاء من الحور العين في الجنة وقال الشعبي: هن من نساء الدنيا لم يمسسهن منذ أنشئنَ، وهو قول الكلبي يعني لم يجامعهن في هذا الخلق الذي أنشأهن فيه إنس ولا جان، ﴿ فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قال قتادة صفاء الياقوت في بياض المرجان ....[1] اهـ

سادسًا: إن الله تعالى قدَّر وشرّع أن يعطي كل امرئ بما قدمه:

ويزيده من فضله كما دلَّت على ذلك النصوص قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ الله وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ۞ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ۞ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ الله بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ۞ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ

(١) من مختصر تفسير البغوي صـ٨٢٠، ٨٢١ بتصرف كبير واختصار وتعليق للدكتور عبد الله الزبير حميصة إحياء التراث

بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۞ وَقَالُوا الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۞ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ المُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ فاطر: ٢٩ـ٣٥

وقال تعالى ﴿هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ﴾ الرحمن: ٦٠

وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۞ أُوْلَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ الأنفال: ٢ـ٣

فالصالحون لا يستوون فخير الناس القرن الذي كان فيه النبي ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حتى إن القرن الأول متفاضلون لا يستوون ﴿لاَّ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى القَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ النساء: ٩٥ـ٩٦

كما قال تعالى﴿ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلا وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ سورة الحديد: ١٠

وهكذا أعد الله تعالى لكل مؤمن ما يستحق ﴿ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾

وقد دلت السنة أيضًا على ذلك:

[٦٢٢] عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «**هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين**»الترمذي وانظر صحيح الجامع ٥١ والصحيحة ٨٢٤

[٦٢٣] وعن معاذ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**الجنة مائة درجة كل درجة منها ما بين السماء والأرض .وإن أعلاها الفردوس وإن أوسطها الفردوس وإن العرش على الفردوس منها تفجر أنهار الجنة فإذا ما سألتم الله فسلوه**

الفردوس»[١]

[٦٢٤] وعن معدان بن أبي طلحة اليعمريِّ، قال: لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة، أو قال: قلت: بأحب الأعمال إلى الله، فسكت ثم سألته، فسكت الثالثة فقال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال «**عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة، إلا رفعك الله بها درجة، وحطَّ عنك بها خطيئة**»[٢]

والحديث دليل على أن الأعمال تتفاوت بعضها خير من بعض في الفضل وبناءًا على ذلك ـ بعد فضل الله تعالى ـ يرفع الناس مقامات ودرجات في الدنيا والآخرة.

قال تعالى ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يوسف: ٧٦ وقال ﷻ ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ المجادلة: ١١

ودل الحديث أن من أفضل أعمال القرب عند الله تعالى السجود لأنه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

[٦٢٥]عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «**جنات الفردوس أربع: ثنتان من ذهب حِلْيَتُهما وآنيتهما وما فيها، وثنتان من فضة حِلْيَتُهُما وآنيتهما وما فيها، وليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم، إلا رداء الكبرياء على وجهه، في جنات عدن وهذه الأنهار تَشْخَبُ من جنات عدن في جوبة، ثُمَّ تَصْدَعُ بَعْدُ أنهارًا**»[٣]

وهذه الدرجات لو علمت أن ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فما بالك بمن امتن عليه الله الرؤوف الرحيم بعشرات الدرجات أو بمئات الدرجات،

---

(١) انظر صحيح ابن ماجة ح/ ٣٤٩٦ والصحيحة ٩٢٢

(٢) أحمد :٥/ ٢٧٦ ومسلم :٢/ ٥١ ك/ الصلاة ب/ فضل السجود والحث عليه وابن ماجة :١/ ٤٥٧ ك/ إقامة الصلاة ب/ كثرة السجود ح/ ١٤٢٣ والنسائي في المجتبي :٢/ ٢٢٨

(٣) البخاري في الفتح ك/ التفسير . سورة الرحمن :٨/ ٤٩١ ح/ ٤٨٧٨ وأطرافه ٤٨٨٠،٧٤٤٤ ومسلم :١/ ٢٠٠،٢٠١ ك/ الإيمان ح/ ٣٦٧ والدارمي :٢/ ٤٢٩ ح/ ٢٨٢٢ والترمذي في ك/ صفة الجنة :٤/ ٢٣٦،٢٣٧

إنها والله لحياة السعادة الأبدية السرمدية، التي لا تنفك سعادتها عن ساكنيها أبد الآبدين ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلا﴾

[٦٢٦] وفي صحيح الجامع من حديث أنس «**إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة عليّ وعمّار. وسلمان**»(١)

والغرف أيضًا بعضها فوق بعض على حسب درجات ساكنيها

[٦٢٧] عن سهل بن سعد مرفوعًا «**إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف في الجنة كما تراءون الكوكب في السماء**» (٢)

[٦٢٨] ومن حديث سمرة قال: قال رسول الله ﷺ «**إن أهل الدرجات العلى يراهم من هو أسفل منهم، كما ترون الكوكب الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما**»(٣)

[٦٢٩] وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون، ولا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون، قالوا فما بال الطعام؟ قال جُشاءٌ ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح كما تلهمون النفس**»(٤)

ولو علمت أن أدنى مساحة في الجنة لو بدت من الجنة تزينت لها الدنيا فما بالك بما هو أعظم من ذلك وأكبر؟!

[٦٣٠] عن سعد قال: قال رسول الله ﷺ «**لو أن ما يُقِلّ ظُفْرٌ مما في الجنة بدا لتزخرفت له خوافق السماوات والأرض، ولو أن رجلًا من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره، لطمس ضوء الشمس، كما تطمس الشمس ضوء النجوم**»(٥)

[٦٣١] وحديث أبي هريرة «**لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء**

---

(١) حديث حسن عند الترمذي والحاكم وهو برقم :١٥٩٨ وصحيح الجامع والمشكاة ٦٢٢٥

(٢) صحيح الجامع ٢٠٢٦

(٣) صحيح الجامع ٢٠٣٠ والروض النضير :٩٧٠

(٤) مسلم :٤/ ٥٠٧ ك/ الجنة ح/ ٧٢٥٤ ب/ أول زمرة تدخل الجنة ،وأبو داود :٤/ ٢٣٦ ك/ السنة ب/ الشفاعة مختصرًا ح/ ٤٧٤١ وهو عند أحمد :٣/ ٣١٦

(٥) صحيح الجامع :٥٢٥١ والمشكاة :٥٦٣٧

والأرض»[١]

[٦٣٢] وفي حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «**لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك منّي السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.**»[٢]

[٦٣٣] وليست درجات الجنة قاصرة على مائة درجة بل عدد درجاتها كما قال أهل العلم بعدد آي القرآن لقول النبي ﷺ «**يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة، اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه**»[٣]

** سأل موسى ربه عن أدنى أهل الجنة منزلة**

[٦٣٤]عن المغيرة بن شعبة قال:سمعته على المنبر، ..وقال مسلم ـ رحمه الله ـ في الصحيح: وحدثني بشر بن الحكم، واللفظ له، حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا مطرِّفٌ وابن أبجر . سمعا الشعبيَّ يقول: سمعت المغيرة بن شعبة يخبر به الناس على المنبر، قال سفيان رفعه أحدهما ـ أُراه ابن أبجر ـ قال «**سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال هو رجل يجيء بعدما أُدخل أهل الجنة الجنة يقال له: ادخل الجنة فيقول: أي ربِّ كيف؟ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول رضيت رَبِّ فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رَبِّ فيقول هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك فيقول: رضيت ربِّ**

قال: فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر»[٤] ومصداقه في

---

(١) صحيح الجامع ٥١٥٣ والصحيحة ١٩٧٨

(٢) حديث حسن انظر صحيح الجامع ٥١٥٢ والصحيحة ١٠٥

(٣) ابن ماجة :٣٧٨٠ وصححه الألباني في الصحيحة :٢٢٤٠

(٤) مسلم ك/ الإيمان ب/ من يخرج من النار :١/ ١٢١ ،والحميدي في مسنده :١/ ٣٣٥ـ٣٣٦ والترمذي ك/ التفسير تفسير سورة السجدة ح/ ٣٢٠٩ وقال أبو عيسى حديث حسن صحيح

كتاب الله تعالى ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ السجدة:١٧

سابعًا أهل الجنة يزدادون جمالًا على الدوام:

[٦٣٥]عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال «**إن في الجنة لسوقًا يأتونها كل جمعة، فَتَهُبّ ريح الشمال فتحثوا في وجوههم وثيابهم، فيزدادوا حسنا وجمالًا فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالًا، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حُسْنًا وجمالًا، فيقولون، وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا**»(١)

قال النووي: المراد بالسوق مجمع لهم يجتمعون فيه كما يجتمع الناس في الدنيا، في السوق، ومعنى يأتونها كل جمعة، أي في مقدار كل جمعة أي: أسبوع، وليس هناك حقيقة أسبوع لفقد الشمس والليل والنهار ..... اهـ

وهذا كلام جيد، لكن لا يمنع مانع أن يكون في الجنة ما يعرف بيوم الجمعة، ولا يحتاج هذا إلى ليل أو نهار ﴿**وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاء**﴾ **إبراهيم: ٢٧**

قال النووي: قال القاضي: وخُصَّ ريح الجنة بالشمال لأنها ريح المطر عند العرب كانت تهب من جهة الشام وبها يأتي سحاب المطر، وكانوا يرجون السحابة الشامية، وجاء في الحديث تسمية هذه الريح المثيرة المحركة لأنها تثير في وجوههم ما تثيره من مسك أرض الجنة، وغيره من نعيمها .....اهـ

فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة، ما أعدَّ الله لهم من الإكرام، وادخر لهم من الفضل والإنعام، وما أخفى لهم من قرة أعين، لم يقع على مثلها بصر، ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر لعلم أيَّ بضاعة أضاع، وأنه لا خير له في حياته وهو معدود من سقط المتاع، وعلم أنَّ القوم قد توسطوا ملكا كبيرا لا تعتريه الآفات، ولا يلحقه الزوال، وفازوا بالنعيم المقيم وذهبوا بالخير الكثير من الله ربِّ العالمين وفي جوار الكبير المتعال فهم في روضات الجنة لا محال في النعيم يتقلبون، وعلى أسرتها تحت الحجال يجلسون، وعلى الفروش التي بطائنها من إستبرق يتكئون وبالحور العين يتنعمون وبأنواع الثمار يتفكهون ويخبرنا ربنا بنعيمهم فيقول ﷻ ﴿**يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ**

(١) مسلم شرح النووي : ١٧ / ١٧ ك/ الجنة وصفة أهلها

﴿مُخَلَّدُونَ ۞ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۞ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ ۞ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۞ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۞ وَحُورٌ عِينٌ ۞ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۞ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا ۞ إِلا قِيلا سَلامًا سَلامًا ۞ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۞ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۞ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۞ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۞ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۞ لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ ۞ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۞ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء ۞ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۞ عُرُبًا أَتْرَابًا ۞ لأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۞ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ ۞ وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾ الواقعة: ١٧ـ٤٠

شَمَّر عسى أن ينفع التشمير ... وانظر بفكرك ما إليه تصير
طوّلْتَ آمالا تكنّفها الهوى ... ونسيت أنَّ العمر منك قصير
قد أفصحت دنياك عن غدراتها ... وأتى مشيبك والمشيب نذير
دار لهوت بزهوها متنعما ... ترجو المقام بها وأنت تسير
ليس الغنى في العيش إلا بلغة ... ويسير ما يكفيك منه كثير
لا يشغلنك عاجل عن آجل ... أبدًا فملتمس الحقير حقير
ولقد تساوى بين أطباق الثرى ... في الأرض مأمور بها وأمير

ثامنًا: نساء الجنة:

فتفكر في أهل الجنة، وفي وجوههم نضرة النعيم، يسقون من رحيق مختوم، جالسين على منابر الياقوت الأحمر، في خيام من اللؤلؤ الرطب الأبيض، فيها بسط من العبقري الأخضر، متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان، مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان يمشين في درجات الجنان، إذا اختالت إحداهن في مشيها حمل أعطافها سبعون ألفًا من الولدان عليها طرائف الحرير الأبيض ما تتحير فيه الأبصار، مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان، شكلات غنجات، عطرات آمنات من الهرم والبؤس، مقصورات في الخيام في قصور من الياقوت، بُنِيَتْ وسط روضات الجنان، قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين، بيضاء لذة للشاربين، ويطوف عليهم ولدان وخدامٌ كأمثال اللؤلؤ المكنون، جزاءً بما كانوا يعملون، في

مقام أمين، في جنات وعيون ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۞ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [سورة القمر: ٥٤ـ٥٥]

ينظرون فيها إلى وجه الله الكريم، وقد أشرقت وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة، بل عبادٌ مكرمون وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون، لا يخافون فيها ولا يحزنون، وهم من ريب المنون آمنون، فهم فيها يتنعمون، ويأكلون من أطعمتها ومن أنهارها يشربون لبنًا، وخمرًا، وعسلًا، ويؤتون بأكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان، كوب فيه من الرحيق المختوم، ممزوج به السلسبيل العذب كوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من وراءه بِرِّقته وحمرتهِ، لم يصنعه آدمي، فيقصر في تسوية صنعته، وتحسين صناعته ...[1] اهـ

قال تعالى ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة: ٢٥

وقال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۞ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ الواقعة: ٢٢ـ٢٣

وقال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾ الرحمن: ٥٦

وقال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ الرحمن: ٧٢ وقال تعالى﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾ الرحمن: ٧٤ ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الرحمن:٥٨

وقال تعالى ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ الرحمن: ٧٠

وقال تعالى﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۞ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ يَلْبَسُونَ مِن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ۞ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ۞ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ۞ لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۞ فَضْلا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الدخان: ٥١ـ٥٨

قال ابن القيم: فتأمل جلالة المبشر ومنزلته وصدقه وعظمة من أرسله إليك

(١) إحياء علوم الدين :٤/ ٢٩٩٧ـ٢٩٩٨

بهذه البشارة، وقدْر ما بشرك به، وضمنه لك على أسهل شيء عليك وأيسره، وجمع سبحانه في هذه البشارة بين نعيم البدن وما فيها من الأنهار والثمار، ونعيم النفس والأزواج المطهرة ونعيم القلب وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد، وعدم انقطاعه. والمطهرة: من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا، فطهر باطنها من الأخلاق السيئة، والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء وطهر طرفها من أن تطلع به إلى غير زوجها، وقال رحمه الله: فجمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه، واشتماله على الثمار والأنهار، وحسن اللباس وكمال العشرة، لمقابلة بعضهم بعضا، فتمم اللذة بالحور العين ووعدهم بجميع أنواع الفاكهة، مع أنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها آمنوا، وختام ذلك أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتًا.

والحور جمع حوراء: وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين ... والعِينْ: جمع عيناء: وهي العظيمة العين من النساء ...[1] اهـ

[٦٣٦] وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال «....**ولو أنَّ امرأة من أهل الجنة، اطلعت إلى أهل الأرض، لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحًا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**»[2]

تلك هي الجنة، وهذا نعيمها، وتلك هي زوجاتها،

[٦٣٧] عن أبي بكر عبدالله بن قيس، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال «**إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مُجَوَّفةٍ طولها ستون ميلا، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضًا**»[3]

[٦٣٨] وحديث أنس أن رسول الله ﷺ قال «**إن الحور العين لتغنين في الجنة،**

---

(١) حادي الأرواح :١٩٩، ٢٠٠ بتصرف

(٢) سبق تخريجه قبل ذلك

(٣) الدارمي :٢/ ٤٣٤ ح/ ٢٨٣٣ والبخاري في الفتح ك/ التفسير ، سورة الرحمن :٨/ ٤٩١ ح/ ٤٨٧٩ باختلاف في الألفاظ . ومسلم :٤/ ٥٠٨ ك/ الجنة ،ب/ في صفة خيام الجنة ح/ ٧٢٦٠ والترمذي :٤/ ٢٣٧ ب/ ما جاء في صفة غرف الجنة ك/ صفة الجنة ح/ ٢٥٣٦ وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح

يقلن: نحن الحور الحسان، خُبئنا لأزواج كرام»[١]

* وعن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال «إن المرأة من نساء أهل الجنة ليُرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مُخُّها، وذلك بأن الله تعالى يقول ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ....»[٢]

قال ابن القيم:

وهم الملوك على الأسرة فوق ها ... تيك الرؤوس مرصع التيجان
لباسهم من سندس خضر ومن ... إستبرق نوعان معروفان
كلا ولا نسجت على المنوال ... نسج ثيابها بالقطن والكتان
لكنها حلل تشق ثمارها ... عنها رأيت شقائق النعمان
بيض وخضر ثم صفر حمر ... كالرباط بأحسن الألوان
لا تقرب الدنس المقرب للبلى ... ما للبلى فيهن من سلطان
ونصيف إحداهن وهو خمارها ... ليست له الدنيا من الأثمان
سبعون من حلل عليها لا تعو ... ق الطرف في مخ ورا الساقان

(١) صحيح الجامع ١٦٠٢ والروض النضير ٤٩٦ .
(٢) الترمذي :٤/ ٢٣٩ ك/ صفة الجنة في صفة نساء أهل الجنة ح/ ٢٥٤١

الخاتمة

[نسأل الله حسنها]

وبعد هذه الرحلة الطيبة في هذا البستان الوارف بين أزهاره وأطايب ثماره آن لك أيها الحبيب أن تعمل ولا تهمل وأن تسعى ولا تكسل، وأن تسارع في الخيرات في كل ميدان مررت به حتى لا تتقطع نفسك حسرات .

إن الصالحين من خير القرون لما عرفوا قدر الحياة، أماتوا فيها الهوى فأحياهم الله حياة سعيدة سرمدية، لأنهم انتهبوا بأكف الجد ما قد تركته أيدي البطالين، ثم تخايلوا القيامة فاحتقروا كبير أعمالهم، وأنفوا في مزاحمة الخلق في سوق العاجلة، وقوي شوقهم إلى ربهم ودار كرامته فراحوا إلى صحراء العز في فضاء التقوى فضربوا مخيم العز في ساحة المجد .

أخي الحبيب: أتقنع بروضة على مزبلة حقيرة بينما يدعوك الملك إلى فردوسه الأعلى؟

أتقنع بخسائس الحشائش وقد زينت الجنة وشقت أنهارها، ووضعت خيامها، وعمرت بالحور العين إن من جد وجد، وليس من سهر كمن رقد، إن سِلَعَ المعالي غاليات الثمن، وإنما ثمنها أن تجود بأسمى ما تملك، فانظر لنفسك واغتنم وقتك فإن الثواء قليل، والرحيل قريب، والطريق مخوف، والاغترار غالب والخطر عظيم، والناقد بصير، وآه من وعثاء السفر وطول الطريق وقلة الزاد .

وقبل أن نفترق

لقد اعتنى القرآن العظيم بذكر العذاب المحسوس في مواطن كثيرة من السور المكية والمدنية على السواء، وإن كانت المكيات تتميز بطابع خاص في ذلك، زجرًا للناس عن اقتراف الآثام، وتخويفًا لهم ليبحثوا عن التقوى وثمراتها، ذلك ليجتنبوا سخط الله ﷻ.

إن آيات القرآن تبرز أحوال المكذبين الذين أعد الله لهم من الخزي والذل والمهانة في يوم القيامة ما يستحقون ذلك بأنهم ما أعدوا لأنفسهم، ومهدوا لها من أعمال الإيمان، والخير ما يحجبهم عن سوء المآل، وسيئ الأهوال في ذلك اليوم العظيم، فلا هم أعدوا لأنفسهم من أصول الأعمال ما عساه يشفع لهم فينقذهم من عذاب كبير ولا تداركوا أيامهم قبل فوات الأوان .و هاهم الآن في عرصات القيامة ينتظرون عدل الله فيهم حيث تحيط بهم الملائكة من كل حدب وصوب وهم في غاية من الدهش والفزع، وقد بلغت قلوبهم حناجرهم، وهم وقوف لا عاصم لهم، ولا مانع، ولا شافع، وعلى حين بغتة تطايرت الصحف، فآخذ بيمينه، وآخذ بشماله من وراء ظهره لا يملك إلا هذا لأن الأعضاء تتحرك بأمر ربها طائعة منقادة، ساعتها يُنادونَ بالويل والحسرة، والثبور على التفريط في جنب الله، وعبادتهم للشياطين، وإيثارهم الهوى على الهدى، والكفر على الإيمان، وساعتها لآت حين مناص، ولأول وهلة يلصق كتابه الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها يُلصق بيده اليسرى فيعلم عاقبة أمره

ويخبر تعالى عن عقاب من كذب بآياته، فلم يؤمن بها، مع أنها آيات بينات، واستكبر عنها مع أنها حجج واضحات، فلم يُنَفِذْ أحكامها، بل كذب وتولى يخبر سبحانه أنهم آيسون من كل خير ؛ فلا تفتح أبواب السماء لأرواحهم، إذا ماتوا، وصعدت تريد العروج إلى الله.

* خلق الله النار يخوف بها عباده لينتهوا .

..والمقصود الأصلي هو: طاعة الله عز وجل وفعل مراضيه، ومحبوباته، وترك

مناهيه، ومكروهاته، ولا تنكر أن خشية الله، وهيبته، وعظمته في الصدور، وإجلاله مقصودٌ أيضًا، ولكن القدر النافع من ذلك ما كان عونًا على التقرب إلى الله تعالى بفعل ما يحبه، وترك ما يكرهه، ومتى صار الخوف مانعًا من ذلك وقاطعًا عنه فقد انعكس المقصود منه.

وقبل الفراق وطي هذا المبحث أيها الحبيب تذكر أن قضية الخوف من الله تعالى، والتخويف من النار، وعذابها، وسوط انتقامه ليس من نافلة القول، أو هو من سقط المتاع بل هو فرض لازم، ويكفيك في ذلك دلالة أن الله تعالى لَمَّا وصف ملائكته قال مبينًا حالهم ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ كما قال سبحانه ﴿ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ .

وعلى هذا فالخوف هو الأمان من عذاب الدنيا، وخزيها فهو السبب الوثيق ـ بعد فضل الله تعالى ـ في النصر والتمكين، ولا يفهم القرآن فيذكر به إلا من خاف الله تعالى، ونهى النفس عن الهوى، وهو الدافع إلى جنات النعيم بإذنه تعالى قال تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ .

فتفكر الآن فيما ينجي من الفزع بفؤادك، إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثم قُرِعَ سَمْعُكَ بشهيق النار، وتغيظها، وقد كُلِفْتَ أن تمشي على الصراط، مع ضعف حالك، واضطراب قلبك، وتزلزل قدمك، وثُقِلَ ظهرك بالأوزار المانعة لك عن المشي على بساط الأرض فضلا عن حدَّة الصراط، فكيف بك إذا وَضَعْتَ إحدى قدميك فأحسستَ بحِدَّة ،اضطررَت إلى أن ترفع القدم الثانية، والخلائق بين يديك يزَلون، ويتعثرون، وتتناولهم زبانية النا ر بالكلاليب، والخطاطيف، وأنت تنظر إليهم كيف ينتكسون فَتُسفَلُ إلى ـ جهة النار رؤوسهم، وتعلوا أرجلهم، فيا له مِنْ منظر ما أفظعه، ومرتقى ما أصعبه، ومُجازٌ ما أهوله .

فانظر إلى حالك وأنت مُثقل الظهر بالأوزار، تلتفت يمينًا وشمالًا وهذا هو الخوف الحق من الله سبحانه المصحوب بالإيمان، والعمل، وكما أن الصبر منه قولي، وقلبي، وعملي، وكذلك الشكر، وقبل ذلك الإيمان، واليقين، فإن الخوف إن كان

متجردًا متفرغًا من محتواه الرئيسي الأصيل كان أداة من أدوات العطب، ولم يجدِ مع صاحبه إلاّ الجهد، والنصب، أما إن كان على النحو الشرعي الذي ظهر لك آنفًا فَثَمَّ الأجر والفلاح، والسداد والنجاح، وعاقبة أمره الأمن في الدنيا والآخرة.

وإن المعرفة إذا أكملت أثرت على الخوف ففاض أثره على القلب، ثم ظهر على الجوارح بكفها عن المعاصي، وإلزامها الطاعات، واستدراكًا للخير في المستقبل، والخوف يقمع الشهوات، ويكدر اللذات، فتصير المعاصي المُحَببة للنفس بالخوف من المكروهات، وتحترق الشهوات، ويذل القلب ويستكين.

يا من يُدعى إلى نجاته فلا يجيب، يا من قد رضى أن يخسر ويخيب، وإن أمرك طريف وحالك عجيب أذكر في زمان راحتك ساعة الوجيب، واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب، ويحك إن الحق حاضر ما يغيب

واذكر يوم الفزع والتأنيب لابد والله من فراش العيش الرطيب، والتحاف البلى مكان الطيب، واعجبًا للذات بعد هذا كيف تطيب؟! واعلم أن جماعة من مذنبي هذه الأمة يعذبون بالنار، ثم يخرجون بالشفاعة والرحمة، خلافًا لمن نفى ذلك عن هذه الأمة وتأول ما ورد بضروب متكلفة، والنصوص الصريحة صحيحة ومتضافرة متظاهرة بثبوت ذلك، وأن تعذيب الموحدين بخلاف تعذيب الكفار، لاختلاف مراتبهم من أخذ النار بعضهم إلى ساقه، وأنها لا تأكل أثر السجود،وأنهم يموتون فيكون عذابهم إحراقهم، وحبسهم عن دخول الجنة سريعًا كالمسجونين بخلاف الكفار الذين لا يموتون أصلًا ليذوقوا العذاب، ولا يحيون حياة يستريحون بها.

فالقوم الصالحون لَمَّا صدقوا، وأطاعوا ربهم كان الجزاء ضخمًا، والعاقبة مباركة، والحساب يسيرًا، والفوز عظيمًا،فمسح الله عنهم الأوزار،و الأوضار بل غفر لهم أسوأ الأعمال، وحاسبهم على أعمالهم حيث قبل القليل، وبارك فيه، وضاعفه أضعافًا كثيرة فجزاهم بكرمه بأحسن أعمالهم، وأجودها، وأفضلها.

واعلم أن الكذب يكون شنيعًا على حسب نوعيته، وإن كان جنسه مذمومًا

والكذب على الله تعالى آفة الآفات، وسبيل العثرات، والحسرات، وضياع الأعمار، والأوقات، والحرمان من الخيرات والجنات .والذين يكذبون على ربهم فهم ملعونون والكاذب عليه في نار تلظى ما لم يتب .

واعلم وفقك الله تعالي أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها و ثقات الناقلين لها من المتهمين أن لا يروى منها إلا ما عرف صحة مخارجه، والثقاة في ناقليه، وأن يتقي منها ما كان منها عن أهل التهم، والمعاندين من أهل البدع.

واعلم أن القدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض، واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثًا للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات، والإنكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات، كان ذلك فضلًا محمودًا، فإن تزايد على ذلك بحيث أورث أمراضًا، أو موتًا، أو همًا لازمًا بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عز وجل، لم يكن محمودًا، ولهذا كان السلف يخافون وهذا لأن خوف العقاب ليس مقصودًا لذاته، وإنما هو سوط يساق به المتواني عن الطاعات إليها، ومن هنا كانت النار من جملة نعم الله على عباده الذين خافوه، واتقوه، ولهذا المعنى عدَّها الله من جملة آلائه على الثقلين.

فانظر أخي يرحمك الله إلى أصحاب النبي ﷺ ـ وتحريهم ذلك جدًا فسيكون لك دافعًا على الاهتمام بالحديث من حيث العلم بمخرجه، وصحته، وحسنه، أو ضعفه، وفهم معانيه، وغريب ألفاظه، والمناسبة التي سيقت لأجله قدرًا أو سيق من أجلها الحديث شرعًا لتحظى بدعوة رسول الله ﷺ ـ لمن جعل قلبه وعاءً لسنته وبلغها كما سمعها.

وإذن فمن أراد التصدر للكلام الشرعي والحديث النبوي فلابد من التوقي، والتحري، فلا يقل إلا حقًا و صدقًا .

فعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ ـ حديثًا فظنوا به الذي هو أهناه، وأهداه، وأنقاه .

ذكر المحدثون أمورًا كلية يُعرف بها كون الحديث موضوعًا، ومنها: اشتماله على مجازفات في الوعد، والوعيد، ومنها سماجة الحديث وكونه مما يسخر منه مثل ما يروى في وفاة النبي ﷺ ـ، ومنها مناقضته لما جاءت به السنة الصحيحة الصريحة ومنها أن يكون باطلًا في نفسه، فيدل بطلانه على وضعه، ومنها أن لا يُشبه كلام الأنبياء، بل لا يشبه كلام الصحابة، ،ومنها: أن يشتمل على تواريخ الأيام المستقبلة، ومنها: أن يكون بكلام الأطباء أشبه، ومنها أن تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه، ومنها: مخالفته لصريح القرآن

ليس كل من أقرَّ بأن الله تعالى ربُّ كل شئ، وخالقه يكون عابدًا له دون ما سواه، يوالي فيه، ويعادي فيه، ويطيع رسله، ويأمر بما أمر به، وينهى عما نهي عنه، وعامة المشركين أقروا بأن الله خالق كل شئ، وأثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به، وجعلوا لله أندادًا .

من جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا لقيه الله تعالى بقرابها مغفرة، لكن مع هذا هو في مشيئة الله تعالى، إن شاء غفر له، وإن شاء آخذه بذنوبه، ثم كانت عاقبته أن لا يخلد في النار، بل يخرج منها ثم يدخل الجنة، فإن كمل توحيد العبد، وإخلاصه لله تعالى فيه وقام بشروطه بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها، ومنعه من دخول النار بالكلية، فمن تحقق بكلية التوحيد قلبه أخرجت منه كل ما سوى الله محبة، وتعظيمًا، وإجلالًا، ومهابة، وخشية، وتوكلًا، وحينئذ تُحرق ذنوبه، وخطاياه كلها، وإن كانت مثل زبد البحر، وربما قلبتها حسنات، فإن هذا التوحيد هو الإكسير الأعظم فلو وضع منه ذرة على جبال الذنوب، والخطايا لقلبتها حسنات .

واعلم أن الشرك نوعان أصغر، وأكبر فمن عافاه الله منهما كانت له الجنة، ومن مات على الأكبر دخل النار وجوبًا للأدلة الدالة على ذلك كما قال سبحانه وتعالى﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾

ومن تخلص من الشرك الأكبر وحدث له بعض من الشرك الأصغر مع وجود حسنات راجحة على الذنوب فنرجوا له الجنة، لكن يُخشَى من النار على

من أكثر من الشرك الأصغر مع اختلاط ذلك بذنوب في ميادين أُخَر بحيث تغطى السيئات، لكن القليل مع الإخلاص العظيم يغمر الأصغر في الأكبر فترجى له المعافاة، وعقيدة أهل السنة الجماعة على أنه لا يخلد في النار إلا من أشرك شركًا أكبر ومات عليه قبل التوبة .

إن آثار الشرك كلها علل فلا أدل على ظلمة القلوب منه،وسفه الأحلام، وفساد الأخلاق، ولن تجد كهذه النقائص التي تسببت في الاضطراب، والفوضى، والذل للشعوب، وإن بحثت عن أسباب الرقي، والرفعة فلن تجد أطهر للقلوب من التوحيد، وأرشد للعقول، وأقوم للأخلاق، وأحفظ للحياة، وأضمن للسعادة، وأقوى على حمل أمانة الدين الطاهرة .

* **الإله هو المعبود المطاع**، ومعنى لا إله إلا الله إثبات انفراده بالألوهية وهي تتضمن كمال علمه، وقدرته، ورحمته، وحكمته ففيها إثبات إحسانه إلى العباد، فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد، وكونه يستحق أن يعبد، هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع .

إن ملاحظة تقلب القلب، وتأثره أمر حتم، ويوم يتناسى المرء قلبه يدور في أي وادٍ شاء، وعلى أي وضع أحب فهذا منزلق عسر، ذلك لأن عواطف القلوب لها ضوابط شرعية، وتعلق القلوب له دلائله ومساراته التي لا ينبغي أن يتجاوزها، وإلا تلبَّس بما يمقت عليه خاصة أن الذي بَرَأَ وَذَرَأَ تلك القلوب هو الله تعالى ولذا وجب أن تكون منقادة له منبسطة على شرعه توكلًا، وإنابة،وحبًا، وضراعةً، وخوفًا، ويوم يكون العبد مقبلًا على ربه مستأنسًا بذكره، مراعيًا مرضاته متجنبًا سخطه فإن الله سيلم شعثه، ويشرح صدره، ويجمع عليه أمره، ويقدر له الخير حيث كان

إن الناس لما طال عليهم الأمد تناسوا صفاء التوحيد وجماله، وبهاءه، وتغيرت كثير من المعالم عندهم ـ إلا من رحم الله ـ فإذا هم يصرفون حقوق الله الخالصة إلى غيره من البشر، وسائر الخلق، فأين التوحيد إذا، وأين ولاء الله، وحبه وأين الانتماء إلى شرعه مع هذه الأفعال المخالفة لصريح دينه، إن هذا لشيء

عجيب، إن المشركين الأقدمين كانوا يصنعون ذلك مع آلهتهم مع الفوارق قال الله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا لله مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لله بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى الله وَمَا كَانَ لله فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ .

ليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك، وكفارته كفارة اليمين، والنذر من العبادات المتعلقة بالقلب وهى من صلب الاعتقاد فلا تصرف لسدنة، ولا كهنة، فالله تعالى لا نظير ولا ظهير، ولا شريك له فهو الله الأحد الصمد والفرد الذي لا ند له، ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا﴾والاستعاذة الالتجاء، والاعتصام، والتحرز، و حقيقتها: الهرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، ولهذا يسمي المستعاذ، معاذًا، وملجًا، ووزرًا، فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه، أو يهلكه إلى ربه، ومالكه، وفرَّ إليه، وألقى نفسه بين يديه، واعتصم به، واستجار به، والتجأ إليه، وهذا تمثيل، وتفهيم، وإلا فما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله، والاعتصام به، والاطراح بين يدي الرب، والاقتصار إليه، والتذلل بين يديه، أمر لا تحيط به العبارة،

فلا ينبغي أن يدعو، ولا يخاف، ولا يرجو، ولا يحب غيره سبحانه، ولا يذل، ولا يخضع لغيره، ولا يتوكل إلا عليه، لأن من تخافه، وترجوه، وتدعوه، وتتوكل عليه، إما أن يكون مربيك والقائم بأمورك، ومتولي شأنك، فهو ربك، فلا ربَّ لك سواه، وتكون مملوكه، وعبده الحق، فهو مالك الناس حقًا، وكلهم عبيده، ومماليكه، أو يكون معبودك، وإلهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين، بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك إلى حياتك، وروحك، فهو الإله الحق إله الناس، فمن كان ربهم، ومليكهم، وإلههم فهم جديرون أن لا يستعيذوا بغيره، ولا يستنصروا بسواه، ولا يلجئون إلى غير حماه، فهو كافيهم، وحسبهم، وناصرهم، ووليهم، ومتولي أمورهم جميعًا بربوبيته وملكه .

إن المسلم الفقيه الواعي له هوية، وشخصية إسلامية، لا يدور مع الهوى، ولا يعيش مقلدًا كأنه هباءة في جو السماء،أو قشة، في مهب الريح، أو إسفنجة خفيفة على سطح الماء، أو ريشة أطاح بها الهواء، ليس كذلك، وما هكذا ينبغي أن

يكون وذلك لأنه يستمد عزته، وهويته من معين صافٍ، ومنهل عذب، لا كدر فيه فليس عبدًا للأهواء، والأمزجة، ولا يفرق بين آي الكتاب بعضها البعض لكونه يعلم أن الكتاب أجمع من عند الله، نزل به الروح الأمين، وهذه الشريعة المباركة، رسمت له الطريق السوي من قبل ولادته، وحتى بعد موته .

إن المخالفة في الهدي الظاهر: توجب مباينة، ومفارقة، وتوجب الانقطاع عن موجبات الغضب،وأسباب الضلال، والانعكاف إلى أهل الهدى، والرضوان، وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين، وأعدائه الخاسرين، وكلما كان القلب على أتم حياة، وأعرف بالإسلام الذي هو الإسلام لست أعني مجرد التوسم به ظاهرًا، أو باطنًا لمجرد الاعتقادات التقليدية، فمن حيث الجملة ـ كان إحساسًا بمفارقة اليهود، والنصارى باطنًا أو ظاهرًا أَتَمَّ وَبُعْدُه عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين .

إن الناظر إلى كثير من المسلمين اليوم يجد أنهم تشبهوا وقلدوا الغرب لا في ابتكاره، وإنتاجه العلمي، ولكن في كل ما هو هابط، وماجن، وما هكذا يكون المسلم الغيور على شرعه، ودينه، فلبسوا الحظاظات، وعلقوا التمائم، وحلقوا رؤوسهم على هيئة أعداء الله عاصين لله، ومحادين لسنة رسول الله ﷺ ـ لبسوا السلاسل في أعناقهم، ولبسوا الذهب، وهو حرام على ذكور المسلمين، وحل لنساءهم فقط، وتركوا شعورهم لكن على غير الهدى والسبيل، والسنة، قلدوا ما يسمون بالفنانين والفنانات .

إن الإسلام يضع حجبًا لتحول بين المرء، وهوى نفسه كي لا يعان عليه الشيطان، وكل باب قد يتسرب منه إليه ضر أو ذنب يؤثر فيه فإن الله تعالى سدَّه عليه لعلمه بخلقه، وما يصلحهم في المعاش والمعاد .

إن الحرمان كل الحرمان، والمقت، والضياع أن يحجب المرء عن ربه يوم القيامة فلا يسعد بنوره، والنظر إليه، وذلك حقيقة الشقاء

إن تشبه أفراد من أمة بأفراد من أمة أخرى دليل على ضعف السلوك الفردي، والأفراد الذين يسلكون هذا المسلك في حياتهم يشهدون على أنفسهم بأنهم مصابون

بداء التلون، والتمرغ، وأن سيرتهم متخلخلة لا قرار لها كمادة سائلة مستعدة للانصهار في كل قالب وفي كل حين، وفوق هذا فإن هذا النوع من التشبه فعله شنيع مثلها كمثل الرجل ينسب نفسه إلى غير أبيه .

فكما أنَّ ناسب نفسه إلى غير أبيه ملوم لأنه يرى نسبته إلى أبيه الحقيقي عار لنفسه، كذلك فإن من يولد في أمة، ويتشبه بأمة أخرى ابتغاء العزة، والافتخار يستحق اللوم لأنه بذلك يشهد أنه يرى من العار أن ينتسب إلى الأمة التي قد أنجبته، وإنه ليست الكرامة، والشرف في نظره إلاَّ أن يعد من أمة أخرى .والذين يسلكون هذا السبيل لا هم من الأمة التي ولدوا فيها، ولا من الأمة التي يحبون أن يعدوا منها .

إن الأدلة في الحجاب كثيرة متنوعة، ومختلفة الدلالات، ومستفيضة ذات وجوه متعددة، وأحاديث متكاثرة، فتارة تصرح بتغطية الوجه، وتارة بستر القدمين، وأخرى بإسدال الثياب ليغطي القدمين، والكعبين، والعقبين، وبالرخصة للخاطب في النظر للمخطوبة، وبتحريم الخلوة، والتخويف من الدخول على الأجانب حتى لقريب الزوج (الحمو) .

دلت الآيات والسنن على فرض الحجاب على نساء المؤمنين، شاملًا ستر الوجه، والكفين كسائر البدن والزينة، وتحريم إبداء شيء من ذلك بالسفور أو الحسور، فقد دلت هذه النصوص ـ أيضًا ـ بدليل القياس المطرد على ستر الوجه والكفين، كسائر جميع البدن والزينة، وإعمالًا لقواعد الشرع المطهر، والرامية إلى سد باب الفتنة عن النساء أن يفْتِنَّ أو يُفْتَنْ بهن، والرامية كذلك إلى تحقيق المقاصد العالية، وحفظ الأخلاق الفاضلة، مثل العفة، والطهارة، والحياء، الغيرة، والاحتشام، وصرف الأخلاق السافلة من عدم الحياء،وموت الغيرة، والتبذل، والتعري، والسفور،والاختلاط، كما في قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد، وقاعدة ارتكاب أدنى المفسدتين، لدفع أعلاهما، وقاعدة ترك المباح إذا أفضى إلى مفسدة في الدين، ومن هذه القياسات المطردة .

● الأمر بغض البصر،وحفظ الفرج، وكشف الوجه أعظم داعية في البدن للنظر وعدم حفظ الفرج

• النهي عن عدم الضرب بالأرجل، وكشف الوجه أعظم داعية للفتنة من ذلك

• النهي عن الخضوع بالقول، وكشف الوجه أعظم داعية للفتنة من ذلك

• الأمر بستر القدمين، والذراعين، والعنق، وشعر الرأس بالنص، والإجماع، وكشف الوجه أعظم داعية للفتنة، والفساد من ذلك

وغير ذلك من هذه القياسات كثير يعلم مما تقدم فيكون ستر الوجه، واليدين، وعدم السفور من باب الأولى و الأقيس، وهو المسمى بالقياس الجلي، وهذا ظاهر لا يعتريه قادح والحمد لله رب العالمين

لهذا فيجب على المؤمنين الذين مَسَّ نساءهم طائف من السفور، والتكشف أن يتقوا الله، فيحجبوا نساءهم بما أمر الله به بالجلباب ـ العباءة ـ والخمار، وأن يأخذوا بالأسباب اللازمة لأَطْرِهِنَّ، ،وتثبيتهن عليه، لما أوجبه الله تعالى على أوليائهن من القيام الذي أساسه الغيرة الإسلامية، والحمية الدينية، ويجب على نساء المؤمنين الاستجابة للحجاب ـ العباءة ـ

فلا يخفى على كل من له معرفة ما عمت به البلوى في كثير من البلدان من تبرج الكثير من النساء وسفورهن وعدم، تحجبهن من الرجال، وإبداء الكثير من زينتهن التي حرم الله عليهن إبداءها ولا شك أن ذلك من المنكرات العظيمة، والمعاصي الظاهرة، ومن أعظم أسباب حلول العقوبات، ونزول النقمات، لما يترتب على التبرج والسفور من ظهور الفواحش، وارتكاب الجرائم وقلة الحياء، وعموم الفساد فاتقوا الله أيها المسلمون، وخذوا على أيدي سفهائكم، وامنعوا نساءكم مما حرم الله عليهن والزموهن التحجب والتستر، واحذروا غضب الله سبحانه وعظيم عقوبته .

فكما أن المسلمين لم يكتب لهم النصر في أحد بسبب تخليهم عن المنهج، وكذلك أنتم يا أهل الإيمان لا تنتصرون إلا إذا التزمتم بمنهج الرحمن، فالمنهَج هو السياج الذي يحيط بكم، ويحميكم من أنفسكم أولًا، ومن ثم يحميكم من أعدائكم، فعورات المجتمع الإسلامي لن تنكشف إلا إذا عطل حكم الله هذا وقد رهَّب

التشريع جدًا من الربا لبشاعته، ولخسة فاعله، وتعدية على حقوق العباد، ولِلشَّره الذي أصيب به

إن رسول الله ﷺ ـ جعل أمور الجاهلية موضوعة تحت قدميه تحقيرًا لها وتصغيرًا، حتى يعلم الناس أن الله كتب العزة لمن أطاعه وقضى بالذل والمهانة على من عصاه، وخاصة الكبائر من الذنوب التي فيها إجحاف وظلم للعباد، فما تعامل أحد بالربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة، وذلة والله يعامل العبد من خلال ما انعقدت عليه نيته

إن الربا يذهب البركة من كل شئ، فلا سعادة، ولا طمأنينة، ولا راحة، ولا أمن، وإنه ليذهب البركة من الصحة، ويذهب البركة من الحياة الزوجية، فترى الزوجين عدوين بدلًا من أن يكونا حبيبين، وتراهما مختلفين بدلًا من أن يكونا متفقين، فدائمًا ترى اختلافًا وشقاقًا، وثورة ومشاحنات فإذا تتبعت الأمر وجدت أن الربا هو سبب هذا البلاء . .

واعلم:

أن كل زيادة ـ أو فائدة ـ على الدَيْن الذي حَلَّ أجله، وعجز المدين على الوفاء به مقابل تأجيله، وكذلك الزيادة ـ أو الفائدة ـ على القرض منذ بداية العقد: هاتان الصورتان ربا محرم شرعًا .

ثانيًا: ــ إن البديل الذي يضمن السيولة المالية والمساعدة على النشاط الاقتصادي حسب الصورة التي يرتضيها الإسلام: هي التعامل وفقًا للأحكام الشرعية، ولا سيما مَا صدر عن هيئات الفتوى المعنية بالنظر في جميع أحوال التعامل التي تمارسها المصارف الإسلامية في الواقع العملي .

والزنا من أعظم الذنوب، وآلمها فهو جريمة كبرى يضيع فيها الخلق الحميد، وتختلط الأنساب، وتشيع الفاحشة، وينزل المقت والغضب، وتعم الفوضى، وتنزل عقوبات عظيمة، ،والزنا من أعظم الجرائم، وهو يتفاوت في الشناعة والإثم والقبح، فالزنا بذات زوج، والزنا بذات محرم، والزنا بحليلة الجار، من أعظم أنواعه.

ولما كان الزنا من أعظم الجرائم، وكبائر المعاصي، لما فيه من اختلاط الأنساب الذي يبطل بسببه التعارف، ،والتناصر على الحق، وفيه هلاك الحرث، والنسل، لما كان يشمل على هذه الآثار القبيحة، رتّب الله عليه الحدَّ الصارم، وهو رجم الزاني بالحجارة حتى الموت أو جلده، وتغريبه عن بلده، ليحصل بذلك الردع عن ارتكابه، إضافة إلى ما ينشأ عنه من الأمراض التي تفتك بالمجتمعات، ولذلك نهى عنه الشارع أشد النهي .

إن الزاني إيمانه ليس على الجادة فلم يردعه عن الذنوب

كثيرًا ما يردع الإيمان صاحبه عن المنكرات ويصحبه إلى الطاعات إن كان صادقًا في إيمانه، أما إن كان ضعيف اليقين والإيمان فإن الهوى ربما أطاح بعزمه فإن لم يتداركه الله بسداد ومغفرة ورحمة من عنده كان متلاشيًا وصار أمره فرطًا

لا يرفع الإيمان جملة عن الزاني، وإلا كان كافرًا خارجًا، وهذا قول الخوارج المناقض لأهل السنة من الصحابة فمن بعدهم، لكن هل الإيمان الكامل يتبقى معه مثل هذه القاذورات، وذلك الرجس الدنس؟!! بالطبع لا لذا فهو عاص مقترف الإثم من الكبائر يحتاج إلى طهارة وتوبة قبل الموت، وإلا فقد هدد النبي ﷺ ـ الذي يفعل ذلك بتهديد القرآن العظيم،

إن البيت كالحرم الآمن لأهله لا يستبيحه أحد إلا بعلم أهله وإذنهم، وفي الوقت الذي يريدون، وعلى الحالة التي يحبون أن يلقوا بها الناس، ولا يحل لأحد أن يتطفل على الحياة الخاصة بالأفراد، بالاستنصات والتجسس، أو اقتحام البيوت، ولو بالنظر من قريب، أو بعيد بمنظار أو بدونه ولأمر ما تواترت شكوى أهل العلم، عبر العصور، من إهمال الناس آداب الاستئذان حتى صارت بينهم لشدة غربتها ـ كأنها شرع منسوخ ..

إن النبي ﷺ ـ يُعلِم ويربي المسلمين على معالي الأمور وحسن الخلق، مع التواضع، فإذا استأذن ثلاثًا فلم يؤذن له رجع وينبغي أن يُعرف نفسه باسمه، ولا يقول (أنا) كلمة مجردة لأنها لا تدل على شيء ولذا كرهها ـ عليه السلام ـ

ينبغي على الرجل أن يستأذن على أمه وأخته وبنيه وبناته البالغات حتى لا

تقع عيناه على ما لا يحل له النظر إليه .

الواجب على من لم يؤذن لـه أن يـنصرف فـورًا، ولا يجـوز لـه أن يقـف عـلى الباب، ولا يلح في الاستئذان، أو يتكلم بقبيح الكلام، ولا يقعد على الباب لينتظر، لأن للناس حاجات، وأشغالًا في المنازل، فلو قعدت على البـاب و انتظـرت ضـاق ذرعهم، و وشغل قلبهم، ولعله لا تلتئم حاجاتهم، فكان الرجوع خيرًا له ولهم .

والاستئذان واجب وجوب الفرائض، وقد انعقد الإجماع على وجوبـه، فمـن تركه فهو عاص لله ولرسوله، فإذا كان كذلك فلا تدخل بيتًا فيه أحد حتـى تسـتأذن ثلاثًا، سواء كان ذلك الأحد محرمًا أو غيره مما لا يحل لك النظر إلى عوراته.

يحذر النبي ـ ﷺ ـ المسلمين من الظلم بشتى أنواعه ويأمر باتقائه وتحاشـيه فـإن المرء إذا ظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامـة وعـلى هـذا فـإن الأعـمال التـي تـورث صاحبها نورًا يوم القيامة تتأثر بتلك الظلمات من أعمال الظلم والمعاصي فلعلها تتأثر بها فتحجب نورها، أو يتغشـاها بـذلك الظـلام المخيـف فتكـون العاقبـة خسرنًـا، فليحذر امرؤ مراقب لله من ذلك كله

هذا ما أردت أن أذكرك به على عجالة من أمري ،التقطه لـك دررًا مـن هـذا البحث المبارك ولم أنسب الأقوال إلى قائليها لأنني صنعت ذلك في داخـل الكتـاب ،على أن بعضها من إنشائي ، هذا الذي قصـدت وابتغيـت ،سـائلًا الله تعـالى قبولـه بقبول حسن ،وأن ينفع به المسلمين وأن لايحرمني أجره ،وما كـان فيـه مـن توفيـق فمن الله وحده ،له الثناء الجميل الحسن ، ومافيه من عيب فمني ومن الشيطان .

ومن لمح فجر الأجر هان عليه عناء التكليف فرابط وصابر وثـابر فـما ارتفـع صوت الحادي يومـا لرفقـة أولي صـمم، ولا ارتفـع الفلـك الأعـلى إلا للمجـدين والقمم.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩]

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك

والله من وراء القصد .

عبد المنجي بن سيد آل أمين

جمهورية مصر العربية ـ محافظة الشرقية ـ مدينة القرين

تمَّ بعون الله الانتهاء من هذا الكتاب في ليلة الاثنين

١٩ ذو الحجة ١٤٢٦ هـ ؛ الموافق ١٩ يناير ٢٠٠٦ م

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

* * *

أهم المراجع

أهم المراجع

القرآن الكريم وعلومه والتفسير

١. القرآن الكريم .
٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لـ محمد فؤاد عبد الباقي دار الحديث .
٣. قاموس القرآن الوجوه والنظائر لـ الرفعاني الحنفي دار العلم .
٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن لـ ابن جرير الطبري دار الفكر .
٥. تفسير القرآن العظيم لأبن كثير ط المكتبة القيمة .
٦. الجامع لأحكام القرآن لـ أبي عبد الله القرطبي ط الشعب .
٧. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لـ محمد الأمين الشنقيطي ط دار الفرقان .
٨. تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن لـ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ط دار التقوى .
٩. في ظلال القرآن لـ الأستاذ سيد قطب ط دار الشروق .
١٠. زاد المسير لـ ابن الجوزي
١١. فتح القدير للشوكاني .
١٢. تفسير المنار .
١٣. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لـ أبي بكر الجزائري ط العلوم والحكم .
١٤. التفسير القيم لأبن القيم ط القيمة .
١٥. محاسن التأويل في تفسير القرآن للقاسمي ط دار إحياء الكتب العربية .

ثانياً : الحديث

١٦. صحيح البخاري ط دار الشعب ،
١٧. الأدب المفرد البخاري ط القاهرة .

١٨. صحيح مسلم ط عالم الكتب .
١٩. صحيح مسلم ط استنبول .
٢٠. سنن النسائي "المجتبى" ط الريان .
٢١. سنن أبو داود ط الريان .
٢٢. سنن الترمذي ط دار الفكر .
٢٣. سنن ابن ماجة ط دار الحديث .
٢٤. مسند أحمد المطبعة الميمنية .
٢٥. مسند أحمد /ت أحمد شاكر ط دار الفرقان .
٢٦. موطأ مالك رواية يحيى بن يحيى ط دار الشعب .
٢٧. موطأ مالك رواية أبي مصعب الزهري ط دار الرسالة .
٢٨. سنن الدارمي ط الريان
٢٩. صحيح بن خزيمة /ت الأعظمي ط المكتب الإسلامي .
٣٠. مسند عبد بن حميد ط دار الكتب العلمية .
٣١. مسند الحميدي ط دار الكتب العلمية .
٣٢. الطحاوي مشكل الآثار .
٣٣. شعب الإيمان للبيهقي .
٣٤. الزهد لـ هناد بن السري .
٣٥. النسائي الكبرى .
٣٦. المصنف لـ أبي بكر بن أبي شيبة ط الهند .
٣٧. فضائل الصحابة لـ النسائي ط النجاح بالمغرب .
٣٨. مجمع الزوائد للهيثمي مؤسسة المعارف .
٣٩. مستدرك الحاكم ط الكتب العلمية مكتبة القدسي .
٤٠. شرح السنة لـ أبي محمد البغوي ط الأرنووط .
٤١. الترغيب والترهيب لـ المنذري ط الريان .
٤٢. كنز العمال .
٤٣. الإتحافات السنية .
٤٤. الشمائل المحمدية لـ أبي عيسى الترمذي .
٤٥. الإخوان لـ ابن أبي الدنيا .
٤٦. السنن الكبرى للبيهقي .
٤٧. جامع الأصول .

٤٨. مشكاة المصابيح لـ التبريذي . } الألباني ط المكتب الإسلامي
٤٩. صحيح سنن النسائي .
٥٠. صحيح سنن أبي داود . } الألباني ط المكتب الإسلامي
٥١. صحيح سنن الترمذي .
٥٢. صحيح سنن ابن ماجة .
٥٣. صحيح الأدب المفرد .
٥٤. صحيح الترغيب والترهيب الألباني ط مكتبة المعارف .
٥٥. صحيح الجامع الصغير الألباني ط المكتب .
٥٦. المسند الجامع دار الجيل .
٥٧. الجامع الصغير للسيوطي .
٥٨. إرواء الغليل ط المكتب الإسلامي .
٥٩. فتح الباري ط الريان .
٦٠. النووي على مسلم ط الريان .
٦١. عون المعبود ط الريان .
٦٢. بذل المجهود ط الريان .
٦٣. تحفة الأحوذي المبارك فوري .
٦٤. حاشية السندي والسيوطي على النسائي ط الريان .
٦٥. سبل السلام للصنعاني .
٦٦. نيل الوطار لـ الشوكاني
٦٧. آداب العشرة .
٦٨. المجموع النووي .
٦٩. المغني "الأخلاق " لابن قدامة المقدسي .
٧٠. نضرة النعيم .
٧١. المنتقى من مكارم الأخلاق .
٧٢. فيض القدير المناوي .
٧٣. المدخل لابن الحاج .
٧٤. عشرة النساء للنسائي .
٧٥. المتجر الرابح .
٧٦. ملخص فضل الله الصمد .
٧٧. الأفراد للدارقطني .

التراجم

٧٨. تهذيب التهذيب العسقلاني ط الريان .
٧٩. تهذيب الأسماء والصفات للنووي ط الريان .
٨٠. وفيات الأعيان لـ ابن خلكان .
٨١. تذكرة الحافظ الذهبي .
٨٢. سير أعلام النبلاء الذهبي .
٨٣. صفة الصفوة لـ ابن الجوزي
٨٤. الدرر البهية من مناقب ابن تيمية .

كتب في العقيدة

٨٥. الإيمان الأوسط شيخ الإسلام مكتبة التقوى .
٨٦. التوحيد الإمام ابن خزيمة دار الدعوى السلفية .
٨٧. تحقيق كلمة الإخلاص لـ ابن رجب الحنبلي .
٨٨. فتح المجيد / ت أشرف عبد المقصود .
٨٩. الرسائل والمسائل لـ شيخ الإسلام بن تيمية .
٩٠. تيسير العزيز الحميد لـ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ط المكتب الإسلامي .
٩١. الروح لـ ابن القيم .
٩٢. شرح العقيدة الطحاوية .
٩٣. جواهر الإكليل.
٩٤. كتاب الشفاء للقاضي عياض .
٩٥. الأسماء والصفات للبيهقي .
٩٦. حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال .
٩٧. غذاء الألباب للسفاريني .

كتب اللغة

٩٨. مختار الصحاح الرازي طـ دار الحديث .
٩٩. المعجم الوجيز طـ التربية والتعليم .
١٠٠. المصباح المنير مكتبة الكليات الأزهرية .
١٠١. لسان العرب لـ ابن منظور طـ دار المعارف .
١٠٢. المقاييس نقلا عن نضرة النعيم .

كتب عامة

١٠٣. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح .
١٠٤. زاد المعاد في هدي خير العباد للأرنؤوط .
١٠٥. أعلام الموقعين .
١٠٦. الوابل الصيب .
١٠٧. الداء والدواء .
١٠٨. الفوائد .

ابن القيم

١٠٩. صفة الصفوة .
١١٠. صيد الخاطر .
١١١. التبصرة .

ابن الجوزي

١١٢. الزواجر لـ ابن حجر الهيثمي .
١١٣. حلية طالب العلم لـ زيد عبد الله أبو زيد .
١١٤. آداب الصحبة لـ الغزي .
١١٥. أدب العشرة وذكر الصحبة والأخوة .
١١٦. مدارج السالكين ابن القيم الجوزية .
١١٧. صلاح الأمة في علو الهمة لـ سيد العفاني دار الجيل .
١١٨. إيثار الحق لـ أبي أحمد عبد المنجي بن سيد آل أمين .
١١٩. الكبائر .
١٢٠. الجزاء من جنس العمل لـ السيد العفاني .
١٢١. الحلية لـ أبو نعيم .

١٢٢. موارد الظمآن للشيخ السلمان .
١٢٣. الآداب الشرعية .
١٢٤. الأدب الضائع .
١٢٥. نداء الرحمن لأهل الإيمان
١٢٦. القصائد الزهديات للشيخ السلمان .
١٢٧. الأذكار للنووي .
١٢٨. حرمة أهل العلم د/ محمد بن إسماعيل المقدم .
١٢٩. وخالق الناس بخلق حسن للعفاني .
١٣٠. البحر الرائق د/ أحمد فريد .
١٣١. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء .
١٣٢. مداوات النفوس وتهذيب الأخلاق لابن حزم .
١٣٣. أدب الدنيا والدين .
١٣٤. الجامع للخطيب البغدادي .
١٣٥. منهاج السنة .
١٣٦. جامع بيان العلم وفضله .
١٣٧. كتاب العذر بالجهل لـ محمد شريف هزاع .
١٣٨. مشاهد يوم القيامة لـ سيد قطب .

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وارزقنا علماً ينفعنا وعملاً يرفعنا

صدر للمؤلف

١ـ وقفات مع بر الوالدين .

٢ـ نيل الأرب في حسن الأدب .

٣ـ تنبيه السالكين إلى ثمرات الخوف وأحوال الخائفين .

٤ ـ دليل المسلم في شهر رمضان .

٥ ـ خصائص ووظائف يوم الجمعة .

٦ ـ أحكام يوم الجمعة .

٧ ـ الروضة الفيحاء في الذكر والدعاء ـ الجزء الأول ـ

٨ ـ الروضة الفيحاء في الذكر والدعاء ـ الجزء الثاني ـ

٩ـ السبيل إلى الجنة

١٠ ـ الكواكب النيرة في السبيل إلى الرحمة والمغفرة . مجلد

١١ ـ إيثار الحق . مجلد

فهرست الأحاديث والآثار

على الترتيب الأبجدي

[أ]

الرقم	الراوي	الحديث
٣٧٢	عبد الله	أأستأذن على أمي
٥٦٤	ابن عباس	أبغض الناس إلى الله ثلاثة
٤١١	أبو الدرداء	أتحب أن يلين قلبك وتدرك
٤٢١	أبو ذر	أتحب أن يلين قلبك
٨٧	ابن عمر	اتخذ النبي ﷺ خاتماً من ذهب
١٧٨	أبو هريرة	أتدرون من المفلس ؟ قالوا
٤٧	أبو ذر	اتق الله حيثما كنت
٤٨	جابر بن سليم الهجيمي	اتق الله ولا تحقرن أحداً
٥٨	عبادة بن الصامت	اتق الله يا أبا الوليد
٣٧٣	جابر بن عبد الله	اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات
٥٥	سهل بن الحنظلية	اتقوا الله في البهائم المعجمة
٥٢	أم سلمة	اتقوا الله في الصلاة
٥٣	النعمان بن بشير	اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم
٥٤	أبو أمامة	اتقوا الله وصلّوا خمسكم
٥٩	ابن عباس	اتقوا الملاعن الثلاث
٢١	عدي بن حاتم	اتقوا النار ولو بشق تمرة
٤٨٦	حذيفة	أتى الله بعبد من عباده أتاه مالاً
٦١٧	أنس بن مالك	آتي باب الجنة يوم القيامة
١٧١	شكل بن حميد	أتيت النبي ﷺ فقلت يا نبي الله
٣٦٧	جابر	أتيت النبي ﷺ في دين كان على أبي
٤٥١	أبو الدرداء	أثقل شئ في ميزان المؤمن
٤٣٩	ابن عباس	أحب الأديان إلى الله
٤٤١	معاذ	أحب الأعمال إلى الله
٤٤٣	أبو أمامة	أحب الجهاد إلى الله
٤٤٤	المسْور بن مخرمة	أحب الحديث إلى الله
٤٤٥	جابر	أحب الطعام إلى الله

٤٤٦	سمرة بن جندب	أحب الكلام إلى الله
٤٤٨	ابن عمر	أحب الناس إلى الله
٤٣٨	أسامة بن شريك	أحب عباد الله إلى الله
٤١٤	أبو هريرة	اجتنبوا السبع الموبقات
٢١٠	ابن سيرين	أخذك المشركون فغطوك
٥٩٥	أبو بردة	أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها
١٤٢	أبو سعيد الخدري	إذا أصبح بن آدم ، فإن الأعضاء
٣٦٦	أبو موسى الأشعري	إذا استأذن أحدكم ثلاثاً
٣٢٨	ابن عمر	إذا تبايعتم بالعينة
٦٩	أبو موسى الأشعري	إذا جلس بين شعبها الأربع
٧٤	علي بن أبي طالب	إذا حدثتكم عن رسول الله
٤٠٠	أبو سعيد الخدري	ذا خلص المؤمنون من النار
٣٥	أبو سعيد الخدري	إذا دخل أهل الجنة الجنة
٣٩٤	عمرو بن العاص	إذا رأيتم أمتي تهاب الظالم
٣٥٢	أبو هريرة	إذا زنا الرجل خرج منه الإيمان
٣٤٠	أبو هريرة	إذا زنت الأمة فتبين زناها
٣٣١	ابن عباس[٣٥٤]	إذا ظهر الزنا والربا في قرية
٨	أبو هريرة	إذا فرغ أحدكم من التشهد
١٥	عمرو بن شعيب	إذا فزع أحدكم في النوم
٢٠٣	أبو هريرة	إذا قال الرجل لأخيه يا كافر
١٤٧	أبو هريرة [٢١٦]	إذا قال الرجل هلك الناس
٣٥٥	ابن عباس	اردف رسول الله ﷺ الفضل
٤٤٠	سهل بن سعد	ازهد في الدنيا يحبك الله
١٠٠	بهز بن حكيم عن أبيه عن جده	أسألك بوجه الله بم بعثك الله
٣٠٢	سعد بن أبي وقاص	استأذن عمر بن الخطاب
٣٢	أبو هريرة	اشتكت النار إلى ربها
٤٢٢	أسماء بنت عبيد	اصنع به ما تصنع بولدك
٣٥٧	سهل بن سعد	اطلع رجل من جحر في حجر

٤٨٤	عبد الله بن عمرو	أعبدوا الرحمن وأطعموا الطعام
٤٦٦	أبو سعيد الخدري	أفضل المؤمنين رجل سمح البيع
٤٤٢		أفلا أدلكم على خير أعمالكم
٤٥٣	علي	أقربكم مني مجلساً يوم القيامة
٧٧	جندب بن عبد الله البجلي	اقرأوا القرآن
١٤٠	ابن مسعود	أكثر خطايا بن آدم في لسانه
٣٢١	جابر بن عبد الله	آكل الربا ومؤكله وشاهده
٥٩١	عائشة	آكل كما يأكل العبد
٥٦٩	حارثة بن وهب الخزاعي	ألا أخبركم بأهل الجنة
١٥٠	أسماء بنت يزيد[١٩٩]	ألا أخبركم بخياركم
٤٩٧	أبو هريرة	ألا أخبركم بخيركم من شركم
٢٧٤	أبو سعيد الخدري عن أبيه عن جده	ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم
٤٣٤	عبد الله بن مسعود	ألا أخبركم بمن يحرم على النار
٤٦٧	عبد الله بن مسعود	ألا أخبركم بمن يحرم عليه النار
٥١٢	عبد الله بن عباس	ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة
٤٢٦	عمرو بن الأحوص عن أبيه	ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية
٤٠٥	أم سلمة	ألا إنما أنا بشر ، وإنما
٢١٣	عبد الله بن مسعود	ألا هلك المتنطعون
٢٨٦	حذيفة	الإزار إلى أنصاف الساقين
٢٨٨	أبو هريرة	الإسبال في الإزار
١٤٥	ابن مسعود	الاستحياء من الله تعالى أن تحفظ
٢٨٢	ابن عمر	ألبس جديداً وعش حميداً
٦٢٣	معاذ	الجنة مائة درجة كل درجة
٥٢١	جابر بن عبد الله	الجيران ثلاثة
٢٤٥	أبو ذر	الحسنة عشر أو أزيد
١٤	ابن عمر	الحمد لله الذي كفاني
١١٢	أبو هريرة	الحياء من الإيمان

٤٣٣	أبو بكرة	الحياء من الإيمان والإيمان
١١٣	أبو أمامة	الحياء والعي شعبتان
٣٣٠	عمر بن الخطاب	الذهب بالورق ربا
٢٩٩	عقبة بن عامر	الذهب والحرير حرام على
٤٨٠	ابن عمرو	الراحمون يرحمهم الرحمن
٣٢٣	أبو هريرة	الربا سبعون حوبا
٣٢٤	ابن مسعود	الربا وإن كثر فإن عاقبته
٤١٥	أبو هريرة	الساعي على الأرملة
٢٥٤	عبد الله بن مسعود	الطيرة من الشرك
٥٧٨	أبو هريرة	الكبرياء ردائي والعظمة إزاري
٦٠٥	عبد الله	الله أشد فرحاً بتوبة عبده
٤٢٨	أبو هريرة	اللهم إني أحرج من حق
١٠	عائشة	اللهم إني أعوذ بك من الكسل
١١	ابن عباس	اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم
٢٦٤	عبد الله بن عمرو	اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين
١٨	أبو هريرة	اللهم إني أعوذ بك من فتنة القبر
٢٦٣	كريب	اللهم إني أعوذ بك من فتنة المسيح
١٢ [١٧٣]	عائشة	اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار
٦١٢	أبو موسى	اللهم اغفرلي خطيئتي
١٧	أبو هريرة	اللهم أنفعني بما علمتني
١٧٤	قطبة بن مالك	اللهم جنبني المنكرات
١٦	حذيفة بن اليمان	اللهم قني عذابك يوم تجمع
٢٧٩	أبو سعيد	اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه
٥٧٠	أبو هريرة	المؤمن القوي خير
١٥٥	أبو هريرة	المؤمن مرآة المؤمن
٨٨	ابن مسعود	المتمسك بسنتي عند اختلاف
٣٠٧	عبد الله بن مسعود	المرأة عورة
١٩١	أبو هريرة	المستبان ما قالا فعلى البادي
٣٨٨	عبد الله بن عمر	المسلم أخو المسلم لا يظلمه

١٥٤	أبو هريرة	المسلم أخو المسلم لا يخونه
٨٩	عبد الله بن عمرو	المسلم من سلم المسلمون من
٥٠٠	أبو هريرة	الناس معادن كمعادن الفضة
٤٠	أبو سعيد	أما أهل النار الذين هم أهلها
٧	أنس بن مالك	أما كنت تدعوا، أما كنت تسأل
٦٨	عبيد بن عمير	أن أبا موسى الأشعري استأذن
٥٦٣	عائشة	إن أبغض الرجال إلى الله
٣٦٩	أنس	أن أبواب رسول الله كانت تقرع
٤٥٢	أبو ثعلبة الخشني	إن أحبكم إليَّ أقربكم مني
٣	ابن عمر	إن أحدكم إذا مات
٢٧٥	محمود بن لبيد	إن أخوف ما أخاف عليكم
٤٠٩	أبو هريرة	إن أردت أن يلين فامسح
٥٦٥	أبو شريح	إن أعتى الناس إلى الله
١٣٣	أبو هريرة	إن أكثر ما يدخل أمتي النار
٤٥٤	أنس	إن أكمل المؤمنين أحسنهم
٦٢٧	سهل بن سعد	إن أهل الجنة ليتراءون
١٦	رفاعة	إن التجار يبعثون يوم القيامة
٦٢٦	أنس	إن الجنة تشتاق إلى ثلاث
٦٣٨	أنس	إن الحور العين لتغنين في الجنة
٩٧	أبو هريرة	إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى
١٣٢	بلال بن الحارث المزني	إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان
٤٣٠	عائشة	إن الرجل ليدرك بحسن خلقه
٤٥٦	أبو أمامة	إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة قائم
٤٥٥		إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة قائم
١١٦	أبو هريرة	إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى
١٠٤	عائشة	إن الرفق لا يكون في شئ إلا زانه
٤	قتادة	إن العبد إذا وضع في قبره
١١٥	أبو هريرة [١٠٩، ٢٠١]	إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين
٨٠	أبو هريرة [١١٨]	إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان

١١٧		إن العبد ليتكلم بالكلمة يزل بها
١٣٧	أبو هريرة	إن العبد ليقول الكلمة
١٨٦	أبو الدرداء	إن اللعانين لا يكونوا يوم
٥٧٤	عياض بن حمّار [٤٣٦]	إن الله أوحى إليّ أن
٢٦٩	أبو هريرة	إن الله تبارك وتعالى إذا كان
٥٨٤	ابن عمر	إن الله تبارك وتعالى يقبض
٤٤٩	جابر بن عبد الله	إن الله تعالى جميل يحب الجمال
٥٥٠	المغيرة بن شعبه	إن الله تعالى حرم عليكم عقوق
٥٥٣	ابن عباس	إن الله تعالى لا ينظر إلى مسبل
٥٥٢	أبو هريرة	إن الله تعالى لا ينظر إلى من يجر
٥٦٢		إن الله تعالى يبغض كل جعظري
٤٥٠	الحسين بن علي	إن الله تعالى يحب معالي الأمور
١١٠	عبد الله بن مغفل	إن الله رفيق يحب الرفق
٤٧٨	خالد الكلاعي عن أبيه	إن الله رفيق يحب الرفق
٥٨٦	أبو هريرة	إن الله ﷻ قد أذهب عنكم
٣٥٠	أبو هريرة	إن الله كتب على بن آدم
٥٥١	ابن عمرو	إن الله لا يحب العقوق
٢٢٤	عبد الله	إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً
٤٥٨	أبو هريرة	إن الله ليبلغ العبد بحسن خلقه
٣٨٤	أبو موسى	إن الله ليملي للظالم
٦٠٧	أبو موسى	إن الله يبسط يده بالليل
٥٥٦	أبو هريرة	إن الله تعالى يبغض السائل الملحف
٥٥٥	أسامة بن زيد	إن الله تعالى يبغض الفاحش
٥٦١	أبو هريرة	إن الله يبغض كل جعظري
٤٦٤	أبو هريرة	إن الله يحب سمح البيع
٦١١	عبد الله بن مسعود	إن المؤمن يرى ذنوبه
٤٥٧	ابن عمر	إن المسلم المسدد ليدرك درجة
٣١٢		إن الناس إذا رأوا المنكر ولم
٣٦٨	بريدة	إن النبي ﷺ أتى المسجد

٢٤٣	ابن عباس	إن الهدي الصالح والسمت
٦٢٩	جابر	إن أهل الجنة يأكلون فيها
٦٢٨	سمرة	إن أهل الدرجات العلى
٤٢٦	أنس بن مالك	أن جدته مليكة دعت النبي
٢٤	عبيد بن عمير	إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى
٤٩٤	أبو هريرة	أن رجلاً تقاضى رسول الله ﷺ
٣٨٩	عمرو بن العاص	أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ
١٤٩	المطلب بن عبد الله المخزومي	أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ ما الغيبة
٤٨٣	أبو هريرة	أن رجلاً غفر له في غصن شوك
٥٩٣	اسامة بن زيد	أن رسول الله ﷺ ركب على حمار
٢٢٠	أنس	أن رسول الله ﷺ كان من أخف
٣٨٧	أبو هريرة	إن طالت بك مدة
٢٤٧	عقبة بن عامر الجهني	إن عليه تميمة ، فأدخل يده
٦٢٠	سهل بن سعد	إن في الجنة ثمانية أبواب
٦٣٥	أنس بن مالك	إن في الجنة لسوقاً
٤١	جابر بن عبد الله	إن قوماً يخرجون من النار
٦٥	المغيرة	إن كذباً عليَّ ليس ككذباً
٦٣٧	أبو بكرة عبد الله بن قيس	إن للمؤمن في الجنة لخيمة
٢٠٢	ابن مسعود	إن محمداً ﷺ قال ألا أنبئكم
٢٣١	أبو هريرة	إن مما يلحق المؤمن من عمله
٢٣٣	أبو موسى	إن من إجلال الله إكرام
١٦٣	سعيد بن زيد	إن من أربا الربا
٢٤١	عليّ بن أبي طالب	إن من حق العالم
١٠٦	عبد الله بن عمرو	إن من خيركم أحسنكم خلقاً
٣٠٥	عائشة	إن نساء قريش لفضلاء
١٩٣	عائشة	أن هنداً بنت عتبة قالت
١٠٧	عائشة	أن يهود أتوا النبي ﷺ
٤٦٠	أنس	أن يهودية أتت النبي ﷺ

٦١٩	أنس	أن أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة
٦١٨	انس	أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة
٥٩٦	عثمان بن عفان	إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ
٤١٧	أم سعيد بنت مرة الفهري عن أبيها	أنا وكافل اليتيم في الجنة
٤١٠	أبو هريرة	أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في
٤١٣	عائشة	أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في
٣٩٣	أنس بن مالك	انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً
٥٨٩	أبو ذر	إنك امرؤ فيك جاهلية
٣٩٦	ابن عباس	إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب
٢١٦	عبد الله بن عمرو بن العاص	إنك لتصوم الدهر
٥١٨	أم سلمة	إنما أنا بشر ،وإنه يأتيني الخصم
٥٦	أنس بن مالك	إنما الصبر عند أول الصدمة
٧٠	أبو سعيد الخدري	إنما الماء من الماء
٢٤٢	عمّار بن ياسر	إنما كان يكفيك هكذا
٧٦	عبد الله بن عمرو[٢٢٥]	إنما هلك من كان قبلكم
٣٤١	عبد الله بن زيد بن خالد	أنه أمر في من زنى ولم يحصن
٢٤٨	ابن بشير الأنصاري	أنه كان مع رسول الله
٢٣٠	أبو الدرداء	إنه ليستغفر للعالم من في السماوات
٥٩٤	أنس	أنه مرَّ على صبيان فسلم عليهم
٢٠٠	ابن عباس	إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير
١٦٠	أبو بكرة	إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير
٥٦٧	أبو سعيد الخدري	إني إنما فعلت ذلك لأتألفهم
٤٣٥	أبو هريرة	إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق
٦	ابن عباس	إني رأيت الجنة
٢٢٢	أنس بن مالك	إني لأدخل الصلاة وأنا أريد أن
٤٢٣	شُميسة العتكية	إني لأضرب اليتيم حتى ينبسط
٤٢١	أبو ذر	أتحب أن يلين قلبك

٤٦	عبد الله	إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً
٣٤٥	عبادة بن الصامت	إني من النقباء الذين بايعوا
٢٩٥	البراء	أهدي للنبي ﷺ ثوب حرير
٤٦٩	عائشة	أو أملك لك أن نزع الله من قلبك
٦٠	أبو سعيد الخدري	أوصيكم بتقوى الله فإنه رأس كل
٩٣	العرباض بن سارية	أوصيكم بتقوى الله والسمع
٤٠٢	عبد الله	أول ما يقضى بين الناس
٤٦٥	حكيم بن حزام	أي رسول الله : أرأيت
٣٥٦	أبو سعيد الخدري	إياكم والجلوس في الطرقات
٣١١	عقبة بن عامر [٣٥٩]	إياكم والدخول على النساء
٢١٢	ابن عباس	إياكم والغلو في الدين
٦٧	قتادة	إياكم وكثرة الحديث عني
٣٥٨	عاصم مولى أبي رهم	أيما امرأة تطيبت ثم خرجت
٢٠٤	عبد الله بن عمرو	أيما رجل قال لأخيه يا كافر
٢٣٦	جابر بن عبد الله	أيهما أكثر أخذاً للقرآن

[ب]

١١١	عائشة	بئس أخو العشيرة ،وبئس ابن العشيرة
٣٣٣	عبادة بن الصامت	بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً
١٠٧٢	أم سلمة	بسم الله ،رب أعوذ بك من أن أضل
٢١٨	عائشة	بعثت بحنيفية سمحة
٤٥٩	يحيى بن سعيد	بلغني أن المرء ليدرك بحسن خلقه
٢٤٦	عدي بن حاتم	بلى إنهم حرموا عليهم الحلال
٥٨٨	أبو هريرة	بينما رجل يتبختر في برده
٤٨٢	أبو هريرة	بينما رجل يمشي بطريق ،وجد غصن
٤٧٦	أبو هريرة	بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش
٢٩٠	أبو هريرة	بينما رجل يمشي في حلة تعجبه

[ت]

٦٠٩	عمر بن الخطاب	ترون هذه المرأة طارحة ولدها
٤١٨	زينب امرأة عبد الله	تصدقن يا معشر النساء
٥١٠	عبد الله بن عمر	تطعم الطعام وتقرأ السلام على من
٣٩٧	أبو هريرة	تعوذ بالله من الفقر والعلة والزلة

[ث]

٣٩٨	أبو هريرة	ثلاث دعوات مستجابات ، دعوة
٥٤٩	سالم بن عبد الله عن أبيه	ثلاث لا ينظر الله ﷻ إليهم يوم
٣٩٩	أبو هريرة	ثلاث لا يرد دعواهم
٣٥١	أبو هريرة	ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة
٥٤٧	أبو هريرة	ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة رجل
٥٤٨	أبو ذر	ثلاث لا ينظر الله إليهم يوم القيامة
٢١١	أنس	ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان
٢٩٢	عبد الله بن عمر	ثياب الكفار لا تلبسها

[ج]

٢٥٦	زياد بن جبير	جاء رجل إلى بن عمر فقال له
٤٧٢	أنس بن مالك	جاءت امرأة إلى عائشة رضي الله عنه
١٩٤، ١٩٥	عائشة	جاءت امرأة رفاعة القرظي
٥٩٠	أبو هريرة	جلس جبريل إلى النبي فنظر إلى
٦٢٥	أبو بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه	جنات الفردوس أربع

[ح]

٤٣٧		حق على الله أن لا يرفع شئ من

[خ]

١٩٨	ابن عباس	خرج النبي ﷺ من بعض حيطان
٢٠	أبو سعيد الخدري	خرج رسول الله ﷺ في أضحى
٥، ٣٩٩	عائشة	خسفت الشمس في حياة الرسول ﷺ
٨٦	أبو هريرة	خطبنا رسول الله ﷺ فقال يا أيها الناس
٣٤٧	ابن عباس	خمس بخمس ، ما نقض قوم العهد
٤٩٩	عوف بن مالك الأشجعي	خيار أئمتكم الذين تحبونهم
٥٠٥		خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم
٥٠٦، ٥٢٣	ابن عمرو بن العاص	خير الأصحاب عند الله خيرهم
٥١٤	أبو هريرة	خير النساء الذي تسره إذا نظر
٥٠٧	أسامة بن شريك	خير ما أعطى الناس خلق حسن
٤٢٧	أبو هريرة	خير نساء ركبن الإبل نساء قريش
٥١٣		خير نسائكم الولود الودود المواسية
٤٩٨		خيركم اسلاماً أحاسنكم أخلاقاً
١٨١، ٥٠١	عائشة	خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي
٥٠٢	أبو هريرة	خيركم خيركم لأهلي من بعدي
٤٩٦	عمران بن حصين	خيركم قرني ثم الذين يلونهم
٥٠٨	صهيب	خيركم من أطعم الطعام
٢٥١	عروة بن عامر	خيرها الفأل ولا ترد مسلماً

[د]

١٠٨	عائشة	دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ
٢٧٨	عمر بن سعيد عن أبيه عن جده	دخلت على رسول الله ﷺ فرآني
٨٥	أبو هريرة	دعوني ما تركتكم فإنما أهلك من
٥١٥	أسماء بنت أبي بكر	دنت مني النار حتى قلت : أي رب

[ر]

رآني النبي ﷺ أسبلت إزاري فقال	ابن عمر	٢٨٧
رآني النبي ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين	ابن عمر	٢٩٣
رأى شيخاً يهادى بين ابنيه	أنس	٢٥٥
رأيت عمرو بن لحي بن قمعة	أبو هريرة	٢
رأيت في الجاهلية قردة اجتمع	عمر بن ميمون	٣٤٢
رب أشعث أغبر لو أقسم على الله		٤٩٣
رحم الله امرءاً تكلم		٤٧٩
رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع	جابر بن عبد الله	٤٦٣
رحم الله رجلاً قام من الليل	أبو هريرة	٤٨١
رخص النبي ﷺ للزبير وعبد الرحمن	أنس	٢٩٧
رمى إلينا جراب فيه طعام	عبد الله بن مغفل	١٠٢

[س]

سئل النبي ﷺ ما أكثر ما يدخل الجنة	أبو هريرة [١٧٦]	١٢٩
سئل رجل عائشة رضي الله عنها هل كان	عروة بن الزبير	٥٩٧
سئل موسى ربه ، ما أدنى أهل الجنة	ابن أبجر	٦٣٤
سألت النبي ﷺ فأعطاني ، ثم سألته	حكيم بن حزام	٤١٩
سيأتيكم أقوام يطلبون العلم	أبو سعيد الخدري	٢٣٢

[ش]

شر قتلى قتلوا تحت أديم السماء ،وخير	أبو أمامة [٢٠٩]	٢٠٨

[ص]

صلاة المرأة في بيتها أفضل من	عبد الله بن مسعود	٣٠٨
صلوا كما رأيتموني أصلي		٨١

٢١٥	عبد الله بن عمرو	صم من الشهر ثلاث أيام
٣٠١	أبو هريرة [٣٨٥]	صنفان من أمتي لم أرهما

[ع]

٥١٦	عبد الله بن عمر	عذبت امرأة في هرة
٣٦٣	الربيع بن سمرة عن أبيه عن جده	علموا الصلاة بن سبع
٦١	أبو هريرة	عليك بتقوى الله والتكبير
٦٢٤	ثوبان	عليك بكثرة السجود لله
٣٩٥	البراء بن عازب	عيادة المريض واتباع الجنائز

[غ]

٤٩١	أبو هريرة	غفر لامرأة مومسة مرت بكلب

[ف]

٢٢٦	عائشة	فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه
٥٧	عدي بن حاتم	فأعرض وأشاح ، ثم قال : اتقوا النار
٢٦٠	سعيد بن عبادة	فأفتاه أن يقيه عنها فكانت سنته
٧٢	أبن عباس	فأما إذا ركبتم الصعب ،والزلول

[ق]

٤٨٧	أنس بن مالك	قال ربكم : أنا أهل أن أتقى فلا
٢٥٧	ابن عمر	قال : كنت نذرت في الجاهلية
١٦٢	عائشة	قلت للنبي ﷺ حسبك من صفية
٢٥٣	معاوية بن الحكم السلمي	قلت : يا رسول الله ﷺ أموراً
١٣٥	عبادة بن الصامت	قولوا خيراً تغنموا أو اسكتوا عن
٥٩٢	أنس بن مالك	قوموا فأصلي لكم

[ك]

٣٠٣	عائشة	كان الركبان يمرون بنا ونحن
١٣	ابن مسعود	كان النبي ﷺ إذا اختار مضجعه
٣٢٢	سمرة بن جندب [٣٤٩]	كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل
٢٨٣	عائشة	كان النبي ﷺ يحب التيمن في
٥٩٩	البراء بن عازب	كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق
٣٧٠	عبد الله بن بشر	كان رسول الله ﷺ إذا أتي باب
٥٩٨	عبد اله بن أبي أوفى	كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر
٢١٩	أنس بن مالك	كان رسول الله ﷺ يوجز في الصلاة
١٤٦	أبو ذر	كان في صحف إبراهيم عليه السلام
٤٩٥	أبو هريرة	كان لرجل على رسول الله ﷺ حق
٢٢٣	أنس بن مالك	كان معاذ بن جبل يؤم قومه
٢٦٥	عبد الله بن عمر	كان يتعوذ من أربع من علم لا ينفع
٢٥٢	أبو هريرة	كان يعجبه الفأل
٣٣٢		كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا
٢٩٨	علي بن أبي طالب	كساني النبي ﷺ حلة سيراء

٢٦٢	عقبة بن عامر	كفارة النذر كفارة اليمين
٨٤	أبو هريرة	كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى
٥٨١	عمرو بن العاص	كل جعظري جوّاظ جماع مناع
٥٤٣	معاوية	كل ذنب عسى الله أن يغفره
٢٧٧	ابن عباس	كُل ما شئت ، والبس ما شئت
٤٩	جابر	كل معروف صدقة
٢٨٩	ابن عمر	كلوا واشربوا والبسوا في غير
٢٧٦		كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا
٤٢٤		كما لا يجتني من الشوك العنب
٣١٠	عائشة	كنا نساء المؤمنات يشهد مع النبي ﷺ
١	أبو هريرة	كنا مع رسول الله ﷺ إذا سمع وجبة
١٦٥	جابر بن عبد الله	كنا مع رسول الله ﷺ وارتفعت ريح
٣٠٩	أسماء بنت أبي بكر	كنا نغطي وجوهنا من الرجال
١٦١	أبو هريرة	كنا نمشي مع رسول الله ﷺ فمررنا
١٠٩	عائشة	كنت على بعير فيه صعوبة
٨٩	ابن عباس	كيف تسألون أهل الكتاب

[ل]

٢٣٨	كعب بن مالك	لا تتعلموا العلم تباهوا به العلماء
٨٢	أبو هريرة [١٤٨، ٣٩٠]	لا تحاسدوا ولا تناجشوا
١٨٠	عائشة	لا تذكروا هلكاكم إلا بخير
٣٦١	أبو سعيد الخدري	لا تسافر المرأة مسيرة يومين
١٨٢	جابر بن عبد الله	لا تَسُبَنّ أحداً
١٨٣	عائشة	لا تسبوا الأموات
١٨٤	المغيرة	لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء
١٩٠	جابر بن عبد الله	لا تسبوا الحمى فإنها
١٨٧	أبو هريرة	لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر
١٨٨	يزيد بن خالد	لا تسبوا الديك

١٨٩	أبو هريرة	لا تسبوا الريح
٣٢٦	ابن مسعود	لا تقوم الساعة إلا على
١١٤	أبو هريرة	لا تكثروا الضحك
٦٣	علي	لا تكذبوا عليَّ فإنه من يكذب
٤٧١	أبو هريرة	لا تنزع الرحمة إلا من شقي
٢٥٠	أنس	لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل
٣٤٦	عبد الله بن مسعود	لا يحل دم امرئ مسلم يشهد
٣٦٠	أبو هريرة	لا يحل لامرأة تؤمن بالله
٤٣	أبو هريرة	لا يحلف أحد عند منبري
٣٠	أبو هريرة	لا يدخل أحد النار إلا أري
٦٠	حذيفة [١٩٧]	لا يدخل الجنة قتَّات
٥٧٩	عبد الله بن مسعود	لا يدخل الجنة من كان قلبه
٥٨٧	عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده	لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال
٥٢٠	أبو هريرة	لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره
١٩٦	حذيفة	لا يدخل الجنة نمَّام
٣٦٢	عائشة	لا يدخلن عليكن
٤٧٤	جابر بن عبد الله	لا يرحم الله من لا يرحم الناس
٢٠٥	أبو ذر	لا يرمي رجلٌ رجلاً
٤٥	عبد الرحمن [٣٤٣]	لا يزني الزاني حين يزني
١٦٨	أبو هريرة	لا يستر عبدٌ عبداً في الدنيا
٥٤٥	أبو هريرة	لا يشير أحد على أخيه بالسلاح
٢٨٤	أبو هريرة	لا يمشي أحد في نعل واحدة
٥٨٢	أبو هريرة	لا ينظر الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلى
٦٢١	أنس بن مالك	لروحة في سبيل الله أو
٥٢٥	جابر	لعن الله آكل الربا ومؤكله
٥٢٦	أبو أمامة	لعن الله الخامشة وجهها
٤٠٧	أبو هريرة	لعن الله الراشي والمرتشي
٥٢٧	أبو هريرة	لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة

٥٢٨		لعن الله الرجلة من النساء
٥٣٤	أبو هريرة	لعن الله السارق يسرق البيضة
٥٣٣		لعن الله المحلل والمحلل له
٥٢٩		لعن الله المخنثين من الرجال
٥٣١	عبد الله	لعن الله الواشمات والمستوشمات
٥٣٧		لعن الله اليهود والنصارى
٤٠٦	ابن عباس [٥٣٦]	لعن الله اليهود حرم عليهم
٥٣٥	أبو الطفيل	لعن الله من ذبح لغير الله
٥٣٢		لعن الله من سبَّ أصحابي
٥٢٤	جابر	لعن الله من فعل هذا
٣٢٠	جابر بن عبد الله	لعن رسول الله آكل الربا
٥٣٠	ابن عمرو	لعنة الله على الراشي
٦٣٢	ابن مسعود	لقيت إبراهيم ليلة اسري بي
٦٣١	أبو هريرة	لقيد سوط أحدكم من الجنة
١٦٤	أنس بن مالك	لمّا عرج بي (عرج ربي بي) مررت
٢٨	عتبة بن عبد الله	لو أن رجلاً يجر على وجهه
٦٣٠	سعد	لو أن ما يقل ظفر مما في الجنة
٢٢	ابن مسعود	ليتق أحدكم وجهه النار
٥٢٢	ابن عباس	ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع
١٥١	ابن مسعود	ليس المؤمن بالطعان
٢٣٤	عبادة بن الصامت	ليس من أمتي من لم
١٠٣	أنس بن مالك	ليس منا من لم يرحم صغيرنا
٢٣٥	عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده	ليس منا من لم يرحم صغيرنا
٢٠٦	أبو ذر	ليس من رجل أدعى لغير أبيه
٣٩	أنس	ليصيبن أقواماً سفع من النار

[م]

٣٢٧ عبد الله بن مسعود — ما أحد أكثر من الربا
٦٦ عمر بن ميمون — ما أخطأني بن مسعود عشية
٢٨٥ أبو هريرة — ما أسفل الكعبين من النار
١٠١ أبو هريرة — ما بال أحدكم
١٢٦ ابن عمر — ما بالكم لا تتكلمون
٦٠٠ أبو هريرة — ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم
١٥٦ على بن أبي طالب — ما تضحكون ؟ لرجل عبد الله
٩ أبو هريرة — ما تقول في الصلاة
٥٦٨ أبو هريرة — ما رأيت شيئاً أحسن من
٢٢١ أنس بن مالك — ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة
٥٧٦ ابن عباس — ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد
٩١ أبو هريرة — ما من الأنبياء إلا أعطي
٥٧٧ أبو هريرة — ما من امرئ إلا في رأسه حكمة والحكمة
٣٤٤ أبو ذر — ما من عبد قال : لا إله إلا الله
٤٨٨ البراء بن عازب — ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان
٤٨٩ البراء — ما من مسلمين يلتقيان فيسلم
٣٨ معاذ بن جبل — ما من نفس تموت وهي تشهد
٥٧٥ أبو هريرة — ما نقصت صدقة من مال
٩٤ جابر — مثلي ومثل الأنبياء
٩٥ جابر بن عبد الله — مثلي ومثلكم كمثل رجل
٣٦٤ عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده [٣٦٥] — مروا أولادكم بالصلاة
١٩٢ أبو هريرة [٣٩٢] — مطل الغني ظلم
٥٤٠ أبو هريرة — ملعون من أتى امرأة في دبرها
٥٤١ ابن عباس — ملعون من وقع على بهيمة ط
٣٥٣ أبو هريرة — من زنا وشرب الخمر
٣٨٢ الحكم بن الحارث السلمي مرفوعاً — من أخذ شبراً من

٥٣٨	أنس	من أدعي إلى غير أبيه أو انتمى
٥٣٩		من أدعي إلى غير أبيه لم يرح
٥٢٤		من أراد أن يعلم ماله عند الله
٥٤٤	أبو هريرة	من أشار إلى أخيه بحديدة
٣٣٤	أنس بن مالك	من أشراط الساعة أن يقل العلم
٦٠٣	علي	من أصاب في الدنيا ذنباً
١٢٧	ابن عمر [٣٧٩]	من أعان على خصومة
٣٧٩	ابن عمر	من أعان على خصومة بظلم
٥٥٤	أبو الدرداء	من أعطى حظه من الرفق
١٧٠	ابن أم عبد	من أغتيب عند مؤمن
٣١٥	ابن مسعود	من أقرض ورقاً
١٥٧	المستورد	من أكل بمسلم أكلة
٢٨٠	سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه	من أكل طعام ثم قال
٣١٦	أبو اليسر	من أنظر معسراً أو وضع عنه
٣١٧	أبو هريرة	من أنظر معسراً أو وضع له أظله
٣١٨	بريدة بن الحصين	من أنظر معسراً فله بكل يوم
٣١٩	خريم بن فاتك	من أنفق نفقة في سبيل الله
٥٤٦	ابن عباس	من أنتسب إلى غير أبيه
٣٧٦	جابر	من باع ثمراً فأصابته جائحة
٦٠٦	أبو هريرة	من تاب قبل أن تطلع الشمس
٧٥	أبو هريرة	من تبع جنازة فصلى عليها
٥٧١	معاذ بن أنس الجهني	من ترك لباس تواضعاً
٢٨١	أم خالد بنت خالد	من ترون أن نكسوه هذه ؟
٢٩١	ابن عمر	من تشبه بقوم
٦٤	انس بن مالك	من تعمد عليّ كذباً
٦٠١	أبو ذر [٢٤٤]	من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها
٢٢٩	أبو هريرة	من جاء مسجدي
٣٠٦	ابن عمر	من جر ثوبه خيلاء

١٢٥	ابن عمر [١٥٢، ٣٨٠]	من حالت شفاعته دون حد
١٣٦	أبو هريرة	من حسن إسلام المرء
٢٤٠	علي بن أبي طالب	من حق العالم عليك
٢٦١	ثابت بن الضحاك	من حلف على يمين
١٦٩	معاذ بن أنس الجهني	من حمى مؤمنا من منافق
١٢٤	أسماء بنت يزيد [١٦٦]	من ذبَّ عن عرض أخيه
١٥٣	أبو هريرة	من ذكر رجلاً بما فيه فقد اغتابه
٤٧٧	أبو أمامة	من رحم ولو ذبيحة
٤٩٠	أبو الدرداء	من ردَّ عن عرض أخيه
١٢٢	أبو الدرداء	من ردَّ عن عرض أخيه ردَّ الله
١٢٣	أبو الدرداء	من رد عن عرض أخيه كان له
٢٠٥٧	ثابت بن الضحاك	من رمى مؤمناً بكفر
١٩	أنس	من سأل الجنة ثلاث
٥٥٨	سهل بن الحنظلية	من سأل شيئاً وعنده ما يغنيه
٨٣		من سُئلَ عن علمٍ علمه
٥٥٩		من سأل من غير فقر
٥٦٠	أبو سعيد	من سأل وله قيمة أوقية
٥٥٧	ابن مسعود	من سأل الناس وله ما يغنيه
١٢١	أبو هريرة	من ستر أخاه المسلم
٢٢٨	أبو الدرداء	من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً
٢٧٢	جندب بن عبد الله	من سمَّع سمَّع الله به
٢٧١	عبد الله بن عمرو	من سمَّع الناس سمّع الله به مسامع
٤٠٨	أبو أمامة	من شفع لأخيه شفاعة
٣٧٤	أبو هريرة	من ضرب بسوط ظلماً
٣٧٥	عمَّار بن ياسر	من ضرب مملوكه ظلماً أقيد منه
٢٣٩	أبو هريرة	من طلب العلم ليباهي به العلماء
٢٣٧	كعب بن مالك	من طلب العلم ليجاري به العلماء
٣٨١	عائشة	من ظلم قيد شبر
٦١٣	أبو هريرة	من قال : سبحان الله

٢٧٠	أبو هند الداري	من قام مقام رياء وسمعة
٢٧٣	عوف بن مالك الأشجعي	من قام مقام رياء وسمعة
٣٧٧	أبو هريرة	من قذف مملوكه بالزنا
٤٣١	أبو هريرة	من كان سهلا هينا
١١٩	أبو هريرة	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
٤٠١	أبو هريرة [١٧٧]	من كانت له مظلمة
٥٧٣	سهيل بن معاذ بن أنس عن أبيه	من كظم غيظاً
٤٧٣	أبو سعيد	من لا يرحم لا يرحم
٢٩٤	ابن الزبير	من لبس الحرير في الدنيا
٤٦٨	أبو هريرة	من لم يرحم صغيرنا
٤٧٠	أبو هريرة	من لم يرحم لا يرحم
٣٧٨	ابن عمر	من مات وعليه دين
٢٦٨	جابر بن عبد الله	من مات يشرك بالله شيئاً
٢٥٩	عائشة	من نذر أن يطيع الله
١٣٠	أبو هريرة [٤٣٢]	من وقاه الله شر ما بين
٥٠	أبو هريرة	من يأخذ عني هؤلاء الكلمات
١٣١	سهل بن سعد	من يتوكل لي ما بين لحييه
١٠٥	جرير	من يحرم الرفق
٢٢٧	أبو هريرة	من يرد الله به خيراً
٤١٦	عائشة	من يلي من هذه البنات شيئاً
٣٤	سمرة بن جندب	منهم من تأخذه النار إلى كعبيه

[ن]

٣٣	أبو هريرة	ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً
٢٩٦	حذيفة	نهانا النبي ﷺ أن نشرب في آنية الذهب
٣٠٠	البراء بن عازب	نهانا النبي ﷺ عن سبع

[هـ]

٦٢٢	أنس	هذان سيدا كهول أهل الجنة
٣٧١	هزيل	هكذا عنك هكذا عنك
٥٧٢	عمرو بن العاص	هل ترون أول من يدخل الجنة
٣١	أبو هريرة	هل تضارون في الشمس ليس
٤٩٢	ابن عمر	هل لك من أم قال : لا

[و]

٣٣٨	أبو هريرة	والذي نفسي بيده لا تفنى هذه الأمة حتى
٦٠٨	أبو هريرة	والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب
٤٧٥	معاوية بن قرة عن أبيه	والشاة إن رحمتها رحمك الله
٦١٠	أبو هريرة	والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه
٤٦١	عبد الله بن الزبير	والله ما أمر بها أن تؤخذ إلا من
٣٢٥	جابر بن عبد الله	وربا الجاهلية موضوع
٦٣٦	أنس بن مالك	ولو أن امرأة من أهل الجنة
٩٦	معاذ	وهل يكب الناس في النار على
٥٦٦		ويلك ومن يعدل إن لم يعدل الله

[ي]

٤٢٩	أبو ذر	يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً
٥١	واثلة بن الأسقع	يا أبا هريرة كن ورعاً
٣١٣	عائشة	يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض
٦٠٤	ابن عمر	يا أيها الناس توبوا إلى الله
١٤١	معاذ بن جبل	يا رسول الله :أخبرني بعمل يدخلني

٥١٩	أبو هريرة	يا رسول الله : إن فلانة تقوم الليل
٣٤٨	عبد الله	يا رسول الله : أي الذنب أعظم
٤٦٢	أبو هريرة	يا رسول الله : أدع الله على المشركين
٦١٥	أنس	يا رسول الله : قد عرفت موقع حارثة
٦١٤	أنس	يا رسول الله : قد علمت موقع حارثة
٩٩	عمرو بن عبسة	يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال: أن
١٥٩	أبو هريرة	يا رسول الله ما الغيبة : قال : أن
٢٤٩	رويفع	يا رويفع ، لعلَّ الحياة تطول بك
٢٣	عائشة	يا عائشة استتري من النار
٣٩١	أبو ذر	يا عبادي إني حرمت الظلم على
٢١٧	عبد الله بن عمرو ابن العاص	يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم
٢١٤	سعد بن أبي وقاص	يا عثمان إني لم آمر بالرهبانية
١٣٤	عقبة بن عامر الجهني	يا عقبة أملك عليك لسانك
٧٩	معاذ	يا معاذ هل تدري حق الله على عباده
٦٢	رفاعة	يا معشر التجار فاستجابوا لرسوا الله
٩٢	حذيفة	يا معشر القرآء استقيموا فقد
٩٠	ابن عباس	يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل
٣١٤	جابر بن عبد الله	يا معشر النساء تصدقن
١٥٨	أبو برزة الأسلمي	يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل
١٢٨	أبو هريرة	يبصر أحدكم القذى في عين أخيه
٢٦٧	أبو هريرة	يتعوذ من جهد البلاء
٢٦٦	ابن مسعود	يتعوذ من خمس ، من البخل ،
٤٠٣	عبد الله بن مسعود	يجئ الرجل آخذ بيد الرجل
٤٠٤	ابن عباس	يجئ المقتول بالقاتل يوم القيامة
٥٤٢	ابن مسعود	يجئ المقتول متعلقاً بقاتله
٢٥	أنس بن مالك	يجاء بابن آدم يوم القيامة
٢٧	أنس بن مالك [٤٢٠]	يجاء الكافر يوم القيامة فيقال
٢٩	عبد الله بن عمرو	يحشر المتكبرون يوم القيامة

٣٧	عمران بن حصين	يخرج قوم من النار بشفاعة
٣٦	أنس بن مالك	يخرج قوم من النار بعدما
٣٣٥	حذيفة بن اليمان	يدرس الإسلام كما يدرس وشى الثوب
٦٠٢	ابن عمر	يدني المؤمن يوم القيامة من ربه
٣٣٧	مرداس الأسلمي	يذهب الصالحون الأول فالأول
٣٠٤	عائشة	يرحم الله نساء المهاجرات الأول
٥٨٣	عبد الله بن عمر	يطوي الله السماوات يوم القيامة
٧١	أبي بن كعب	يغسل ما أصابه من المرأة
٤٨٥	عبد الله بن عمرو بن العاص	يغفر للشهيد كل ذنب
٦٣٣		يقال لصاحب القرآن إذا دخل
٢٦	أنس بن مالك	يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار
٧٨	أبو هريرة	يكون في آخر الزمان دجالون
٣٢٩	عبادة بن الصامت	ينهى عن بيع الذهب بالذهب
٢٥٨	أبو هريرة	ينهى عن صيامين...الفطر والأضحى
٣٨٦	أبو هريرة	يوشك إن طالت بك مدة

الفهرس العام

المقدمة ٥
تمهيد ٨
المبحث الأول:أدلة وجود النار..... ١٣
وجود النار ١٥
المبحث الثاني :الاستعاذة من النار ١٩
الاستعاذة من النار ٢١
أما في السنة فحدث ولا حرج..... ٢٧
المبحث الثالث : كلا إنها لظى.....٣١
حديث القرآن عن النار وشدتها..... ٣٣
آيات من القرآن تتحدث عن شدة النار ٣٣
تحذير الجبار عباده من النار ٣٤
النار المحذرة لا تبقي لحماً ولا عظماً ٣٨
أهل النار وهم في الطريق إليها كيف يتوقعون وكيف تستقبلهم النار ٤٠
عرضهم ووقوفهم يوم القيامة عليها ٤٢
أمر الله ملائكة أن تسلسلهم، وتسحبهم على وجوههم إلى النار ٤٣
تلاعن الكافرين وخصومتهم في النار ٤٨
الصراط جسر جهنم ٥٢
وقال القرطبي ٥٣
فراش أهل النار وأغطيتهم ...٥٦
لباس أهل النار ٥٧
اشتكت النار إلى ربها ٦٠
الخوف من النفاق ٦٣
المبحث الرابع : الخوف من الله ٦٧
الخوف من الله ٦٩
عصاة المؤمنين لا يخلدون في النار وأمرهم إلى الله ٧٣
قال شيخ الإسلام ابن تيمية....٨١
آخر أهل النار خروجاً وآخر أهل الجنة دخولاً ٨٢
المبحث الخامس: التقوى والفرار من النار ٨٧
تعريف التقوى ٨٩
من معان التقوى في القرآن .٩١
من هم المتقون ٩٢
القرآن يصف أهل التقوى ٩٢
السنة والتقوى ٩٨
أمره ﷺ بالتقوى ٩٩
أمره ﷺ بالتقوى في الصلاة وملك اليمين ١٠٥
وفي العدل بين الأولاد.....١٠٥
أهمية التقوى وثمرتها ١٠٨
سعة الرزق ١٠٩
رفعة المتقين ١١٢
البشرى للمتقين ١١٣
التقوى وقاية بإذن الله ١١٥
التقوى وقاية من النار ١١٧
وليس يعتبر إلا من اتقى ..١١٧
المتقون لا يخافون يوم يخاف الناس ١١٨
التقوى سبيل إلى الرحمة ..١١٨
التقوى سبيل إلى العلم

النافع..... ١١٩
التقوى دلالة قبول الأعمال. ١١٩
التقوى دلالة الإيمان ١١٩
التقوى سبب وثيق بعد فضل الله للنجاة في الدارين ١١٩
المبحث السادس : التحذير من الكذب على النبي ﷺ ١٢١
التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ ١٢٣
التوقي في رواية الحديث عن النبي ﷺ ١٢٧
بيان شدة تحري الصحابة ﷺ في حديث النبي ﷺ ١٢٧
تحري أبي موسى الأشعري في الطهارة ١٣٣
الحديث الموضوع وخطورة روايته..... ١٣٧
معرفة الوضع والحامل عليه..... ١٣٧
ليس كل حديث صحيح يعرض على العامة ١٤٠
قرائن يعرف بها الحديث الموضوع ١٤٣
الإقرار بالوضع وما ينزل منزلة الإقرار ١٤٣
ركاكة اللفظ والمعنى ١٤٤
الإفراط بالوعد والوعيد ١٤٤
كون الراوي رافضياً ١٤٥
المبحث السابع : اتباع النبي ﷺ ١٤٧
اتباع النبي ﷺ هدى وعصمة..... ١٥٠
الاتباع في اللغة ١٥١
الاتباع في الشرع ١٥١
أحاديث في هذا المبحث ١٥٧
الاقتداء بأفعال النبي ﷺ ١٦١
قواعد مهمة في هذا الشأن ١٦٦
المبحث الثامن: خطورة اللسان ١٧٣
حبس اللسان عما يغضب الرحمن وقاية من النيران.. ١٧٥
أحاديث مفيدة في هذا الباب..... ١٧٧
فضل الصمت ١٧٧
من ثمرات الأخلاق والآداب.. ١٧٩
الأدب مع الله تعالى وتوقيره..... ١٧٩
تورث الحياء وهو من الأخلاق النادرة ١٨٠
ومن الثمرات حسن العشرة..... ١٨٠
صاحب الخلق الحسن من أفضل الخلق..... ١٨١
أحاديث في الباب ١٨١
شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه ١٨٣
خطورة اللسان ١٨٦
اللسان وتأثيره على القلب. ١٨٧
اعرض كلامك على الشرع قبل أن تتلفظ به ١٨٨
فليقل خيراً أو ليصمت ١٨٩
النهي عن إيذاء المسلمين من دلائل الإيمان ١٨٩
وقفات مع الصمت ٢٠١

من آفات اللسان ٢٠٧
الكلام فيما لا يعنيك ٢٠٧
أقوال منثورة مهمة ٢١٠
المبحث التاسع : الغيبة .٢١٣
الغيبة وحكمها ٢١٥
فائدة ٢١٦
موعظة عباد الشامي لقومه..... ٢١٩
تعريف الغيبة وحدها ٢٢٠
أحاديث في الباب ٢٢٠
ومن عقوبات الغيبة ٢٢٩
ما ينبغي لمن سمع غيبة في أخيه ٢٣١
السبيل إلى التخلص من الغيبة ٢٣٣
الاستعاذة من شر السمع والبصر ٢٣٤
تذكر أن الله معك ٢٣٤
وليتذكر المسلم ٢٣٥
التوبة من حقوق الآدميين .٢٣٨
غيبة الموتى ٢٤٠
النهي عن السب والشتم بعموم..... ٢٤١
ما يباح من الغيبة ٢٤٢
تفصيل هذه المسائل الست لهذه الصور ٢٤٥
التحذير والبيان ٢٤٨
المبحث العاشر : النميمة ٢٤٩
النميمة حدها وخطرها والتحذير منها ٢٥١
الأدلة ٢٥٢
المعنى العام ٢٥٣
أقوال مفيدة للأعلام الكرام ٢٥٦
من مضار النميمة ٢٥٧
المبحث الحادي عشر :النهي عن تكفير المسلمين ٢٥٩
النهي عن تكفير المسلمين والنفرة من ذلك ٢٦١
ما هو الكفر؟ ومن هو الكافر ؟.....٢٦٥
الكفر لغة ٢٦٥
الكفر شرعاً.....٢٦٥
جحود الله تعالى ٢٦٥
جحود أسماء الله تعالى وصفاته..... ٢٦٥
تكذيب الله تعالى فيما أخبر به.....٢٦٥
تكذيب الله تعالى فيما شرعه من الشرائع ٢٦٥
جحود نبوة نبينا محمد ﷺ أو رسالته ٢٦٥
التكذيب بالقرآن ٢٦٦
إنكار القضاء والقدر ٢٦٦
إنكار أو جحود معلوم ٢٦٦
الإشراك بالله في ربوبيته.. ٢٦٦
الاستهزاء بآيات الله تعالى. ٢٦٦
التحذير من تكفير المسلمين
وبيان العلماء أصل المسألة..... ٢٦٨
مظاهر التكفير ٢٧٤
الغلو في الدين ٢٧٤
التعصب للرأي ٢٧٦
إلزام الناس بما لم يتعبدهم الله به ٢٧٧

ومن هذه المظاهر ٢٧٩
الخشونة والغلظة ٢٧٩
أسباب هذا الغلو ٢٨٠
ضعف البصيرة عن حقيقة الدين ٢٨٠
الإسراف في التحريم بغير دليل..... ٢٨١
اتباع المتشابهات ٢٨٢
وللعلماء أقوال كثيرة في ذلك..... ٢٨٢
عدم التعلم على أيدي العلماء..... ٢٨٣
ضعف البصيرة بالواقع ٢٨٥
المبحث الثاني عشر : حرمة أعراض العلماء ٢٨٧
أحاديث في الباب ٢٩١
الوصية بطلبة العلم وإكرامهم..... ٢٩٣
إجلال العلماء في الدنيا وبعد الموت ٢٩٣
النهي عن المماراة والجدال المنهي عنه ٢٩٤
آثار في الباب للكبار من السلف الصالح ٢٩٤
لقط الدرر ٢٩٨
الطعن على العلماء من أعظم البلاء ٣٠٠
أعذار العلماء ٣٠١
وقبل أن نغادر هذا المبحث ٣٠٥
المبحث الثالث عشر : من مظاهر الشرك ٣٠٧
من مظاهر الشرك ٣٠٩
دعوة الأنبياء والمرسلين.. ٣٠٩
الشرك ظلم ٣١٤
اتخاذ العلماء أرباباً ٣١٦
لبس الحلقة والخيط ٣١٩
الطيرة ٣٢٢
القرآن يصف المشركين بالتطير..... ٣٢٣
أحاديث في النهي عن التطير..... ٣٢٥
النذر لغير الله شرك ٣٢٨
الاستعاذة بغير الله ٣٣٢
أحاديث في الاستعاذة ٣٣٥
الاستعاذة من قلب لا يخشع ٣٣٥
الرياء ٣٣٦
آثار الرياء المقيتة ٣٤٠
الاستغاثة بغير الله تعالى... ٣٤٢
الأدلة من القرآن ٣٤٣
الغلو في بعض المشايخ ٣٤٤
أبيات شعرية ٣٤٥
المبحث الرابع عشر : اللباس والزينة ٣٤٧
تمهيد ٣٤٩
المخافة في الهدي الظاهر . ٣٥٠
مشاركتهم في الهدي الظاهر..... ٣٥٠
الأصل في المأكل والملبس ٣٥٠
حسن القصد في اللباس .. ٣٥٢
حمد الله وشكره على نعمة الثياب..... ٣٥٣
اللبس باليمين ٣٥٤
ثياب المسلم لا تجاوز الكعبين..... ٣٥٥

حرمان المختال في لباسه من نظر الله إليه يوم القيامة...٣٥٦
العجب والخيلاء يوردان الموارد ٣٥٧
النهي عن التشبه بالكفار.. ٣٥٩
النهي عن لبس الحرير للرجال إلا من ضرورة.....٣٦٢
النهي عن افتراش الحرير وعن الشرب في أواني الذهب والفضة ٣٦٣
النهي عن خواتم الذهب للرجال ،.....٣٦٤
المبحث الخامس عشر :
الحجاب فرار من النار.....٣٦٥
حجاب المرأة المسلمة فرار من النار ٣٦٧
شروط الحجاب الشرعي ..٣٦٨
الشرط الأول استيعاب جميع البدن ٣٦٩
الأدلة من السنة ٣٧٢
بعض الآثار في الباب ٣٧٩
خطر التبرج ٣٨١
تحذير العلماء من التبرج.. ٣٨٢
مفاسد خلع الحجاب أمام الاجانب ٣٨٣
الفتنة ٣٨٣
شدة تعلق الرجال ٣٨٣
اختلاط الرجال بالنساء ٣٨٣
أدلة المبيحين لكشف الوجه ورد أهل العلم عليهم ٣٨٤
الرد على هذه الأدلة ٣٨٥
من فوائد الحجاب ٣٨٨
المبحث السادس عشر: الربا والفرار من النار ٣٨٩
خطورة الربا والتحذير منها ٣٩١
تعريف الربا ٣٩١
خلط بشع ٣٩٢
آكل الربا إذا قام من قبره ..٣٩٤
آكل الربا إن لم يتب ٣٩٤
آكل الربا ينتظر حرباً هو فيها من المدمرين ٣٩٥
الربا سبب في العداوات ...٣٩٥
الربا سبب في خلق جيل أكول..... ٣٩٥
الربا ضد القرض ٣٩٥
الربا من أكبر الكبائر ٣٩٧
التدرج في تحريم الربا ٣٩٨
التشديد في الربا.....٣٩٩
عقوبات الربا.....٤٠٠
ربا الجاهلية ٤٠٢
القرض بالفائدة ٤٠٣
الإيداع بالفائدة.....٤٠٣
بيع العينة ٤٠٣
صرف العملات ٤٠٣
تحريم ربا الفضل وربا النساء في البيوع.....٤٠٤
وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم ٤٠٦
المجمع الفقهي بمنظمة المؤتمر الإسلامي قرار المجمع بشأن التعامل المصرفي ٤٠٨
فتوى مجمع الفقه برابطة العالم الإسلامي ٤٠٩
المبحث السابع عشر :التغليظ في تحريم الزنا ٤١١

تعريف الزنا ٤١٣
الأمراض الناجمة عن الفواحش ٤١٦
مرض الإيدز ٤١٦
الزهري ٤١٧
السيلان ٤١٧
هربس التناسل لدا النساء .٤١٧
القرحة الرخوة ٤١٨
القرحة الأكالة.....٤١٨
الأمراض النفسية الناجمة .٤١٨
الترهيب من الزنا ٤١٩
إغلاق كل باب يفضي إلى هذه الرزيلة ٤٢٢
أخذ البيعة على الصحابة مع الترهيب من الزنا ٤٢٢
جعل النبي ﷺ تفشي هذه الفاحشة من علامات الساعة..... ٤٢٤
الله تعالى يغار أن يزني عبده أو تزني أمته ٤٢٥
وقد مقت الشارع الزناة ٤٢٦
عقوبة الزاني ٤٢٦
أمر عجب وحدث جلل ٤٢٦
الزنا من أعظم الذنوب ٤٣٠
عقوبة الزنا في القبر ٤٣٠
والجوارح تزني ٤٣١
أن الزاني يخرج إيمانه فوقه كأنه الظلة فإن تاب رجع ٤٣٢
أن الله تعالى يُهلك الزناة في الدنيا ٤٣٣
سدّ الذرائع الموصلة إلى الزنا ٤٣٣
نهي النساء عن الضرب بالأرجل ٤٣٤
الأمر بغض البصر.....٤٣٤
إنما جعل الاستئذان من أجل البصر ٤٣٦
النهي عن خروج المرأة متطيبة ٤٣٦
النهي عن الخلوة بالأجنبية ٤٣٧
النهي عن سفر المرأة بلا محرم.....٤٣٨
النهي عن نعت المرأة ٤٣٨
التفريق بين الأولاد في المضاجع.....٤٣٩
المبحث الثامن عشر : الاستئذان وآدابه ٤٤١
الاستئذان وآدابه ٤٤٣
وقفات مع آية الاستئذان ...٤٤٤
مسائل تتعلق بهذه الآية ٤٤٥
المبحث التاسع عشر : الخوف من الظلم ٤٥٣
الظلم في اللغة ٤٥٥
الظلم يأتي على تسعة أوجه٤٥٥
الشرك ٤٥٥
تأتي هذه اللفظة ويقصد بها الذنب ٤٥٥
الظلم بمعنى القتل ٤٥٦
الظلم بمعنى النقص.....٤٥٦
الظلم بمعنى الضرر.....٤٥٧
ظلم بمعنى الجور ٤٥٧
ظلم بمعنى جحد القرآن.....٤٥٧
الظلم بمعنى السرقة ٤٥٧
القرآن يتحدث عن عقوبات الظالمين ٤٥٨

تهديد بالعذاب ٤٥٩
لا يقبل منهم فدية ٤٥٩
تحريم الظلم وبشاعته في السنة المطهرة ٤٦٠
الظلم ظلمات يوم القيامة. ..٤٦٠
النهي عن الإعانة في الظلم..٤٦١
النهي عن تغيير معالم الأرض وحدودها وسرقتها ٤٦٢
خصائص المسلمين لا يعكرها ظلم ٤٦٥
النهي عن التحاسد والتباغض والنجش لأن ذلك ظلم ٤٦٧
تحريم الظلم بكل أنواعه ٤٦٨
مطل الغني ظلم ٤٧٠
التحذير من دعوة المظلوم .٤٧٢
قصاص في يوم الخلاص...٤٧٤
إرشاد الشرع إلى التحلل من المظالم في الدنيا قبل الآخرة. ٤٧٥
أول ما يقضى فيه يوم القيامة بين الناس الدماء.....٤٧٦
المبحث العشرون: خطورة الرشوة والتحذير منها ٤٧٩
تعريف الرشوة.....٤٨١
بين يدي هذا المبحث ٤٨١
ما هو الباطل ٤٨٩
المقصود بلفظ أموالكم ٤٨٩
هذا التراضي مشروط ومضبوط بالشرع ٤٨٩
قد يسمي بعض الناس الحرام بأسماء أخرى ٤٨٩
الفرق بين الرشوة والهدية ٤٩٠
أنواع الرشوة ٤٩٢
التحذير من الخلط بين الشفاعة والرشوة ٤٩٢
قال حكيم شاعر.....٤٩٣
المبحث الحادي والعشرون :
أكل مال اليتيم ٤٩٥
تمهيد ٤٩٧
وصايا القرآن باليتامى ٤٩٩
العهد الذي أخذه الله على الأمم السابقة ووصاهم باليتامى..٤٩٩
اهتمام القرآن بالحث على الإنفاق عليهم ٥٠٠
إكرام اليتيم والاهتمام بالنفقة عليه من أعظم أنواع البر. .٥٠١
إهانة اليتيم من صفات المكذبين وليست من خصائص المسلمين..٥٠٤
النبي ﷺ يوصي باليتيم... ..٥٠٨
أجور لن تبور من الرب الغفور.....٥١٠
فضل من يعول يتيماً له.. ...٥١٠
فضل من يعول يتيماً من أبويه.....٥١١
تذكرة.....٥١٢
آكل الحرام ٥١٣
نافذة على حالك في القيامة قبل الورود ٥١٤
أدب اليتيم وتقويمه.....٥١٧
أكل مال اليتيم ذنب خطير ..٥١٨
الجزاء من جنس العمل ٥١٨
اهتمام النبي ﷺ باليتيم.....٥٢١
المبحث الثاني والعشرون :
حسن الخلق ٥٢٥
الفرار من النار بالخلق الحسن والآداب الحميدة وترك مساوئها ومذمومها ٥٢٧
تمهيد ٥٢٨
من ثمرات جميل الأدب وحسن الخلق ٥٣١
القرب من النبي ﷺ في القيامة من ثمرات الأخلاق الحسنة..... ٥٣٧
أقوال لبعض أهل العلم في الأخلاق ٥٤٠
في حسن الخلق سعة الأرزاق..... ٥٤٠

حسن الخلق يعدل أعظم العبادات ٥٤١
الأخلاق الكريمة سبيل إلى رحمة الله تعالى ٥٤٣
في شأن السماحة ٥٤٥
وفي شأن رحمة الصغير وتوقير الكبير ٥٤٦
رحمة البهائم ٥٤٩
ومن رحم رحمه الله تعالى. ٥٤٩
الأخلاق الحميدة سبيل إلى المغفرة ٥٥٠
الأدلة على أن الأخلاق سبيل إلى هذه المغفرة ٥٥١
وفي إنظار المعسر والتجاوز عنه ٥٥٢
الرد عن عرض المؤمن بالغيب ٥٥٣
الأخلاق الطيبة تلحق صاحبها بخير الناس ٥٥٥
حسن القضاء ٥٥٥
من خير الناس من يرجى خيره ويؤمن شره ٥٥٧
خيار الأمة من يألفون ويُؤلفون ٥٥٨
حديث يزيد بن الأصم ٥٥٩
خير الناس خيرهم لأهله ... ٥٥٩
إطعام الطعام والأخلاق الطيبة ٥٦٠
وليس هذا الوصف قاصراً على الرجال ٥٦١
والمرأة الصالحة في بيتها ترتقي منزلة سامقة ٥٦٢
المرأة الودود لها منزلة في ميزان الشرع ٥٦٣
المرأة الصالحة يدفعها صالح خلقها إلى أن تسر خاطر زوجها..... ٥٦٣
حسرات سوء الخلق ٥٦٦
فقد لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ٥٦٨
ولعن الراشي والمرتشي.. ٥٦٩
ولعن النبي ﷺ الواشمة والمستوشمة ٥٦٩
لعن من سبّ أصحاب النبي ﷺ ٥٧٠
لعن النبي ﷺ السارق ٥٧١
لعن الله الذي يؤوي محدثاً.. ٥٧٢
لعن الذين يؤذون الله ورسوله والمؤمنين ٥٧٤
ملعون من ادعى إلى غير أبيه ٥٧٤
ولعن النبي ﷺ من أتى امرأة في دبرها ٥٧٥
لعن رسول الله ﷺ من أشار بحديدة لأخيه..... ٥٧٦
إن سيئ الخلق يكسب ويقترف أشياء لا يحبها الله تعالى .. ٥٨١
أما في الآخرة فعليك أن تنظر في هذه الأحاديث الآتية ٥٨٢
والجعظري ملعون على لسان النبي ﷺ..... ٥٨٣
والله تعالى يبغض هؤلاء الثلاثة بغضاً شديداً لكبير إثمهم ... ٥٨٥
أحاديث في وصف هؤلاء الذين يبغضهم الله تعالى ٥٨٧
أنكر الخوارج على عليٍّ أمرين ٥٨٩
المبحث الثالث والعشرون :
التواضع ٥٩٣
تعريف التواضع ٥٩٥
أحاديث في التواضع ٥٩٩
التواضع من صفات أهل الجنة ٥٩٩
التحذير من الكبر ٦٠٤
حرمان المتكبر من دخول الجنة ٦٠٥

والمتكبر خُصَّ أنه من أهل النار إن لم يتب ٦٠٦
بيان كيف يتقى الكبر ٦٠٩
أقسام الكبر ٦٠٩
التكبر على الله ٦٠٩
التكبر على الرسل ٦٠٩
بيان ما يتكبر به ٦١٠
العلم ٦١٠
الكبر بالحسب والنسب ٦١٠
التكبر بالأتباع والأنصار ٦١٠
الطريق إلى معالجة الكبر واكتساب التواضع ٦١١
عودة إلى التواضع ٦١٢
درجات التواضع ٦١٢
المثال العملي في حياة النبي ﷺ ٦١٤
بعض الآثار في التواضع ... ٦١٦
من فوائد التواضع ٦١٦
المبحث الرابع والعشرون :
التوبة ٦١٧
التوبة لغة ٦١٩
تمهيد ٦١٩
التوبة سبب للأجر العظيم . ٦٢٢
التوبة سبيل للبشرى وهي من دلائل الإيمان ٦٢٢
وهي من أخص خصائص الأنبياء - عليهم السلام - ٦٢٢
أحاديث في الباب ٦٢٤
شروط التوبة ٦٢٨
معاصي القلوب ومعاصي الجوارح ٦٢٨
المبحث الخامس والعشرون: رحلة إلى الجنة ٦٣٣
من خصائص طالب الجنة.. ٦٣٥
مشاهد لأفراح الروح من قلب الآخرة ٦٣٦
أدلة وجود الجنة ٦٣٧
أبواب الجنة ٦٣٨
اتساع الجنة وارتفاعها وطيبها وبهجتها ٦٤٠
إن الله تعالى قدَّر وشرع.. ٦٤٢
سأل موسى ربه عن أدنى أهل الجنة منزلة ٦٤٦
أهل الجنة يزدادون جمالاً على الدوام ٦٤٧
نساء الجنة ٦٤٨
الخاتمة ٦٥٢
أهم المراجع ٦٦٧
صدر للمؤلف ٦٧٥
فهرس الأحاديث والآثار..... ٦٧٧
الفهرس العام ٧٠٣